نزهة المجالس

ومنية المتأنس

تأليف

العلامة السيد المحدث الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي الحسيني الموسوي

المتوفى حدود سنة ١١٨٠ هـ

إنتشارات مكتبة الحيدرية

نزهة الجليس

ومنية الأديب الأنيس

تأليف

سماحة العلامة المتضلع السيد
العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي
غفر الله له ولوالديه

الجزء الثاني

منشورات المطبعة الحيدرية في النجف الاشرف
١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧ م

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۲۲۲۵۰
تاریخ ثبت :

بسم الله الرحمن الرحيم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هوية الكتاب

اسم الكتاب : نزهة الجليس

المؤلف: السيد العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني الموسوي

الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية

المطبعة : امير - قم

الطبعة : الاولى في ايران

تاريخ الطبع : ١٤١٧ هـ. ق - ١٣٧٥ هـ. ش

سعر الدوره : ٢٥٠٠ تومان

عدد الصفحات والقطع : ٦٧٦ صفحة وزيري، المجلد الثاني

العدد : ١٠٠٠ دوره

ليتوگرافي : بيروتي - تلفن ٧١١٧٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ترجمة أبي محمد القاسم بن علي الحريري صاحب المقامات المشهورة ﴾

حامل لواء البراعة ، وفارس النظم والنثر وناسجهما بظرافة الصناعة ، كان من رؤساء بلده ، روى الحديث عن ابي تمام محمد بن الحسين وغيره ، وعاش سبعين سنة ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات واشتملت على كثير من كلام العرب من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها ، حتى قال بعض الفضلاء من عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل و كثرة اطلاعه وغزارة مادته .

وما أحسن ما قال فيها بعض واصفيها :

أقسم بالله وآياته ومشعر الحج وميقاته
ان الحريري حري بأن تكتب بالتبر مقاماته

وكان سبب وضعه لها ما حكاه ولده ابو القاسم عبد الله قال : كان ابي جالساً في مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليه اهبة السفر ، رث الحال فصيح المقال، حسن العبارة ، فسألته الجماعة من أين الشيخ ؟ فقال: من سروج، فاستخبروه عن كنيته ، فقال : ابو زيد ، فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية ، وهي الثامنة والأربعون ، وعزاها إلى أبي زيد المذكور واشتهرت فبلغ خبرها الوزير شرف الدين ابا نصر القاشاني ـ بالقاف والشين ـ وزير الامام المسترشد بالله ، فلما وقف عليها اعجبته ، وأشار إلى والدي أن يضم اليها غيرها ، فأتمها خمسين مقامة .

وإلى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقوله : فاشار من

اشارته حكم ، وطاعته غنم، إلى ان أنشى مقامات أتلو فيها تلو البديع ، هكذا وجد في عدة تواريخ .

وفي نسخة من المقامات عليها خط مصنفها ، وقد كتب على ظهرها بخطه انه صنفها للوزير جـلال الدين عميد الدولة ابى علي الحسن بن ابي المعز علي بن صدقة وزير المسترشد .

وقيل : وهذا اصح من الرواية الأولى لكونها بخط المصنف والله اعلم .

وذكر القاضى ابو الحسن علي بن يوسف الشيبانى وزير حلب في كتابه المسمى (إنباء الرواة على أنباء النحاة) أن أبا زيد المذكور اسمه المطهر بن سلار وكان نحويا لغويا ، وصحب الحريري المذكور، واشتغل عليه بالبصرة وتخرج به .

وروى عنه القاضى ابو الفتح محمد بن احمد الميدانى الواسطي ملحة الأعراب وذكر انه سمعها عنه عن الحريري قال : قدم علينا واسط سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، فسمعنا منه : وتوجه منها مصعداً إلى بغداد فوصلها ، وأقام مدة يسيرة وتوفى رحمه الله بها وأما تسمية الراوي لها أبا الحارث بن همام فانما عني به نفسه . هكذا ذكره القاضى ابن خلكان وقال وقفت عليـــه في بعض شروح المقامات وهو مأخوذ من قول النبي ﷺ : (كلـكم حارث ، وكلـكم همام) فالحارث هو الكاسب والهمام كثير الاهتمام ، وما من شخص إلا وهو حارث وهمام . لان كل أحد كاسب وهمام بامور ، وقد اعتنى بشرح المقامات خلق كثير ، فمنهم من طول ومنهم من اختصر .

قال ابن خلـكان : ورأيت في بعض المجاميع ان الحريري لما عمل المقامات كان قد عملها اربعين مقامة وحملها من البصرة إلى بغداد فادعاها فلم يصدقه في ذلك جماعة من ادباء بغداد ، وقالوا : انها ليست من تصنيفه ، بل هى لرجل مغربى من أهل البلاغة مات بالبصرة ، وقمت اوراقه اليه فادعاها ، فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صنعته ، فقال : أنا رجل منشىء ، فاقترح الوزير عليه انشاء رسالة في

وقمة عينها له فانفرد في ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ومكث زماناً كثيراً فلم يفتح الله سبحانه عليه بشيء ، فقام وهو خجلان .

وكان في جملة من انكر دعواه في عملها ابو القاسم بن افلح الشاعر ، فلما لم يعمل الحريري الرسالة التي اقترحها الوزير أنشد ابن افلح هذين البيتين . وقيل : انهما لابي محمد الحريمي البغدادي الشاعر المشهور :

شيخ لنا من ربيعة الفرس يمسح عثنونه من الهوس
انطقه الله بالمشان كما رماه وسط الديوان بالخرس

وكان الحريري يزعم انه من ربيعة الفرس ، وكان مولعاً بنتف لحيته عند الفكرة ، وكان يسكن في مشان البصرة ، فلما رجع لبلده عمل عشر مقامات أخر وسيرهن إلى الوزير واعتذر من عيه وحصره بالديوان بما لحقه من المهابة .

وللحريري تآليف حسان منها : درة الغواص في اوهام الخواص ، وملحة الاعراب منظومة في النحو والآداب ، وله ايضاً شرحها ، وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات .

فمن ذلك قوله وهو معنى حديث :

لعمرك من اوليته منك نعمة أسيرك في الدنيا وأنت اميره
ومن كنت محتاجا اليه بما له أميرك في الدنيا وانت أسيره
ومن كنت عنه ذاغنى وهومالك أزمة كل الارض انت نظيره
فعش قانعاً ان القناعة للفتى غناء وهذا منتهى ما اشيره

وقوله متغزلا :

قال العواذل ما هذا الغرام به أما ترى الشعر في خديه قد نبتا
فقلت والله لو أن المفند لي تأمل الرشد في عينيه ما ثبتا
ومن أقام بارض وهي مجدبة فكيف يرحل عنها والربيع أتى

وقال الحافظ الامام الجلال السيوطي في تأليفه (ازهار العروش في اخبار الحبوش)

هذه القصيدة من مستجاد قصائد الشيخ الرئيس ابى محمد القاسم بن علي الحريري وهي:

طيف ألم به وهنا فحياه لما حباه برؤياه ورياه
سرى اليه فسرى الهم عنه فما أسره حين سراه وأسراه
أعجب به كيف وافى غير محتشم ومن هداه وهاداه وأهداه
ظبي له مر ادلال يقبحه وانما الحسن حلاه وأحلاه
من بعدما كان عين المستهام به حتى استهلت له عيناه عاناه
أزوره وهو مزور ووصلته يصلى بها من تولاه ووالاه
حسامه حين يبدو والطعن مستعراً أزجره وقفاه حين اقناه
يرعى القلوب ولا يرعى لعاشقه وان ألب بمغناه واغناه
وقلما الاحظ المعشوق عهد هوى وان اخو الوجد واتاه وآتاه
وعذل فيه لي لو انهم نظروا وكيف زان اللمى فاه لما فاهوا
فقلت لا تعذلوا فيمن تغضبه يرضي المحب وان حياه أحياه
لو جادل الفطن النحرير جادله أو لاح للصخر خداه لخداه

وكان الحريري فاضلا نبيلا ، رفيع القدر جليلا ، وله تاريخ سماه (صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور) نقل منه العماد الكاتب في كتابه (نصرة الفترة وعصرة القطرة) الذي ذكر فيه اخبار الدولة السلجوقية نقلا كثيراً ، وله قصائد كثيرة استعمل فيها التجنيس كثيراً .

ويحكى انه كان دميما قبيح المنظر فجاءه شخص غريب يزوره ويأخذ عنه شيئاً من شعره ، فلما رآه ازدرى شكله ، ففهم الحريري ذلك ، فلما التمس ان يملي عليه ، قال : اكتب :

ما انت اول سار غره قمر وزائر أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري انني رجل مثل المعيدي تسمع بى ولا ترنى

فخجل الرجل وانصرف .

وكانت ولادة الحريري سنة ست وأربعين وأربعمائة بالمشان - بفتح الميم والشين وبعد الالف نون - بليدة فوق البصرة ، كثيرة النخل ، ويقال انه كان له ثمانية عشر الف نخلة ، وتوفى سنة ست عشرة وخمسمائة بالبصرة .

هكذا ذكر الامام اليافعي في مرآة الجنان ، وقيل سنة خمسين وخمسمائة بالبصرة في سكة بني حرام ، فنسب اليهم من أجل هذه السكة التي سكنوها والله اعلم.

قال الشيخ الحكيم الأديب مفيد الدين ميثم البحراني وأجاد :

طلبت فنون العلم أبغي بها العلى فقصرني عما سموت به القل
تبين لي أن المحاسن كلها فروع وان المال منها هو الاصل

وله وأحسن :

قد قال قوم بغير فهم ما المرء إلا باكبريه
فقلت قول امرىء حكيم ما المرء إلا بدرهميه
من لم يكن درهم لديه لم تلتفت عرسه اليه

﴿ فائدة في علم الفراسة ﴾

إعلم أن علم الفراسة علم كبير ، وعلى قديم الأيام استعملته الاوائل وتفاخرت بحسن الطبع فيه ، وهو علم صحيح ، ولولا الاطالة لأتيت بالعلة الموجبة لصحته ، وممن مهر فيه ، ونسب إلى صحته من الأوائل أقليمون صاحب الفراسة وكان يستدل بتركيب الانسان على اخلاق نفسه ، ولقد جرت له حكاية ظريفة ها أنا اوردها لتقف عليها وذلك ان تلاميذ الفاضل ابقراط صوروا صورة ابقراط في جلد ، ثم مضوا بها إلى اقليمون وقالوا له : تأمل هذه الصورة واحكم على اخلاقها ، فنظر إلى تركيبها وقرن أعضاءها بعضها ببعض ، ثم قال : هذا رجل خداع فاسق يحب الزنا ، فأرادوا قتله ، وقالوا له : ايها الجاهل هذه صورة الفاضل ابقراط ! فقال لهم : سألتموني عن علمي فاخبرتكم ، فلما وردوا على ابقراط اخبروه

بما قال لهم اقليمون ، فقال لهم ابقراط : صدق والله اقليمون وما اخطأ حرفا ولكن لما رأيت هذه الاشياء قبائح ملكت نفسي عنها وقويت على ضبط شهوتي فيها .

وهذه من الزيادة في فضل ابقراط ، لان الفلسفة انما هي ملك الشهوات .

واعلم ان الرحم للجنين بمنزلة القدر للطبيخ ، والامزجة مختلفة بحسب الخلق والطبائع متضادة على قدر التركيب ، فالبياض الساطع مع الزرقة ، والشقرة دليل على قلة النصح ، فان انضاف إلى ذلك نقص في الخلق ، فهو نقص في الطبع فتحفظ من الازرق الاشقر ، فان انضاف إلى ذلك ان يكون واسع الجبهة ضيق الذقن ففي خلقه الوقاحة والخيانة والفسق ، وفي العين دلائل لا تكاد تخطئك حتى انه يتبين فيها الرضى والسخط والمحبة والبغضة ، فاذا رأيت رجلا يكثر النظر اليك فنظرت اليه فاحمر وخجل وظهر منه تبسم لا يريده او دمعت عيناه فهو محب لك خائف منك متودد اليك لاسيما ان كانت عيناه من العيون المتقدمة الذكر وإذا كان بخلاف ذلك فهو حاسد لك مستخف بك غير مأمون عليك وينبغي التحفظ من كل ناقص الخلقة أو صاحب عاهة تحفظك من عدوك ، فان كل ذي عاهة شيطان ، وأعدل الخلقة الموافقة توسط القامة وسواد الشعر والعينين وغورهما وتدوير الوجه والبياض المشرب بحمرة ، والسمرة المعتدلة مع تمام الخلقة واعتدال القامة وتوسط الرأس في الكبر والصغر ، وقلة الكلام إلا عند الحاجة إلى ذلك ، والتوسط في جهارة الصوت ورقته والميل إلى النحافة من غير إفراط ، فالشعر اللين يدل على الجبن وبرد الدماغ وقلة الفطنة ، والشعر الخشن يدل على الشجاعة وصحة الدماغ ، وكثرة الشعر على الكتفين والعنق يدل على الحمق والجراءة ، وكثرة الشعر على البطن والصدر يدل على وحشة الطبع وقلة الفهم وحب الجور . وشقرة الشعر تدل على الحمق وكثرة الغضب وسرعته والتسلط .

سواد الشعر يدل على العقل والاناة وحب العدل والمتوسط بين هذين كذلك ومن عظمت عيناه وجحظتا فهو حسود وقح كسلان غير مأمون لا سيما ان كانت

زرقاء فانها تكون أشر من ذلك ، وقلما يسلم ان يكون مميانا ، ومن كانت عيناه متوسطتين مائلتين إلى الغور والكحلة والسواد فهو يقظان محب ثقة ، وان كانتا ذاهبتين في طول البدن فصاحبهما خبيث ، ومن كانت عيناه يشبهان عيون البهائم في الجمود فهو جاهل غليظ الطبع ، ومن تحركت عيناه بسرعة وحدة نظر فهو محتال اص متربص غادر ، وان كانت حمراء فصاحبها شجاع مقدام .

وأردأ العيون الزرق ، وأردأها الفيروزجية ، فان كان حولها نقط صفر او بيض او سود اوحمر فان صاحبها أشر الناس واردأهم ، والحاجب الكثير الشعر يدل على العي وغث الكلام ، وإذا كان الحاجب ممتداً إلى الصدغ فصاحبه تياه صلف ومن رق حاجبه واعتدل في الطول والقصر وكان اسود فهو يقظان شهم .

والانف إذا كان رقيقاً فصاحبه ترف ، ومن كان انفه طويلا يكاد ان يدخل في فمه فهو شجاع ، ومن كان افطس فهو شبق ، ومن كان ثقب انفه شديد الانفتاح فهو غضوب وإذا كان الانف غليظ الوسط مائلا إلى الفطس فهو مهذار كذوب ، واعتدال الانف إذا طال غير طول فاحش فهو دليل العقل والفهم ، والجبهة المنبسطة التي لا غضون فيها تدل على المخاصمة والوقاحة ، ومن كانت جبهته صغيرة فهو جاهل ، ومن كانت جبهته واسعة منبسطة فهو كذاب مهذار خداع ، ومن كانت جبهته متوسطة في السعة والنتو وكانت فيه غضون فهو صدوق محب عالم يقظان مدبر حاذق .

والفم الواسع صاحبه شجاع ، ومن كان غليظ الشفتين في الغلظ مع حمرة صادقة فهو معتدل ، والاسنان المنبسطة الخفاف وبينها فلج صاحبها عاقل ثقة مأمون مدبر . والوجه : من كان لحم الوجه منفتح الشدقين فهو جاهل وقح كذاب غليظ الطبع ، ومن كان نحيف الوجه فهو مهتم بالامور فهيم ، ومن صغر وجهه ونحف وكان مائلا إلى الصفرة فهو ردىء خبيث خداع شكس ، ومن طال وجهه فهو وقح ، ومن كانت اصداغه منفتحة واوداجه متميلة فهو غضوب ، ومن كان عظيم

الآذان فهو جاهل إلا انه يكون حافظاً ، ومن كان صغير الآذان جداً فهو احمق سارق زان جبان ، ومن كان جهير الصوت فهو شجاع ، ومن كان كلامه معتدلا في الغلظ والرقة والتأنى فهو عاقل مدبر صدوق ، ومن كان كلامه سريعاً لا سيما ان كان صوته رقيقاً فهو وقح جاهل كذوب ، فان كان صوته غليظاً فهو غضوب سيء الخلق ، ومن كان أغن الصوت فهو دليل على الحمق وقلة الفطنة وكبر النفس ، ومن كان يتحرك كثيراً وتعبث يداه فهو مهذار خداع ، ومن كان وقوراً في جلوسه متدارك اللفظ عند قوله محركا ليده في فصول كلامه ، كان تام العقل مدبراً صحيح العقيدة ، ومن كان عنقه قصيراً جداً فهو مكار خبيث ، ومن كان عنقه طويلا رقيقاً فهو صياح احمق جبان ، فان انضاف إلى طول عنقه صغر رأسه فهو احمق سخيف لاحيلة فيه ، ومن كان عنقه غليظاً فهو جاهل اكول ، واعتدال العنق في الطول والغلظ دليل على العقل والتدبير وخلوص المودة والثقة والصدق ومن كان كبير البطن فهو احمق جاهل معجب جبان يحب النكاح .

ولطافة البطن وضيق الصدر يدلان على جودة العقل وحسن الرأي ، وعرض الكتفين والظهر يدلان على الشجاعة مع قلة العقل ، وانحناء الظهر يدل على شكاسة الخلق وتراقي الصدر واستواء الظهر علامة محمودة ، وبروز الكتفين يدل على سوء النية وقبح المذهب .

إذا طال الذراعان حتى تبلغ الكف الركبة دل على الشجاعة والكرم ونبل النفس وإذا قصر الذراعان فصاحبهما محب للشر جبان ، والكف الطويلة مع الاصابع تدل على التفرد في الصناعات واحكام الاعمال وتدبير الرياسة وغلظ الاصابع وقصرها يدل على الجهل والحمق والقدم اللحيمة الغليظة تدل على الجهل وحب الجور والقدم الصغيرة اللينة تدل على الفجور ، ورقة العقب تدل على الحمق والجبن وغلظه يدل على الشجاعة ، وغلظ الساقين مع العرقوبين يدل على السوء والبله والوقاحة .

وقوة الجسم وكثرة اللحم في الورك يدلان على ضعف القوة والاسترخاء

ومن كانت خطاه واسعة بطيئة كان متأنياً مرجحاً في جميع اعماله مفكراً في عواقبه ومن كانت خطاه قصيرة سريعة فهو عجول شكس غير محكم للامور سيء النية .

والرجل المعتدل الشهم الجيد الطباع هو ان يكون ليناً رطباً متوسطاً بين الرقة والغلظ وبين الطول والقصر أبيض مائلا إلى الحمرة اسيل الخد صبيح الوجه طويل الشعر بين السبط ، كبير العينين مائلتين إلى الغور والسواد معتدل الرأس في العظم في رقبته استواء سائل الاكتاف عديم اللحم في الصلب والاوراك في صوته صفاء بسط الكف طويل الاصابع ، مائلة إلى الرقة قليل الكلام والضحك والمزاح والمراء إلا عند الحاجة إلى ذلك تميل طباعه إلى السوداء والصفراء كانما يخالط نظره فرح وسرور ، غير شره إلى مأكل ولا يحتكم عليك إلا فيما لا قدر له فهذه اعدل خلقة خلقها الله تعالى فارتضها لصحبتك من ذكر وانثى واجهد جهدك في طلب من هذه صفاته ، فانك ترشد ، فقد علمت ان الرئيس احوج إلى الناس من حاجة الناس اليه ويلزمك ان لا تسرع في الحكم بدليل واحد ، بل اجمع شواهدك كلها ومتى جاءتك دلائل متضادة ، فعد إلى الاقوم والارجح تصب ان شاء الله تعالى .

واعلم ان اول شيء اخترعه الباري جل جلاله جوهر بسيط روحاني في غاية التمام والكمال والفضل وصور فيه جميع الاشياء وسماه العقل ، وان من ذلك الجوهر فاض جوهر آخر دونه في الرتبة فسمي بالنفس الكلية ، وانه اندفع من تلك النفس الكلية جوهر آخر يسمى الهيولي قبل المقدار الذي هو الطول والعرض والعمق ، فصار ذلك جسما مطلقاً ، ثم ان الجسم قبل الشكل الكروي ، الذي هو افضل الاشكال واصحها وادومها بقاء .

﴿ ذكر الاكر وفلك الشمس والقمر ﴾

فكان من ذلك الافلاك والكواكب ما وصفنا من لطف نظامها ، فالاول منها الفلك المحيط إلى منتهى فلك القمر ، وهى تسعة اكر ، بعضها في جوف بعض فاولها واعلاها فلك المحيط ، ثم دونها فلك الكواكب الثابتة ، ثم دونه فلك زحل ثم دونه فلك المشتري ، ثم دونه فلك المريخ ، ثم دونه فلك الشمس ، ثم دونه فلك الزهرة ، ثم دونه فلك عطارد ، ثم دونه فلك القمر ، ثم دونه فلك الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض .

فالارض في اوسط المراكز كلها وهى اغلظ الاجسام جوهراً ، واكثفها جرما ، وأما بعد الشمس عن مركز الارض فقد بينه الخواجه نصير الدين الطوسى في كتابه التذكرة في الهيئة في الباب الرابع منه في معرفة الاجرام والابعاد : ان بعد الشمس عن مركز الارض في بعدها الاوسط الف ومائتان وعشرة امثال نصف قطر الارض ، ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف وستمائة وتسعة عشر مثلا فيكون البعد من الشمس عن الارض اربعة آلاف الف مرة واحـــدة ومائتين وثلاثة وعشرين الف مثل ، وتسعمائة وتسعين مثلا .

يكون بعد زحل الاوسط عن مركز الارض سبعة وسبعين الف الف مرتين ومائة الف وستة واربعين الفا وستمائة وسبعة وتسعين مثلا .

والبعد الابعد لزحل عن مركز الارض تسعة عشر الفاً وتسعمائة وثلاثة وستين مثلا ـ بالثاء المثلثة ـ لنصف قطر الارض وجرم زحل ، مثل جرم الارض سبعة وسبعين مرة .

وزعم المنجمون ان الذهب معدن الشمس ، وان الاصفر من الالوان يخص الشمس ، وانها في الفلك بمنزلة السلطان ، ولله در من قال :

وليس يزيد الشمس قدراً ورفعة عبارة ذي وصف واكثار ما دح

وقال بعضهم الحكمة في كون الشمس في الرابع انها إذا كانت فيه كانت في اوسط الافلاك فاضاء بها مافوقها وما تحتها وبعثت النور في مجموع العالم وتكون بمنزلة الواسطة في العقد ، وما احسن قول التهامي :

ومحاسن الاشياء في تركيبها طوق الحمامة حلية في جيدها

وقال صاحب رسائل اخوان الصفا : الشمس بين الكواكب كالملك ، وسائر الكواكب كالاعوان والجنود ، والقمر كالوزير وولي العهد ، وعطارد كالكاتب والمريخ كصاحب الجيش ، والمشتري كالقاضي ، وزحل كصاحب الخزائن ، والزهرة كالخدم والجواري .

قلت : وقد وصف الشعراء الشمس واطنبوا فيها ، فمن ذلك قول الوزير المهلبي الآتي ذكره :

الشمس من مشرقها قد بدت منيرة ليس لها حاجب
كأنها بودقة احميت يجول فيها ذهب ذائب

وظرف ظافر الحداد الكندري في قوله :

انظر لقرن الشمس بازغة في الشرق تبدو ثم ترتفع
كسبيكة الزجاج ذائبة حمراء ينفخها فتتسع

وأخذه الآخر فقال واحسن ما شاء :

يا حسنها وقد دنا طلوعها فاضحكت بقربها سماءها
كأنها عين بها جاريـة وقد افاضت في السماء ماءها

وقد اقتضى الوضع الالهي ان تكون الشمس رابعة كما تقدم من انها كالواسطة بخلاف ماإذا كانت في الاعلى او في الاسفل وهذا دليل على الحكمة الربانية

قال ابو اسحاق الغزي :

لست انسى قول سلمى ذات يوم ما لهذا المنحنى الظهر ومالي
انا شمس في الضحى وهو هلال وكسوف الشمس من قرب الهلالي

وقال ابن التلميذ :

اشكو إلى الله صاحباً شكسا تسعفه النفس وهو يعسفها
فنحن كالشمس والهلال معا تكسبه النور وهو يكسفها

قال العلامة القاضي صلاح الدين الصفدي في الغيث الذي انسجم شرح لامية العجم والسبب في ذلك توسط القمر بينها وبين ابصارنا لان جرم القمر كدر مظلم فيحجب ما وراءه عن الابصار لان فلكه دون فلك الشمس كما تقدم ، فاذا اجتمع معها في درجة واحدة وكان على مسامتة احدى نقطتي الرأس او الذنب اوقريباً منه فانه يجوز تحت الشمس ويحول بينها وبين ابصارنا ولا يتصور لكسوف الشمس مكث اكثر من ساعتين مستويتين ، لان حركة القمر متصلة سريعة لضيق فلكه ، فأذا كان الكاسف ليس عارضاً في نفس الشمس ، بل هو السبب التوسط بينها وبين الابصار فيجوز ان يختلف وضع المتوسط ، وهذا سبب اختلافها في الزمان والقدر في بعض البلاد ، وانجلائها من طرفها الغربي ، إذ القمر متصل بها من ناحية الغرب .

وهذا الشكل يوضح لك ما ذكرته ، فتأمله بتدبير يظهر لك ، وهذا مثاله والله اعلم .

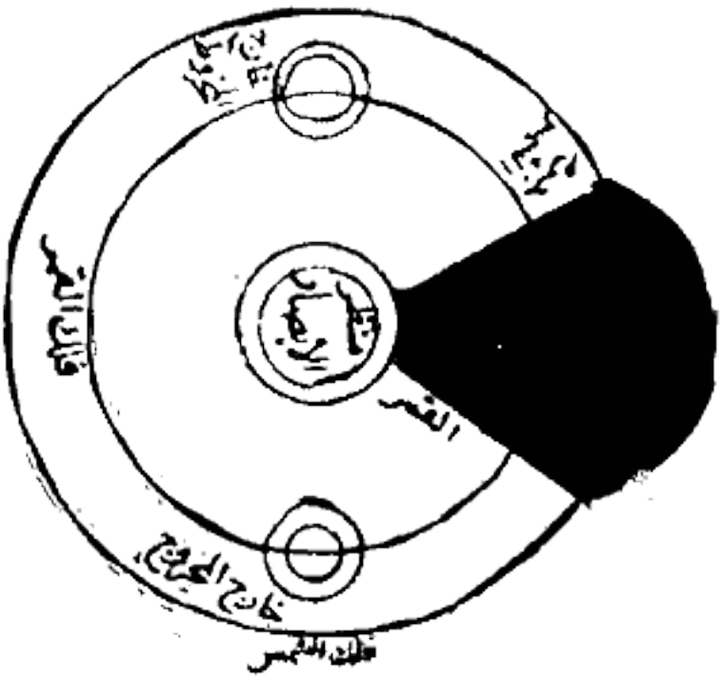

وسبب خسوف القمر توسط الارض بينه وبين نور الشمس ، فاذا كان القمر على مسافة نقطتي الرأس او الذنب او قريباً منه توسطت الارض بينه وبين ضياء الشمس فيقع في ظل الارض ، ويبقى في ظلامه الاصلي ، فيرى منكسفاً وظل الارض ابداً يكون في الجهة التي تقابل جرم الشمس ، وخسوفه لا يختلف باختلاف البلاد لان الكاسف عارض في جرمه ، وهو وقوعه في ظل الارض ، ولكن تختلف اوقات الخسوف باختلافها بان تكون في بعض البلاد على مضى ساعة ، وبعضها على مضي نصف ساعة واقل واكثر ، وقد يظلم في بعضها منخسفاً ولا يرى في بعضها لكونه تحت الارض او طلوعه في البلاد الشرقية قبل طلوعه في البلاد الغربية وخسوف القمر من طرفه الشرقي إذ هو الذاهب إلى الاستقبال ، ثم ينحرف نحو الشمال والجنوب ، وانجلاؤه ايضاً من الطرف الشرقي ، واطول ما يكون زمانه تقريباً اربع ساعات ، ومن هذا الشكل يظهر لك ما ذكرته فتأمله .

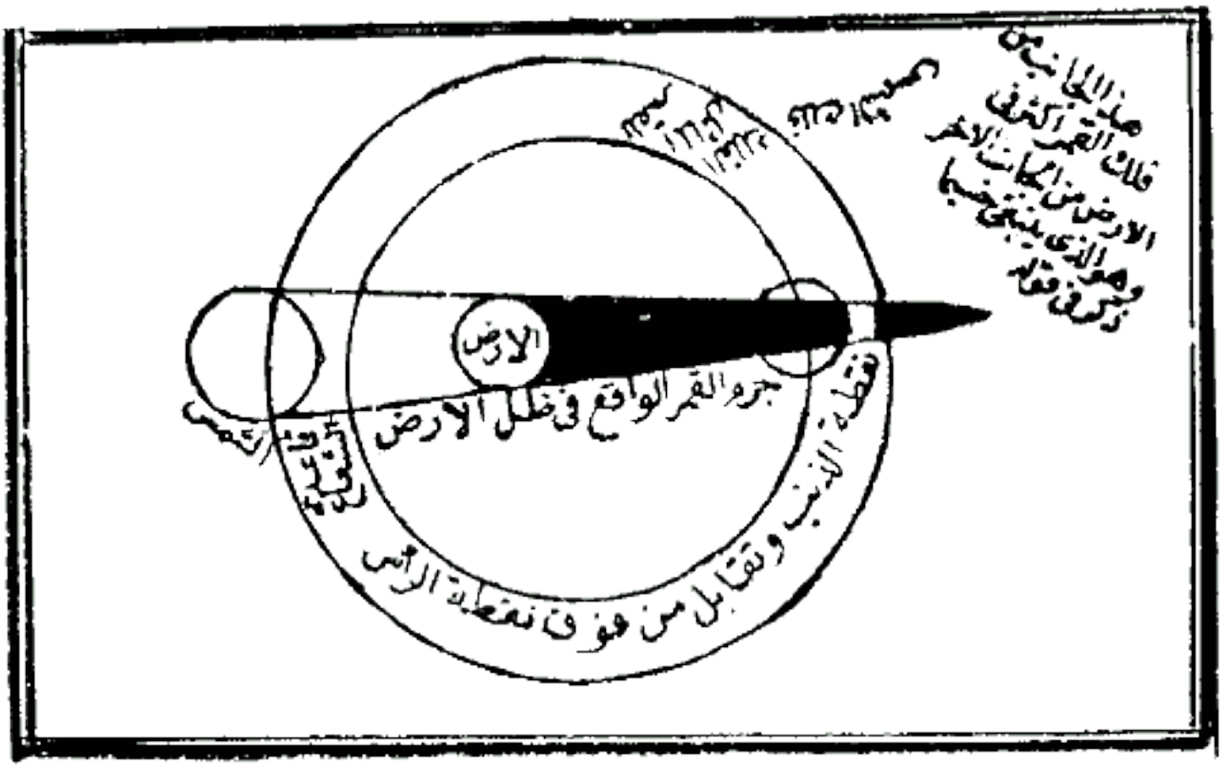

فقد ظهر لك بهذا الشكل خسوف القمر ، وبالذي قبله كسوف الشمس .

وبعضهم يخص لفظة الخسوف بالشمس والكسوف بالقمر.

قال الامام فخر الدين طعنت الملاحدة في قوله تعالى (فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر) قالوا : خسوف القمر لايحصل حال اجتماع الشمس والقمر

والجواب: ان الله تعالى قادر على ان يجعل القمر منخسفاً سواء كانت الأرض متوسطة بينه وبين الشمس اولا ، والدليل عليه ان الاجسام متماثلة ، فيصح على واحد منها ما يصح على الآخر ، والله قادر على الممكنات ، فوجب ان يقدر على ازالة الضوء عن القمر في جميع الاحوال ، انتهى .

قال الصفدي : قلت وقال بعضهم : هو كناية عن ذهاب الروح إلى عالم الآخرة ، كما ان الآخرة كالشمس فانه يظهر فيها المغيبات ، وتبدو المبهمات وتتضح والروح كالقمر ، فكما ان القمر يقبل النور من الشمس ، كذلك الروح تقبل نور المعارف من عالم الآخرة ، وبهذا التأويل يسقط طعن من ألحد في الآية الكريمة .

قال الفراء : انما قال (وجمع الشمس والقمر) ولم يقل وجمعت لأن المراد انه جمع بينهما في زوال النور وذهاب الضوء .

وقال الكسائي : المعنى جمع النوران ، وقال : القمر شارك الشمس في الجمع وهو مذكر، فلاجرم غلب جانب التذكير في اللفظ . رجع إلى القول بفضيلة الشمس .

فالشمس هي التي بواسطتها تكون المعادن والحيوان والنبات باذن الله تعالى الذي خلق كل شيء ويسره فقد جعله الله علة للتركيبات الطبيعية ، واعتدا لها سبب النشو الحيواني والنباتي إذ لابقاء لهذا النشو إلا في هذه المواضع التي لاتبعد عن مدار الشمس ولا تقرب منها جداً ، لأنها ان بعدت عن ناحية الشمال اشتد البرد وعصفت الرياح ، وتكاثفت الظلم فلا يمكن أن ينشأ حيوان ولا نبات ، وان قربت إلى ناحية الجنوب اشتد الحر وسخن الهواء وجفت الرطوبات فلا يمكن ان ينشأ حيوان ولا نبات ، فهي إذا اعتدلت في البعد والقرب او قاربت الاعتدال أمكن نشو النبات والحيوان واعتدلت الامزجة والطبائع والاخلاق .

قال ارسطو : لوتوارت الشمس عن الارض لمات حيها ، وأنتن طيبها ، وجمد ماؤها ، لأنها في الارض كالدم في الجسد .

واعلم ان الشمس وسائر الكواكب لا يقال في شيء منها انه حار ولا رطب ولا يابس لانتفاء لوازم هذه الكيفيات ، بل هي طبائع خارجة عن هـــذه الطبائع الاربع فكل واحد منها نوعه منحصر في شخصه ، وربما قيل فيها طبيعية خامسة تجوزا ، وإلا فهي مغايرة للطبائع في جواهرها ، وانما تأثير الشمس في عالم الكون والفساد والتسخين العام بالاضاءة واشتداد التسخين ، إنما هو بانعكاس الاشعة على زوايا حارة جـــداً ، وناكصة على اعقابها فتتراكم الاشعة ، فيحصل منها افراط التسخين كما يحصل بالاحراق عن المرايا المحرقة بواسطة انعكاس الاشعة .

وذكر ارباب الهيئة ان مساحة جرم الشمس على ما تبرهن كما ذهب اليه ابو الريحان قدر الارض مائة وسبعة وستين مرة وثلث مرة وعلى ماصححه كوشيار مائة وستاً وستين مرة وربع وثمن مرة .

وزعموا أن مساحة كرة الشمس مما يلي كرة الزهرة اثنان وعشرون الف

الف وخمسمائة الف وخمسة وتسعون الفاً ومائتان وتسعة عشر مثلا .

وأما دور قرص الشمس فزعموا أنه مائة الف وثمانمائة وثمانون مثلا ، وقول كوشيار هو الصحيح وعليه العمل ، لان بطليموس بين اولا ان جرم الشمس اعظم من كرة الارض ، ثم حرر هذه النسبة وبين ان قطر الارض كجزأين من احد عشر جزأ من قطر الشمس .

وبين اقليدس بان نسبة الكرة إلى الكرة كشبه القطر إلى القطر ، مثلثة بالتكرير ، فاذا جعلنا قطر الارض الذى هو اصغر المقدارين واحداً ، وضربناه في نفسه ، كان الحاصل عنه واحداً ، ثم ضربناه مرة اخرى في نفسه لم يحصل غير واحد ، وهذا هو الحاصل من تكعيب قطر الارض ، وهو جرمها ، ثم نظرب قطر الشمس الذي هو خمسة أمثال هذا ونصف مثل في نفسه بلغ ذلك ثلثى جزء وربع جزء ، فاذا ضربناه في الاصل وهو خمسة ونصف بلغ مائة وستة وستين وربعاً وثمناً وهو مكعب قطر الشمس ، اعنى جرمها ، انتهى .

وأما تركيب اكر الافلاك بعضها في جوف بعض ، كما اقتضته حكمة الباري جل جلاله في لطيف نظامها وحسن ترتيبها ، وادارة الافلاك باجزائها وكواكبها على الاركان الاربعة المتقدم ذكرها وتعاقب عليها الليل والنهار ، والشتاء والصيف والحر والبرد ، واختلط بعضها ببعض ، وامتزج اللطيف منها بالكثيف ، والثقيل بالخفيف ، والحار بالبارد ، والرطب باليابس ، تركب منها على طول الزمان انواع التركيب التي هى المعادن والنبات والحيوان ، والمعادن كل ما انعقد في باطن الارض وقعور البحار وجوف الجبال من البخارات المحتقنة والدخانات المتصاعدة والرطوبات المنعقدة في المفازات ، والهواء والترابية عليها أغلب كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والفصدير والجواهر واليواقيت والمرجان والتوتيا والزاج وغير ذلك مما هو معلوم ، فاما الحيوان فهو كل جسم يتحرك ويحس وينتقل من مكان إلى مكان بجسمه والهوائية عليه اغلب ، والنبات أشرف تركيباً من المعادن ،

والحيوانات اشرف تركيباً من النباتات ، والانسان اشرف تركيباً من سائر الحيوان والنارية عليه اغلب ، وقد اجتمع في تركيب الانسان من جميع معانى الموجودات من البسائط والمركبات ما لا يجتمع في غيره ، لان الانسان مركب من جسد غليظ جسمانى ومن نفس بسيطة جوهرية روحانية ، فينبغي لك ان كنت عازماً على معرفة حقائق الموجودات ان تبتدىء اولا بمعرفة نفسك ، إذ هى اقرب الاشياء اليك ، ثم بعد ذلك معرفة سائر الاشياء ، ولما خلق الله الانسان وجعله اكرم الحيوان ، امره ونهاه ، وعاقبه وجازاه ، وجعل جسمه مدينة ، وعقله ملكها ، واسكنه اشرف موضع فيه وأعلاه ، وهو الرأس ، واسكن النفس في جميع اجزاء الجسم في ظاهره وباطنه ، فهي تخدمه وتحركه وتدبر العقل ، فاذا عرض للجسم شيء فسد الجسد والعقل ، وإذا عرض للعقل شيء وسلمت النفس بقى الجسم سليما إلا ان يشاء الله ويفسد الكل عند نفاد العمر المقدر وجعل له وزراء خمسة يدبرونه ويوصلون اليه جميع ما يحتاج اليه ولا قوام له إلا بهم ، وجعل لكل واحد منهم عقلا ينفرد به عن صاحبه ، ومعنى خصه به لا يشاركه فيه غيره ، وأقام لاجتماع آرائهم عنده تمام احواله وقوام أفعاله ، فالوزراء الخمسة هى الحواس الخمسة التى هى العين والاذن والانف واللسان واليد ، فحاسة العين المبصرات وهى عشرة أنواع : النور والظلمة واللون والجسم ، والشكل والوضع والبعد والقرب والحركة والسكون وحاسة الآذان السمع للاصوات ، وهو نوعان حيوانية وغير حيوانية ، فالحيوانية نوعان منطقية كالكلام الانسان المفهوم ، وغير منطقية كصهيل الفرس ونهيق الحمار ، وتغريد الطير وما أشبه ذلك ، وغير الحيوانية كصرير الخشب وقرع الحجارة وغير ذلك مما لا حياة له كالرعد والطبل والزمر ، وحاسة الانف الشم وهو نوعان : الطيب والمنتن ، وحاسة اليد قوة الملامسة ومجراها في الحرارة والبرودة ، والخشونة والملاسة ، وهي قوة منبسطة بين الجلدين اللذين احدهما ظاهر البدن ، والآخر مما يلي البدن وحاسة اللسان المنطق من مليح وضده فاذا حصل كل واحد من هذه الحواس ما اخدمه الله لهذا الملك انبعث

من مقدم الدماغ عصبات لطيفة لينة كنسج العنكبوت وهي كالحجاب للملك فتلقت ماعند كل حاسة ووصل ذلك في تلك العصبات إلى مقدم الدماغ لتنظر فيها وتتر آى في معانيها ونعرف مضارها ومنافعها فيفعل بقدر ما تبدى له من ذلك ، فقوام الجسد بهذه الخمس المذكورة وكل شيء كما له بخمسة اشياء والكواكب التي عليها مدار الافلاك خمسة ، ولتكن وزراء الملك خمسة والمشاورة في كل مهم لكل واحد منهم على انفراده ، فهو أبعد للامور ، واكتم للسر ، ولا يبدي لهم الملك ما في نفسه ولا يعلم احد منهم عزيمة الامر عند من كانت ، ولا يظهر لهم افتقاره اليهم وإلى ما عندهم ، فيطغى ويمزج عند نفسه آراءهم كما يفعل الدماغ مما تأتى به الحواس ، ثم يستخير الله تعالى فيما ينفذه من آرائهم التي لا تخالف هواه .

ولهذا قال هرمس لما قيل له لم كان رأي المستشار أفضل من رأي المستشير ؟ فقال : لان المستشار معرى من الهوى ، وهذا كلام صحيح ، وإذا صح له الرأي معه ، فلا يعجل في انفاذه ويتركه يختمر يوما وليلة إلا فيما يتخوف فوته فيستخير الله ويعجله ، وإذا جمعهم على أمر ليدبروه فلا يدخل رأيا فيه ويسمع ما يتراضون فيه ، فان عجلوا الجواب واتفقوا سريعاً نقضه ، وإلا فيريهم الخلاف ليطول فكرهم واستنباطهم . فلا خير في الرأي الفطير ، وإذا ظهر له صحة الرأي في كلام احدهم فيسكتهم ومع التجربة وطول الخبرة يتبين له ما يقول في صحة الرأي ، وإياه ان يرجح احداً منهم على بقية أصحابه ويسوي بينهم بالعطايا والمجالس ، فلم يكن فساد الممالك على قديم الايام والازمان إلا بتفضيل بعض الامراء على بعض .

وأنا أقول : إذا هرم الجسم هرم الرأي ، مع ان ذلك موقوف على المواليد فمولود يولد بطالع ماء فلا يكون في صناعته وعمله وعلمه إلا على طبائع الكوكب الذي في تدبير ملكه ، وان عرج به والده إلى غير تلك الصنائع صرفه سوء الطبع .

وقد جرى مثل هذا أن بعض القوم اجتازوا على قرية فاضافوا حائكا فاتاه في تلك الليلة ابن فتأملوا في طالعه وعدوا الكواكب فكانت السنبلة وعطارد في

الجوزاء ، وفي بيته المشتري والنحوسة غائبة ، فدلهم المولد على ان المولود يكون عالياً لطيف التدبير حسن الرأي يدبر امر الملوك ويوزرهم ، فعجوبا من هذه ، ولم يعرفوا والده فشب الغلام ورام والده ان يعلمه صنائعه ، فتأبت طبائعه قبول شيء من ذلك فكان يوجعه ضربا إلى ان اعياه ، فتركه فمال إلى اهل الادب وتعلم العلوم وحفظ التواريخ وسياسات الملوك حتى صار وزيراً .

وقال بعض الفلاسفة : يزداد الملك الحازم برأي وزرائه ، كما يزداد البحر بمواده من الانهار ، وينال بالحزم والرأي ما لا يناله بالقوة والجد ، واشد وصاية للسلطان أن لا يستوزر وزيراً واحداً ، فانه امر يفسد ملكه ورعيته وجنده ، فان لم يتخذله خمسة على الشرائط المذكورة فثلاثة لا اقل منهم فان الثبات في ثلاثة ولولا الثلاثة لما كان ثبات شيء فاقل ما ثبتت عليه الاشياء ثلاثة واوسطها خمسة واكملها سبعة ، فالسموات سبع ، والارضون سبع ، والنجوم السيارة سبع ، ودوران القمر سبع ، والايام سبع ، إلى كثير غير هذا يطول ذكره .

ويشترط في الوزيران يكون محباً للعدل واهله ، مبغضاً للظلم والجور وأهل ذلك يعطي النصفة لاهلها ويرثي لمن حل به الجور ، ويمنع منه ولا يمنعه من ذلك مطابقة احد من خلق الله ، ويكون قوي العزيمة جسوراً غير خائف ولا ضعيف النفس ثابت القلب بحسن الفروسية ومباشرة الحروب ، ويكون مطلعاً على التواريخ وايام الناس وسير الملوك ، وعالماً باخبار المتقدمين ، وان لا يكون كثير الكلام مهذاراً ولا يكون كثير الضحك والمزاح ، وأن لا يكون مستخفاً بالناس ، وان يكون ممن لا يشرب الخمر ، ولا ممن يشتغل بالراحة واللذة ، ويكون في ليله ونهاره ممن يلاقي الناس بحسن النظر والتدبير ، ويكون داره مورداً للصادر والوارد من ذوي الحاجات مصغياً إلى اخبار جميع الناس مسريا اليهم الخيرات مصلحاً لامورهم ، مؤنساً لوحشتهم ، صابراً على تجاهلهم .

والوزارة قسمان : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ ، ولكل واحد من هذين

القسمين حكم يخصه ووضع يلزمه ، وقد بينت ذلك مفصلا في آخر هذا الكتاب فتأمله تجده عند ترجمة ابى العباس ابراهيم بن العباس الصولي الكاتب .

واعلم ان الآدمى ارفع خلق الله عز وجل ، وان ما شيء في الحيوانات من الخصال التى طبع عليها إلا وكلها توجد في الانسان ، فهو شجاع كالاسد ، جبان كالارنب ، سخي كالديك ، بخيل كالكلب ، فخور كالغراب ، وحشى كالحمر ، انيس كالحمام ، خبيث كالثعلب ، سليم كالغنمة ، سريع كالغزال ، بطيء كالدب ، عزيز كالفيل ، ذليل كالحمار ، لص كالمقمق ، تياه كالطاووس ، هاد كالقطاة ، ضال كالنعام ، شاهد كالنحل ، شرود كالتيس ، مهين كالعنكبوت ، حقود كالجمل كنود كالثور ، شموس كالبغل ، اخرس كالحوت ، منطق كالصرصر ، حمول كالخنزير ، مشوم كالبوم ، نفاع كالفرس ، مضر كالفأر ، طلوب كالهر ، وبالجملة فما من حيوان ولا نبات ولا معدن ولا فلك ولا برج ولا موجود من الموجودات له خاصية إلا وتوجد في الانسان ، ولهذا سموه عالماً صغيراً ، قال الامام الغزالي :

دواؤك فيك وما تشعر ودواؤك منك وما تبصر
وانت الكتاب المبين الذي باحرفه يظهر المضمر
وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

﴿ ترجمة أبى الحسن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام ﴾

المعروف بالامام زين العابدين وسيد الساجدين ، ويقال له : علي الأصغر وليس للحسين عليه السلام عقب إلا منه ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ، ومن سادات التابعين .

قال الزهري : ما رأيت قرشياً افضل منه ، وامه سلامة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس . وكان يقال للامام زين العابدين ابن الخيرتين لقوله صلى الله عليه وآله : لله

من عباده خيرتان ، فخيرته من العرب قريش ، ومن العجم فارس .

وذكر ابو القاسم الزمخشري في كتاب (ربيع الابرار) ان الصحابة رضى الله عنهم لما اتوا المدينة بسبايا فارس فى خلافة عمر بن الخطاب كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر ببيع بنات يزدجرد ايضاً ، فقال علي عليه السلام : ان بنات الملوك لا يعاملن بمعاملة غيرهن من بنات السوقة فقال له عمر : وكيف الطريق إلى العمل معهن ؟ فقال: يقومن ومهما بلغ من قيمتهن ، قام به من يختارهن فقومن واخذهن علي عليه السلام فدفع واحدة منهن لعبد الله بن جعفر ، واخرى لولده الحسين عليه السلام ، واخرى لمحمد بن ابى بكر الصديق ، وقيل : دفع واحدة منهن لعبد الله بن عمر فاولدها ابنه سالماً ، وأولد الحسين امته ولده زين العابدين عليه السلام واولد محمد بن ابي بكر امته ولده القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خالة ، وامهاتهم بنات يزدجرد .

وحكى المبرد فى كتابه (الكامل) ما مثله يروى عن رجل من قريش لم يسم لنا قال : كنت اجالس سعيد بن المسيب فقال لي يوماً : من اخوالك ؟ فقلت : امى فتاة فكأنى نقصت في عينه ، فأمهلته حتى دخل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلما خرج من عنده ، قلت : يا عم من هذا ؟ فقال : يا سبحان الله أتجهل مثل هذا من قومك ! هذا سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، قلت : من امه ؟ قال : فتاة قال : ثم اتاه القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق فجلس عنده ، ثم نهض فقلت ياعم من هذا ؟ قال : اتجهل من اهلك مثل هذا ! ما اعجب هذا ، هذا القاسم بن محمد بن ابى بكر الصديق ، قلت : فمن امه ؟ قال: فتاة ، قال : فما لبث ان جاء الامام علي بن الحسين عليهما السلام فسلم عليه ، ثم نهض فقلت : ياعم من هذا ؟ فقال : هذا الذي لا يسع لكل مسلم ان يجهله هذا علي بن الحسين بن علي بن ابى طالب عليهم السلام فقلت : من امه ؟ قال : فتاة ، فقلت : يا عم رأيتني نقصت في عينك حين قلت لك امي فتاة ! أفما لي اسوة بهؤلاء ، قال : فجللت في عينه جداً .

وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ امهات الاولاد حتى نشأ فيهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله ففاقوا الناس فقهاً وورعاً فرغب الناس في السراري .

وكان الامام علي بن الحسين عليه السلام كثير البر بامه حتى قيل له انك من أبر الناس بامك ، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة قط ، فقال : اخاف ان تسبق يدي إلى ما سبقت اليه عينها ، فأكون قد عققتها .

قال ابن خلكان فى تاريخه : وهذا ضد قصة ابى المحسن مع ابنته فانه قال : كانت لي ابنة تجلس معى على المائدة وكانت تبرز كفاً كانها طلعة في ذراع كانها الجمارة ، فما تقع عينها على لقمة نفيسة إلا خصتنى بها ، فزوجتها فصار يجلس معي على المائدة ابن لي فيبرز كفاً كانها كرنافة في ذراع كانها كربة ، فوالله ما تسبق عينى إلى لقمة طيبة إلا سبقت يده اليها فوضعها في فمه .

وحكى ابن قتيبة في كتاب (المعارف) أن ام الامام علي زين العابدين سندية ، يقال لها سلامة ، ويقال لها غزالة ، وانه تزوجها بعد موت ابيه يزيد مولى ابيه ، واعتق جارية له فتزوجها فكتب اليه عبد الملك بن مروان يعيره بذلك فكتب اليه علي بن الحسين (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) وقد اعتق رسول الله ﷺ صفية بنت حيي بن اخطب وتزوجها ، واعتق زيد بن حارثة وزوجه بنت عمته زينب بنت جحش ، وفضائل الامام علي بن الحسين عليه السلام لا تحصر وماذا يقول الواصفون فيه (وقد كان جبريل خادماً لأبيه)

وأما قصيدة الفرزدق فيه فمشهورة وها أنا اذكرها لك لتقف عليها ، وهو انه لما حج هشام بن عبد الملك بن مروان في ايام ابيه فطاف وجهد أن يصل إلى الحجر ليستلمه فلم يقدر عليه من كثرة الزحام ، فنصب له منبر وجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه جماعة من أعيان اهل الشام ، فبينما هو كذلك إذ أقبل الامام علي ابن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام وكان كما ذكرناه احسن الناس وجهاً

وأطيبهم ريحاً ، وأكرمهم نفساً ، وأعلاهم حسباً وأعظمهم شرفاً ، وطاف بالبيت فلما انتهى إلى الحجر تنحى الناس جميعهم حتى استلم الحجر ، فقال رجل من أهل الشام : من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام : لا اعرفه ! مخافة ان يرغب فيه أهل الشام ، وكان الفرزدق حاضراً ، فقال : أنا اعرفه ، فقال الشامي من هو يا ابا فراس ؟ فقال مرتجلا :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
في كفه خيزران عرفه عبق ... في كف اروع في عرنينه شمم
حييته بسلام وهو مرتفق ... وضجة القوم عند الباب تزدحم
يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم
ينشق نور الهدى عن نورغرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم
منشقة عن رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا
الله شرفه قدماً وعظمه ... جرى بذاك له في لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عم نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والهمم
حمال اثقال اقوام إذ اقترحوا ... حلو الشمائل يحلو عنده نعم
لا يخلف الوعد مأمون عواقبه ... رحب الفناء أريب حين يعتزم
عم البرية بالاحسان فانقشعت ... عنه الملامة والاملاق والعدم

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم اوقيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وان كرموا
هم الغيوث إذا ما ازمة ازمت فالأسد اسد الشرى والبأس يحتدم
لاينقض المسر بسطاً من اكفهم سيان ذلك ان أثروا وان عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم ان يحل الذم ساحتهم خيم كريم وايد بالندى هضم
أي الخلائق ليست في رقابهم لأولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا والدين من بيت هذا ناله الامم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق ، وأنفذ له الامام علي ابن الحسين عليهما السلام اثنى عشر الف درهم ، فردها وقال : انما مدحته لله تعالى لا للعطاء ، فقال : انا أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده ، فقبلها الفرزدق رحمه الله تعالى وغفر له .

وكانت ولادة الامام علي بن الحسين عليه السلام يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثمان وثلاثين للهجرة ، وتوفى سنة اربع وتسعين ، وقيل اثنتين وتسعين ، وقيل تسعاً وتسعين بالمدينة ودفن بالبقيع في قبر عمه الحسن بن علي في القبة التي فيها قبر العباس عليهم السلام .

لما ماتت ليلى أتى المجنون إلى الحي وسأل عن قبرها فلم يهدوه اليه فأخذ يشم تراب كل قبر يمر به حتى شم تراب قبرها فعرفه وأنشد البيت :

أرادوا ليخفوا قبرها عن محبها وطيب تراب القبر دل على القبر

ثم ما زال يكرر هذا البيت إلى ان مات ودفن إلى جانبها والله اعلم .

فلما اسفر وجه صبح العز والاكرام ، عن ثانى عشر محرم الحرام عام الف ومائة واربعة وثلاثين، من هجرة من انزل عليه (ألم نشرح والتين) توكلنا على رب

الدنيا والآخرة ، ورحلنا من ديوكر جانده إلى بلدة باكرة صحبة شيخي واستاذي السيد بدر بن المرحوم السيد غالب الرفاعي ادامه الله رب العالمين آمين ، ومعنى باكرة بالقاف العجمية اعني طريق الأسود ، فانا كنا نمشي في ذلك الطريق بجمعنا ورجالنا ونرى الأسود في الهياج عن يميننا وشمالنا ، وكانت المسافة بين البلدتين اثنتي عشرة مرحلة فلم يعترضنا في هذه المراحل منهم احد وكفانا الله شرهم وأذاهم ، كيف لا ونحن على الله متوكلون (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) .

﴿ فائدة : ذكر الأسد وكناه ﴾

الأسد من السباع وهو معروف ، والانثى اسدة ولبوة ، وله اسماء كثيرة ، فمن اشهرها : اسامة ، وساعدة ، وهما اسمان معرفتان ، والحارث وقسور وغضنفر وحيدرة والليث والضرغام والهزبر والضيغم والهيقم والعنبس والهرماس ، والشبل ولد الأسد وكذا السبع والحفص ، ويقال : به سمي الرجل حفصاً ، ومن كناه ابو الابطال وابو الاشبال وابو العباس .

قال الدميري في حياة الحيوان : وهو انواع منها ما وجهه وجه إنسان وشكل جسده كالبقر ، ومنها ما لونه كالتمر إلا ان بياضه يقرب إلى الصفرة ومنها ما هو احمر كالعناب ، وغير ذلك ، وتلده امه قطعة لحم وتستمر على ذلك تحرسه ثلاثة ايام ، ثم يأتي ابوه فينفخ فيه فتنفرج اعضاؤه وتتشكل صورته ، ثم ترضعه امه وتستمر عيناه مغلقة سبعة ايام ، ثم تنفتح ، ويقيم على تلك الحالة بين ابيه وأمه إلى ستة اشهر ، ثم يتكلف الكسر بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال انه لا يأكل من فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب .

قال عنترة العبسي :

سيأترك ماءكم من غير ورد وذاك لكثرة الوراد فيه

إذا وقع الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء إذا كان الكلاب يلغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن ولا يرضى مناهمة السفيه

وهو إذا اكل ينهش نهشاً ، وريقه قليل جداً ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة عظيمة وجبن وكرم ، فمن شجاعته الاقدام على اصعب الامور وعدم الاكتراث بالغير ، ومن جبنه انه يفر من صوت الديك والسنور والطبل ويتحير عند رؤية النار ، ومن كرمه انه لا يقرب المرأة خصوصاً ان كانت حائضاً او حاملا

وقيل ثلاث عيون تضيء بالليل عين الاسد وعين النمر وعين السنور .

وروى انه لما تلا رسول الله ﷺ سورة النجم قال : عتبة بن ابى لهب كفرت برب النجم يعني نفسه ، فقال رسول الله ﷺ سلط الله عليك كلباً من كلابه ، فخرج عتبة مع اصحابه إلى الشام حتى إذا كان بمكان يقال له الزرقاء فرأى الاسد فارتعدت فرائص عتبة فقال له اصحابه من أي شيء ترتعد فرائصك فو الله ما نحن وأنت إلا سواء فقال ان محمداً دعا على ولا والله ما اظلت السماء من ذي لهجة اصدق من محمد ، ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ، ثم جاء النوم فحاطوا انفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا ، فجاء الاسد يهمس وشمهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغمه ضغمة ، فكانت اياها فسمع وهو بآخر رمق وهو يقول ألم اقل لكم ان محمداً اصدق الناس ، ولبعضهم في الأسد :

عبوس كبوس مصلخد مكابر جرىء على الاقران للقرن قاهر
براثنه ستر وعيناه في الدجى كجمر الغضا في عينه الشر ظاهر
يدك بانياب حداد كأنها إذا قلص الاشداق عنها خناجر

فلم نزل بين تلك الهياج نسير ، وقد أدهشتنا أسودها بالزئير ، إلى ان بقى بيننا وبين باكرة نصف مرحلة خرج الينا سلطانها الراجا علي شاه ، نصره الله وابقاه لانه كان مريداً للسيد المذكور وهو ايضاً ابن الراجا بخت بلند المذكور المشهور

فأتى الينا في جمع كثير، وموكب كبير، بالخيل والجنود، والرايات والبنود، وصنع وليمة عظيمة ذلك اليوم لنا ولسائر القوم، فلما كان ضحى خامس وعشرين من محرم الحرام، دخلنا باكرة مع الراجا بعز واكرام، ومعنى الراجا السلطان، ونزلنا بدار الامير شير خان، وكان صاحب الديوان، ورتب لنا اوفر المصروف وأروى بكرمه القلب الملهوف، فلما كان في بعض الليالى اتفق لنا أمر عجيب يحار فيه اللبيب وذلك ان استاذنا السيد الرئيس المذكور كان مولعاً بسماع الغناء، ويحصل له به التواجد والهناء، وما زال في بيته اصحاب الآلات على عادة السادة الصوفية، أهل الأسرار الربانيـة، فانهم قالوا بالاجماع: ان السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف العبرة جاز له سماع السماع فأتي الينا الراجا في بعض الليالي واخبر السيد في اثناء صحبته ان عنده ثلاثة اخوة من المسمعين ليس لهم نظير في صفاء الصوت وحسن اللهجة ومعرفة الانغام، بالاتقان والاحكام، وكانوا من أجل المسمعين عند الامير عالم علي خان، ابن اخت السيد عبد الله خان، وزير فرخ سير سلطان الهند، فلما صار القتال بينه وبين الوزير نظام الملك، وقتل الامير عالم علي خان، وتفرقت حواشيه في سائر البلدان، هرب هؤلاء الاخوة إلى الراجا علي شاه المذكور فأقامهم واجزل لهم العطية وجعل لهم في السنة خمسمائة روبية، من السكة الهندية، غير الخيل والكسوة والطعام والاحسان والانعام، فطلبهم السيد من الراجا ليحيط علماً بهم فبعثهم اليه صحبة ابنه الاكبر بادلـ شاه يعنى سلطان السحاب، فتذاكر السيد معهم في علم الموسيقي وكان خبيراً، إلى ان وصلت مذاكرتهم إلى نغم من أنغام الهند يسمى (ديبك) ـ بدال مهملة وباء مثلثة عجميـة قبلها ياء تحتانية وكاف ساكنة ـ وهـذا النغم من عجائب الدهر، وله قصـة نذكرها في آخر الـكلام ان شاء الملك العلام، ولهـذا النغم شعبة تسمى (بشمنجري) ـ بباء وثاء مثلثتين وميم مفتوحـة ونون ساكنة بعدها جيم مفتوحة وراء مكسورة وياء ساكنة ـ وهذه الشعبة أيضاً من العجائب وقل من يعرفها إلا من كان خبيراً بعلم الموسيقى، فقال اولئك الأخوة: نحن نحن

عمل هذه الشعبة ، فأمرهم السيد إذ ذاك بعملها ، وكان ابن الراجا جالساً إلى جانب السيد وعلى رأسه الرجال وقوف ، بايديهم الآتراس والسيوف ، وفي المجلس نحو ستين من الامراء وغيرهم ، فحين شرع المسمعون في عمل هـذه الشعبة المذكورة لم تدر إلا وقد اعترتنا مثل السكرة ، ورمتنا في بحار الفكرة ، وصرنا حيارى تظننا سكارى وما نحن بسكارى ، وترانا جلوساً ولكن لو دخـل لص علينا ، وسرق ما علينا وحوالينا ، لم نشعر به البتة إلى ان مضى نحو ساعة او ازيد ، واعجب من هذا أن بعض الفقراء كان في صحبتنا يسمى شاه عناية الله دخل علينا ونحن في ذلك الحال ، وكان قد أخذه الحال ، حتى صار لا يعرف الماضي ولا التمييز ولا الحال ، فمشي إلى ان وصل إلى ابن الراجا فأخذ سيفه وكان مطروحا لديه ، وكلنا ننظر اليه لكن ما فينا من له قدرة على القيام ليأخذ السيف من يديه ، ثم ان الفقير امتشق السيف من قرابه ، وجعل ذبابته على سرته ، واتكأ عليـه بقوته ، فلم نشعر إلا والسيف قد خرج يلمع من ظهره ، وقضى الله في الفقير بأمره ، هذا ونحن كلنا ننظر إلى ما يصنعه ، وما فينا من يمنعه او عن الارض بعد الهلاك يرفعه فكل هذا من سماع هذه الشعبة ووقت العمل بها عند السحر .

﴿ ذكر الأنغام ﴾

واعلم ان اصطلاح أهل الهند لكل نغم له وقت معلوم وكل شعبة لها وقت معلوم ، فالانغام عندهم ستة : يسمونها (جى راك) ـ بالجيم العجمية والياء الساكنة بعـدها راء مفتوحـة والف ثم قاف عجمية ـ والجي يعني ستة والراك يعني النغم والشعب الست وثلاثون ويسمونها چتيس راكنى ـ بالجيم العجمية والفوقانية والتحتانية والسين المهملة الساكنة ـ وچتيس يعني ستة وثلاثين ، والراكنى ـ بالراء المهملة بعدها الف ثم كاف عجميـة ثم نون وياء تحتانية ـ يعنى الشعبة ، وچتيس بهرجة ، والبهرجة هي الكوشة ، يعني ستة وثلاثين كوشة .

وأعلم ان انغام العرب اصلها فارسية وهي ستة أيضاً كالهندية فاولها الراست والدكاه والسيكاه والجهاركاه والبنجكاه ، كلها بقافات عجمية يعني الاول والثاني والثالث والرابع والخامس وسادسها يسمى نوروز الصباح وهو لا احد يحسن عمله في زماننا هذا .

هكذا ذكره الحكيم ابو نصر الفارابي ، ولا التفات لقول من قال ان الأنغام اثنا عشر نغما ، وإنما الشعب أربعة وعشرون شعبة ، وأربعة وعشرون كوشة هذا ما عليه الاتفاق بين العرب والعجم .

وأما انغام الهند الستة فاولها راك بهيرون ، وهو عند العرب والفرس شعبة يسمونها المخالف .

وثانيها : سرى راك ، وهو نغم السيكاه عند العرب والفرس .

وثالثها : ما لكوس ، وهو عند العرب والفرس كوشة يسمونها الركبي .

ورابعها : ميك ملهار ، وهو شعبة عند العرب والفرس يسمونها النيرين .

وخامسها : راك هندول وهو شعبة يسمونها الفرس والعرب نيشابور وعرب الحجاز يسمونها نشاورك .

وسادسها : راك ديبك ، والعرب والفرس يسمونه نوروز الصباح وهو نغم لا يحسن احد عمله في زماننا هذا مثل نوروز الصباح .

وأما اوقات عمل الانغام الهندية ، فوقت بهيرون من الفجر الكاذب إلى الصباح ، ووقت سرى راك من اصفرار الشمس إلى وقت الغروب، ووقت مالكوس من الساعة الرابعة من الليل إلى اول الخامسة ، ووقت ميك ملهار في فصل الامطار ووقت هندول عند ما تزهر الأشجار. والشعب والبهرجات ـ يعني الكوشات ـ بالقاف العجمية ـ فلكل واحـــد منها وقت في الليل والنهار ، لا حاجة إلى بيانه خوفا من الاطالة .

وأما نغم ديبك فوقته عند ما تشعل السرج إلى تمام الساعة الأولى من الليل

وأعلم انه قد ثبت عند اهل الهند وكل من هو منهم صاحب يد في هذا الفن على ان نغم ديبك لااحد يحسن عمله أبداً في زماننا هذا إلا من تقدم من حكمائهم مثل نايك كوبال وبجوباورا وتانسين .

قيل والله أعلم انه إذا صار وقت المغرب ووضع الشموع والسرج مهيئة في مواضعها ثم يعمل بنغم ديبك هذا فتشتعل الشموع بنفسها والسرج من غير مباشرة احد ، وهذا مشهور في الهند بالتمام عند الخاص والعام .

ورأيت في بعض تواريخ الهند ان اكبر شاه ملك الهند كان مغرما بالشرب وسماع الالحان في كل ساعة وزمان ، وكان مشتاقا لسماع ديبك هذا إلى ان بلغه عن فقير مقيم بسرنديب ان له اليد الطولى في هذا الفن فاحتيل له في طلبه حتى جيء به فاكرمه السلطان ، واجزل له الاحسان إلى مدة من الزمان ثم طلبه في مجلس الراحة والمسره ، وأحسن اليه وسره ، ولاطفه حتى انشرح ، وسقاه الراح وأزال عن عن قلبه الترا ح ، ثم امره بعمل هذا النغم المذكور ، على الوجه المسطور ، فقال له الفقير : ان العمل بهذا النغم عسير ، فألح عليه الملك بذلك ، حتى قبل منه ذلك فآزر الفقير بازار وتجرد عن لباسه ، ثم نزل في بركة ماء بارد حتى لم يبق منه غير رأسه ثم انشد بيتين بالهندية لسورداس الشاعر الاعمى احد شعراء الهند المشاهير وهما :

نينو نسكى كركو ترى او ربترى ديا بجاي
بلكونكي چع دا لكيه اور ليوى سجن چياي

وأنا نقلت معناها من الهندية وأفرغته في قالب العربية فقلت :

جعلت له محلى وسط عينى لأنى لم اجد لي عنه صبرا
وصيرت السواد له فراشاً لأجل جلوسه والهدب سترا

وهذا المعنى عجيب ، ما سمعت مثله في اشعار العرب ، وأظن انه لم يسبقني تعريب مثله احد من اهل الأدب .

قال : فلما أنشد الفقير هذين البيتين حمى الماء الذي في البركة واستعر وحصل

للسلطان ومن حضر من السرور ما لا يحصر، ثم ان الفقير التمس الخروج من البركة فالزمه السلطان ان ينشد بيتين أخر ، ثم يخرج وله الغنى والظفر ، فانشد بيتين بالهندية لسورداس المذكور وهما :

جاني جمد ركا ركى اور متهى ماري موى
ميري هردي تون بسى سو پرمتلا كى توي

وأنا اخرجتهما من الهندية ، ونظمتهما في سلك العربية ، فقلت :

بخنجر جفنك الماضي حبيبي أصبت القلب فامنحني وصالك
فقلبي يا فريد الحسن بيت وانت به فأخشى ان ينالك

وهذا أيضا معنى لطيف يشبه قول الشاعر الظريف وهو :

يا محرقا بالنار خـــد محبه مهلا فان مدامعي تطفيه
احرق بها جسدي وكل جوارحي واحذر على قلبي فانك فيه

قال :فلما انشد الفقير هذين البيتين فار الماء وغلا غليانا شديداً حتى منعه عن الخروج ، فلما شاهد الفقير الموت ، وعلم انه قد ادركه الفوت ، تنفس الصعدا وتأوه حسرة على فراق الدنيا وكمدا ، وانشد أيضاً بيتين بالهندية وهما :

سرسى دبكي هم لي اور موتين كرتى لاك
ساكر كوكيا دوست هي سويهى ها رى بهاك

وأنا ايضا اخرجتهما من الهندية ، وادخلتهما في العربية فقلت :

كم ذا أغوص البحر أطلب دره قصد الثرا لـكن علي تعسرا
فالبحر لم يك عند ذاك مقصراً في مطلبي بل سوء حظي قصرا

وهذا المعنى الطف واحسن وعلى الكل أفوق وأزين وهو مأخوذ من قول بعض شعراء الفرس حيث قال :

هزار غوطه بخوردم درى بكف نرسيد سزاى بخت من اين است كناه دريا چيست

فلما فرغ الفقير من انشاد ذينك البيتين خرجت شعلة نار من يافوخه سمع

صوتها الحاضرون ، ثم شبت في جسده ، فاحترق ونشب فيه ظفر المنايا فاسكته بعد ما نطق وان هذا من العجب العجاب ، الذي تحار فيه عقول ذوي الالباب

فلما اسفر صبح صبح عاشر صفر ، عن وجه اليمن والظفر ، عام الف ومائة وأربعة وثلاثين ، من هجرة من بعث رحمة للعالمين ، توكلنا على الغفور الشكور ورحلنا من بلدة باكره راجعين إلى مدينة برها نبور ، فاتينا على بلدة تسمى اسلام نكر وهى بلدة امينة وبها قلعة حصينة ، وحاكمها الامير الكبير ، الرئيس الشهير الشجاع الخطير الكريم الكامل المعانى ، صاحب الفتح والنصر الرباني ، الامير دوس محمد خان السليمانى ، وهذا الامير النجيب الوحيد من اولاد سليمان بن خالد بن الوليد فنزلنا عنده في القلعه ، أيد الله ملكه وعسكره وجمعه ، فاضافنا ثلاثة ايام ، وغمرنا بجزيل الاكرام ، ثم من عنده رحلنا وعلى الله توكلنا ، فاتينا في اليوم الثالث على شط كبير يسمى نربدة ، فلم يتيسر لنا العبور ذلك اليوم ، فبتنا إلى ثاني يوم ، ثم أتت الينا الزوارق وركبنا وتوكلنا على الخالق ، فمرنا على بلدة تسمى (هندية) وهي بلدة حسينة ، وبها قلعة مكينة ، وفيها ضريح لبعض المشايخ يسمى ملاديبازه قيل انه لما اتى إلى هذه البلدة وكان مريضاً فسأل عن اسمها فقيل له هندية ، والهندية بلسان الهند إسم للقدر المصنوع من الحجر ، او من الطين ، فقال لأصحابه : يكون قبر الديبازه في القدر !

وأهل تلك الديار يشهرون عنه حكايات ظريفة تشبه حكايات الخواجه ناصر الدين الفزاري المكنى بابى الغصن صاحب التفسير المتوفى سنة ست وثمانين وثلاثمائة والعامة تزعم انه جحا الذى تضرب امثاله في الجد والهزل .

قيل انه كان يوما يحفر بظهر الكوفة فقيل له : ما لك تحفر هنا ؟ قال : دفنت دراهمي هنا ، وما اهتديت اليها ، فقيل له : لم لا وضعت عليها علامة ؟ قال : قد فعلت ذلك قيل : ماذا وضعت عليها ؟ قال : كانت عليها سحابة تظلها ، كذا ذكره في المستقصى .

وقال الفاضل العلامة السيد محمد كبريت المدني في رحلته : رأيت في بعض

المجاميـــع انه كان فاضلا ماجناً وقـد عمل الناس على لسانه كثيراً من النكت والنوادر .

قلت : ولابن ابي اليمن الغفاري مؤلف في ذلك يشتمل على الف ورقـــة وقيل : انه لبس يوماً قميصاً لوالده فرآه والده فبكى ، فقال له جحا : ما يبكيك يا ابت ؟ قال : يابني قالت الحكماء : إذا جاء قميص الوالد على الولد سواء تمنى الولد موت ابيه ، فقال له جحا : والله يا ابت اني اتمنى من يقتلك كي آخـذ الدية من قاتلك فآكل منها وأشرب وانشرح واطرب !

وقيل انه مر يوماً على بعض اصحابه راكضاً ، فقال صاحبه وهو يماجنه : إلى اين يا خرا ؟ قال : إلى شاربك واعود .

وسئل يوماً : ما تقول في امرأة ماتت وتركت بنتاً وزوجاً واماً ؟ فما لكل واحد منهم من الميراث؟ فقال: للام البكاء والعويل، والحزن الطويل، وللزوج خراب الدار وتعب الليل والنهار، وللبنت الظلم والمحنة واليتم، والباقي للعصبة بالقسمة والحسبة

وسمع يوماً بعض الناس يقول : ان الخمر يسبح في البطن ، فقال له جحا ان صح ما قلت فالبقلاوة أيضاً تصلي التراويح .

وقيل : اختصم يوما هو وزوجته فقالت له : اذكر طول الصحبة ، فقال : والله ما لك عندي ذنب غيرها .

واشترى يوماً جارية فلما خلا بها وجد على فرجها صورة فرس ، فقال لها: ما هذا النقش ؟ قالت صورة فرس على المعلف ، وعليقتها كل يوم اربع كيلات من الشعير ، فجعل يجامعها كل ليلة اربع مرات إلى مدة ثلاث ليال ، فلما كانت الليلة الرابعة جامعها ثلاث مرات ، ثم رفع رجله وضرط لها ضرطة قوية ، فقالت له : ما هذا ؟ قال هذا آخر العليق !

وقيل : انه سئل يوماً عن حسن زوجته ، فقال : كأنها باقة نرجس ، رأسها أبيض ، ووجها اصفر ، وساقها اخضر .

والحاصل : ان الملا ديبازه الذي ذكرناه هو عند أهل الهند مثل جحا وزيادة ، وله حكايات عجيبة مع سلطان العجم الشاه عباس الأول تركناها للاختصار ومكتوب فوق قبره على حجر بالفارسية ، ما هذا معناه :

يا زائري انظر إلى أعلى الضريح تنل مرادك

فاذا نظر الانسان إلى اعلى الضريح يرى لوحاً من ساج مكتوب عليه : (ضرطة في شارب الطماع) .

﴿ ترجمة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام ﴾

(الملقب بالباقر)

أحد الأئمة الاثنى عشر عند الامامية ، وكان عالماً سيداً كبيراً ، وما سمي الباقر إلا لانه تبقر في العلم ، أي توسع فيه ، والتبقر التوسع ، وفيه قيل :

يا باقر العلم لأهل الحجا وخير من لبى على الاجبل

وكان مولده يوم الثلاثاء سنة سبع وخمسين ، وكان عمره يوم قتل جده الحسين «ع» ثلاث سنين ، وأمه ام عبد الله ، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائة ، وقيل في الثالث والعشرين من شهر صفر سنة اربع عشرة ، وقيل ثماني عشرة ومائة بالجميمة ، ونقل إلى المدينة ، ودفن في البقيع في القبر الذى فيه ابوه وعم ابيه الحسن بن علي عليهما السلام ، في القبة التي فيها قبر العباس رضي الله عنه .

وأما معجزات الباقر عليه السلام وفضائله فلا تحصر ، وقد ذكره الشيخ محمد بن حسن الحر في ارجوزة له ، ذكر بعض فضائله ومعجزاته عليه السلام فقال عليه رحمة الملك العلام :

ومعجزاته كثيرة كما روى الرواة من ثقاة العلما

وما رووا عنه من العلوم لا ... يروى نظير بعضه للفضلا
اولي عن ابنه الامام الصادق ... اكرم بسابق جرى ولا حق
أخبر بالغيب مراراً جمه ... حتى جلا بذاك كل ظلمه
وخص في اجابة الدعاء ... كما اتى في صادق الانباء
وكم اراد سائل ان يسأله ... ثم ابتداؤه بتلك المسأله
وكم اتاه الجن يسألونه ... عما يقولون ويفعلونه
كلمه الذئب وقد اجابه ... دعا له فقال بالاجابة
كذلك الطير وما قد ظهرا ... من مثله شاع له واشتهرا
وأمر النخلة بالاقبال ... فأقبلت اليه لا تبالي
وقد رأى مع كونه في الدار ... ماقد جرى في خارج الجدار
ورد شيب امرأة شبابا ... وكان شعر رأسها قد شابا
واخبر المنصور بالخلافه ... فما رأى من خبر خلافه
ووهب الاعمى ابا بصير ... بمسحه عينى فتى بصير
ثم اعاد يده فعادا ... اعمى فمن يجحد ذا عنادا
وكم وكم مقترح اجابه ... بما ابتغى وبانت الاصابه
وطبع الحصاة كأبيه ... وخدمته الجن كبنيه
وابرأ الاكمه لما مسحا ... عينيه فالعمى تنا آ وانتحى
كلمه الطير بل الجماد ... فلاح للمسترشد الرشاد
رد الاله روح ميت إذ دعا ... فقام حياً ووعاه من وعى
وانقلب التراب فهو ذهب ... إذ مسه فراح منه يهب
وكم ارى عجائب للرائي ... من ملكوت الارض والسماء
ونخلة يابسة لما دعا ... تساقطت من رطب قد برعا
ذل له الذئب وقد تكلما ... وقد أتا مسائلا مسلما

وأنطق الصخرة والسكينا وشجراً حتى شهدن حينا
واقتلع الصخر ففاض الماء وروى الجماعة الظماء
ورميه بالنبل كان عجبا ومثله زلازل بيثربا
وانطق القضيب لما ان دعا فعجب السامع مما سمعا
ودخل النار فما أذته وعجبت جماعة جاءته
ومثل هذا ظاهر لا يخفى لو شئت منه لعددت الفا

يعجبني قول ابراهيم المهتدي شاعر اليمن يمدح المتوكل امام اليمن ، ويصف فرسين احدهما أدهم والآخر اخضر وأجاد :

وأدهم قد زهى اسوداداً مع ابيض زانه اخضرار
وانت في ذروة المعالي يحملك الليل والنهار

والخيل : هي جماعة الافراس سميت بذلك لانها تختال في مشيها ، وهي الحيوان المشرف ، ولقد مدحها الله تعالى واوصى بها نبينا ﷺ فقال : الخير معقود في نواصي الخيل إلى يوم القيامة ، وقال عليه الصلاة والسلام : عليكم باناث الخيل ، فان بطونها كنز وظهورها عز .

﴿ ذكر الخيل ، وفائدة في النفس ﴾

وروي عن ابن عباس : ان النبي ﷺ قال : لما أراد الله تعالى خلق الخيل اوحى إلى الريح الجنوب ، وقال انى خالق منك خلقاً فاجتمعي فاجتمعت فاتى جبريل عليه السلام فاخذ منها قبضة فخلق منها فرساً كميتاً ، وقال خلقتك عربياً وفضلتك على سائر البهائم والرزق بناصيتك ، والغنائم تقاد على ظهرك وبصهيلك ارهب المشركين ، واعز المسلمين ، ثم وسمه بغرة وتحجيل ، فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام قال يا آدم اختر أي الدابتين الفرس او البراق ؟ فقال : الفرس يا رب ، فقال الله تعالى اخترت عزك وعز اولادك .

وفي الحديث : ما من فرس إلا وهو يقول في كل يوم : اللهم من جعلتني له فاجعلني أحب أهله اليه . والخيل ثلاثة : افراس فرس للرحمن ، وفرس للانسان ، وفرس للسلطان ، فأما التي للرحمن فالمغزو عليها ، وأما التي للانسان فهي التي يسابق عليها وأما التي للسلطان فهي التي جعلت للخيلاء .

وفي الحديث : ان الملائكة لا تحضر في شيء من اللهو واللعب إلا في مسابقة الخيل وملاعبة الرجل اهله ، ولقد سابق عليه الصلاة والسلام على الخيل .

قيل : ان الذكر اولى من الانثى ، ولا يرد علينا ركوب جبرئيل عليه السلام على الانثى في قصة موسى وفرعون لان ذلك من حكمة الله تعالى حتى تتبعها خيلهم فيغرقوا ، لان الحصان إذا رأى الحجرة تبعها .

وقيل : ان الله تعالى أمر نبيه موسى عليه السلام ان يعبر فعبر وهم خلفه ، فاعمى الله عنهم الماء ، فكانوا يرونه بلقعاً والخيل تراه ماء ، فلو لا دخول جبرئيل عليه السلام في البحر بفرسه لما عبرت خيلهم .

والخيل أصناف : منها الصافنات وهى التي إذا ربطت في مكان وقفت على احدى رجليها ، وقيل غير ذلك ، وكانت الصافنات ألفي فرس لسليمان عليه السلام فعرضها ذات يوم ففاتته الصلاة ، قيل صلاة العصر ، فامر بعقرها فعوضه الله الريح فكانت فرسه .

وقيل انما عقرها على وجه القربة كالهدى ، وقيل : ان الفرس لا يحب الماء الصافي ولا يضرب فيه بيده ، كما يضرب بها في الماء الكدر فرحاً به لانه يرى في الماء الصافي صورته ، فتفزعه ولا يراها في الكدر . ومما قيل في ذلك :

احبوا الخيل واصطبروا عليها ... فان العز فيها والجمالا
إذا ما الخيل ضيعها اناس ... ربطناها واشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ... ونكسوها البراقع والجلالا

﴿ فائدة ﴾

افهم هذه الفائدة ايضاً : الحصان الذكر من الخيل، والحجر الاناث، والجواد الفرس الكريم السريع ، والطرف مثله ، والعناجيج جياد الخيل ، الواحد عنجوج والعيبوب الفرس الجواد والهضب الكثير العرق ، والضمر السريع ، وقيل المشرف والملجزة الفرس الشديدة، والمقرَّبة الخيل المعدة للحرب فهي تقرب وتكرم، والمذاكي الخيل المنتهية في السن ، وهي المذكيات ايضاً ، واحدها مذك ، والمراخى الخيل السراع واحدها مرخي ، والسابح الفرس السريع الذي كأنه يسبح بيديه ، والمسح السريع ايضاً ، كأنه يسح العدو ، أي يصبه صباً ، والمسنفات من الخيل المتقدمات في السير ، ويقال : فرس بحر ، وغمر إذا كان كثير الجري ، وفرس محضير إذا كان كثير العدو ، ويقال احضر الفرس إذا عدا ، والحضر والاحضار : العدو .

﴿ فصل ﴾

الخيل الأعوجية : منسوبة إلى أعوج وهو فحل كريم كان لبني هلال بن عامر ، والحرونية منسوبة إلى حرون ، وهو فرس كريم كان لمسلم بن عمرو والد ابى قتيبة ، وهو من نسل اعوج فيما يقال .

ومن الفحول المشهورة التي تنسب اليها الخيل : الوجيه ، والغراب ، ولاحق ومذهب ، ومكتوم ، وكانت كلها لبني غني ، وقيل كان الوجيه ولاحق لبني اسد ومنها : قيد وحلاب وهما لبني تغلب ، ومياس وهو لبني أعيا من باهلة ، وداحس والغبرا وهما لبني عبس ، وقصتهما مشهورة لا تخفى على مطلع ، والخطار والحنفا وهما لبني بدر من فزارة ، والنعامة وهي للحارث بن عباد المسمى بفارس النعامة من بني قيس بن ثعلبة ، وقصته مشهورة في حرب البسوس المشهور .

﴿ فصل ﴾

والكميت الفرس الشديد الحمرة ، ولا يقال كميت حتى يكون عرفه وذنبه اسودين ، فان كانا احمرين فهو اشقر ، والورد فيما بين الكميت والأشقر ، والجمع: وراد ، والادهم الاسود والاحوى الاخضر الذي يضرب إلى سواد ، والجمع حو .

والبهيم المصمت اللون ، وإذا كان بوجه الفرس بياض يسير بقدر الدرهم فما دونه فذلك القرحة ، والفرس اقرح ، فاذا جاوز البياض قدر الدرهم ، فهو الغرة ، والفرس اغر ، فان كان بجحفلته العليا بياض فهو أرثم ـ وقد تقدم ـ والجحفلة من ذوات الحافر بمنزلة الشفة من الانسان فاذا كان البياض بجحفلته السفلى فهو المظ فان كان ابيض الظهر فهو أرجل ، فان كان ابيض البطن فهو أنبط ، فان كانت قوائمه الأربع بيضاً لا يبلغ البياض منها الركبتين فهو محجل ، فان كان البياض بيديه دون رجليه فهو اعصم ، فان لم يبيض من قوائمه سوى رجل واحدة ، فهو ارجل وذلك مذموم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ فائدة ﴾

النفس هى الروح ، يقال : خرجت نفسه ، أي روحه .

قال ابو خراش :

نجا سالم والنفس منه بشدقه ولم ينج إلا جفن سيف ومئزرا

أي بجفن سيف ومئزر .

والنفس لغة الدم ، يقال : سالت نفسه .

وفي الحديث : ما ليس له نفس سائلة فانه لا ينجس الماء إذا مات فيه .

والنفس الجسد ، قال الشاعر :

نبئت ان بني سليم ادخلوا ابياتهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم .

وأما قولهم: ثلاثة انفس ، فانهم يريدون بذلك الانسان ، هذا قول اصحاب اللغة ، والفقهاء وافقوهم على ذلك .

وأما ارباب المعقول فقد اختلفوا في حقيقة النفس ماهي ؟ اختلافاً كثيراً إلى الغاية . أما الحكماء فقالوا : النفس عبارة عن هذه الاجزاء النارية السارية في هذا الهيكل ، لان النار خاصتها الاشراق والحركة ، ولهذا قال الاطباء : ان مدبر الجسد هو الحار الغريزي ، وهذا رأي افلوطرخوس ومن تابعه .

ومنهم من قال : هو عبارة عن هذا الهواء لانه متى كان النفس متردداً كانت الحياة باقية ، فالنفس هو الهواء المستنشق المتردد في مخارق البدن ؛ ولانه لا لون له ويدخل في المنافس الضيقة ، وهذا رأي ديوجانس ومن تابعه .

ومنهم من قال: النفس عبارة عن الماء لانه سبب لحصول النشو والنمو والنفس كذلك ، فكانت هي الماء ، وهذا رأي تاليس الملطي، وهذه الاقوال فاسدة ، لان الاشتراك في بعض الصفات لا يوجب التساوي في تمام الماهية .

ومنهم من قال : النفس عبارة عن مجموع الاخلاط الأربعة بشرط ان يكون كل واحد له قدر معين ، لانه ما دامت هذه الاخلاط باقية على كمياتها المخصوصة وكيفياتها ، فالحياة باقية ، وهذا ضعيف أيضاً ، لانه لا يثبت العلم لنا بمجرد الدور

ومنهم من قال: النفس عبارة عن الدم لانه اشرف اخلاط البدن ، ومتى نزف الدم وفنى من الجسد فارقته الحياة ، وهذا رأى جالينوس ومن تابعه من الأطباء فوافقوا الفقهاء وأهل اللغة ، وهذا ضعيف لان الجسد يعرض له عدم الحياة ، والدم فيه ، ولانه لا ينبغي ان تزيد النفس بزيادة الدم في البدن ، وان تقوى معلوماتها وادراكاتها وتضعف بقلته في الجسد ، والقضية بالعكس ، فان الصائم والضعيف يقوى ادراكه .

ومنهم من قال : ان العناصر المركبة مختلفة في ماهياتها ، فاللطيف منها لا ينقلب كثيفاً وبالعكس .

وكذا القول في الرطب واليابس والحار والبارد ، فثبت ان النفوس اجسام لطيفة لذواتها حية لذواتها وتلك الاجسام إذا شابكت هـــذا الهيكل المحسوس وسرت فيه سريان ماء الورد صار هذا الهيكل حياً بتلك المشابكة والذوبان والانحلال لا يتطرق إلى هـذا الهيكل دون تلك الاجسام اللطيفة الحية والاخلاط فيها قابلية لتلك الاجزاء ، فمتى ذهبت القابلية من الاعضاء والاخلاط انفصلت تلك الاجزاء اللطيفة الحية وكان ذلك هو الموت .

وهذا القول مشكل لانه يلزم من هذا انه إذا قطعت أطراف الانسان أما ان يذهب كل طرف بما فيه من النفس ، وهو باطل لانه يوجب ضعف النفس في تدبير البدن وضعف الادراك والعلم ، وأما ان تتداخل تلك الاجسام في الجسد الذي بقي ويقوي تدبير النفس للبدن في الحركة وقوة الادراك ، لان تلك الاجزاء تقلصت واجتمعت فى هذا الباقى ، وهذا فيه قول بتداخل الأجسام ، وهو محال .

ومنهم من قال : النفس عبارة عن الاجسام اللطيفة المتكونة في البطن الأيسر من القلب النافذة في الشرايين النابتة منه إلى كل اجزاء البدن .

ومنهم من قال : النفس عبارة عن الارواح المتكونة في الدماغ الصالحة لقبول قوة الحس والحركة والحفظ والفكر والذكر النافذة من الدماغ في شظايا الاعصاب النابتة منه إلى اقاصى البدن .

ومنهم من قال : أجزاء هذا البدن على قسمين ، بعضها اجزاء اصلية باقية من اول العمر إلى آخره من غير أن يتطرق اليها شيء من التغيرات والانحلال والزيادة والنقصان ، وبعضها اجزاء عارضة تبعية ، تارة تزداد وتارة تنقص فالنفس والشيء الذي يشير اليه كل احد يقول : انا هو القسم الاول .

قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى وهذا القول هو اختيار المحققين من المتكلمين .

وبهذا القول يظهر الجواب عن اكثر شبهات منكري البعث والنشور انتهى

وقال بعض المحققين : النفوس جواهر روحانية ليست بجسم ولا جسمانية لا داخلة البدن ولا خارجة عنه ، لا متصلة به ولا منفصلة عنه ، لها تعلق بالاجساد يشبه علاقة العاشق بالمعشوق .

وهذا القول ذهب اليه ابو حامد الغزالي في بعض كتبه .

ونقل عن علي بن ابى طالب عليه السلام انه قال : الروح في الجسد كالمعنى فى النفس ، وما رأيت مثالا احسن من هذا .

يقال انه سئل بعض المتكلمين عن الروح والنفس ، فقال : الروح هو الريح والنفس هي التنفس ، فقال له السائل : فعلى هذا إذا تنفس الانسان خرجت نفسه ، وإذا ضرط خرجت روحه ، فانقلب المجلس ضحكا .

قال الصفدي في الغيث الذي انسجم : وهذه مسألة عظيمة تتجاذب الادلة فيها وتتعارض وتصح البراهين فيها تارة ، وتمارض ، وما أقول فيها إلا ما نطق به القرآن الكريم من قوله تعالى : (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى) فقد اختلف الناس فيه اختلافا كثيراً وتمسكوا فيه بادلة كل مذهب ما ادعاه اربا به وجزم انه الحق فيما ألحق أصحابه .

قال الشيخ الامام كمال الدين محمد بن الزملكانى رحمه الله تعالى في مصنف له وقال القاضي عياض ما معناه : اختلف الناس في الروح اختلافا لا يكاد ينحصر فقال كثير من ارباب المعانى وعلم الباطن والمتكلمين لا تعرف حقيقته ولا يصح وصفه وهو مما جهل العباد علمه انتهى .

ولله در ابي الطيب المتنبي إذ يقول :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم ... إلا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة ... وقيل تشرك جسم المرء في العطب
ومن تفكر في الدنيا ومهجته ... أقامه الفكر بين العجز والتعب

فلما كان رابع ربيع الاول رحلنا صحبة الراجا فتح سنك إلى بلدة مكرانى

وأقمنا فيها باجلال واكرام ثلاثة ايام ، ثم رحلنا منها ولم نزل في تلك البراري نسير في كنف من اليه المصير ، فلما كان ثامن عشر ربيع الأول دخلنا بالامن والحبور دار الفرح برهانبور ، ونزلنا بدار الامير الكريم ذي الاحسان ، السيد احمد الدمشقي ، المخاطب بزين الدين خان، وقد تقدم ذكره ، وبينه وبين السيد بدر قرابة فان والد السيد بدر متزوج بابنة اخيه السيد عمر الدمشقي المخاطب ايضاً بزين الدين خان ، وكان المنصب سابقاً للسيد عمر ، فلما توفى جلس اخوه السيد احمد مكانه ورد الخطاب اليه وقد قدمنا ذكر منصبه ، فاقمنا عنده في عز وراحة ونعمة ، حماه الله تعالى من كل عاهة ونقمة .

﴿ سؤال ﴾

سئل الجلال البلقيني في ختم البخاري عند قراءة حديث الشفاعة ، وسجود النبي ﷺ عن هذا السجود ما حكمه في الوضوء ؟ فقال: ان رسول الله ﷺ باق على غسله الذي غسل به في الدنيا ، لان الموت في شرعه سبب موجب للغسل ولا شك في موته ﷺ لقوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون) فغسل على حكم شرعه في الدنيا ، وانه ﷺ طاهر مطهر ، ثم هذا الغسل لا يتطرقه ناقض ، فقام إلى الحشر وهو حي في قبره الشريف .

قال : وحضر لي سؤال ما حكم سجود المؤمنين بلا وضوء فانهم ليسوا باحياء في قبورهم ؟ ثم عرض هذا الكلام في مجلس الدرس على الشيخ العلامة حسن بن علي العجيمي الحنفي فاجاب بان النشأة الاخرى طاهرة كاملة لا حدث فيها فلا تحتاج إلى طهارة ، ثم عرض هذا الكلام على الشيخ العلامة مسعود المغربي المالكي ، فاجاب بان هذا السجود الواقع منهم سجود تكرمة لربهم واعظام ، فهو كسجدة الشكر في الدنيا عند القائل بها ، فلا تفتقر إلى وضوء .

قال الشعراوي في البحر المورود ، وكان اخي افضل الدين يقول : اياك ان

تجادل من كان علمه موضوعا في نفسه دون قلبه ، فانه في ظلمة ، والجدال لا يزيده إلا ظلمة بخلاف من وضع علمه في قلبه اوروحه او سره فانه في نور يفرق بين الحق والباطل ، فيرجع إلى الحق بسرعة إذا نبهته عليه ، والله غني حميد .

وفي سنة ثلاث وثلاثين والف قبيل الظهر يوم الأحد سابع جمادي الآخرة سالت اودية مكة وامتلأ المسجد الحرام ، وعلا الماء حتى حاذى الحجر الأسود ، وعمل الشيخ محمود الحناوي لذلك تاريخاً ، فقال :

قد جاءنا سيل من الله في جمادي الآخر يا ذا النظر
في مسجد الله الحرام الذي سعت إلى علياه كل البشر
سيل عظيم ما رؤى مثله تاريخه (الماء حاذى الحجر)

وفيها توفى الشيخ الامجد شهاب الدين احمد بن ابراهيم بن علان الصديقي النقشبندي في اليوم السادس عشر من شعبان ، ودفن بالمعلاة بالقرب من قبر السيدة ام المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها ، وكان امام التصوف في زمانه ، وامام علومه وعرفانه ، واسطة عقد اهل الفتوة ورابطة عقد الصفوة ، العارف بالله عزوجل الغارف من بحر المعارف وعليه دل ، جامعاً لاشتات الفوائد ، ناظما من درر الفوائد للنحور القلائد ، له التأليفات ، العزيزة الجمة ، الكاشفة بالدلالة كل مشكلة وغمة ، انتفع به خلق كثير وصنف عدة كتب ، منها شرح قصيدة السودى التي اولها : (ليس عند الخلق من خير) وقصيدة ابن بنت المليق الشاذلي التي اولها : (من ذاق طعم شراب القوم يدريه) وشرح قصيدة :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا هم السلاطين والسادات والامرا

وشرح قصيدة السهروردي التي اولها :

لمت نارهم وقد عسعس الليل ومل الحادي وحار الدليل

وشرح رسالة رسلان التي اولها (كلك شرك خفي) وشرح حكم ابى مدين شرحا مفيداً ، وله رسالة في طريق النقشبندية ، جمع فيها الآداب واللوازم ، وذكر

فيها جماعات من المشايخ أهل الطريق اولي الصدق والتحقيق وبدأ بشيخه تاج الدين ووشح السيد سالم شيخان رسالته المذكورة بمقولات ، ورشحها بمقالات ، ونظم نسبه المتصل إلى الصديق ، في ابيات هي كقلائد العقيان في اعناق الخرد الحسان فقال :

أيا سائلي عن نسبتي كيف حالها ... جدودي إلى الصديق عشرون فاعدد
خليل وعلان وعبد مليكهم ... علي علي ذو النعيم المؤيد
مبارك شاه حاوى المجد بعده ... ابو بكر المأمون نجل محمد
ووالده قد جاء يكنى باسمه ... وطاهر خشتونيه من هو مهتدي
وعلان ثان ثم جاء حسينهم ... عفيف اتى فيهم ويونس ذواليد
ويوسف اسحاق وعمران قد اتى ... وزيد به كل الخلائق تهتدي
ومن بعده حاوي الفخار محمد ... ووالده الصديق ذخري ومنجدي

رأيت في بعض التعاليق : ان الشيخ علي بن عمر الشاذلي لما أراد أن يفارق شيخه ابن بنت المليق قال له : اوصني ، فقال له الشيخ : يا علي ضع نفسك في موج القدرة ولا تكره حكمة الله في شيء وانه ان رفعك رفعك لحكمة ، وان خفضك خفضك لحكمة ، وحيث وجدت قلبك فخيم .

وقد نظم السيد عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء هذا الكلام فقال :

ضع النفس في موج القضا غير كاره ... لحكمته سبحانه واختياره
فما رفعه والخفض إلا لحكمة ... وحيث وجدت القلب خيم بداره

قلت : وهذا بعينه هو مقام التسليم ، وهو كيميا السعادة والتكريم ، الذي اعوز كثيراً من الناس ، ولم يحظوا منه إلا بالافلاس ، كان بعض المشايخ يعظم مريداً له ويقدمه على غيره ، فقيل له في ذلك ، فقال : سأريكم لماذا أقدمه ، فاعطى لكل انسان من اصحابه طائراً ، وكذلك المريد ايضاً طائراً ، ثم قال لهم ليذبح كل واحد منكم طائره ، حيث لايراه احد ، فاما اولئك فذبحوا ما معهم ، وأما ذلك

المريد فلم يذبح ، فقال له : لم لا تذبح كما ذبحوا ؟ فقال : قلت لي اذبح حيث لا يراك احد ، فلم أجد موضعاً إلا والله تعالى يراني فيه ، فقال لهم : من اجل هـذا احببته وقدمته عليكم .

قلت : ولهـــذه الطائفة في علم التوحيد ومقام المراقبة الاهتمام العظيم ، والمنهج المستقيم ، وليس ذلك بأنهم انفردوا باعتقاد ذلك ، وانما انفردوا بملاحظة قلوبهم بدوام هـذا العلم تأديباً وسلوكا في البدايات ، وتحقيقاً ويقيناً في النهايات ، ولهذا أمتاز هذا المريد في هذه الحكاية ، لأنهم لو سئلوا كلهم عن ذلك لقالوا : ما من موضع إلا والله تعالى يرانا فيه ، لكنه هو راعي اعتقاده والامان وغيره غلبت عليه غفلته والنسيان .

أعلم ان القتال في القلب دائم بين جنود الشيطان ، وهي الشهوات ، وبين حزب الله عز وجل وهو نور العقل إلا في قلب فتحه احد الجندين ، واستولى عليه بالكلية ، وغالب القلوب الآن قد غلب عليها وفتحها جند الشيطان ، فيحتاج أن يستأنف اسباب القتال لازعاجه ، ويعبر عن ذلك بالجهادالاكبر واليه الاشارة بقوله ﷺ لقوم قد قدموا عليه من الغزو : وقدمتم خيرمقدم قدمتم إلى الجهاد الاكبر مجاهدة العبد هواه ، رواه الديلمي .

وروى البخاري عن ابي ذر قال : قلت يا رسول الله أي الجهاد أفضل ؟ قال ان يجاهد الرجل نفسه وهواه .

وروى ابن حبان وغيره انه ﷺ قال : المجاهد من جاهـد نفسه فظهر أن النفس عدو منازع يجب مجاهدته .

وصريحه من كتاب الله تعالى (وجاهدوا في الله) أي لله ، ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة ، كالهوى والنفس ، وقوله : حق جهاده ، أي جهاداً خالصاً حقاً لوجهه فعكس ، وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة ، كقولك : هو حق عالم .

ولهذا قال بعضهم في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) المراد به النفس .

وفي تفسير البيضاوي في معنى قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا) أي في حقنا ، قال : واطلق المجاهد ليعلم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا ، أي سبيل السير الينا ، والوصول إلى جنابنا ، او لنزيدنهم هداية إلى سبيل الخير وتوفيقاً لسلوكها كقوله تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى) .

وقال الكواشي في تفسير قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا) أي في طلب العلم لنهدينهم طريق العمل به او بالتوبة ، لنهدينهم إلى الاخلاص او فيما عملوا ، لنهدينهم إلى ما لا يعلمون ، والمجاهدة بغض البصر وحفظ اللسان وخطرات القلب ويجمعها الخروج عن البشرية ، وأفضل الجهاد مخالفة الهوى .

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام : المجاهدة صدق الافتقار إلى الله تعالى وهو انفصال العبد عن كل شيء سوى الله تعالى ، او في سبيل الظاهر ، فهدوا إلى سبيل الباطن .

﴿ ترجمة القاضي التنوخي ﴾

قال الثعلبي في يتيمة الدهر : هو من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم وحسن الشيم .

وكان كما قرأته في فصل للصاحب : ان اردت فاني سبحة ناسك ، او أجبيت فاني تفاحة فاتك ، او اقترحت فاني مدرعة راهب ، او آثرت فاني تحية شارب .

وكان تقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين ، وحين صرف عنه ورد إلى حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً فاكرم مثواه ، واحسن قراه ، وكتب في معناه ببغداد حتى أعيد إلى عمله ، وزيد في رزقه ورتبته ، فكان الوزير المهلبي وغيره من رؤساء العراق يميلون اليه جداً ، ويتعصبون له ، ويعدونه ريحانة الندماء ، وتاريخ

الظرفاء ، ويعاشرون منه من تطيب عشرته ، وتلين قشرته ، وتكرم اخلاقه وتحسن اخباره ، وتسير أشعاره ، ناظم حاشيتي البر والبحر ، وناحيتي المشرق والمغرب .

وبلغني انه كان له غلام يسمى نسيما في نهاية الملاحة واللباقة ، فكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويختصه بتقديمه .

وبلغني انه كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الاسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والبسط والخلاعة ، وهم : ابن قريعة وابن معروف والقاضي الكرخي وغيرهم وما كان منهم إلا ابيض اللحية طويلها وكذلك كان المهلبي فاذا تكامل الانس ، وطاب المجلس ولذ السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذه وهبوا أثواب الوقار للعقار ، وتقلبوا في اعطاف العيش بين الخفة والطيش ، ووضع في يد كل منهم طاس ذهب من الف مثقال مملوء شرابا قطربلياً او عكبريا فيغمس لحيته فيه ، بل ينقعها حتى تتشرب ويرش بها بعضهم على بعض ويرقصون باجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم ويقولون كلما يكثر شربهم هرهر ، واليهم أشار السري بقوله :

مجالس ترقص القضاة بها إذا أنتشوا في مخانق البرم
وصاحب يخلط المجون لنا بشيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبه عبثا أنامل مثل حمرة العنم
حتى تخال العيون شيبته شيبة عثمان ضرجت بدم

فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزمت والتوقر والتحفظ لابهة القضاء وحشمة المشايخ والكبراء .

قال الثعالبي وقد اخرجت من شعر التنوخي ، ما هو شرط الكتاب ، فمن ذلك قوله في وصف الليل والنجوم :

رب ليل قطعته كصدود او فراق ما كان فيه وداع
وحش كالثقيل تقذي به العين وتأبى حديثه الاسماع

وكأن النجوم بين دجاه سنن لاح بينهن ابتداع
مشرقات كأنهن حجاج تقطع الخصم والظلام انقطاع
وكان السماء خيمة وشى وكأن الجوزاء فيها شراع
كان ليلا فصيرته نهارا كتب تكتب العدا ورقاع

وما ابرع قوله :

كأنما المريخ والمشتري قـــدامه في مشاخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة قد اسرجوا قدامه شمعـه

ويعجبني تشبيهه في الراح ، وهو من القلائد التي تتحلى بها الملاح :

وراح من الشمس مخلوقـة بدت لك في قدح من نهار
فهذا النهاية في الابيضاض وهـذى النهاية في الاحمرار
هواء ولـكنه ساكن وماء ولـكنه غير جار
كان المدير لها باليمين إذا مال للسقي او باليسار
تدرع ثوبا من الياسمين له فردكم من الجلنار

وما احسن وصفه في الدجلة :

لم انس دجلة والدجى متصوب والبدر في افق السماء مضرب
فـكأنما فيه بساط ازرق وكأنه فيها طراز مذهب

وما ابدع قوله من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب بن عباد يفضلها على سائر شعره ، وهي :

أحبب إلي بنهر معقل الذي فيه لقلبي من همومى معقل
عذب إذا ما عب فيـه ناهـل فـكأنه في ريق حب ينهل
متسلسل فـكأنه لصفائـه دمع بخدي كاعب يتسلسل
وإذا الرياح جرين فوق متونه فكأنه درع جلاها صيقل
وكأن دجلة إذ تغطغط موجها ملك يعظم تارة ويبجل

وكأنها ياقوتة او أعين زرق يلايم بينها ويوصل
عذبت فما تدري أماء ماؤها عند المذاقة او رحيق سلسل
ولها بمد بمد جزر ذاهب جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
وإذا نظرت إلى الابلة خلتها من جنة الفردوس حين تخيل
كم منزل في نهرها آلى السرور بانه في غيرها لا ينزل
وكأنما فلك القصور عرائس والروض حلى فهي فيه ترفل
غنت قيان الطير في ارجائها هزجا يقـل له الثقيل الاول

ما أحلى هذا التوجيه بالهزج والثقيل وهما من بحور الشعر :

وتمانقت تلك الغصون فاذكرت يوم الوداع وغيرهم تترحل
ربع الربيع بها فحاكت كفه حللاً بها عقد الهموم تحلل
فمدبج وموشح ومـدور ومغمـــد ومحبر ومهلل
فتخال ذا عين وذا ثغر وذا خد يعضعض تارة ويقبل

قلت : أفسحر هذا أم انتم لا تبصرون ، فسبحان من منح البلاغة لهـــذا الأديب الفاضل ، فانه ما ترك مقالا لقائل ، ولا مجالا لجائل ، ولا مصالا لصائل ، رحمه الله تعالى .

حكي انه ذكر عند الرشيد قول ابي نواس :

فاسقني البكر التي اعتجرت بخمار الشيب في الرحم

فقال لمن حضره : ما معناه ؟ فقال احدهم : ان الخمرة إذا كانت في دنها كان عليها شيء مثل الزبد ، فهو الشيب الذى اراده ، وكان الأصمعي حاضراً فقال : يا امير المؤمنين ان ابا نواس أجل خطراً ، وأدق نظراً ، وان معانيه لخفية ، فاسألوه عن ذلك ، فاحضره وسئل ، فقال : ان الكرم اول ما يخرج العنقود في الزرجون يكون عليه شيء شبيه بالقطن ، فقال الاصمعي : ألم أقل لـكم ان ابا نواس ادق نظراً مما قلتم .

﴿ فائدة في التاريخ ﴾

وجد بخط الشيخ تقي الدين بن الصلاح رحمه الله تعالى ما صورته : ذكر ابو القاسم السهيلي قال : اجمع المسلمون على ان حجة الوداع كانت يوم عرفة ، فيها يوم الجمعة ، وكان اول شهر ذى الحجة في تلك السنة الخميس ، هذا لا شك فيه . ثم قال بعد ذلك : وقال اكثر اهل التاريخ ان رسول الله ﷺ توفى يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول ، بعد الحجة المذكورة بثلاثة اشهر ، وكيف حسب الانسان الشهور وهي : ذوالحجة والمحرم وصفر وربيع الاول، وجعل اول ذي الحجة الخميس ما يتصور ان يكون رسول الله ﷺ توفى في يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول سواء حسب الجميع نواقص او كوامل ، او بعضهن نواقص او بعضهن كوامل ، فاعتبره تجده كذلك .

أجاب عن هذا السؤال قاضى القضاة شرف الدين البارزي الحموي بما صورته يحتمل انه لما حج رسول الله ﷺ رأى هلال ذي الحجة بين مكة والمدينة ليلة الخميس وغم على اهل المدينة ، فلم يروا هلال ذي الحجة إلا ليلة الجمعة ، فلما رجع رسول الله ﷺ وتوفى بالمدينة ارخ أهل المدينة موته على حكم ما رأوا وارخوا في اول ذي الحجة ، وهو يوم الجمعة ، فجاءت الشهور الثلاثة : ذو الحجة والمحرم وصفر كوامل، وجاء اول ربيع اول يوم الخميس ، وكان ثاني عشر ربيع الاول يوم الاثنين ، وكان بين رؤيته ﷺ وبين رؤية اهل المدينة مسافة القصر ، والصحيح في مذهب الشافعي اعتبار اختلاف المطالع والله اعلم بالصواب .

حكي ان السراج الوراق ارسل غلامه يوماً ليبتاع له زيتاً يأكل به الحمص فاخذه في الاكل فوجده زيتاً حاراً فأنكر على الغلام وأخذه وجاء إلى البياع فقال له: افعل مثل هذا بنا ! فقال الزيات : والله يا سيدي ما لي ذنب لانه قال لي اعطني زيتاً للسراج ، قلت : وما احسن قوله :

كم قطع الجود من لسان قلد من نظمه النحورا

فها أنا شاعر سراج فاقطع لسانى ازدك نورا

يعجبنى قوله :

إلهي لقد جاوزت سبعين حجة فشكراً لنعماك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة ونوراً كذا يبدو السراج المعمر
وعمم نور الشيب رأسى فسرني وما ساءنى اني السراج المنور

وعلى الجملة فقد استعمل اسمه وصناعته كثيراً إلى الغاية .

قيل حضر هو وابو الحسين الجزار المتقدم ذكره ليلة من الليالي عند الصاحب بهاء الدين للمنادمة ، فقام ابو الحسين إلى الخلاء ، فقال الصاحب : يا طواشي سر قدام جمال الدين بالشمعة ، فقال ابو الحسين : يا مولانا الصاحب ادامك الله المملوك تعود ان يخري على السراج ، فقال السراج : لا جرم انى ما بقيت انيك علفاً ، فضحك الصاحب حتى استلقى على قفاه .

حدث عمرو بن سعيد بن سلم الباهلي قال: كنت من حرس المأمون بحلوان حين خرج من خراسان بعد قتل الامين واستئناف الخلافة له ، قال : فخرج لينظر إلى العسكر في بعض الليالي فعرفته ولم يعرفني فاغفلته وجاء من ورائى حتى وضع يده على كتفي ، فقال : من انت ؟ فقلت : أنا عمرو عمرك الله ، بن سعيد اسعدك الله ، بن سلم سلمك الله ، فقال: انت الذي كنت تكلؤنا في هذه الليلة ، فقلت: الله يكلؤك يا امير المؤمنين ، فانشأ المأمون :

ان اخاك الحق من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب زمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

ثم قال : يا غلام اعطه لكل بيت الف دينار . قال عمرو : فوددت لو كانت الابيات طالت فاجد الغنى ، فقلت : يا امير المؤمنين وازيدك بيتاً ؟ فقال لي : هات فقلت : (وان غدوت ظالماً غدا معك) فقال : يا غلام اعطه لهذا البيت الف دينار فما برحت من موضعي حتى اخذت خمسة آلاف دينار .

قلت : ما فهم المأمون من هـــذا البيت الاخير إلا قول رسول الله ﷺ انصر اخاك ظالماً او مظلوماً ، فقيل له : يا رسول الله انصره مظلوماً ، فكيف انصره ظالماً ؟ فقال : تحجبه عن الظلم فذلك نصره اياه .

قال علقمة بن عبيد المطاردى لابنه : يا بني ان نزعت بك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من ان صحبته زانك ، وان اصابك خصاصة مانك ، وان قلت سدد قولك ، وان صلت شدد صولك ، وان مددت يدك بفضل مدها ، وان بدت منك ثلة سدها ، وان رأى منك حسنة عدها ، وان سألته اعطاك ، وان سكت عنه ابتداك ، وان نزلت بك احدى الملمات واساك ، من لا يأتيك منه البوائق ، ولا تعوقه عنك العوائق ، ولا يختلف عليك منه بالطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق .

أقول : ليت شعري اين يوجد مثل هـذا الصاحب ، بل وجوده في زماننا هـذا يتعسر ، بل هو اعز من الكبريت الأحمر ، ولقـد سحت اثنتي عشرة سنة في ارض الله وجربت صحبة خلق الله ، فما رأيت صاحباً وجـدت فيه خصلة من هـذه الخصال ، وان هذا من المحال .

ومن الوصايا ما قاله ابو موسى المكفوف لنخاس : اطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر ، ولا بالكبير المشتهر ، ان خـلا الطريق تدفق ، وان كثر الزحام ترفق ، لا يصدم بي السوارى ، ولا يدخلني تحت البواري ، ان كثر علفه شكر ، وان قللته صبر ، ان ركبته هام وان ركبه غيري قام ! فقالـ له النخاس : اصبر يا سيدي اعزك الله ، عسى ان يمسخ الله القاضي حماراً فتجد حاجتك !

وقال الفضل بن عبدالرحمن لرقية بنت عتبة بن ابي لهب : انظري لي امرأة معروفة النسب كريمة الحسب ، فائقة الجمالـ مليحة الدلال ، ان قعدت اشرقت وان قامت اضعفت وان مشت ترقرقت ، تروع من بعيد ، وتفتن من قريب ، تسر من عاشرت ، وتكرم من جاورت لطيفة ودود ، عاقلة ولود ، لا تعرف إلا اهلها ، ولا تسر إلا بعلها ، فقالت له : يا ابن العم اخطب هذه من ربك في الآخرة ، فانك لا تجدها في الدنيا .

سأل بعضهم شيخاً من اهل الفسوق قال كنت البارحة في مجلس القوم وفيهم امرد مثل القمر ، فلما ناموا حاولت الدبيب عليه فلم اصل اليه ، واصبحنا ولم يتفق لي نيكه ، فجلدت عميرة بنية نيكه ، فقال له الشيخ لك نيتك ، قد حسبت لك فسقة

قلت : ومن هذا القبيل قولك النور الاسعردى :

ولي صاحب قال نلت المنى بمن هو دون الورى منيتي
فقلت اتى زائراً قال لا ولكن جلدت ولي نيتي

قيل ان بعضهم كان نائماً في مجلس قوم بالليل فما شعر بنفسه إلا وقد دخل فيه شيء كذراع البعير ، فقام اليه منكراً ، فقال له: الدباب يا اخي لك المعذرة فانه قام علي ولم يكن إلى جانبي غيرك ، فقال : كنت جلدت عميرة ، فقال : والله انه ما يسعه خني فكيف كفى ؟ فقال له : ويلك بهذا الزب تدب .

وقد جمع آلات الدب على ماهو المشهور بين اهل المجون ابن دانيال في بيت واحد ، فقال :

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قلما بت في السماعات إلا لقبوني باللائط الدباب
ولعمري قد كنت اقتحم الدب وآلاته معي في جرابى
مثل درج وابرة وخيوط وعقيد وبيضة وتراب

﴿ ترجمة أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن ﴾
(علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام)

أحد الأئمة الاثنى عشر ، كان من سادات أهل البيت ، ولقب بالصادق لصدقه في مقالته ، وفضله اشهر من نار على علم ، كيف لا وهو ابن سيد الأمم ، وله كلام في صنعة الكيمياء والجفر والفأل ، وكان تلميذه ابو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد الف كتابا يشتمل على الف ورقة يتضمن رسائل الامام

جعفر الصادق عليه السلام وهي خمسمائة رسالة .

وكانت ولادته سنة ثمانين من الهجرة ، وهي سنة سيل الحجاف ، وقيل : بل ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر ثامن شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وتوفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة المنورة ، ودفن بالبقيع في قبر فيه ابوه محمد الباقر وجده زين العابدين وعم جده الحسن بن علي عليهم السلام ، فلله دره من قبر ما اكرمه واشرفه، وامه فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق .

قال ابن خلكان في تاريخه وحكى كشاجم الشاعر في كتاب المصائد المصادر أن الامام جعفر الصادق عليه السلام سأل ابا حنفية فقال له : ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي ؟ قال: يا ابن رسول الله لا اعلم مافيه ، فقال له الصادق «ع» انت تتباهى ولا تعلم ان الظبي لا تكون له رباعية ، وهو ثنى ابداً .

وكان المنصور الدوانيقي أراد اشخاص الامام جعفر الصادق معه إلى العراق عند مسيره إلى المدينة فاستعفاه من ذلك فلم يعفه ، فاستأذنه في المقام بعده اياماً ليصلح اموراً مختلة ، فابى عليه .

حكى القاضي ابو علي المحسن بن ابي القاسم التنوخي في كتاب الفرج بعد الشدة عن يونس ابن ابي يعقوب قال : حدثني الامام جعفر بن محمد من فيه إلى اذني ، قال لما قتل ابراهيم بن عبد الله حشرنا المنصور العباسي من المدينة فلم ينزل فيها محتلم منا حتى قدمنا الكوفة ، فمكثنا شهراً نتوقع القتل ، ثم خرج الينا الربيع الحاجب فقال : اين هؤلاء العلوية ، ادخلوا على امير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجا . قال: فدخلت انا والحسن بن زيد ، فلما صرت بين يديه قال لي: انت الذي تعلم الغيب فقلت : لا يعلم الغيب إلا الله جل ثناؤه ، قال : أنت الذي يجبى اليك هذا الخراج فقلت : اليك يجبى يا امير المؤمنين الخراج ، قال : أتدرون لم دعوتكم ؟ قلت : لا قال : انما دعوتكم لأهدم رباعكم ، وأغور قليبكم ، واعقر نخيلكم ، وانزلكم بالسراة ولا يجيئكم احد من الحجاز وأهل العراق فانهم لكم مفسدة ، فقلت : يا امير المؤمنين

ان سليمان أعطى فشكر ، وان ايوب ابتلى فصبر ، وان يوسف ظلم فغفر ، وأنت من ذلك النسل ، قال : فتبسم ، وقال : اعد كلامك ، فاعدته فقال : مثلك فليكن زعيم القوم قد عفوت عنكم ووهبت لكم خراج البصرة ، وحدثني الحديث الذي حدثك ابوك عن آبائه عن رسول الله ﷺ قلت : حدثني ابى عن آبائه عن رسول الله ﷺ انه قال : صلة الرحم تعمر الديار وتطيل الاعمار ، وتكثر العمار وان كانوا كفار ، فقال : ليس هذا ، فقلت : حدثني ابى عن آبائه عن رسول الله ﷺ انه قال الرحم شجنة من الرحمن قال الله تعالى : خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمائى ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته ، قال: ليس هذا ، فقلت: حدثني ابى عن رسول الله ﷺ انه قال : الرحم معلقة بالعرش تنادي اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعني ، قال : ليس هذا ، فقلت : حدثني ابى عن آبائه عن علي «ع» عن النبي ﷺ انه قال : ان ملكا من ملوك الارض كان بقي من عمره ثلاث سنين فوصل رحمه فجعلها الله تعالى ثلاثين سنة ، قال : هذا الحديث الذي اردت ، أي البلاد احب اليكم فوالله لاصلن اليوم رحمي ، فقلت : المدينة ، فسرحنا إلى المدينة وكفانا الله مؤنته .

وكان من دعاء الامام جعفر الصادق «ع» حين دخل على المنصور : اللهم بك استفتح ، وبك استنجح ، وبمحمد عبدك ورسولك اليك اتوجه ، وأعوذ بخيرك من شره ، اللهم سهل لي خشونته ، وذلل لي صعوبته ، واعطني من الخير اكثر مما ارجو واكفنى من الشر اكثر مما اخاف .

وعن بعض اصحاب الامام جعفر الصادق «ع» قال : دخلت عليه وابنه موسى الكاظم «ع» بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية ، وكان مما حفظت منها ان قال له يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فانك ان حفظتها تعيش سعيداً وتموت حميداً يا بنى انه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومن مد عينه إلى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلته استعظم

زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه ، يابني من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ومن سل سيف البغي قتل به ، ومن احتفر لاخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم . يابنى قل الحق لك وعليك وإياك والنميمة فانها تزرع الشحناء في قلوب الرجال يابنى إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه وفضل الامام جعفر الصادق «ع» ليس يحصره تعداد، والله ولي التوفيق والامداد .

من أمثال العرب : كبر عمرو عن الطوق . قال في القاموس: ويضرب للابس ماهو دون قدره وهو عمرو بن عدي ، وكان خاله جذيمة جمع غلماناً من ابناء الملوك يخدمونه ، منهم عدي وكان جميلا، فعشقته (رقاش) اخت جذيمة ، فقالت له : إذا سقيت الملك فسكر فاخطبني اليه ! فسقى جذيمة وألطف له ، فلما سكر قال له : ساني ماأحببت ؟ قال: زوجني رقاش أختك ، قال : قد فعلت فعلمت رقاش انه سينكر، إذا أفاق فقالت للغلام ادخل على اهلك ففعل ، فاصبح في ثياب جدد وطيب ، فلما رآه جذيمة قال : ما هذا قال انكحتني اختك البارحة قال : ما فعلت وجعل يضرب وجهه ورأسه وأقبل على رقاش وقال :

خبريني وانت غير كذوب أبحر زنيت ام بهجين
ام بعبد وانت اهل لعبد أم بدون وانت اهل لدون

قالت : بل زوجتني كفواً كريماً من ابناء الملوك . فاطرق جذيمة ، فلما اخبر عدي بذلك خاف فهرب ولحق بقومه ومات هنالك وعلقت منه رقاش ، وأتت بابن سماه جذيمة عمراً وتبناه وأحبه حباً شديداً ، وكان لا يولد له ، فلما ترعرع كان يخرج مع الخدم يجتنون للملك الكمأ فكانوا إذا وجدوا كمأة طيبة أكلوها وأتوا بالباقي إلى الملك ، وكان عمرو لا يأكل منه ويأتي به كما هو ويقول :

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

ثم خرج يوما وعليه حلي وثياب فاستطير ففقد زماناً فضرب له في الآفاق فلم

يوجد ثم وجده مالك وعقيل ابنا فارج وكان رجلان من بلقين متوجهين إلى جذيمة بهدايافبينما هما بوادي السماوة إذ انتهى اليهما عمرو بن عدي ، فسألاه من انت فقال ابن التنوخية ، ثم قالا لجارية معهما اطعمينا ، فاطعمتهما فاشار اليها عمرو ان اطعميني فاطعمته ، ثم سقتهما نبيذاً ، فقال عمرو: اسقيني فقالت الجارية مثلا (لاتطعم العبد الكراع فيطمع في الذراع) ثم انهما حملاه إلى جذيمة فعرفه وضمه إلى صدره وقبله وقال لكما حكمكما ، فسألاه منادمته فلم يزالا نديميه ، وبعث عمراً إلى امه فأدخلته الحمام وألبسته وطوقته طوقا كان له من ذهب ، فلما رآه جذيمة، قال: كبر عمرو عن الطوق ، فضرب مثلا . انتهى كلام صاحب القاموس .

أقول : وجذيمة هذا هو جذيمة الابرش وانما هو الابرص ، فهابت العرب ان تسميه الابرص ، فقالت الابرش ، ويكنى بالملك الوضاح وكان ملكا بشاطىء الفرات إلى جاماس رمال الانبار وما وراء ذلك إلى السواد ومكث في الملك ستين سنة ، وكان من العماليق ، وكان قتل ابا الملكة الزبا وغلب على ملكه ، وألجأ الزبا إلى اطراف مملكتها وكان يغير على ملوك الطوائف وغيرهم ، حتى غلب عليهم وعلى كثير مما في ايديهم .

وكانت الزبا اديبة عاقلة فبعثت اليه تخطبه لنفسها ليتصل ملكها بملكه فدعته نفسه إلى ذلك فشاور وزراءه ، فاشاروا عليه ان يفعل إلا قصير بن سعد القضاعي فانه اشار على الملك أن لا يفعل ، وقال : ايها الملك لا تفعل فانها خديعة ومكر فاجابهم وعصاه فقال قصير عند ذلك (لا يقبل لقصير رأي) فارسلها مثلا ثم كتبت اليه الزبا بعد ذلك ان يسير اليها ، فجمع اصحابه ببقة وهي قرية على الفرات وشاور وزراءه فاشاروا عليه بالمشورة الاولى إلاقصيراً فانه قال له ايها الملك ليس من العادة ان تهدي الرجال للنساء وانما النساء يصلن إلى الرجال فعصاه ، فقال : ايها الملك فاذ قد عصيتني فاذا رأيت جنودها قد اقبلوا اليك وترجلوا حتى يحيوك ، ثم يركبوا ويتقدموك فقد كذب ظني ، وإذا رأيتهم حيوك وطافوا بك فاني معرض لك العصا

وهي فرس لجذيمة لا تدرك فاركبها وانج بنفسك ، فلما اقبل جيشها حيوه ، ثم طافوا به ، فقرب اليه العصا ، فشغل عنها فركبها قصير ونجا واخذ جذيمة فنظر إلى قصير على العصا قد حال دونه السراب ، فقال : ما ضل من تجرى به العصا فاخرجها مثلا ، وادخل جذيمة على الزبا وكانت قد وفرت شعر عانتها حولا ، فلما دخل تكشفت له وقالت له : أذات عروس يا جذيمة أما انه ليس من عدم المواسي ولا قلة الاواسي ولكنها شيمة من اناسي وأمرت به فاجلس على نطع وجيء بطشت من ذهب فقطعت رواهشه ، فذلك قول الشاعر :

وقدمت الاديم لراهشيه والفى قولها كذبا ومينا

وكان قد قيل لها احتفظي بدمه فانه ان اصابت الارض منه قطرة اخذ بثاره فقطرت قطرة من دمه في الارض ، فقالت : لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة دعوا ما ضيعه أهله فارسلها مثلا ، ثم ان قصير بن سعد لما قتل جذيمة رجع إلى عمرو بن اخت جذيمة ، فقال له : ألا تطلب ثار خالك ، فقال : وكيف اقدر على الزبا وهي امنع من عقاب الجو ، فاخرجها مثلا ، فقال له قصير : أعمد إلى شدق فاصطلمها واجذع أنفي وأذني واضرب ظهري ضربا موجعاً ودعني واياها ، ففعل ذلك ، فلما سار اليها واعلمها سبب قصده اليها ، وان عمراً قد فعل ذلك به يوهم انه الذي أشار على جذيمة بالاقبال اليها هو حتى فعلت به ، فصدقته وظنت ان الامر كما ذكر ووعدته بالاحسان من نفسها ، فاحسن خدمتها وأظهر النصيحة لما حسنت منزلته عندها ، وتحلى عندها بالتجارة وزينها لها فبعثت معه مالا وابلا إلى العراق فسار قصير إلى عمرو في مر فاخذ منه مالا وزاده على مالها واشترى طرفا من طرف العراق ورجع اليها فاراها تلك الارباح فسرت به ، ثم جهزته مرة أخرى فاضعف لها المال حتى عجبت من ذلك ، وازدادت به سروراً وغبطة ، فلما كانت المرة الثالثة اعد لها جواليق ، وادخل في الجواليق رجالا بسلاحهم وذلك بموافقة عمرو وقد سار معه فصارا يسيران الليل ويكمنان النهار ، وقد أخذا عن الطريق ومع ذلك ان الزبا

لها بعد خبره سألت عنه، فقيل لها أخذ طريق الغوير ، فقالت : عسى الغوير أبؤساً فارسلتها مثلا ، ودخل قصير إلى الزبا والعير متأخرة عنه ، فقال لها : قفي فانظري إلى العير ، فرقت سطحاً ، فجعلت تنظر إلى العير وهي تمشي قليلا فانكرت مشيتها فقالت :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلا يحملن ام حديدا
أم صرفانا بارداً شديدا أم الرجال جثما قعودا

الصرفان هنا الرصاص ، وقـــد يكون في غير هذا الموضع ضربا من التمر فانتهوا إلى الحصن الذي هي فيه ، وقد اظلم الليل وشغلت هي ولم ترتب بقصير فلما دخلت العير المدينـة تقدم قصير عن الابل فوقف على باب الزبا وعليه بوابون من النبط وفيهم رجل بيده سفود فطعن جواليقا منها فاصاب رجلا ، فقال البواب بلسان النبطية(بشتا بشتا) ومعناه الشر الشر فانتصل قصير سيفه فضربَ به البواب فقتله ، وجاء عمرو على فرسه فدخل الحصن يعقب الابل ، وابتركت الابل وحلت الرجال الجواليق وتمثلوا في المدينة بالسلاح ، فلما علمت الزبا بذلك قالت : لأمر ما جدع قصير انفه فارسلتها مثلا .

وكانت الزبا قد اتخذت سردابا قد اجرت فيه الماء من قصرها إلى قصراختها فقصد الذي بابه عمرو ، وقد كان وصفه له قصير ووصف له الزبا ، وكانت الزبا ايضاً قد وصف لها عمرو وصورته على كل حالاته تريد بذلك أن تعرفه ، ولتكون كلما نظرت اليه اخذت حـذرها منه ، فلما رأته الزبا عرفته وولت هاربة فلحقها عمرو فلما ايقنت أن لاتفته مصت خاتماً كان في يدها مسموما ، وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو فماتت مكانها .

وقد حكي ان عمروا جللها بالسيف فماتت ، ثم انه استباح بلادها واستولى على ملكها والله اعلم .

﴿ فائدة ﴾

أول من وضع الخط العربي وأقامه ووضع حروفه واقسامه ستة اشخاص من طفيم كانوا نزولا عند عدنان بن ادد وكانت اسماؤهم : ابجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ، فوضعوا الكتابة والخط على اسمائهم ، فلما وجدوا في الالفاظ حروفا ليست في اسمائهم سموها الروادف وهي : الثاء والخاء والذال والضاد والظاء والغين ، على حسب ما يلحق حروف الجمل ، هذا تلخيص ما قيل في ذلك .

وقال في القاموس في باب الدال فصل الباء: وابجد الى قرشت وكلمن رئيسهم ملوك مدين وضعوا الكتابة العربية على عدد حروف اسمائهم هلكوا يوم الظلة ، فقالت ابنة كلمن :

كلمن هدم ركني هلكه وسط المحله
سيد القوم اتاه الحتف ناراً وسط ظله
جعلت نار عليهم دارهم كالمضمحله

ثم وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ فسموها الروادف .

أقول : وهنا بحث مع صاحب القاموس رحمه الله تعالى فتأمله .

قال العلامة المحقق المدقق عمي السيد محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه في حاشيته على القاموس ما هذا نصه : عليه ايرادات من وجوه احدها ان كون اسماء ملوك مدين هذه الالفاظ المستعملة عند الحساب ومعلمي المكاتب المرتبة في الحساب ، ألفها بواحد وباؤها باثنين وجيمها بثلاثة ، ودالها باربعة وهكذا الى الغين بالف خلاف ما قاله أئمة النحو واللغة ونطق به الشعراء .

قال الجميري في شرح الشاطبية وابوجاد وهواز وقرشنات ، هكذا كانت اسماء لملوك مدين وقيل العجم فى وقت نوح «ع» ، ثم ان الحساب أرادوا ان يجمعوا الحروف غير مكررة وبينوا عليها الحساب فاختاروا هذه الاسماء وتقوا كل

حرف كان فيها مكرراً فصارت على هذه الهيئة التي يتفوه ، أي يتكلم بها الحساب ويقرؤها الصبيان في المكاتب ، انتهى .

وهذا تنصيص على ان ابجد الى قرشت بهذه الصورة التي ذكرها مأخوذة من اسماء ملوك مدين بحذف حروف منها إلا انها غير تلك الاسماء . وذكر من تلك الاسماء ثلاثة ، وقد ذكرها بهذه الالفاظ مع باقيها الرضي في شرح الكافية ، وذكرت في التسهيل وشروحه وسنذكر ذلك .

الثاني كلامه يقتضي ان هذه الالفاظ عربية لانه جعلها اسماء ملوك مدين ، ومدين قبيلة من العرب البائدة ، كما في كتب الانساب ، واكد ذلك بشعر بنت كلمن وهو يخالف المنقول عن سيبويه والمبرد والسيرا في قال النجم الرضي في باب العلم من شرح الكافية ، وسيبويه جعل أباجاد وهوازا وحطيا مشددة عربيات فهي منصرفة ، وجعل سعفص وكلمون وقرشنات اعجميات ، فلا ينصرفن ، وانما جعل الاول عربية ، لان اباجاد مثل ابي بكر ، وجاد من الجواد وهوالعطش وهواز من هوز الرجل ، اي مات ، وحطي من حط يحط .

وقال المبرد : يجوز ان تكون كلها اعجميات .

قال السيرافي : لا شك ان اصلها اعجمية لانها كانت قبل ان يقع تعليم الخط بالسريانى ، وقرشنات يدخلها التنوين كما في عرفات ، انتهى كلام الرضي .

الثالث هب ان مذهبه انها اسماء ملوك مدين فهي عربية ، فما كان عليه ان يذكر القول الذي خالفه ، كما هو دأبه وهو قول الجعبري ، وقيل النجم ، وقيل السيرافي ، لا شك ان اصلها اعجمية . . الخ

وإذا ضم قول السيرا في هذا الى نقل كونها اسماء ملوك تعين انها اسماء ملوك اعاجم ، والله اعلم ، انتهى كلامه ، رفع مقامه .

وقيل اول من اتى اهل مكة بكتابة العربية سفيان بن امية بن عبد شمس ! ثم انتشرت .

واستكتب النبي ﷺ عبد الله بن الارقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فكان يجيب عنه الملوك ، وبلغ من الامانة عند النبي ﷺ إلى ان كان يأمره ان يكتب إلى الملوك ، فيكتب ويطين الكتاب ويختمه .

واستكتب زيد بن ثابت فكان يكتب الوحي ويكتب ايضاً للملوك ، وكان إذا غاب عبد الله وزيد فاحتاج إلى ان يكتب كتابا امر من حضر ان يكتب .

وكتب للنبي (ص) عمر بن الخطاب وعلي بن ابى طالب عليه السلام والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن ابى سفيان ، وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهم .

والكاتب عضد معين ، وعون مستعد ، ولا بد للدولة والمملكة منه ، ولا غناء لها عنه .

قيل ان يزيد بن المهلب بن ابى صفرة خرج على بني امية وخطب له بالبصرة وسلمت عليه احدى جواريه بالخلافة ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك بازائه فقال رويدك حتى تنظري عما ينجلي هذا العارض المتألق ، فدست اليه بنو امية رجلا من اكلب ، وكان ذا بأس شديد واقدام مع جهل كثير ، فقتله في بعض خلواته ، فقال شاعر في ذلك :

قتلنا يزيد بن المهلب بعدما تمنيتم ان يغلب الحق باطله
وما كان من أهل العراق منافق على الدين إلا من قضاعة قاتله

ثم صفا الأمر لبنى أمية :

﴿ ترجمة الأديبة الفاضلة السيدة زينب ابنة السيد الجليل ﴾
(محمد بن أحمد بن الإمام الحسن بن على بن داود)
(الحسينية اليمنية المولد)

قال صاحب نسمة السحر في ترجمتها : فاضلة تحلت بالأدب في عصابتها ونظمت ما اشبه حسناً بقلادتها ، فلو رأتها ولادة رامت عن الصواحب العقيمة ، وهتكت

عقودها الشعرية والنحرية قائلة ما الحيلة إلا مثل هذه الخريدة اليتيمة ، او شهدت الكاتبة مرت حلاوتها ، او محبوبة المتوكلية ذهبت طلاوتها ، اشبهت وهي ثالثة القمرين في المعارف رابعة ، خلا انها حلت من سماء الفضل وان كانت شمساً في السابعة ، لم يدر اشعرها أم وجهها ام حليها اجمل ، ولما كانت من الطيبات كتبت وفاتها بالمندل ، فهي للغواني جمال ، ولو كان النساء مثلها لفضلت النساء على الرجال وكانت تعرف النحو والاصول والمنطق ، واشياء من النجوم والرمل والسيميا ، وكانت ترتاض كثيراً آخر أيامها ، وأما الأدب فهي حليته وكانت لطيفة المحاضرة تذاكر بالآداب والعلوم ، ولا يمل حديثها مع العفة والخفر والسكينة ، وشعرها قوي المباني ، له في الفكر فعل المثاني ، وهو كثير في فني العربي والموشح وتزوجها اولا علي بن المتوكل ، ثم فارقها ثم تزوجها غيره .

قال صاحب نسمة السحر : وأنشدني السيد الأديب بدر الدين بن محمد بن علي بن محمد ـ وكان ابن اخيها ـ من شعرها ما كتبته لاخيه اسماعيل وكان وفد اليها إلى شهارة ، ثم أراد المسير إلى علي بن المتوكل وهو باليمن ـ وقد قدمنا ترجمته ـ فارسلت معه قصيدة نظمتها توصيه به ، وذلك بعد أن طلقها بمدة ، وأولها هذا :

اصخ لي أيها الملك الهمام عليك صلاة ربك والسلام
اليك ركائب الآمال أمت تيقن ان مطلبها امام
أتيتك شاكياً من ريب دهر به عز المعين فلا يرام
به عيل الوفاء فلا وفاء به فقد الذمام فلا ذمام
ولا الآباء والابناء فيه ولا الاخوان بينهم التآم
وفدت على كريم اريحي سخي ليس يعروه السآم
يجود بصافنات الخيل تزهو بمسجدها إذا شح اللئام
يجود ببعملات العيس تنؤ باثقال يجاذبها الزمام
بكم لا شك تنتظم المعالي كسلك الدر يجمعه النظام

وأنت ابا الحسين اجل قدراً من الاكفاوان جحدوا ولاموا
علوت عليهم كرما وفضلا وما استوت المناسم والسنام
تلذ لك المروأة وهي توذي ومن يعشق يلذ له الغرام
لقد حسنت بك الأيام حتى كأنك في فم الدهر ابتسام

قلت : البيتان الاخيران من شعر ابي الطيب المتنبي ، ولقد كاد يشتبه شعر هذه العقيلة بشعره .

وما احسن قول مجير الدين بن تميم الدمشقي في تضمين البيت الاخير :

أزهر اللون انت لكل زهر من الازهار تأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى كأنك في فم الدهر ابتسام

وكتبت إلى السيد الأجل ضياء الدين يوسف بن المتوكل تعاتبه :

ما بال اخلاقك تلك الحسان يا بهجة النادي ونور المكان
تنكرت من بعد تعريفها والحال ما امتاز بعطف البيان

وما احلى هذا التوجيه :

أين الصفا والخلق المرتضى حين التداني والزمان الزمان
وفت امام العصر من اذعنت لامره فيما مضى الخافقان
البر اسماعيل ذاك الذي كان من الرحمن حقا معان
من مصرها ألقت مقاليدها اليه والهند واقصى عمان
فرحمة الله على وجهه تنهل ما دارت صروف الزمان
سرعان ما انسيت ذاك الصفا والانس في تلك المغاني الحسان
سقين اياماً بتلك الربى وذلك العهد وذاك الاوان
ما كدر الوصل وغال الوفا وما لذاك الصدق في الود مان
متى ارى حظك يا سيدى يسمو إلى الافلاك ياذا المصان
عيسى الحكيم العدل في امره الراحم الديان ذو الامتنان

مـدبر الامر على ما يشا في كل يوم منه أمر وشان
يقضي لنا بالجمع بعد النوى من أين لي انظركم بالعيان
ودم لكسب العلم ترق العلى حتى تنال السبق يوم الرهان

سبحان مانحها هذه الرقة والانسجام ، وطلاوة اللفظ وحلاوة الـكلام .

قال صاحب نسمة السحر : وسمعت لها بيتاً في التورية فضلت فيه شهارة على صنعاء لانها استوطنت شهارة بسبب ان امها اسماء بنت المؤيد هناك ، ولم اسمع له اولا ، فنظمت له اولا من شعري لاستحسانى له ورعاية لادبها ، ولانها عمة للوالدة من الرضاعة ، وهو :

وقائل لي أراك ليس تشبهها شهارة قلت قف لي واستمع مثلي
أليس صنعاء دون الظهر من ظلع أما شهارة فوق النحر والمقل

ولا نخفي حلاوة النحر والمقل ، وهما بقمة شهارة النحر بابها ، والمقل ماء فيه كروم ومسجد نزه اسفل منه ، والظهر وادي ظهر ، وظلع جمع ظلعة محل قريب من الوادي المذكور به كروم وماء وما رأيت أقوى من هذا التفضيل مع قوة التورية في الأربع المحلات .

ولما مات المتوكل ودعا المنصور القاسم بن المؤيد وهو خالها والمهدي احمـد ابن الحسن قالت تمدح خالها وتعرض بالمهدي :

ان الخلافة زينت اكليلها بالقاسم بن محمد بن القاسم
لا كالذى جعل الجواري همه وشق بحرب امامه من قادم

لانه حارب المؤيد من قبل ، وفي البيت الاول الاستطراد البديعي .

ورأيت في كتاب ميزان السياسة عند قول صاحبه من الـكرم حسن العفو عن سهو الذنوب ، وترك البحث عن نشر العيوب ، بخطها عقدت الـكاتبة سامحها الله هذا الـكلام في متن الـكتاب في العفو وترك تتبع العثرات في هذين البيتين :

من شيمة الحر الـكريم العفو عن سهو الذنوب

ومن المروءة تركه للبحث عن نشر العيوب

وبعدها : كتبته أمة الله الفقيرة الطالبة عفوه ورحمته زينب بنت محمد بن احمد بن الامام الحسن بن علي .

ولها موشح انفس من وشاح الجوزاء ، ولا اقول وشاحها ولم استحضره .

وكانت عالمة اخذ عنها جماعة في اصول الدين كما اخبرني ابن عمي العماد يحيى ابن ابراهيم بن الحسين .

قال صاحب نسمة السحر : ولمحبتها علم السيميا الروحانية عكفت على المندل وارتاضت له فاصابها سكوت ومرض ، الظاهر انه بسبب الروحانية وبقيت ملقاة نحو شهر ، فقدرت وفاة تلك الطيبة بالمندل في شهر المحرم افتتاح سنة اربع عشرة ومائة والف بشهارة رحمها الله تعالى .

وكان آخر من تزوجته طالب بن المهدي ، وكان غدا في اللون والفعل ، فلم ترتض الشمس زحل ، والوردة لا يعاشرها الجعل ، ففارقته فراق الحليلة ذا مناجب بامر ابن زائدة ، ومضى والعين قرحا ببعده حامدة ، والمندل كتاب معروف يتوصل به إلى استحضار الروحانية .

وما احسن قول شهاب الدين الحاجبي المصري من ابيات :

يا صاح عللني بكاس مدامة عن ذكره ان الحبيب معلل

صهباء ان جن الفتى بخمارها فيها شفاء وفي شذاها المندل

والمندل في هذا المعنى احد اصناف العود الهندي وهو اجوده ، ومزاجه حار يابس في الثانية ترياقي يقوى القلب ، ويسكن الخفقان البارد ويقوي الاحشاء ، وينفع الخلفة السوداوية والدماغ البارد وقد يضر المحرور ويصدعه .

وكان والد السيدة زينب فاضلا عالماً ، وله شعر ومصنفات وتولى المدين والمخا وكان جدها الامام الحسن بن علي احد أئمة الزيدية غزير العلم كثير الفضل حليما خليقاً بالامامة ، وما رأيت افصح من رسائله وظهر باليمن وأجابه اهل الجبال ، ثم

اسره الاجناد الروميـة ، وأرسله الوزير سنان باشا مع اولاد مطهر إلى بلاد الروم فاعتقل معهم في يدي قلة ، وانقطع خبره . وقيل انه اعقب هناك والله اعلم .

قال بعض الحكماء : العاقل من كان عقله في ارشاد ، ورأيه في امداد ، فقوله سديد ، وفعله حميد ، والاحمق الجاهل كاسد العقل والرأي فقوله سقيم ، وفعله ذميم

قلت : ولا يكفي في الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحـة سمته ، وتسريح لحيته ، وكثرة ملاقته ، إذ كم من كنيف مبيض ، وجلد مفضض.

قال الاصمعي : رأيت بالبصرة شيخاً له منظر حسن ، وعليه ثياب حسنة ، وحوله حاشية وهرج ومرج وعنده دخل وخرج ، فأردت ان اختبر عقله فسلمت فرد علي السلام ، فقلت له: ما كنية سيدنا ؟ قال : ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين! قال الاصمعي : فقلت له مرحباً بك يا ابن نصف القرآن ، وضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ، ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله، وقد يكون الرجل موسوماً بالعقل ، مرموقاً بعين الفضل ، فتصدر منه حالة تكشف حقيقة حاله وتشهد بحمقه ، وقلة عقله واختلاله .

قال ابن الاعرابي : الحماقة مأخوذة من حمقت السوق إذا كسدت فانه كاسد العقل فلا يشاور ولا يلتفت اليه في امر من الامور ، والحمق غريزة رذيلة لا تنفع فيها الحيلة ، فهي داء ودواؤه الموت ، قال الشاعر :

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة اعيت من يداويها

وقال رسول الله ﷺ : الاحمق ابغض الخلق إلى الله إذ احرمه اعز الاشياء عليه ، وهو العقل .

وقال علي بن الحسين زين العابدين : اياك وصحبة الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك .

وقال عيسى على نبينا وعليه السلام: عالجت الابرص والاكمه فابرأتهما وعالجت الاحمق فاعياني .

قيل : اصطحب احمقان في طريق فقال احدهما للآخر : تعال نتمنى على الله فان الطريق ينقطع بالحديث ، فقال احدهما : اتمني قطائع غنم انتفع بلحمها ودرها وصوفها ونسلها، فقال الآخر : وأنا اتمني قطائع ذئاب ارسلها على غنمك حتى لاتترك منها شيئاً ، فقال : ويحك اين حق الصحبة وحرمة العشرة ! فتصايحا وتخاصما واشتدت بينهما الخصومة وتماسكا بالاطواق ، فرضيا بأول من يطلع عليهما ليكون حكما بينهما فطلع عليهما رجل بحمارين حامل عليهما زقين من عسل فحدثاه بحديثهما فانزل زقي العسل وفتحهما حتى سال العسل جميعه على التراب ، ثم قال : صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا احمقين ، فقالا له : الاحمق من سيب بضاعته .

ويستدل على الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية ، لان مخرجها من الدماغ فمن افرط في طول اللحية قل دماغه ، ومن قل دماغه قل عقله فهو احمق .

وأما صفته من حيث الافعال : فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب من غير تأمل وسرعة الالتفات والخلو من العلم والعجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة .

ومن علامة الاحمق انه ان استغنى بطر وان افتقر قنط ، وان قال افحش ، وان سئل بخل ، وان سأل ألح ، وان قال لم يحسن ، وان قيل له لم يفقه ، وان بكى صرخ ، وان ضحك قهقه !

وممن ذكر بالحذق والرأي : قيل ان القاضي اياس بن معاوية كان من اكابر العقلاء ، وكان عقله يهديه إلى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها ، وقد قدمنا في هذا الكتاب شمة من خبره ، وكان من جملة الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح ، والفكر القادح ، انه كان بالبصرة رجل مشهور بين الناس بالامانة ، فاتفق ان رجلا أراد ان يحج فاودع عند ذلك الرجل كيسا فيه جملة دراهم من الذهب ، فلما عاد من الحج جاء إلى ذلك الرجل يطلب منه كيسه فانكره وجحده ، فجاء إلى القاضي اياس وقص عليه القصة ، فقال له القاضي : هل اخبرت

أحـــد غيري ؟ قال: لا ، قال : فهل علم الرجل انك اتيت إلي ؟ قال : لا ، قال : انصرف واكتم امرك ثم عد لي غـداً مبكراً ، فانصرف ، ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له : قـد حصل عندي من الأموال ما لا يحصى وأردت ان اودعها عندك ، فاذهب وهيء لي موضعاً حصيناً فمضى ذلك الرجـل وحضر الرجل صاحب الوديعة ، فقال له : القاضي اياس : امض إلى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدك فقل له نمضي انا وأنت إلى القاضي اوالحاكم ، فلما جاء دفع اليه كيسه فجاء إلى القاضي واعلمه بذلك وشكره ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء إلى القاضي اياس طامعاً في تسليم المال اليه ، فسبه القاضي وابطل أمانته وقوله ، فـكانت هذه مما تدل على عقل القاضي اياس وصحة تدبيره .

قيل : لما قال ابو تمام في المأمون العباسي :

اقدام عمرو في سماحة هاشم في حلم احنف في ذكاء اياس

قيل له : ان الخليفة فوق من مثلته بهم ، فقال مرتجلا :

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شروداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

﴿ معنى قوله تعالى : الله نور السموات والأرض ﴾

اشارة إلى قوله تعالى (الله نور السموات والارض) يعني هادي اهـــل السموات والارض ، ويقال معناه ولكن يهدي من يشاء كما بين في آخر الآية (يهدي الله لنوره من يشاء) ويقال معناه الله منور السموات والارض ، أما السموات : فنورها بالشمس والقمر والـكواكب ، وأما الارض : فنورها بالعلماء والعباد بدليل قوله تعالى (مثل نوره) فاضاف النور اليه ، وبدليل ما قال في سياق القصة (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) .

وروى عن ابى العالية قالـ ، معناه الله منور قلوب أهـل السموات وقلوب

أهل الأرض بالمعرفة والتوحيد ، يعنى من كان أهـلا للايمان ، ثم قال : مثل نوره يعني مثل نور معرفته في قلوب المؤمنين كمشكاة فيها مصباح يعنى مثل كوة فيها سراج ، ويقال المشكاة الكوة التي ليست بنافذة ، وهى بلغة أهل الحبشة .

وروي في قراءة ابن مسعود مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة فيها مصباح ثم وصف فقال المصباح في زجاجة ، يعنى كمثل سراج في قنديل في كوة في بيت فكذلك الايمان والمعرفة في قلب المؤمن ، والقلب في الصدر ، والصدر فى الجسد ، فشبه القلب بالقنديل ، وشبه الماء الذي في القنديل بالعلم ، وشبه الدهن بالرفق وحسن المعاملة ، وشبه الفتيلة باللسان ، وشبه النار بالخوف ، وقوله في زجاجة أي في قلب مضيء .

ويقال : انما شبه القلب بالزجاجة لأن ما في الزجاجة يرى من ظاهر ، ويتبين ذلك في أعضائه ، ويقال : ان الزجاجة تسرع الكسر بادنى آفة تصيبها ، فكذلك القلب أدنى آفة تدخل فيه فانه يفسد ثم وصف الزجاجة فقال الزجاجة كأنها كوكب دري يعني استنار القنديل لضياء الزجاجة كأنها كوكبدري ـ من قرأ بضم الدال ـ فهو منسوب إلى الدر ، أي يشبه في ضوئه الدر ، ومن قرأ بكسر الدال يعنى الذي يدرأ عن نفسه ، يعني لا يكاد يقدر اليه النظر من شدة ضوئه ، يوقد هذا المصباح من شجرة أي ابتداء تقويه من زيت شجرة الزيتون ، يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة المنافع ، او لانها انبتت في الارض التي بارك الله فيها للعالمين .

وقيل بارك فيها سبعون نبياً ، منهم ابراهيم عليه السلام زيتونة بدل من شجرة نعتها (لا شرقية ولا غربية) أي منبتها الشام ، يعنى ليست من المشرق ولا من المغرب ، بل في الوسط منهما ، وهو الشام ، وأجود الزيتون زيتون الشام ، وقيل : ليست ممن تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط ، بل تصيبها في الغداة والعشي جميعاً ، فهي شرقية غربيـة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، وصف الزيت بالصفاء ، وانه لتلألؤه يكاد يضيء من غير نار نور على نور ، أي هـذا

النور الذي شبهه الحق جل وعلا نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق بقية مما يقوى النور ، وهذا لان المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينتشر فيه ، والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة ، وكذلك الزيت وصفاؤه ، وضرب المثل بدني محسوس معهود لعلي غير معاين ولا مشهود يهدى الله لنوره ، أي لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده ، أي يوفق لاصابة الحق من يشاء من عباده بالهام من الله اوبنظره في الدليل ، ويضرب الله الامثال للناس تقريباً إلى افهامهم ليعتبروا فيؤمنوا والله بكل شيء عليم ، فيبين كل شيء بما يمكن ان يعلم به ، انتهى .

اللهم نور قلوبنا بنور معرفتك ، ولا تقنطنا من رحمتك ، يا ارحم الراحمين يا رب العالمين .

﴿ ترجمة أبي الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ﴾
(ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين)
(ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام)
(أحد الأئمة الإثنى عشر)

قال ابن خلكان قال الخطيب في تاريخ بغداد : كان الامام موسى الكاظم يدعى العبد الصالح ، لعبادته واجتهاده .

وروي انه دخل مسجد رسول الله ﷺ فسجد سجدة في أول الليل وسمع وهو يقول في سجوده : عظم الذنب عندي فليحسن العفو من عندك ياأهل التقوى ويا اهل المغفرة ، فجعل يرددها حتى اصبح .

وكان سخياً كريم النفس ، وكان يبلغه عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها الف دينار ، وكان يصر الصرر من اربعمائة دينار ، وثلاثمائة دينار ، ومائتي دينار ، ثم يقسمها بالمدينة .

وكان يسكن المدينة فاقدمه المهدي العباسي بغداد وحبسه ، فرأى الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وهو يقول له : يا محمد فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم !

قال الربيع : فارسل إلي المهدي ليلا فراعني ذلك ، فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية : وكان احسن الناس صوتاً ، فقال علي بموسى بن جعفر فجئته به ، فقام اليه وعانقه وأجلسه إلى جنبه وقال له: ياابا الحسن اني رأيت امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في النوم وهو يقرأ علي هذه الآية أفتؤمنني ان لا تخرج علي ولا على احد من اولادي ، فقال : والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني ، قال : صدقت ، يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده إلى اهله إلى المدينة .

قال الربيع: فاحكمت امره ليلافما اصبح إلا وهوفي الطريق خوفاً من العواتق وأقام في المدينة إلى ان استخلف هارون الرشيد بن المهدي ، فقدم هارون منصرفا من عمرة شهر رمضان سنة تسع وتسعين ومائة فحمل معه موسى الكاظم إلى بغداد وحبسه بها إلى ان مات في محبسه .

وذكر ايضاً ان هارون الرشيد حج وأتى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه موسى ابن جعفر «ع» فقال هارون : السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمي ، افتخاراً على من حوله ، فقال الامام موسى الكاظم : السلام عليك يا ابت ، فتغير وجه هارون وقال : هذا الفخر يا ابا الحسن . انتهى كلام الخطيب .

وقال ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي في كتاب مروج الذهب في اخبار هارون الرشيد : ان عبد الله بن مالك الخزاعي كان على دار هارون وشرطته قال : اتاني رسول هارون الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط ، فنزعني من موضعي ومنعني من تغيير ثيابي ، فراعني ذلك فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم فعرف الرشيد خبري فاذن لي في الدخول عليه ، فدخلت فوجدته قاعداً على مصلاه فصليت فسكت ساعة ، فطار عقلي وتضاعف الجزع علي ، ثم قال لي : يا عبد الله

هل تدري لم طلبتك في هذا الوقت ؟ فقلت : لا والله يا امير المؤمنين ، فقال : انى رأيت في نومى الساعة كأن الحسين بن علي بن ابى طالب عليه السلام قد اتانى ومعه حربة فقال : ان خليت عن موسى بن جعفر وإلا لطعنتك بهذه الحربة ! فاذهب فخل عنه ، قال : فقلت له مستفهما يا امير المؤمنين الساعة اطلق موسى بن جعفر ـ ثلاثاً ـ قال : نعم ـ ثلاثاً ـ امض الساعة فاطلقه وأعطه ثلاثين الف درهم وقل له ان احببت المقام عندنا فلك ما تحب ، وان احببت المضى إلى اهلك فالاذن في ذلك اليك ، قال فلما مضيت إلى الجسر لاخرجه فلما رآني الامام موسى بن جعفر وثب إلي قائماً وظن انى قد امرت فيه بمكروه ، فقلت له: لا تحزن ولا تخف فقد امرني باطلاقك وانى دافع اليك ثلاثين الف درهم ، وهو يقول لك ان احببت المقام عندنا فلك عندي ما تحب ، وان احببت المضي إلى اهلك بالمدينة فالاذن لك في ذلك ، واعطيته ثلاثين الف درهم وخليت سبيله وقلت له : لقد رأيت من امرك عجباً ؟ قال : فانى اخبرك بينما انا نائم إذ اتاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي : يا موسى حبست مظلوماً فقل هذه الكلمات فانك لاتبيت الليلة في الحبس ، فقلت بأبى انت وامى يارسول الله ما اقول ؟ قال : قل يا سامع كل صوت ويا سابق كل فوت ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت أسألك باسمائك الحسنى وباسمك الاكبر الاعظم المكنون المخزون الذى لم يطلع عليه احد من المخلوقين ، يا حليما ذا أناة لا يعجز عن اناة ياذا المعروف الذي لا ينقطع ابداً ولا يحصى عدداً فرج عني فكان ما رأيت .

وله اخبار ونوادر كثيرة ، وكانت ولادته يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر سنة سبع وعشرين ومائة ، وقال الخطيب سنة ثمان وعشرين ومائة بالمدينة المنورة ، وتوفى لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وقيل : ست وثمانين ومائة ببغداد ، وقيل : انه توفى مسموما من الرشيد .

وقال الخطيب : توفى بالحبس ، ودفن في مقابر الشونيز خارج القبة ، وقبره مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه من قناديل الذهب والفضة وانواع الآلات

والفرش ما لا يحـد ، وهو في الجانب الغربي عليه السلام ، جعلنا الله من المحبين له ولآبائه الكرام .

وكان الموكل به ايام حبسه ابن شاهك السندي جد كشاجم الشاعر المشهور والله اعلم واحكم .

﴿ لطيفة ﴾

جاء بعض المجانين إلى بعض القضاة فقال : يا سيدي امرأتي قحبانا ، فقال : طلقانا ، قال : عشقانا ، قال : قودانا .

قيل : رفعت امرأة زوجها إلى بعض القضاة تبغي الفرقة ، وزعمت ان زوجها يبولـ في الفراش كل ليلة ، فقال الرجل للقاضي : لا تعجل يا سيدى علي حتى اقص عليك قصتي ، انى ارى كل ليلة في منامى كأنى في جزيرة في بحر وفيها قصر مرتفع ، وفوق القصر قبة عالية ، وفي القبة جمل وأنا على ظهر ذلك الجمل وان الجمل يطأطيء رأسه ليشرب من البحر ، فاذا رأيت ذلك بلت من شدة الخوف فلما سمع القاضى ذلك بال في ثيابه ، وقال: يا هذا أنا قد اخذنى البول من هول حديثك فكيف بمن رأى ذلك الامر عياناً يبول ثم يبول ، إذهبا عني .

﴿ ذكر نوادر أهل حمص ﴾

وحكي ان تاجراً عبر حمصاً فسمع مؤذناً يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأهـل حمص يشهدون ان محمداً رسول الله ، فتعجب التاجر من ذلك وقال : والله لامضين إلى الخطيب واسأله عن هذا الامر ، فجاء اليه فرآه قد أقام الصلاة وهو يصلي على فرد رجـل ، ورجله الأخرى متلوثة بالعذرة ، فتعجب من ذلك أيضاً ، ومضى إلى المحتسب ليخبره بالخبر فسأل عنه ، فقالوا : هو بالجامع الفلاني يبيع الخمر فمضي اليه فوجده جالساً وبين يديه باطيـة مملوءة بالخمر وفي حجره مصحف ، وهو

يحلف للناس بحق المصحف ان الخمر صرف ليس فيها ماء ، وقد ازدحمت عليه الناس وهو يبيع ، فقال : والله لامضين إلى القاضي واخبره ، فجاء إلى القاضي ودفع باب المحكمة فانفتح ، فوجد القاضي نائماً وعلى ظهره غلام يفعل به ، فقال الرجل : لعن الله أهل حمص وقلب عاليها سافلها ، فقال له القاضي : لم تقول هذا الكلام ، فاخبره بجميع ما رأى ، فقال القاضي : اسمع يا جاهل أما مؤذننا فانه كان حسن الصوت ليس مثله في البلد ، وقد مرض فاستأجرنا يهوديا يؤذن لنا لحسن صوته ، فهو يقول ماسمعت . وأما الخطيب فانهم لما أقاموا الصلاة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت عن غسلها فاخرجها من الصلاة واعتمد على رجله اليسرى ، ولما فرغ غسلها ، وأما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا كرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره ويبيعه خمراً ويحلف للناس على المصحف انه غير مشوب بالماء لتزول الشبهة عن قلوبهم ، ثم يصرف ثمن ذلك الخمر في مصالح الجامع ، وأما انا فان هذا الغلام مات ابوه وخلف له مالا كثيراً ، وقد حجبه وكيله وقد كبر الغلام وجاء إلي بجماعة يشهدون انه بلغ الاحتلام ، ويطلب ماله من وكيله ، فاردت ان اختبر في ذلك لأعرف هل بلغ ام لا ، فخرج التاجر من البلد وهو يلعن ، وحلف ان لا يعود اليها طول عمره .

وحمص هذه مدينة عظيمة بينها وبين دمشق مائة ميل ، وارض حمص خمس من اخماس الشام ، وهي مدينة ليس لها سور ، وحصنها في وسطها ولا يدخلها حية ولا عقرب ، واول من ابتدأ الحساب أهلها لانهم كانوا تجاراً ، وبها نهر عظيم منه يدخل اهلها .

افتتحها ابو عبيدة بن الجراح وفيها نظافة وملاحة إلا ان اهلها موصوفون بالحماقة كما تقدم لك ، حتى ان اهل بغداد إذا عبروا عن الاحمق قالوا حمصي ونوادرهم كثيرة .

ذكروا ان واحداً من علمائهم قال لآخر : عليك بالسنة حتى تدخل الجنة

قال : وما السنة ؟ قال : حب ابى بكر بن عفان ، وعمر بن الصديق ، وعثمان بن الفاروق ، وعلي بن ابى سفيان ، ومعاوية بن ابى طالب ، فقال له صاحبه : من معاوية بن ابى طالب ؟ قال : كان صلى الله عليه وسلم رجلا عابداً من حملة العرش وكاتب المؤمنين وحامل لواء الوحي ووصي النبى صلى الله عليه وآله وسلم على ابنته عائشة جدة فاطمة الزهراء .

ومات لقاضي حمص ولد فلما أراد ان يدفنه قال للحفار أضجعه على جنبه الايسر فانه يهضم الطعام ، وأهل حمص مع ذلك احمق اهل نجدة لمجاورتهم العدو .

وقال بعضهم : دخلت حمص فرأيت رجلا جالساً بباب الجامع على كرسى وعليه عمامة كبيرة محتبك بها على قلنسوة ، وقد لبس فروة مقلوبة ، وهو بلا سروال ، وقد تقلد بسيف وفي حجره مصحف يقرأ فيه ، وعنده كلب رابض ممسك بعقوده فسلمت عليه فرد علي السلام ، فسألته هل صلى الناس ؟ فقال لي : انت اعمى ما ترانى قاعداً على الكرسى ، فقلت له : ومن انت ؟ قال : انا ابو خالد امام الجامع فقلت له : ما هذه الضوضا والجلبة ؟ قال : ورد علينا رجل زنديق يقرأ السبع الطوال ويسب ابابكر الصناديقي ، وعمر الفواريقي وعثمان بن ابى سفيان ، ومعاوية ابن عفان الذي هو من حملة العرش وزوجه النبي صلى الله عليه وآله ابنته عائشة في زمن الحجاج ، فاستولدها الحسن والحسين ، فقلت له ماعرفك بالانساب ؟ فقال وما خفي عنك اكثر ! فقلت له : أتحفظ القرآن ؟ قال : نعم ، قلت ، اقرأ لنا شيئاً منه ، فقال ، بسم الله الرحمن الرحيم ، إذ قال لقمان لابنه يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً فمهل الكافرين امهلهم رويداً ، قال فصفعته صفعة حتى رميت عمامته عن رأسه ، فصاح فأتى الناس إلي افواجا فلزموني وقال لهم ، امضوا به إلى المحتسب ، فأتوا بى اليه فنظرت اليه ، فاذا هو رجل طويل مكشوف الرأس حافي الاقدام قد لبس دراعة وهو بلا سروال ، فلما نظر اليهم وإلي قال لهم ما فعل هذا ؟ قالوا له قد صفع امام المسجد ، فنظر إلي شزراً وقال يا مسكين قد

اهلكت نفسك والله ، قلت الحكم لله ، فقال لي انما أحب اليك قلع عينك ام قطع يديك ام تدفع نصف درهم وتخلص نفسك ، قال فرفعت يدى وصفعت المحتسب صفعة اشد من صفعة الامام ، ثم اخرجت درهما ، وقلت خذ هذا الدرهم يا سيدي نصفه لامامك ونصفه لك وانصرفت سالماً غانما .

وقال بعض الشعراء في اهل حمص :

كأنهم اهل حمص لا عقول لهم بهائم غير معدودين في الناس

قالت الحكماء : من ادب ولده صغيراً سره كبيراً ، ومن ادب اولاده ارغم حساده .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما من لم يجلس في الصغر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يحب .

ويروى العلم في الصغر كالنقر في الحجر ، والعلم فى الكبر كالكتابة على الماء .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ومن اخبار الهزليات في اخبار المعلمين للصبيان ، قيل طلب الربيع حماد عجرد ليؤدب ولده ، فكتب اليه بشار بن برد :

يا ابا الفضل لا تنم وقع الذئب في الغنم
ان حماد عجرد ان رأى غفلة هجم
بين فخذيه حربة في غلاف من الادم
ان خلا البيت ساعة نقط الميم بالقلم

فطرده الربيع .

وقيل : كان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت رضى الله عنه جميل الوجه جداً فدخل عليه عبد الصمد بن عبد الاعلى معلم الوليد بن هشام ، وكان زنديقاً فراوده عن نفسه فسبه سعيد وخرج مغضباً فدخل على هشام وانشده :

انه والله لو لا انت لم ينج مني ابداً عبد الصمد

فقال هشام : ولم قال ؟

انه قد رام مني خطة لم يرمها قبله مني احد

فقال هشام : وما هي ؟ قال :

رام جهلا بي وجهلا بأبي يدخل الافعى إلى غيل الاسد

فضحك هشام وقال : لو قتلته لم انكر عليك .

قلت : لله در سعيد هذا فقد ابدع في كنايته واستعارته ، ولا عجب فانه من بيت ثلاثة شعراء في نسق ، وكان شعره هذا سبب ابعاد عبد الصمد من تأديب أولاد الخلفاء .

فلما كان سادس شوال عام الف ومائة وستة وثلاثين من هجرة النبي المفضال خرجنا من برهانبور إلى بندر سورت المعمور ، وكان الطريق مخوفا ، فمشينا مرحلة ثم اخذنا رفيقاً من الغنيم ، شيطاناً رجيم ، وجعلنا له سبعين روبية هندية ، على ان يوصلنا إلى بندر سورت المحمية ، والرفيق يسمونه نايك ، اوقعه الله في المهالك فلم نزل نسير في بلاد الغنيم ، ولم نر منهم ما نكره ، بسبب الرفيق الذي اخذناه بالاجرة ، فررنا على بلدة نيابور ، بلدة للغنيم معمور ، وقد كانت للسلطان فملكها الغنيم في هذا الزمان ، فخرج الينا بيلوجي مقدم الغنيم في موكب عظيم ، وحصل لنا منه التعظيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وارسل صحبتنا ثلاثة خيالة ، وثلاثة رجالة ، وامرهم ان يوصلونا إلى بندر سورت ، ولم يأخذوا منا درهما ولا دانق ، والحمد للخالق الرازق .

فلما اسفر صبح تاسع عشر شوال دخلنا بندر سورت في أسر حال ، ونزلنا في دار بحارة مرجان شامي ، وزالت عنا الهموم والاوصاب ، واجتمعنا بالاصدقاء والاحباب ، والحمد لرب الارباب .

من تفسير ابي علي الطبرسي عند قوله تعالى : (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) .

اختلف العلماء في معنى قوله تعالى (بجهالة) على وجوه ، أحدها : ان كل معصية يفعلها العبد جهالة ، وان كانت على سبيل العمد ، لانه يدعوه اليها الجهل ويزينها له .

عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وقتادة ، وهو المروي عن ابي عبد الله « ع » قال : كل ذنب عمله العبد وان كان عالماً به فهو جاهل ، حين خاطر بنفسه في معصيته

فقد حكى سبحانه وتعالى قول يوسف « ع » لاخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه إذ أنتم جاهلون) فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم في معصية الله تعالى .

وثانيها : ان معنى (بجهالة) انهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة ، كما يعلم الشيء ضرورة من الضراء .

وثالثها ان معناه : انهم يجهلون انها ذنوب ومعاصى فيفعلونها أما بتأويل يخطؤن فيه ، وأما بان يفرطوا في الاستدلال على قبحها .

عن الجبائي وضعف الرماني هذا القول بانه خلاف ما اجمع عليه المفسرون ولانه يوجب ان لايكون لمن علم انها ذنوب توبة ، لان قوله تعالى (انما التوبة) يفيد انها لهؤلاء لا لغيرهم ، والله اعلم بالصواب .

من الكافي في باب المعيشة في باب عمل السلطان عن ابي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) قال : الرجل يأتي السلطان فيحب بقاءه إلى ان يدخل يده إلى كيسه فيعطيه .

في آخر المجلس السادس والسبعين من (أمالي ابن بابويه) كتب هارون الرشيد إلى ابى الحسن موسى الكاظم عليه السلام المتقدم ذكره : عظني وأوجز ، قال : فكتب اليه ما من شيء تراه عينك إلا وفيه موعظة .

سئل الشيخ ابو سعيد عن التصوف ، فقال : استعمال الوقت بما هو اولى به وقيل : التصوف هو الانقلاع عن العلائق ، والانقطاع إلى رب الخلائق .

كتب بعض امراء بغداد على باب داره شعراً .

ومن المروة للفتى ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها واعمل لدار الآخره
هاتيك وافية بما وعدت وهذي ساخره

ولابن زبلاق في غلام مليح معه خادم يحرسه :

ومن عجب ان يحرسوك بخادم وخدام هذا الوجه من ذاك اكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر وخدك يا قوت وخالك عنبر

من كلام افلاطون: سرك عورة من عوراتك فلا تبذله إلا لمأمون عليه البتة

ومن كلامه : احفظ ناموسك يحفظك .

ورأى رجلا ورث من ابيه ضياعا فاتلفها في مدة يسيرة ، فقال : الارضون تبتلع الرجال ، وهذا الرجل يبتلع الارضين .

ومن كلام سقراط : لا تظهر لصديقك المحبة دفعة واحدة ، فانه متى رأى منك تغيراً عاداك .

ومن كلام فيثاغورس : إذا أردت أن يطيب عيشك فارض من الناس أن يقولوا انك عديم العقل ، بدل قولهم انك عاقل .

كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويتحلف له ليحمل اليه مائة الف في البر ومائة الف في البحر ، فاراد عبد الملك ان يكتب اليه جوابا موجزاً شافياً ، فكتب إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ان يكتب إلى محمد بن الحنفية رضى الله عنه كتابا يتهدده فيه ويتوعده بالقتل ، وان يرسل اليه ما يجيبه به ، فكتب الحجاج اليه ، فاجابه محمد بن الحنفية رضى الله عنه بقوله : ان لله تعالى في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة إلى خلقه ، وأنا أرجو أن ينظر إلي نظرة يمنعني بها منك ، فبعث الحجاج بهذا الجواب إلى عبد الملك ، فكتبه عبد الملك إلى ملك الروم ، فلما قرىء عليه قال : والله ما خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة !

قال بعض الحكماء : الحذر من اتخاذ الاصدقاء والاخلاء .

وقال بعض الزهاد : لو ان الدنيا ملئت سباعا وأفاعي ما خفتها ، ولو بقي فيها واحد من الناس لخفته .

وقالوا : استعيذوا بالله من شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر .

وقال بعض الحكماء : ما بقي في الناس غير حمار راح او كلب نابح ، او أخ فاضح .

وقال ابو الدرداء : كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه.

وقال بعض الحكماء : احذر الناس فما ركبوا سنام بعير إلا ادبروه ، ولا ظهر جواد إلا عقروه ، ولا قلب مؤمن إلا خربوه .

وقال خالد بن صفوان : الناس اصناف فمنهم كالكلب لا تراه طول الدهر إلا هراراً على الناس ، ومنهم كالخنزير لا تراه إلا قذراً ، ومنهم كالفرد تراه يضحك من نفسه .

وقال الامام جعفر الصادق عليه السلام : أقلل المعارف وانكر من عرفته من الناس .

وقال بعض الصالحين البلغاء : بلوت الناس طراً فلم اجد إلا من يرى الحق باطلا ، والباطل حقاً ، واللئم مرفوعا ، والكريم ملقاً ، والنصح غشاً ، والغش نصحاً ، والمدح هجاء ، والهجاء مدحاً ، وفي ذلك :

تساوى أهل دهرك في المساوي فما يرجون للامر النجيح
وصار الناس كلهم جميعاً فما يستحسنون سوى القبيح
وصار الجود عندهم جنوناً فما يستعقلون سوى الشحيح
وكانوا يغضبون من الاهاجي فصاروا يغضبون من المديح

وقال بعض الخلفاء يصف اخواناً له : احظى الناس لديهم من احسن اليهم ، فان قصر عنهم رفضوه وذموه وأبغضوه ، أن حضر داهنوا ، وان

غاب شاحنوا :

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا شراً أذاعوه وان لم يسمعوا كذبوا

ولقد احسن في التحذير من قال :

اياك ان تصطفي ممن ترى احداً ولا تثق بامرىء في حالة ابداً

من عاش منفرداً لم يأته ندم على اتخاذ صديق في الانام غدا

وقال سفيان الثوري للحسن البصري : دلني على من اجلس اليه ، قال : تلك ضالة لا توجد ، فقيل له : ما الصديق ؟ قال : اسم وضع على غير مسمى ، وحيوان غير موجود ، قال الشاعر :

سمعنا بالصديق ولا نراه على التحقيق يوجد في الانام

واحسبه مقالا نفقوه على وجه المجاز من الكلام

وقال الامام علي عليه السلام : الوحشة من الناس على قدر المعرفة بهم .

وقال وهيب بن الورد : صحبت الناس منذ خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر زلة ، ولا أقال عثرة ، ولا ستر عورة .

وقال علي عليه السلام : إذا كان الغدر طبعاً فالثقة بكل احد عجز .

قال الشاعر :

أما الوفاء فشيء قد سمعت به وما وجدت له عيناً ولا اثرا

فمن توهم في الدنيا أخا ثقة فانه جاهل لا يعرف البشرا

وقال آخر :

لك الخير ما في الناس من هو منصف وكل وداد فهو منهم تكلف

وكل وان عاهدته فهو ناقض لعهدك او واعدته فهو يخلف

وأبناء هذا الدهر كالدهر لم يشق به وبهم إلا جهول مسوّف

قلت : لقد صدق والله هذا الشاعر في هذا الكلام ، وما بقي في دهرنا هذا إلا كل ثقيل احمق نمام .

وما احسن ما قيل في ثقيل :

وثقيل إذا تخفف يوما كان ثقل الجبال طولا وعرضا
شكت الارض من جفاء وقالت يا إلهي حملت ارضك ارضاً

وقال آخر :

وثقيل بدالنا صير الافق مظلماً
دار للشرق وجهه حول الغرب للسما

وكان سليمان بن مهران الاعمش إذا رأى ثقيلا قال: ربنا اصرف عنا العذاب انا مؤمنون .

وكان ابوهريرة إذا رأى ثقيلا او استثقل رجلا قال اللهم اغفر له وارحنا منه

وقال سليمان بن مهران الاعمش : من فاتته صلاة الصبح فليلمن ثقيلا .

وقال ايضاً : ما رأيت ثقيلا إلا وشكت عيني ثقله .

وقال بعض الملوك لبعض الاطباء : جس نبضي ؟ فجسه وقال : مزاجك معتدل إلا انى ارى فيك تكديراً ، فهل جالسك اليوم ثقيل ؟ قال : نعم ، قال : هذا سببك .

وقيل لارسطا طاليس : لم صار الثقيل أثقل من الحمل الثقيل ؟ قال : لان الحمل تشترك الاعضاء في حمله ، والثقيل ينفرد القلب بثقله .

وقال بختيشوع للمأمون لا تجالس الثقلاء ، فان الفلاسفة قالوا : مجالسة الثقلاء حمى الروح .

وقال رجل لابى العيناء : ان الله لم يأخذ من عبد كريمتيه إلا عوضه خيراً منهما ، فما الذي عوضك ؟ قال : انى لا ارى ثقيلا مثلك .

ونظم ابو علي الحسن بن ابى الطيب الباخرزي أبياتاً في امام ثقيل ما وجد من جوره مقيل ، وهى :

وأثقل روحا من خفاف عقنقل أخف دماغاً من جنوب وشمأل

يؤم بنا في الخمس قطع خمسه وام بصخر حطه السيل من عل
يطيل قياماً في المقام كأنه منارة قس راهب متبتل
ويفحش في القرآن لحناً كأنما يشد بامراس إلى صم جندل
فقلت له لما تمطى بصلبـــه واردف احجاراً وناء بكلـكل
وزاد ابن عمي ركعة في صلاته وقد فاض حتى بل دمعي محملي
ألا ايها الشيخ المطيل صلاته ألم يكن التسليم منك بأمثل

ودخل ثقيل على الصاحب بن عباد فاطال الجلوس وابرم في المحادثة ، فكتب الصاحب رقعة وأعطاه اياها فاذا فيها مكتوب :

ان كنت تزعم ان الدار تملكها حتى تقوم وتبغي غيرها دارا
او كنت تعلم ان الدار املكها فقم لكي تذهب الاشجان والعارا

وقيل في رجل ثقيل : له جسم كالجبال وروح كالجبال .

وقال آخر في رجل وابيه :

ألا يا ثقيل الروح وابن ثقيلها ارى الثقل طبعاً في ابيك وفيكا
ابوك امام الناس في الثقل مقتدى وانت ولي العهد بعد ابيكا

وقصد حماد الراوية دار مطيع بن اياس فحجب عنه فكتب اليه يسأله الدخول عليه

هل لذي حاجـة اليك سبيل لايطيل الجلوس فيمن يطيل

فاجابه لما قرأ كتابه :

انت ياصاحب الكتاب ثقيل وكثير من الثقيل الفليل

وقال الناجم يذم ثقيلا :

ياقوة الناس ويا ضعف الامل ياحيلة المملق اعيته الحيل يازحل الدهر ومريخ الدول

وقيل : فـلان ثقيل من موت الخناق ، وكتاب الطلاق ، وفقد الحبيب ، وطلعة الرقيب ، فلان اشد من خراج بلا غلة ودواء بلا علة ، فلان وخز في الفؤاد وسقم في الاجساد ، والله ما الحمام مع الاضرار ، وكثرة الديون مع الافتقار ،

وشدة السقم في الاسفار ، بآلم من لقائه :

وثقيل أمر من غصص الموت ومن كربة العذاب الاليم
لو عصت ربها الجحيم لما كان سواه عقوبة للجحيم

ووصف بعض الناس ثقيلا فقال : لا ارى كيف لا تحمل الامانة ارض حملته وكيف احتاجت إلى الجبال بعد ما اقلته كأنما قربه فقد الحبائب ، وسوء العواقب وكأنما وصله عدم الحياه ، وموت الفجاه :

إذا ما تبدى طالعاً فكأنه حضور غريم او طلوع رقيب
وان جاء نحوي قاصداً فكأنه كتاب بعزل او فراق حبيب

قال المحقق الطوسى في التحرير : إذا قام عمودان متساويان على خط ، ووصل طرفاهما بخط آخر كانت الزاويتان الحادثتان بينهما متساويتين .

مثلا : قام عمود أب ح٦ المتساويان على ب٦ ووصل أ ح فحدث بينهما زاويتان ب أ ح ٦ ح أ فهما متساويتان ، وفضل أ٦ ب ح متقاطعين على ٥ فيكون في مثلثى أب٦ ح٦ب ضلعا أب ب٦ وزاوية أب٦ القائمة مساوية لضلعي ح٦ ٦ب وزاية ح٦ب القائمة كل لنظيره ، ويقتضي ذلك تساوى بقية الزوايا والاضلاع النظائر ، وبتساوي زاويتي أ٦ب ح ب٦ يكون ب٥ ٥٦ متساويين ، ويبقى أ٥ ح٥ متساويين ، فيكون زاويتا ٥أ ح ٥ ح أ متساويتين وكانت زاويتا ٦أب ب ح٦ متساويتين ، فيكون جميع زاوية ب أ ح مساوية لجميع زاوية ٦ ح أ ، انتهى كلام المحقق الطوسى .

وقال العلامة المحقق المدقق الشيخ بهاء الدين محمد العاملي المتقدم ذكر ترجمته ما هذا لفظه وبوجه آخر إذا كان مثلثا أب٦ ح٦ب متساويين ، فمثلثا أ٥ب ح٦٥ ايضاً متساويان لتساوي زاويتي ب أ٥ ب٥أ وضلع أب لزاويتي ٦ ح٥ ٥٦ ح وضلع ٦ ح وبتساوي ضلعا أ٥ ح٥ فزاويتا أ ح متساويتان بالمأمونى ويلزم ما اردناه .

ثم اقول وبوجه آخر وهو : انه إذا تساوى مثلثا أب٦ ح٦ب واسقطنا المشترك

وهو مثلث ب٦٥ ، بقي مثلثا أ٦٥ ح٦٥ متساويين ويلزم منه تساوي زاويتي أ ح .

ثم اقول وبوجه آخر، بشكل آخر وهو ان تنصف ب٦ على٥ وتصل أ٥ ح٥ فضلعا أب ب٥ ، وزاوية ب كضلعي ح٦ ٥٦ وزاوية ٦ ، فزاويتا ب أ٥ ٦ ح٥ متساويتان ، وكذلك ضلعا أ٥ ح٥ ، فزاويتا ٥أ ح ٥ ح أ متساويتان بالمأموني . فمجموع زاوية ب أ ح تساوي مجموع زاوية ٦ ح أ ، وذلك ما أردناه . وهذا الوجه اخصر من وجه المحرر بكثير كما لا يخفى فافهم والله بكل شيء عليم .

﴿ ترجمة أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي ، وزير معز الدولة ﴾

قال الثعالبي في يتيمة الدهر : هو من ولد قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة كان من ارتفاع القدر واتساع الصدر ، ونبل الهمة وفيض الكف ، وكرم الشيمة على ما هو مشهور ومذكور .

وأيامه معروفة في وزارته لمعز الدولة ، وتدبير امور العراق ، وانبساط يده في الاموال مع كونه غاية في الأدب والمحبة لاهله . وكان يترسل ترسلا مليحاً وينظم الشعر قولا لطيفاً ، يضرب بحسنه المثل ، ولا يستحلى معه العسل يغذي الروح ، ويجلب الروح كما قال بعض اهل العصر :

بأبي من إذا أراد سر وري عبرت لي انفاسه من عبير
وسباني ثغر كدر نضيد تحته منطق كدر نثير
وله طلعة كنيل الاماني او كشعر المهلبي الوزير

قال الثعالبي حدثني ابو بكر الخوارزمي وابو نصر سهل بن المرزبان وابو الحسن المصيصي دخل حديث بعضهم في بعض فزاد ونقص ، قالوا : كانت حالة المهلبي الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسي منها قذي عينيه

وشجى صدره ، فبينما هو ذات يوم في بعض اسفاره مع رفيق له من اصحاب الجراب والمحراب ، إلا انه من اهل الآداب ، يقال له ابو عبد الله الصوفي ، وقيل ابو الحسين السفلاني إذ لقي في سفره نصباً ، واشتهى اللحم ، فلم يقدر على ثمنه فقال ارتجالا في ذلك .

ألا موت يباع فاشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه
ألا موت لذيذ الطعم يأتي يخلصني من العيش الكريه
إذا ابصرت قبراً من بعيد وددت لو انني مما يليه
ألا رحم المهيمن نفس حر تصدق بالوفاة على اخيه

فاشترى له رفيقه لحماً بدرهم واحد كي يسكن به رمقه وتحفظ الابيات وتفارقا ، وضرب الدهر ضرباته حتى ترقت حال المهلبي إلى اعظم درجة من الوزارة فقال :

رق الزمان لفاقتي ورثى لطول تحرقي
وانالني ما ارتجي وأذال مما اتقي
فلأصفحن عما جناه من الذنوب السبق
حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كلكل من كلاكل الدهر ثقل عليه بركه ، وهاضه تركه فقصد حضرته وتوصل إلى ايصال رقعة تتضمن ابياتاً ، منها :

ألا قل للوزير فدته نفسي مقالة مذكر ما قد نسيه
اتذكر إذ تقول لضنك عيش ألا موت يباع فاشتريه

فلما نظر فيها تذكره ، وهزته اريحية الكرم للحنين اليه ، ورعاية حق الصحبة فيه ، ومشى على حكم من قال :

ان الكرام إذا ما ايسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشن

وأمر له عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع في رقعته : (مثل الذين ينفقون

اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملا يرتفق به ويرتزق منه .

قال الثعالبي ونظير البيتين قول بعضهم :

قل للوزير أدام الله دولته أذكرتنا زمناً والخبز خشكار
إذ ليس في الباب بواب لخدمتكم ولا حمار ولا في الشط طيار

وحكى ابواسحاق الصابي في كتاب التاجي قال : كان لمعز الدولة ابى الحسين غلام تركى يدعى تكيز الجامدار ـ بالقاف العجمية ـ أمرد رومى الوجه منهمك في الشرب لا يعرف الصحو ولا يفارق اللعب واللهو ، ولفرط ميل معزالدولة اليه وشدة اعجابه به جعله رئيس سرية جردها لحرب بنى حمدان .

وكان المهلبي يستظرفه ويستحسن صورته ، ويرى انه من عدد الهوى لا من عدد الوغى فقال فيه :

ظبي يرق الماء في وجناته ويرق عوده
ويكاد من شبه العذارى فيه ان تبدو نهوده
تاطوا بمعقد خصره سيفاً ومنطقة تؤده
جعلوه قائد عسكر ضاع الرعيل ومن يقوده

فما اسرع من ان كانت الدائرة على هذا القائد وخرج الامر على ما اشار به الوزير المهلبى ، ومما يستحسن في هذا المعنى قول ابن المعتز في وصف خادم :

عجبت لتأمير الرجال مقرطقاً ينوء بخصر في الفباء هضيم
يذكر عزاب الجيوش إذا بدا بخد كعاب او بمقلة ريم

قال الثعالبى وذكر الصابى ان اباعيينة المهلبي الذي استفرغ تشبيهه في صاحبته دنيا من عمومة الوزير ، وكان الوزير المهلبي يحفظ اكثر اشعاره ويتأسف على ما فاته من زمانه ، فمنها قوله :

اني وصلت مفاخري لاب حاز الفخار وطاول العليا

واجاب داعيه وخلفني وحديثه فكأنما يحي
وتلوت عمى في تغزله وشربت ريا من هوي ريا
فكأنني أهوى صبابته وكأنها في حسنها دنيا

وقوله لما تقلد الوزارة :

لقد ظفرت والحمد لله منيتي بما كنت اهوى في الجهارة والنجوى
وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته من الارض فاستقررت في الرتب العليا
وقلبت من شعر العبيني حلة تعاون فيها الطبع والمهجة الحرا
فحركني عرق الوشيجة والهوى لعمي واملت بي إلى الرحم القربى
فيا حسرتا ان فات وقتي وقته ويا محنة تمضي وتتبعها اخرى
ويا فوز نفسي لو بلغت زمانه وبغيته دنيا وفي يدي الدنيا
فملكته من اهل دنيا وأرضها ففاز بما يهوى وفوق الذي يهوى

ما اخرج من شعره في وصف كتاب لابن العميد ، فمن ذلك قوله :

ورد الكتاب مبشراً قلبي بأولاد السرور
وفضضته فوجدته ليلا على صفحات نور
مثل السوالف والخدود البيض زينت بالشعور
بنظام لفظ كالثغور وكالعقود على النحور
انزلته في القلب منزلة القلوب من الصدور

وقوله :

وصل الكتاب طليعة الوصل بغرائب الافضال والفضل
فشكرته شكر الفقير إذا اغناه رب العرش بالبذل

وقوله من اخرى :

ورد الكتاب فديته من وارد فله بقلبي من حياتي مورد
فرأيت درآ عقده متنظما في كل فصل منه فضل مفرد

ما اخرج له في الغزل وغيره ، فمن ذلك قوله :

أرانى الله وجهك كل يوم صباحا للتيمن والسرور
وامتع ناظري بصفحتيه لاقرا الحسن من تلك السطور

وقوله :

يا هلالا يبدو فيزداد شوقى وهزاراً يشدو فيزداد عشقي
زعم الناس ان رقك ملكي يكذب الناس انت مالك رقى
قال لي من احب والبين قدجد ودمعي مواصل بالشهيق
ما الذي في الطريق تصنع بعدي قلت ابكي عليك طول الطريق

وكانت ولادته ليلة الثلاثاء لاربع بقين من المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين بالبصرة ، وتوفى يوم السبت لثلاث بقين من شعبان سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة في طريق واسط ، وحمل إلى بغداد فوصل اليها ليلة الاربعاء لخمس خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ودفن بمقابر قريش في مقبرة النوبختية .

والمهلبي ـ بضم الميم وفتح الهاء وتشديد اللام المفتوحة وبعدها باء موحدة ـ وهذه النسبة إلى المهلب بن ابى صفرة .

ولما مات الوزير المذكور رثاه ابو عبد الله الحسين بن حجاج الشاعر المشهور بقوله :

يا معشر الشعراء دعوة موجع لا يرتجى فرج السلو لديه
عزوا القوافي بالوزير فانها تبكي دما بعد الدموع عليه
مات الذى امسى الثناء وراءه والعفو عفو الله بين يديه
هدم الزمان بموته الحصن الذي كنا نفر من الزمان اليه
فليعلمن بنو بويه انه فجعت به ايام آل بويه

كان في جبل لبنان رجل من العباد منزويا عن الناس في غار في ذلك الجبل ، وكان يصوم النهار ويأتيه كل ليلة رغيف يفطر على نصفه ويتسحر على النصف

الآخر ، وكان مقيما على ذلك الحال مدة من الزمان لا ينزل من ذلك الجبل أصلا ابداً فاتفق انه انقطع عنه الرغيف ليلة من الليالي فاشتد جوعه وقل هجوعه ، فصلى العشاء وبات تلك الليلة في انتظار شيء يدفع به الجوع فلم يتيسر له شيء .

وكان في اسفل ذلك الجبل قريه سكانها نصارى ، فعند ما اصبح العابد نزل اليهم فاستطعم شيخاً منهم فاعطاه رغيفين من خبز الشعير ، فاخذهما وتوجه إلى الجبل وكان في دار ذلك النصراني كلب اجرب مهزول فلحق العابد ونبح عليه وتعلق باذياله ، فالقى اليه العابد رغيفاً من الرغيفين ليشتغل به عنه ، فاكل الكلب ذلك الرغيف ولحق العابد مرة اخرى واخذ في النباح عليه والهرير ، فألقى اليه العابد الرغيف الآخر ، فاكله ولحق به مرة ثالثة واشتد به هريره وتشبث بذيله ومزقه فقال له العابد : سبحان الله انى لم ار كلباً أقل حياء منك ، أن صاحبك لم يعطني إلا رغيفين وقد اخذتهما مني فماذا تطلب بهريرك وتمزيق ثيابي . فانطق الله الكلب فقال له لست أنا قليل الحياء ، اعلم انني ربيت في دار هذا النصراني احرس غنمه واحفظ داره واقنع بما يدفعه لي من خبز او عظام وربما نسيني فابقى أياما لا آكل شيئاً بل ربما يمضى علينا ايام لا يجد هو شيئاً لنفسه ولا لي ، وأنا مع ذلك لم افارق داره منذ عرفت نفسي ولا توجهت إلى باب غيره بل كان دأبي انه إذا حصل لي شيء شكرت وإلا صبرت ، وأما انت فبانقطاع الرغيف عنك ليلة واحدة لم يكن عندك صبر ولا كان لك تحمل حتى توجهت من باب رزاق العباد ، إلى باب نصراني كثير الفساد ، وطويت كشحك عن الحبيب ، وصالحت عدوه المريب ، فقل أينا أقل حياء أنا أم أنت ؟ فلما سمع كلامه العابد ضرب على رأسه بيديه وخر مغشياً عليه ، وتاب إلى الله الكريم من ذنبه فتاب عليه .

اللهم تب علينا وعلى امة محمد اجمعين بحرمة حبيبك محمد وآله الطاهرين وصحبه الميامين أجمعين آمين .

﴿ سؤال لبعض أهل الذمة ، وجوابه لبعض علماء الاسلام ﴾

سؤال لبعض أهل الذمة يتعلق بمسئلة القدر والأفعال الصادرة من الموجودات ، وهو :

أيا علماء الدين ذمي دينكم تحير دلوني بأوضح حجة
إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
دعاني فسد الباب دوني فهل إلى الدخول سبيل بينوا لي قضيتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا فها أنا راض بالذي فيه شقوتي
فان كنت بالمقضى يا قوم راضياً فربي لا يرضى بشؤم بليتي
وهل لي رضى ما ليس يرضاه سيدي وقد حرت دلوني على كشف حيرتي
إذا شاء ربي الكفر مني مشيئة فها انا راض باتباع المشيئة
وهل لي اختيار ان اخالف حكمه فبالله فاشفوا بالبراهين علتي

أقول قد وقع الاختلاف في هذه المسألة بين مذهب الجبرية ، ومذهب الشيعة ، ومذهب السنة ، ومذهب إمام الحرمين ، ومذهب الاستاذ ابى اسحاق ، ومذهب القاضى الباقلانى .

فالجبرية قالوا : لا فاعل إلا الله سبحانه والعبد مجبور في جميع افعاله واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (والله خلقكم وما تعملون) وقوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ومثل ذلك من الآيات المصرحة بعدم اختيار العبد في كل شيء وعليهم رداً واعتراضات كثيرة ليس هذا موضعها .

والشيعة قالوا : ان للعبد قدرة مؤثرة مستقلة بها يخلق افعاله ، واستدلوا بدليل عقلي ، قالوا : ان القول بالجبر مكابرة للمحسوس ، والقول بقول السنة يلزم عدم قيام الحجة لله على خلقه ، فالحق ان للعبد قدرة مؤثرة بها يخلق افعاله إذ لو لم تكن له لبطل التكليف والتأديب ، وارتفع المدح والذم والثواب والعقاب ، ولم يبق

للبعث فائدة ، وعليهم اعتراض من طرف السنة يطول شرحه .

والسنة قالوا : ان للعبد قدرة حادثة غير مؤثرة في الفعل بها يصح منه اختيار الفعل والترك ، واستدلوا بان علم الله الازلي تابع لمعلومه الازلي ، فرتبة المعلوم سابقة على العلم ، فالله سبحانه وتعالى علم الاشياء بجميع ما هي عليه وأبرزها في الوجود طبق ما علم لكون العلم تابعاً للمعلوم الذي هو ما هيات الموجودات ، فاعطى كلاماً علمه منه لا تبديل لما علم ولا تغيير .

وامام الحرمين قال : ان للعبد قدرة مؤثرة لكن تأثيرها بالايجاب والاضطرار ويلزمه مالزم الجبرية فانه ينظر إلى المحرك لهذه القدرة ويتسلسل فيه فاما ان ينتهي إلى القدرة القديمة ، فيرجع إلى انها هي التي حركته او لا يرجع فيلزم التسلسل إلى غير نهاية فانحصران المحرك له هو القدرة ، الازلية ، فاذن لا تقوم بفعله لله عليه حجة ويبطل التكليف ويرتفع به المدح والذم والثواب والعقاب فيلزمه ما لزم من تقدم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

والاستاذ ابو اسحاق قال : ان المؤثر مجموع القدرتين في اصل الفعل ، وهذا المذهب يلزمه القول بالجبر وضياع التكليف مثلا إذا أراد الله تحريك جسم وأراد زيد سكونه ، فاما ان يقع المرادان معاً وهو ظاهر الاستحالة او لا يقع شيء منهما وهو مستحيل لامتناع خلو الجسم عن الحركة والسكون او يقع احدهما ، فيلزم الترجيح بلا مرجح لان التقديران القدرتين مؤثرتان .

والقاضي الباقلاني قال : ان المؤثر قدرة الله تعالى في اصله وقدرة العبد في وصفه ، ومثل لذلك بضرب اليتيم تأديباً او ايذاء ، فان اللطمة وقعت بقدرة الله تعالى وكونها طاعة او معصية بقدرة العبد وهذا أيضاً يلزمه ما لزم من تقدم فانه لو تعلق علم الله باحد الوصفين فلا بد ان يقع فصار مجبوراً وان كان ليس مستقلا بها بل هي لله سبحانه فيلزمه ما لزم الجبرية ، انتهى .

وما اقول في هذه المسألة إلا ما نطق به الحديث النبوي في آخر حديث

ابي أمامة الباهلي (يعمل كل قوم لما خلقوا له أهل الجنة بعمل أهل الجنة وأهل النار بعمل أهل النار) انتهى .

وذكر الامام الغزالي في الاحياء : انه نقل في الاخبار السالفة ان نبياً من الانبياء شكا إلى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشرين سنة فما اجابه ، ثم اوحى اليه كم تشكوني ولست اهلا للذم والشكوى وانت احق بالذم والشكوى هكذا كان بدؤك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض ، وهكذا سبق لك مني ، وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا ، افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ؟ أم تريد ان ابدل ما قدرت عليك حتى يكون ما تريد دون ما اريد وما تحب دون ما احب ، وعزتي وجلالي لئن اختلج هذا في صدرك مرة اخرى لأمحونك من ديوان النبوة ، فهذه الآيات والاحاديث تفيد أن الاصل هو سابقة العلم لا بالافعال .

وقال الامام الاشعري : ان الله سبحانه وتعالى قادر على ان يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ، لكن أراد يكونوا كافرين كما علم فان الارادة تابعة للعلم ولا يريد إلا ما علم ، انتهى .

وأما سؤال الذمي المذكور آنفاً فقد اجاب عنه شخينا امام اهل العرفان وخلاصة الصوفية اولياء الرحمن المحقق المدقق العلامة الفهامة مولانا الشيخ محمد بن ابن احمد عقيلة الاحمدي الشناوي الصوفي الحنفي المكي نفعنا الله به وبعلومه بجوابين شافيين . احدهما نظما والثاني نثراً ، فالنظم هو هذا :

ألا أيها الذمي من جاء سائلا هديت إلى برهان قطعي حجتي
صدقت بأن الله قاض بكفركم ولكنه لم يرض ذاك بجملة
دعاك وما سدت عليك مسالك واعطاك طبق العلم فارجع بحسرة
فاحسانه ما سد يا ذا وإنما حقائقكم لا تقبلن للمليحة
قضى ربنا فيكم بعلم لذاتكم فابرز كم من غيبة للشهادة

فكم قابليات لذاتك اقبلت بكفر وعصيان وقبح وفتنة
وارجع على نفس وقل ان ربنا حكيم وما يقضي سوى طبق حكمة
قضى فاستحقت ذاتنا للذي قضى لما سبقن في علم رب البرية
وانك راض ان ربي هو الذي قضى بشقائي غافلا عن حقيقتي
وذلك زور ان تأملت صادقا فما اعطاك ربي طبق علم بحكمة
وصلى إلهي بالشؤون جميعها على جامع الاسماء ذخري وعمدتي
وآل كرام شرفوا باتباعه واصحابه اهل التقى والمروة

والنثر هو هذا :

اعلم أن علم الله سبحانه وتعالى هو اول المراتب ، وقضاء الله تابع لعلمه ، ولما علم الله سبحانه ان الخلق على قسمين ، قسم علمهم باستعداد الايمان والرحمة وقسم علمهم بضد ذلك ، فقضى على كل بطبق ما علم ، فقوله :

إذا ماقضى ربي بكفري بزعمكم ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

ليس بين قضاء الله ورضاه تلازم فان قضاء الله تابع لعلمه ، وعلمه تابع للمعلوم الذي هو استعداد ما هيات الاشياء ، فأوجد الله الكافر وقضى عليه طبق ما علمه فيه من الاستعداد لئلا ينقلب العلم جهلا ، فليس بين قضائه ورضاه تلازم لما تقرر ، وقوله : دعاني وسد الباب إلى آخره . . . دعاه سبحانه إلى الايمان لتقوم عليه الحجة ، ان لم يؤمن بأن ما علمناه منك لا يتغير ، وما سد دونه الابواب لكن ليس في استعداده المعلوم لله الا عدم الدخول ، فلم يظلمه سبحانه وتعالى بل اعطاه ماهو فيه ، وقوله : قضى بضلالي ، ثم قال ارض بالقضا ، إلى آخره ، يقال له : ان كان رضاك بالقضاء من حيث ان الله سبحانه وتعالى انما قضى عليك لكونه علم انك لا تقبل غير ذلك وان هذا هو استعدادك فلا بأس فيرجع اللوم عليك والحجة لله عليك وان كنت راضياً بالقضاء بحيث انه فعل معك ما لا تستحقه ، فهذه زيادة على الكفر نسبتك الحق للظلم ـ تعالى الله عن ذلك ـ وهذا هو السبب

في لعن ابليس ، ولهذا السر منع الشرع الاحتجاج بالقدر ولما فيه من نسبة القبح إلى الله سبحانه وتعالى ، فينبغي ان الانسان لا ينظر إلى ماقدر عليه إلاوينظر ان الله سبحانه وتعالى علم ان هـذا هو استعداده فيرجع على نفسه على القدر ، فان القدر تابع للعلم ولذا رد الله سبحانه على القائلين ، وقال (الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) حيث احتجوا بمشيئة الله ولم ينظروا إلى ماوراء ذلك من سبق العلم الازلي بأنهم مااستعدوا إلا لما شاء الله فيهم فهم وان كانوا صادقين في انه لايمكن ان يكون شيء إلا مشيئة الله سبحانه وتعالى كما قال (وما تشاؤن إلا ان يشاء الله لـكن غلطوا وكذبوا) حيث جعلوا السبب هو المشيئة والقضاء والقدر ولم يجعلوه استعدادهم الـكفر في العلم الازلي ، وقوله : فان كنت بالمقضى إلى آخره ، يقال له ان كان رضاك بالمقضى على جهة انك لا تستحقه ولم تستعده ماهيتك ، فهذا لايرضى به الله لـكونه كذبا عليه وزوراً فان الله ما اعطاك إلا ما تستحقه ذاتك وما علمه في قابليتك .

روي ان ابليس قال يارب كيف تأمرني بالسجود لآدم وما اردته مني ؟ فقال الله له : هل علمت ذلك قبل الامتناع أم بعده ؟ فقال : بعده ، فقال : بذلك آخذتك ، يعني آخـذتك باسناد الامتناع إلى ارادتي خصوصاً وأنت لم تطلع على ذلك إلا بعد فكان المطلوب منك ان تعرف انى لم أرد بك ذلك إلا لـكون استعدادك لذلك فتلوم نفسك ولاتسند الامتناع إلى ارادتي ، فكذلك رضي القائل بالمقضي على جهة اسناد الامتناع إلى ارادة الله ، هو المأخوذ به ، وقوله : فهل رضي إلى آخره نعم ليس لنا ان نرضى مالا يرضى سيدنا سبحانه وتعالى وقد تقدم ان الله لايرضى الـكفر ولا يرضى ان يرضاه العبد ، ولا يرضى ان يسنده إلى قضائه من غير نظر إلى استحقاقه ذلك لما في ذلك من اسناد الظلم اليه سبحانه وتعالى ، وقوله: إذاشاء مني الـكفر إلى آخره ، هـذا مثل الاول وهو قوله : إذا ما قضى ربي ، فان كان الرضى بمشيئة الله لـكونها تابعة لعلمه سبحانه وتعالى الذي انكشف فيه استعداد

كل مخلوق ثم شاء ذلك كما علمه ثم ابرزه كما شاءه ، فتكون الحجة لله واللوم على نفسه لكونه سبحانه وتعالى ما شاء منه إلا ما علمه في استعداده ، وقوله وهل لي اختيار ان اخالف حكمه إلى آخره ، ليس لاحد ان يخالف حكم الله ، ومن قال : بالقدرة فقد كفر بالله سبحانه وتعالى ومع ذلك فلله الحجة عليه كما تقدم ، انتهى كلامه رفع مقامه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وانصاره وحزبه ، والحمد لله رب العالمين .

ويعجبني قول ابى اسحاق الصابى وقد جمع ضروبا مما يعظمه أهل كل ذي دين ويدين به ، وهو :

كل الورى من مسلم ومعاند ... للدين منه فيك اعدل شاهد
فاذا رآك المسلمون تيقنوا ... حور الجنان لدي النعيم الخالد
وإذا رأى منك النصاري ظبية ... تعطو ببدر فوق غصن رائد
اثنوا على تثليثهم واستشهدوا ... بك إذ جمعت ثلاثة في واحد
وإذا اليهود رأوا جبينك لا معاً ... قالوا لدافع دينهم والجاحد
هذا سنا الرحمن حين ابانه ... لكليمه موسى النبي العابد
وترى المجوس ضياء وجهك فوقه ... مسود فرع كالظلام الراكد
فتقوم بين ظلام ذاك ونور ذا ... حجج اعدوها لكل معاند
اصبحت شمسهم فكم لك فيهم ... من راكع عند الظلام وساجد
والصابئون يرون انك فردة ... في الحسن اقراراً لفرد ماجد
كالزهرة الزهراء انت لديهم ... مسعودة بالمشتري وعطارد
فعلى يديك جميعهم مستبصر ... في الدين من غاوى الطريق وراشد
اصلحتهم وفتنتني وتركتني ... من بينهم اسمي بدين فاسد

﴿ فائدة في الكلام على لسان الوحوش مع بعضها ﴾

فائدة ذكرها ابن الجوزي في كتاب الاذكياء ، والحافظ ابو نعيم في حلية الاولياء قال : مرض الاسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب فقال الاسد للذئب: إذا حضر الثعلب فاعلمني، فلما حضر اعلمه بذلك، فقال له الاسد: أين كنت يا ابا الفوارس ؟ قال : كنت أتطلب لك الدواء ! قال : فاى شيء اصبته ؟ فقال : قيل لي خرزة توجد في عرقوب ابى جعدة ! ـ يعنى الذئب ـ لانه يكنى بابى جعدة ، قال : فضرب الاسد بيده عرقوب الذئب فادماه ، فلم يجد شيئاً ، فخرج ودمه يسيل على رجليه ، وانسل الثعلب من بين يدى الاسد ، فمر به الذئب فناداه الثعلب يا صاحب الخف الاحمر إذا قعدت عند الملوك فانظر ما ذا يخرج منك ، فان المجالس بالامانات .

وقيل : خرج الاسد والذئب والثعلب للصيد فاصطادوا حماراً وضباً وغزالا ثم جلسوا فقال الاسد للذئب اقسم علينا ، فقال : حمار الوحش لي ، والغزال لابى الحارث ، والضب للثعلب ، فضربه الاسد بيده على رأسه فرماه ، وقال للثعلب : اقسم بيننا ، فقال الثعلب حمار الوحش لابى الحارث يتغداه ، والغزال لابى الحارث يتعشاه ، والضب فيما بينهما ، فقال الاسد : لله درك ما اعرفك بالفرائض من علمك هذا القضاء ، قال علمنيه القضاء الذي نزل برأس الذئب .

وقيل : ان الثعلب مر عند الفجر بديك يصيح على رأس شجرة فاتى عليه وقال : أما تنزل نصلي انا وأنت صلاة الصبح ؟ فقال له : الديك : ان الامام نائم خلف الشجرة فايقظه ، فنظر الثعلب فرأى خلف الشجرة كلباً كبيراً نائماً ! فضرط الثعلب وولى هاربا ، فناداه الديك تعال حتى نصلي ، فقال : قد انتقض الوضوء فاصبر حتى اجدد واعود اليك !

وذكر المبرد في الكامل: ان صديقاً له اصطاد ارنباً وله ذكر وفرج ، وقيل

التقطت الارنب ثمرة فاختلسها الثعلب فلطمته ولطمها فانطلقا يختصمان إلى الضب فقالت الارنب : يا ابا حنبل ، فقال : سميعاً دعوت ، قالت : اتيناك لنختصم ، قال عادلا اتيتما ، قالت : فاخرج الينا ، قال : في بيته يؤتى الحكم ، قالت : اني وجدت ثمرة ، قال : حلوة فكليها ، قالت : فاختلسها مني الثعلب ، قال لنفسه اراد الخير ، قالت : فلطمته ، قال : بحقك اخذت ، قالت فلطمني ، قال : حر انتصر ، قالت فاقض بيننا ، قال : قد قضيت ، فذهبت اقواله مثلا !

ومن عجائب حكمة الخلاق الرزاق في قسمة الارزاق ، ان الذئب يصطاد الثعلب فيأكله ، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله ، والقنفذ يصيد الحية فيأكلها ، والحية تصيد العصفور فتأكله ، والعصفور يصيد الجراد ، والجراد يصيد الزنبور والزنبور يصيد النحلة والنحلة تصيد البعوضة ، والبعوضة تصيد النملة ، والنملة تصيد كل ما تيسر لها من صغير وكبير ، فتبارك الملك الكبير .

فلما اسفر وجه الصباح بالتهاني عن رابع عشر ربيع الثاني سنة الف ومائة وسبع وثلاثين من هجرة الرسول الامين ، رحلنا من بندر سورت بندر الاجواد إلى مدينة الخير احمد آباد صحبة الجناب المستطاب ، التاجر الرئيس صاحب الخلق والخلق النفيس الحاج عبد النبي بن الحاج كاظم الدرويش وصهره الشيخ علي الكربلائي ، والجناب التاجر المكرم الحاج حسن الدورقي ، فمررنا في طريقنا على اكايسر وبروح وبرودة ـ وقد سبق ذكر هذه البلدان ـ ثم انا رحلنا من برودة فسلكنا طريقا يقال له بانكانير ، وهو طريق نحس صعب لا به بركة ولا خير سوى القتل والحرب ، والطعن والضرب من لئام الكفرة الكولية الانجاس الحربية ، ولم اعرف لهؤلاء الكولية مذهباً من مذاهب الكفار ، وهم ألعن جنس في كفرة الهند سرقة اشرار فمشينا مرحلتين في ارض هؤلاء الكفرة برب المشرقين والمغربين ثم اتينا في ثالث اليوم على نهر عظيم يقال له نربدة فاتى الينا الكولية ، واخذوا من القافلة جملة من الروبيات الهندية ، حتى انهم رضوا بأن نعبر النهر ، فعبرنا

قريب العصر بالف تعب وضجر، فلم نشعر إلا وقد وصل الينا جماعة من الطرف الآخر واخبروا أن في الطريق قوماً غيرهم ينتظرون وصول القافلة لينهبوها فاخذوا ايضاً من القافلة دراهم معدودة على انهم يسيرون بها من طريق آخر فادركنا الليل وبتنا في بعض قراهم ، ونلنا المشقة التامة من اذاهم، وكانت لنا معهم ليلة يالها من ليلة أمر من الليلة الملسوع ، لم تأخذ عيننا فيها الهجوع ، ثم رحلنا عند الصباح، ونحن موقنون بذهاب الاموال والارواح فخرجنا من ارضهم عند الزوال وكفى الله المؤمنين القتال ثم اتينا على قرية من قرى اولئك الملاعين ، الكفرة الشياطين ، وحاكم تلك القرية يسمى بانوحي ، فخرج الينا ذلك اللئيم ، بجمع من الكولية عظيم وأراد نهب القافلة فاعطيناه شيئاً من المال ، وصارعنا بلا حرب ولا نزال ، ثم اتينا عند الغروب على بلدة يقال لها تريار وهي من البلدان السلطانية ، سالمة من الاذية ، من الكفار الكولية بلدة لطيفة ، وبها يصطنع حلوى المشبك الظريف ، ونوع آخر باللبن الحليب يسمى كدوا وهو شيء لطيف ، فبتنا بها ليلتنا وقلنا نهارنا ، ثم بتنا .

فلما اصبح الصباح ، رحلنا منها وقد زالت الاتراح فلم نزل نسير في امان ، بين بلدان السلطان ، وأتينا على قرية لطيفة تسمى محمود آباد .

فلما كان عصر ثالث وعشرين من ربيع الثاني دخلنا بعون مقيل العثرات ، مدينة كجرات ، فرأيتها مدينة جليلة ، عظيمة مثيلة ، كثيرة الخيرات ، نامية البركات ، بمنظرها البديع تسبيك . قال لي بعض من رأى مصر انها اكبر من مصر بلا تشكيك ، بناها السلطان احمد احد ملوك الهند غير التيمورية وهي تنسب اليه وقيره بها وهو من الرخام اللطيف المنقوش بعجائب النقش الملون ، بغرائب الالوان ، وعليه قبة بناؤها عجيب ، صنعة حكيم لبيب ، وله مزار عظيم ، وخيرات عظيمة ، تقسم كل يوم على الفقراء والمساكين إلى زماننا هذا ، وعلى المدينة سور رفيع مكين وحصن منيع حصين ، والمدينة على نهر عظيم ، وبها القصور العالية ، والبدور المنيرة السامية والاسواق العامرة العظيمة والنعم الوافرة العميمة والبساتين

والاشجار والورود والازهار والمياه والاطيار ، وبها الانب الفاخر الذي عرفه كالمسك والعنبر ضائع يرد الشيخ الى المراضع ، ويباع بثمن بخس ويجلب منها إلى سائر البلدان القماش الفاخر من سائر الاشكال والالوان كالقطني والكمخاب ، وما اشبه ذلك .

واليها ينسب الولي العارف بالله تعالى الشيخ هارون الكجراتي صحب الشيخ الولي الخواجة معين الدين الجشتي المدفون بازمير مدينة من مدن الهند المشاهير وتوفى الشيخ هارون المذكور بمكة المشرفة وقبره بسوق الليل تحت دار الشريف احمد بن حازم وعليه قبة وله مزار وهو إلى الآن يزار وينسب اليها الولي العارف بالله العالم العلامة الشيخ على المتقي الكجراتي توفى بمكة المشرفة ودفن بالمعلاة ، وله ذرية في مكة المشرفة إلى الآن ، فنزلت في (كوتة بارجة) يعنى حارة الفرضة بدار السيد الكريم الماجد الشهيم اللطيف الحبيب ، الحسيب النسيب ، الخل الصادق الوفي الذي حديث جوده مشهور في الانام غير خفي ، مولانا وعزيزنا السيد يوسف بن الرئيس الجليل الكريم النبيل السيد محمد النجفي وقد كان هذا السيد مشهوراً بالكرم وفعل الخيرات والاحسان ، لا يسمح بمثله الزمان داره مأوى الضيوف ، وهو بحسن الاخلاق والشيم معروف وموصوف وما برح في رياسة قعساً ، يزداد كرماً وهمة كلما اصبح وامسى ، إلى ان دعاه إلى قربه مولاه ، فاجابه من بندر ديول ولياه رحمه الله ، وكانت وفاته عام الف ومائة وتسع وثلاثين ، من هجرة النبي الامين ، وهذا حال الدهر يلقط الجواهر الجياد ، ويدع الاوغاد .

ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقى الذين حياتهم لا تنفع

واجتمعت بحاكم كجرات عم الوزير نظام الملك الامير حامد خان ، وبالامير المظفر المعان ، شجاعت خان ، وباخيه الفارس الكريم المشهور الامير رستم علي خان وباخيه الشجاع الكريم قلي خان ، وبامير الجليل الكريم النبيل ، الرئيس المثيل ، الذي لم يسمح بمثله الزمان ، الامير الخطير مهر علي خان ، وبولديه الكرام ، الامير

أشرف الدين خان ، والامير خانه زاد علي خان وبالرئيس التاجر صاحب الفضل علينا والاحسان ، الشيخ عبد الستار بن المرحوم ميا عثمان ، وبالجناب التاجر الذي من بخله العقل يطيش الحاج كاظم الدرويش ، وبالتاجر الرئيس الحاج صالح الاصفهاني فاكرمني ورعاني ، وقضيت بحمد الله من احمد اباد جميع المصالح على ما يهوى المراد والحمد لله على كل حال انه كريم متعال .

﴿ ترجمة أبي الحسن الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم ﴾
(ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن)
(الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام)

كان قد زوجه المأمون بابنته ام حبيب ، وجعله ولي عهده ، وقد قدمنا ذكر بيعة المأمون له في هذا الكتاب بتمامها ، فلا حاجة إلى اعادتها ، وكانت ولادته يوم الجمعة في بعض شهور ثلاث وخمسين ومائة ، وتوفي في آخر صفر سنة اثنتين ومائتين وقيل في خامس ذي الحجة ، وقيل ثالث عشر ذى القعدة سنة ثلاث ومائتين بمدينة طوس ، سمه المأمون ، وقد تقدم ذكر ذلك ، وفيه يقول ابو نواس رحمه الله تعالى :

مطهرون نقيات جيوبهم تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا
من لم يكن علويا حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر
الله لما برى خلقاً واتقنهم صفاكم واصطفاكم ايها البشر
فانتم الملأ الاعلى وعندكم علم الكتاب وماجاءت به السور

وفضائل علي بن موسى الرضا ليس لها حد ولا يحصرها عد ، ولله الامر من قبل ومن بعد ، وقد ذكر بعض فضائله ومعجزاته الشيخ محمد بن الحسن الحر في ارجوزة له في ديوانه اختصرنا منها قوله ، فقال واحسن في المقال ، ورحمه الله الكريم المتعال :

وقبره في طوس مشهور بها وهل يكون مثله مشتبها

اولاده ست وقيل خمس هم الكرام الاكرمون الخمس
محمـــد وحسن وجعفر ثم حسين كلهم قد ذكروا
كذاك ابراهيم والصبية عايشة عن الخنا ابيـه
والنص من ابيه والاجداد عليه ظاهر لذي السداد
تواتر اتى وكم من معجز أظهره مقتدراً لم يعجز
سقوطه في بركة السباع من غير ماخوف ولا ارتياع
فخضعت له وما آذته وقصدت خصما له افتته
أعنى بذاك زينب الكذابه وكم دعا ففاز بالاجابه
ورفع الريح له الاستارا فارغم الفساق والفجارا
وفي حديث دعبل عجائب يفهمها عقل الصحيح الصائب
أخبرهم من خبر الوفاة بما جرى من المغيبات
وهي كثيرة من العجائب اكثرها من اغرب الغرائب
وكم وكم رووا له كرامه ومعجزا دل على الامامه
كلفه المأمون بالخلافـه فعافها ونعم ما قد عافه
فاكره الرضا بجهده على ولاية العهد فكرها قبلا
اخبره بانـه سينقتل من قبله بسمه ثم قتل
وقال لا يتم هذا الامر لنا كما دل عليه الجفر
كذا بدفنه مع الرشيد اخبرهم بعلمه السديد
علومه وافرة كثيره كذا فنون فضله غزيره
وانظر إلى عيون اخبار الرضا فقد حوى من فضله فوق الرضا
تسبيحه في بطن امه عجب قد نقلوه وقبوله وجب
وابن المغيرة استفاد منه بصيرة لما رووه عنه
كذلك الوشاء وهو الحسن وابن ابي نصر وذاك احسن

كم سائل اراد ان يسأله ... اجابه فضلا وما ساءله
ورفعه يداً حكت للطالب ... عشر مصابيح من العجائب
وبحثه التراب حتى ظهرت ... سبائك من ذهب قد بهرت
سأله السندي ان يدعو له ... بعلم عن نية قد امله
فمسح الرضا على شفته ... فعلم الجميع في ساعته
وبحثه مع علماء الدنيا ... معجزة من المزايا العليا
وعلمه بجملة اللغات ... من اوضح الاعجاز والآيات
إذ لم يكن يعلم اهل البلد ... ذاك ولا علمه من احد
اخبر بالمغيبات الناسا ... فاخرس الوسواس والخناسا
وبان في استسقائه عجائب ... يحار فيها الفكر وهو صائب
ابان في الترب سبائك الذهب ... فذهب الشك وبئس ماذهب
وسال من يديه في الطشت ذهب ... فوهب اليقين فيما قد وهب
انبع عين القرية الحمراء ... فظهر الماء لعين الرائي
واسدين صورا في المسند ... احياها كما اتى في المسند
وأكلا الحاجب عن امر الرضا ... وكلماه ومضى واعرضا
وكم دعا على عدو فظهر ... اجابة الدعاء والامر بهر
وكم شفى الاوجاع والامراضا ... وذلل الابي حين راضا
وقطعوه بالسيوف قطعا ... ثم رأوه سالماً فاستمعا
وما بدا من بركات مشهده ... في كل يوم أمسه مثل غده
وكشف العمى والمرضى به ... اجابة الدعاء في اعتابه
وطبع الحصاة مرتين ... وكانتا في يد مرأتين
كلمه الاطيار وهو عجب ... لكن قبول مثل ذاك يجب
إذ قد اتاه قبله الآباء ... وقد تواترت به الانباء

وكم طوى الله له الارض وقد سار ساعة إلى أقصى بلد
في ضحوة راح إلى بغدادا فدفن الوالد ثم عادا
كلمه الوحش مرارا فاعجب وليس ذا من مثله بعجب
رد شباب امرأة بعد الكبر لما دعا وكان من بعض العبر
حبا امرأ وحبذا ما وهبا مخلاة تبن فاستحالت ذهبا
اخرج من شق جدار رطبا فاكلوا وكم اراهم عجبا
وحمل الاسود والافاعيا فكن لما يروون عنه واعيا
واستخرج الماء من الصخور كأنه اللؤلؤ في النحور
وانطق الاحجار والاخشابا فكان شيئاً ظاهراً عجابا
كم ميت احياه لما ان دعا وعاش اياماً رأى وسمعا
وكم وكم من مثل هذا ينقل عنه يعيه من روى ويعقل

لقى الحجاج اعرابياً فقال له: ما بيدك؟ قال: عصاي اركزها لصلاتي، واعدها لعداتي، واسوق بها دابتي، وأقوى بها سفري لحاجتي، واعتمد عليها في مشيتي، لتتسع خطوتي، واثب بها النهر، وتؤمنني من العثر، والقى عليها كسائي فيقيني الحر، ويدفئني من القر، وإلي تدني ما بعد مني، وهي محمل سفرتي وعلاقة اداتي، اقرع بها الباب، واطرد بها الكلاب، وتنوب عن الرمح في الطعان، وعن السيف عند منازلة الاقران، ورثتها عن ابي، وهو ورثها عن جدي، وسأورثها ولدي من بعدي، واهش بها على غنمي، ولي فيها مآرب اخرى.

من استخراج المضمر: مره ليلقي اوله ويخبر بعدد الباقي في حفظه، ثم ليخبر بما عدا ثانيه، ثم بما عدا ثالثه، وهكذا اجمع المحفوظات واقسم الحاصل على عددها بعد القاء محفوظ كل واحد منها، ثم انقص من خارج القسمة المحفوظ الاول فالباقي هو عدد الحرف الثاني، وهكذا في استخراج اسم الشهر المضمر، او البرج المضمر.

مره ليأخذ لكل ما فوق المضمر ثلاثة ثلاثة وله مع ما تحته اثنين ، ثم يخبرك بالمجموع فتلقى منه ٢٤ وتعد الباقي من المحرم او من الحمل ، فما انتهى اليه فهو المضمر ، وهكذا في استخراج العدد المضمر .

مره ليلقى منه ثلاثة ثلاثة ويخبرك بالباقي فتأخذ لكل واحد منه ٨٠ ثم مره ليلقى منه سبعة سبعة ويخبرك بالباقي فتأخذ لكل واحد منه ٢١ ثم تجمع الحواصل وتلقى من المجتمع مائة وخمسة فما بقي فهو المطلوب ، فافهم والله اعلم .

﴿ لطيفة ﴾

حدث ابن عبد البر قال : حدثني اسحاق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدي قال كان بالمدينة رجل من بني هاشم ، وكان له جاريتان يقال لاحداهما رشا ، والاخرى جؤذر ، وكان بالمدينة رجل يدعى مزيدا ، وكان مضحكا لا يكاد يغيب عن مجلس المستظرفين ، فارسل الهاشمي اليه ذات يوم ليسخر به ، فلما أتاه قال : اصلحك الله انك في لذتك ، وأنا لا لذة لي ، قال : وما لذتك ؟ قال : تحضر لي نبيذاً فانه لا يطيب لي عيش إلا به ، فامر الهاشمي باحضار نبيذ وامر ان يطرح فيه سكر العشر فلما شربه المضحك وجلس ساعة تحرك عليه بطنه ، فتناوم الهاشمي وغمز الجواري عليه ، فلما ضاق عليه الامر واضطر إلى المبرز فقال في نفسه: ما أظن هاتين المغنيتين إلا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنيف المرحاض ، فقال لهما : يا حبيبتي اين المرحاض ، فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول صاحبنا ؟ فقالت يقول غنياني :

رحضت فؤادي وخليتني أهيم مع الحب في كل وادي

واندفعتا يغنيانه . فضربت هذه وزمرت هذه وشربوا اقداحا . فقال في نفسه : لم يفهما والله كلامي ! وأظنهما والله شاميتين وأهل الشام يسمونه المذهب . فقال : يا حبيبتي اين المذهب ؟ فقالت احداهما للاخرى : ما يقول جليسنا ؟

قالت : يقول غنيانى :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يك حقاً كل هذا التجنب

فغنياه ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ! لم يفهما والله كلامي . وما اظن القحبتين إلا مدنيتين وأهل المدينة يسمونه بيت الخلاء ، فقال لهما: اين بيت الخلاء فقالت احداهما للاخرى : ما يقول سيدي ؟ قالت يقول غنياني :

خلى علي جوى الاحزان إذ ظعنا من بطن مكة والتسهيد والحزنا

قال : فغنياه وشربوا أقداحا . فقال : انا لله وإنا اليه راجعون ! ما اظن الفاسقتين إلا مصريتين . وأهل مصر يسمونه بيت الحش . فقال : يا سيدتاه اين بيت الحش ؟ فقالت احداهما للاخرى : ما يقول نديمنا ؟ قالت يقول غنياني :

اوحشوني وعز صبري فيهم ما احتيالى وما يكون فعالى

قال : فغنياه وشربوا أقداحا . فقال : ما شاء الله كان ما اظن العاهرتين إلا كوفيتين وأهل الكوفة يسمونه الكنيف . فقال لهما : يا حبيبتي أين الكنيف ؟ فقالت احداهما لصاحبتها : بعيش سيدنا هل رأيت اكثر اقتراحا من هذا الرجل ؟ فقالت : ما يقول سيدي ؟ قالت يقول غنياني :

تكنفني الهوى طفلا فشيبنى وما اكتهلا

فقال : واويلاه واعظم مصيبتا ! هذا والهاشمي يتقطع ضحكا . فقال لهما : يا زانيتان ألم تعلماني فانى اعلمكما . وقد اضجره الحال وضاقت فرائصه ورفع ثيابه وسلح على وجوههن وعلى الفراش . فتصارخوا فانتبه الهاشمي . فقال : ما بالك ويلك تسلح على وطائى ! فقال : حياة نفسى اعز علي من وطائك ! ثم انشد :

تكلفنى السلاح فاضجرونى على ما بى بنيات الزوانى
فلما لم اجد للسلح بداً ذرقت به على وجه الغواني

قال فانبسط الهاشمي منه ودفع له صلة جزيلة .

﴿ ترجمة أبي جعفر الإمام محمد الجواد بن علي بن موسى الرضا عليهما السلام ﴾

وبقية نسبه معروف كالشمس في الرابعة ، أحد الأئمة الاثنى عشر .

قال ابن خلكان في تاريخه : قدم الامام محمد الجواد المذكور إلى بغداد وافداً على المعتصم العباسي ومعه امرأته ام الفضل ابنة المأمون فتوفى ببغداد . وحملت امرأته إلى قصر عمها المعتصم . فجعلت مع الحرم .

وكان يروي مسنداً عن آبائه إلى علي بن ابى طالب عليهم السلام انه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فقال لى وهو يوصيني : يا علي ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ، يا علي عليك بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ولا تطوى بالنهار يا علي أغد باسم الله ، فان الله تعالى بارك لأمتي في بكورها .

ومن كلام الامام محمد الجواد عليه السلام : من استفاد أخا في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة .

وقال عليه السلام : حدث رسول الله صلى الله عليه وآله ان فاطمة عليها السلام احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار .

واخباره كثيرة ، وهى في مظانها شهيرة ، وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان ، وقيل : منتصفه سنة خمس وسبعين ومائة ، وتوفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي القعدة سنة عشرين ومائتين ، وقيل : تسع عشرة ومائتين ببغداد ، وقيل انه مات مسموماً ، سمته زوجته بأمر الواثق او المعتصم ، ودفن عند جده موسى الكاظم وصلى عليه الواثق والمعتصم والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

وفضائل الامام محمد الجواد لا يحصرها تعداد ، وقد ذكر ايضاً بعض فضائله ومعجزاته الشيخ محمد بن الحسن الحر رحمه الله في ارجوزة طويلة في ديوانه اختصرنا منها قوله :

نصوصه كثيرة تواترت ومعجزاته كذلك اشتهرت

وما جرى له مع المأمون من موطئات العلم واليقين
ان كان طفلا وبدا ماقد بدا من فضله وعلمه لذى الهدى
وامتحنوه واجاب العلما جواب عالم درى وعلما
ثم امتحنهم فلم يجيبوا وذاك خبر له عجيب
مع كونه ابن سبعة اعواما قيل ابن عشر نقصت اياما
ونبقة يابسة لم تحمل كان توضى تحتها في عجل
فاثمرت واينعت لوقتها نبقاً جنياً باديا من تحتها
وقدطوى الله له الأرض وقد حج سريعاً نحوما كان قصد
من الشآم نحو كوفة مضى ثم اتى يثرب حسبما قضى
ثم اتى مكة بعض اليوم مع رجل وعاد نحو القوم
فحبسوه والامام اخرجه من حبسه لم يدر خلق مخرجه
اخبر قوما بالذي قداضمروا فاظهروا من فضله ما اظهروا
اجاب من قبل السؤال السائلا واوضح المشكل والمسائلا
اخبرهم عواقب الامور ابان عن مكنونها المستور
من يثرب إلى خراسان ذهب فدفن الوالد فيها وانقلب
وذاك في يوم وليس بعجب من ذلك المنتجب بن المنتجب
ونطقت عصاه ثم شهدت بانه الحجة لما استشهدت
صاح ملاعب فيبست يده وسقط العود وزال رشده
وكم دعا ففاز بالاجابة وربه لما دعا اجابه
وطبع الحصاة فاعجب منه وكم غريب نقلوه عنه
وسدرة يابسة قد نضرت لما توضا تحتها واثمرت
دعا على جماعة من المدى فزلزل الارض وقد خافوا الردى
واضطربوا ثم دعا فسكنت واضمروا عداوة تمكنت

ونطقه في ساعة الولاده معجزة ما فوقها زياده
وبعد يومين كذا تكلما وكلمته الشاة حين كلما
وورق الزيتون صار فضه في يده جيدة مبيضه
كم حج من ليلته وطافا وعاد بعلامة ووافى
مد حديدة بغير نار وطبع الخاتم في الاحجار
وضع يده على الصخور فبان فيها اعجب التأثير
وجعل الصبي ماء في القدح ورده لما بيده مسح
وكلم الثور فقد كلمه وفاه بالتوحيد إذ علمه
وانطق الامام منه فاه وقال لا إله إلا الله
عشر سنين كان ثم عمره فاختلفوا فيه وغم امره
فقصدوا أمتحانه واجتمعوا وعلماء عصره تجمعوا
فسألوه اغرب المسائل حتى اجاب سؤل كل سائل
كانت ثلاثين من الالوف اوضحها في مجلس مألوف
وأمر المأمون حال سكره بقتله فعملوا بامره
وضربوه بالسيوف ضربا وقطعوا الرأس وشقوا القلبا
وفارقوه قطعاً ذبيحا ووجدوه سالماً صحيحا
فعجب المأمون والجماعه واعتذروا اليه مما راعه
وكم دعا غيثاً فاحيا الارضا وابصر الاعمى وابرا المرضى
أخبر بالمغيبات فاعجبوا واخذ التراب وهو ذهب
كم مثل هذا نقلوا عنه لنا يروي الولي والعدو علنا

﴿ ذكر الهدايا إلى بعض الملوك ﴾

أهدى إلى سليمان بن داود عليهما السلام ثمانية اشياء متباينة في يوم واحد فيلة من ملك الهند، وجارية من ملك الترك . وفرس من ملك العرب . وجوهرة من ملك الصين . واستبرق من ملك الروم . ودرة من ملك البحر . وجرادة من ملك النمل ، وذرة من ملك البعوض . فتأمل ذلك سليمان فقال : سبحان القادر على جمع الاضداد .

وأهدى ملك الروم إلى المأمون هدية ، فقال المأمون : أهدوا له مائة ضعفها ليعلم عز الاسلام ، ونعم الله علينا ، ففعل ذلك فلما عزم الرسول من عند ملك الروم ، قال : ما اعز الاشياء عندهم ؟ قالوا : المسك والسمور فارسل اليه بمائة فاخرة من جملتها مائتا رطل من المسك ، ومائتا جلد سمور .

وأهدت قطر الندى إلى المعتضد بالله في يوم نيروز من سنة اثنتين وثمانين هدية ، كان فيها مائة وعشرون صينية مذهب في عشرة منها مشام عنبر وزنها اربعة وثلاثون رطلا ، وخمس خلع وشى ، وخمسة آلاف دينار ، وعملت شمامات ليوم النيروز ، فبلغت النفقة عليها ثلاثة عشر الف دينار .

وأهدى يعقوب بن الليث الصفار إلى المعتمد على الله هدية في بعض السنين من جملتها عشر بازات منها بازى ابلق لم ير مثله ، ومائة مهر وعشرون صندوقا على عشر بغال فيها ظرائف الصين وغرائبه ، ومسجدة من فضة بدرقتين يصلى فيها خمسة عشر انساناً ، ومائة من من المسك ، ومائة من من العود الهندي ، واربعة آلاف دينار .

وأهدى زياد بن عبيد الله بن الاغلب صاحب الغرب إلى المكتفي بالله سنة احدى وتسعين ومائتين هدايا لها قدر جليل وكان من جملتها مائة خادم ومائة وصيف ومائة جارية ومائة فرس وزرافة وبقر وحش ومائة الف دينار كل دينار عشر دنانير .

وأهدت ثريا بنت الاوباري ملكة افرنجة وما والاها إلى المكتفي بالله سنة مائتين وثلاث وسبعين خمسين سيفاً وخمسين رمحاً وخمسين فرساً وعشرين ثوبا منسوجة بالذهب وعشرين خادماً صقلياً وعشرين جارية صقلية وعشرة كلاب كبار لا يطيقها السباع ، وست بازات وسبعة صقور ، ومضرب حرير يتلون بجميع الالوان ، كلون قوس قزح يتلون في كل ساعة من النهار ، وثلاثة اطيار من بلاد افرنجة إذا نظرت إلى الطعام او الشراب المسموم صاحت صياحاً منكراً وصفقت باجنحتها حتى يعلم ذلك وحمارة وحشية عظيمة الخلقة في قدر البغل آذانها آذان بغل ، مخططة كان التخطيط عام لجميع بدنها .

وأهدت الملكة ابنة قسطنطين إلى المستنصر بالله في سنة أربعمائة وسبعة وثلاثين هدية عظيمة اشتملت على ثلاثين قنطاراً من الذهب الاحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية .

وذكر ان الخيزران جارية المهدي وهي ام هارون الرشيد كانت اديبة شاعرة فعزم المهدي على شرب دواء ، فانفذت اليه الخيزران جاماً من البلور يتشمشع حسناً وفيه سكنجبين اختارته له مع جارية بكر ناهدة بارعة الجمال وكتبت اليه تقول :

إذا خرج الامام من الدواء واعقب بالسلامة والشفاء
وأصلح حاله من بعد شرب بهذا الجام من هذا الطلاء
يفض الخاتم المهدى اليه فنعم الرأي ذاك بلا مراء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه احسن موقع ، وزار الخيزران وأقام عندها يومين .

وأهدي ابو اسحاق ابراهيم الصابي إلى عضد الدولة اصطرلابا في مهرجان وكتب معه :

أهدى اليك بنو الاملاك واختلفوا في مهرجان جديد انت تبليه
لكن عبدك ابراهيم حين رأى سمو قدرك عن شيء يدانيه

لم يرض بالارض يهديها اليك وقد اهدى لك الفلك الاعلى بما فيه

قلت : تأمل بالله في هذا الكلام العجيب ، والمعنى البديع الغريب .

وأهدى رجل إلى المتوكل قارورة ذهب وكتب معها ان الهدية إذا كانت من الصغير إلى الكبير ، فكلما لطفت ودقت كان ابهى وأحسن ، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير ، فكلما عظمت وجلت كان اوقع وانفع .

أودع تاجر من تجار نيسابور جارية عند الشيخ ابى عثمان الحيري الصوفي فوقع نظر الشيخ عليها يوماً فعشقها وشغف بها ، فكتب إلى شيخه ابى حفص الحداد الصوفي بحقيقة الحال ، فاجابه بالامر بالسفر إلى الري إلى صحبة الشيخ يوسف الصوفي ، فلما وصل إلى الري وسأل الناس عن منزل الشيخ يوسف اكثروا من ملامته ، وقالوا له : يسأل مثلك عن بيت فاسق ، فرجع إلى نيسابور واخبر شيخه بالقصة فامره بالعود إلى الري وملازمة الشيخ يوسف المذكور ، فسار مرة ثانية إلى الري فسأل عن منزل الشيخ ولم يلتفت إلى مذمة الناس له وازدرائهم به فقيل له : انه في حارة الخمارة ، فاتى اليه وسلم عليه فرد عليه السلام ، وزاد له في الاكرام ، وكان إلى جانبه صبي بارع الجمال ، وإلى جانبه الآخر جارية فائقة الدلال وقدامه زجاجة مملوءة من شيء كأنه الخمر بعينه ، فقال له الشيخ ابو عثمان: ما هذا المنزل ؟ فقال : ان حاكما ظالماً اشترى بيوت هذه الحارة وصيرها خمارة ، وهذا بيتي وليس لي عوض عنه ، فقال : ما هذا الغلام وما هذه الجارية وما هذه الزجاجة الخمر ؟ فقال: أما الغلام فولدي من صلبي ، والجارية كذلك ، وأما الزجاجة فمملوأة خلا ، فقال له : ولم توقع نفسك في مقام التهمة بين الناس ؟ فقال: لئلا يعتقد الناس انى امين ثقة فيستودعونى جواريهم فابتلي بحبهن ، فبكى ابو عثمان بكاءاً شديداً وزال عنه ما كان يجده من العشق ، وعلم قصة شيخه وتاب إلى ربه ، واستغفر من ذنبه .

من ديوان امير المؤمنين علي بن ابى طالب عليه السلام :

ابنى ان من الرجال بهيمة في صورة الرجل السميع المبصر
فطن لكل مصيبة في ماله وإذا اصيب بدينه لم يشعر

ومنه ايضاً :

اغتنم ركعتين زلفى إلى الله إذا كنت فارغا مستريحا
وإذا ما هممت باللغو في الباطل فاجعل مكانه التسبيحا

دخل ابن النبيه على الصاحب صفي الدين فوجده قد حم بقشعريرة ، فقال في الحال :

تباً لحماك التي اضنت فؤادي ولها
هل سألتك حاجة فأنت تهتز لها

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وللصفي الحلي في مليح وقعت عليه شمعة فاصابت شفتيه فقال :

وذي هيف زارني ليلة فامسى به الهم في معزل
فمالت لتقبيله شمعة ولم تخش من ذلك المحفل
فقلت لصحبي وقد حكمت صوارم لحظيه في مقتلي
اتدرون شمعتنا لم هوت لتقبيل هذا الرشا الاكحل
درت ان في فيه من شهدها فحنت إلى طبعها الاول

كتبت بعض النساء وهى سكرى على ايوان كسرى :

ولا تأسفن على ناسك وان مات ذو طرب فابكه
وبك من لقيت من العالمين فان الندامة في تركه

﴿ ترجمة مؤيد الدين فخر الكتاب ابو اسماعيل الحسين بن ﴾
(علي بن محمد بن عبد الصمد الاصفهاني المنشيء)
(الكاتب الشاعر المشتهر بالطغرائي)

فاضل سبق الفضلاء في الحلبة ، وتحكم في الافق ، فنظم ونثر شهبه ، له الانشاء المنشيء الجلال والشعر ، الذي ما ترك بهجة للجلال ، حقق ببلاغته خدمة السيف والقلم . كما قال ابن الرومي ما زال يتبع مايجري به القلم في الامم ، فلاميته احسن من لام العذار ، وإذا كان الشعر بحوراً فهو جواهر البحار ، وهو ممن اشتهر فضله ، وذكره عامة المؤرخين .

قال الصلاح الصفدي في الغيث الذي انسجم ، شرح لامية العجم : انه كان وزيراً للسلطان مسعود بن ملك شاه السلجوقي ، ثم سرد مناقبه .

وقال ابن خلكان : انه كان غزير الفضل ، لطيف الطبع ، فاق اهل عصره ، بصفتي النظم والنثر .

وذكر الصفدي ان الطغرائي ممن ظفر بسر الكيمياء . قال : وذكر انه القى المثقال من الاكسير على الف مثقال فعاد شمساً او قمرا ، لكنه قال من قطعة :

ولو لا ملوك الجور اصبحت والحصا لدي إذا ما شئت در ويا قوت

وله ديوان شعر جاد فيه ، ومن شعره في الغزل :

ذكرتكم عند الزلال على الظما فلم انتفع من ورده ببلال
وحدثت نفسي بالامانى فيكم وليس حديث النفس غير ظلال
اواعدها قرب اللقاء ودونه مواعيد دهر موعد بمطال
يقرلعيني الركب من نحوأرضكم يزجون عيسا قيدت بكلال
اطارحهم جد الحديث وهزله لاحبسهم عن سيرهم بمقالي
اسائلهم عما اريد وانما اريدكم من دونهم بسؤالي

ويعثر ما بين الكلام ورجعه لساني بكم حتى ينم بحالي
واطوي على ماتعلمون جوانحي وأظهر للعذال انى سال
ولا والذي عافاكم وابتلى بكم فؤادي ما اجتاز السلو ببالي
وقد كنت دهراً لاابالي من النوى فعلمني الايام كيف ابالي

هذا غزل مطرب ، بل أفق مكوكب ، وما الطف هنا عثرة اللسان بسر المحبة واذكرني قول ابن مسهر الشاعر المشهور بصر در الشاعر :

لله ايامى على رامة وطيب اوقاتى على حاجر
تكاد للسرعة في مرها اولها يعثر بالآخر

أقول: ما لاحد في سرعة مرور ايام المسرة الطف ولاارشق من هذه العبارة.

وللطغرائي :

لا تيأسن إذا ما كنت ذا ادب على خمولك ان ترقى إلى الفلك
بينا ترى الذهب الابريز مطرحا بالارض إذ صار اكليلا على الملك

قال ابن خلكان: وذكره ابو المعالي الخطيري في زينة الدهر واورد له مقاطيع وذكره العماد الكاتب ، في نصرة الفترة وعصرة القطرة ، تاريخ الدولة السلجوقية ، وقال : انه كان ينعت بالاستاذ .

وذكر الصفدي في اوائل الغيث الذى انسجم : ان السلطان مسعود مخدوم الطغرائى اتفقت بينه وبين اخيه محمود حرب بقرب اصفهان فغلب محمود ، فاول من أسر الاستاذ ابو اسماعيل ، فأتى به إلى وزير محمود الكمال السميري ، فقال الشهاب اسعد وكان طغرائياً في ذلك الوقت : هذا الرجل ملحد ـ يعني الاستاذ ـ فقال وزير محمود : ومن يك ملحداً يقتل ، فقتل ظلماً رحمه الله تعالى .

قال الصفدي : خافوا ان يغلب على محمود ببراعته وكماله ، فتسقط مراتبهم .

وذكر انهم لما ارادوا قتله مروا به فربط إلى اصل شجرة ، واوقفوا امامه جماعة معهم النشاب ليرموه ، وأمروهم ان لا يرموه حتى يؤمروا وامروا شخصاً

فجاء من خلفه ليسمع ما يقول في تلك الحالة ، فسمعه وقـد ارتجـل يقول وسهام المنايا مفوقة اليه :

ولقد اقول لمن يفوق سهمه نحوي واطراف المنية شرع
والموت من لحظات احور طرفـه يرنو وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل ترى فيه لغير هوى الاحبة موضع
اهون به لو لم يـكن في طيـه عهد الحبيب وسره المستودع

قال الشيخ صلاح الدين : ما هـذا ثبات جنان ، بل سبات جنون ، ولقد ارى بشجاعته على من تقدم ، وفات من تأخر .

وأنا اقول : ما كان قلبه إلا بين جنبي اسد ، بل هو هنا اثبت منه وأشد ثم رموه بالسهام حتى تقطـع رحمـه الله تعالى سنة ثمان عشرة ، وقيل : اربع عشرة وخمسمائة وقد جاوز ستين سنة ، وفي شعره ما دل على انه بلغ سبعاً وخمسين سنة لانه قال وقد حصل له مولود :

هذا الصغير الذي وافى على كبر أقر عيني ولكن زاد في فكري
سبع وخمسون لومرت على حجر لبان تأثيرها في ذلك الحجر

وأما لا ميتـه فقد سار حسنها مسير الشمس ، وصيرت الشنفرى وان كان مهمياً بالغيظ بليدا من بني عبس ، والشنفرى هو ابن اخت تابط شرا أحد لصوص العرب ، وكان الشنفري مثله ، وطلب ثاره .

وكانت قصيدة الشنفرى هذه لجودتها عند العرب تسمى لامية العرب ، وهي مشهورة ولا بأس بذكرها ها هنا .

حدثنا عمارة بن عقيل قال حدثنا مساور الازدى قالـ : كان الشنفرى رجلا من الازد بن عامر ، وكانت أمه سبية سباها مالك بن الازم ابو الشنفرى فذكرت انها اتيت في نومها ، فقيل لها : ايتها الحامل ايما احب اليك ، ليث صائل ، خطيب قائل ، مصيب قاتل ، كرور جافل ، مفيد عاقل ، ركاب للمهاول ، او ولد فاضل ، جميل

عاقل ، رزين كامـل ، ذليل باسل ، فقالت في نومها : اريد ذا نجـدة ، سريعاً في الهدة ، لا تثنيه الرعدة ، ولا تخوفه الشدة ، كأسد ذو لبدة ، فقيل لها : ستلدين ذا باس ، وذكو ومراس ، وضرب ودعاس ، وآوي للناس ، فولدت الشنفرا هـذا صاحب لا مية العرب المشهورة وهي :

أقيموا بني امي صدور مطيكم ... فاني إلى قوم سواكم لأميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر ... وشدت بطياتي مطايا وارحل
وفي الارض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القلى متحول
لعمرك ما في الارض ضيق على امرىء ... سرى راغباً او راهباً وهو يعقل
ولي دونكم اهلون سيد عملس ... وارقط ذهلول وعرفاء جيأل
هم الاهل لا مستودع السر ذائع ... لديهم ولا الجاني بما جن مخذل
وكل ابي باسل غير انني ... إذا عرضت اولى الطرائد ايسل
وان مدت الايدي إلى الزاد لم اكن ... باعجلهم إذ اجشع القوم اعجـل
وما ذاك إلا بسطـة عن تفضل ... عليهم وكان الافضل المتفضل
واني كفاني فقد من ليس حازنا ... بسقمي ولا في قربه متعلل
ثلاثة اصحاب فؤاد مشيع ... وابيض اصليت وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون بريتها ... رضائع قد نيطت اليها ومحمـل
إذا زل منها السهم حنت كانها ... مرزأة ثكلى ترن وتعول
ولست بمهياف يغشى سوامـه ... مجـدعـة سقبانها وهي بهل
ولا جبأ اكهى مرب بعرسه ... يشاورها في امره كيف يفعل
ولا حزق هيق يظل فؤاده ... كان به الكأس يعلو ويسفل
ولا خالف ذا رايـة متمزل ... يروح ويغدو داهنا يتكحل
ولست بغل شره دون خيره ... الف إذا ما رعته اهتاج اعزل
ولست بمحيار الظلام إذا انمحت ... هدي الهوجل المسيف بهماء هوجل

إذا الا معز الصوان لاقى مناسمي تطاير منه قادح ومفلل
اديم مطال الجوع حتى اميته واضرب عنه الذكر صفحاً واذهل
واستف ترب الارض كى لا يرى له علي من الطول امرؤ متطول
ولو لا اجتناب الذام لم يلف مسبر يعاش به إلا لدي ومأكل
ولكن نفسى حرة لا تقيم بي على الضيم إلا ريثما اتحول
واطوى على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطة مارىّ يغار ويفتل
واعدو على القوت الزهيد كما عدا أزل تهاداه التنائف اطحل
غدا طاويا يستعرض الريح هافيا نجوت باذناب الشعاب ويعسل
فلما لواه القوت من حيث امه دعا فاجابته نظائر نحل
مهلله شيب كان وجوهها قداح بكفي ياسر يتقلقل
او الخشرم المبعوث حثحث دبره مخابيص ارساهن سام ممسل
مهرتة فوه كان شدوقها شقوق المصابل كالحات وبسل
فضج وضجت بالبراح كانها واياه نوح فوق علياء ثكل
فاغضي واغضت واتسى واتست به مراميل عزاها وعزته مرمل
شكي وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت وللصبر إن لم ينفع الصبر اجمل
وفاء وفاءت باديات وكلها على نكظ مما يكاتم مخجل
ويشرب آثار القطا الكدر بعد ما سرت قربا اجناؤها يتصلصل
همت وهمت وابتدرت واسدلت وشمر مني فارط متمهل
فوليت عنها وهى تكبو لعقرة يباشره مني دقون وحوصل
كان رغاها حجرتيها وحوله أضاميم من سفر القبائل نزل
فوافين من شتى اليها فضمها كما ضم اذواد الاصاريم منهل
فعبت عشاشا ثم ولت كانها مع الصبح ركب من احاظة محفل
وآلف وجه الارض عند افتراشها باهدى تثنيه سناسن قحل

واعـدل منحوضاً كان فضوضه كعاب دحاها لاعب فهي مثل
تبيت إذا ما نام يقظي عيونها حثاثاً إلى مكروهة تتغلـغل
فان تبتئس بالشنفرى ام قسطل لما اغتبطت بالشنفري قبل اطول
طريد جنايات تيا سرن لحيـه عقيرته لا ايها حم اول
والف هموم لا تزال تعوده عياداً كحمى الربع بل هى اثقل
إذا وردت اصدرتها ثم انها تشوب فتأتى من تحيت ومن عل
فاما تريني كابنة الرمل صاحبا على رقـة اخـفى ولا اتزيل
فانى لولي الصبر أجتاب بزه على مثل قلب السمع والحزم افعل
واعـدم احياناً واغنى وانما ينال الغنى ذو البعدة المتبذل
فلا جزع من خلة متكشف ولا مرح تحت الغنى اتخيل
ولاتزدهى الاجهال حلمى ولاارى سؤ ولا باطراف الاحاديث انمـل
وليلة نحس يصطلى القوس ربها واقطعـه الـلائى بها يتبتل
دعست على غطش وبغش وصحبتي شفار وارزيز ووحر وافـكل
فأيمت نسواناً وايتمت الدة وعدت كما ابدأت والليل أليل
واصبح عنى بالغميضاء جالساً فريقان مسؤل وآخر يسأل
فقالوا لقد هرت بليل كلابنا فقلنا أذئب عس ام عس فرغـل
فلم تك إلا نبأة ثم هوموا فقلنا قطا قد ريع ام ريع اجـدل
فان تك من جن لا برح طارقا وان تك انساً ما كها الانس تفعل
ويوم من الشعرى يذوب لعابه افاعيه في رمضائه تتململ
نصبت له وجهي ولا كن دونه ولا ستر إلا الاتحمى المرعبل
وضاف إذا هبت له الريح طايرت لبائـد عن اعطافـه ما ترحـل
بعيد بمس الدهن والفلى عهدها له غبس عاف من الغسل محول
وخرق ظهير النرس قفر قطعتـه بعاملتين ظهره ليس يعمـل

فالحقت اخراه باولاه موفياً على قنة اقعى مراراً وامثل
تزود الاراوي الضخم حولي كانها عذارى عليهن الملاء المذيل
وبركدن بالآصال حولي كانني من العصم ادفى ينتحي الكيح اعقل

(عود على بدء) فاراد الاستاذ ابو اسماعيل الطغرائي ان يعارض لامية العرب هذه بلامية العجم لانه عجمي اصفهاني، فنظم هذه القصيدة الباهية الفريدة الغالية، العزيزة السامية وهي:

اصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل
مجدي اخيراً ومجدي اولا شرع والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الاقامة بالزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
ناء عن الاهل صفر الكف منفرد كالسيف عري متناه عن الخلل
فلا صديق اليه مشتكى حزني ولا انيس اليه منتهى جذلي
طال اغترابي حتى حن راحلتي ورحلها وقرى العسالة الذبل
وضج من لغب نضوى وعج لما يلق ركابي ولج الركب في عذلي
اريد بسطة كف استعين بها على قضاء حقوق للعلى قبلي
والدهر يعكس آمالي ويقنعني من الغنيمة بعد الكد بالقفل
وذي شطاط كصدر الرمح معتقل بمثله غير هياب ولا وكل
حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت بشدة البأس منه رقة الغزل
طردت سرح الكرى عن ورد مقلته والليل اغرى سوام النوم بالمقل
والركب ميل على الاكوار من طرب صاح وآخر من خمر الكرى ثمل
فقلت ادعوك للجلى لتنصرني وانت تخذلني في الحادث الجلل
تنام عيني وعين النجم ساهرة وتستحيل وصبغ الليل لم يحل
فهل تعين على غي همممت به والغي يزجر احيانا عن الفشل
اني اريد طروق الحي من اضم وقد حماه حماة الحي من ثعل

يحمون بالبيض والسمر اللدان به ... سود الغدائر حمر الحلى والحلل
فسر بنا في ذمام الليل معتسفاً ... فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل
فالحب حيث العدا والاسد رابضة ... حول الكناس لها غاب من الاسل
نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت ... نصالها بمياه الفنج والكحل
قد زاد طيب احاديث الكرام بها ... ما بالكرائم من جبن ومن بخل
تبيت نار الهوى منهن في كبد ... حرى ونار القرى منهم على القلل
يقتلن انضاء حب لا حراك به ... وينحرون كرام الخيل والابل
يشفي لديغ الغوانى في بيوتهم ... بنهلة من غدير الخمر والعسل
لعل الملامه بالجزع ثانيه ... يدب منها نسيم البرء في علل
لااكره الطعنة النجلاء قدشفعت ... برشقة من نبال الاعين النجل
ولااخاف الصفاح البيض تسعدنى ... بالسمح من خلل الاستار والكلل
ولا اخل بغزلان اغازلها ... ولو دهتنى اسود الغيل بالغيل
حب السلامة يثنى عزم صاحبه ... عن المعالى ويغري المرء بالكسل
فان جنحت اليه فاتخذ نفقا ... في الارض اوسلما في الجوفاعتزل
ودع غمار العلى للمقدمين على ... ركوبها واقتنع منهن بالبلل
يرضى الذليل بخفض العيش مقنعة ... والعز بين رسوم الاينق الذلل
فادرأ بها في نحوم البيد جافلة ... معارضات مثانى اللجم بالجدل
ان العلى حدثتنى وهى صادقة ... فيما تحدث ان العز في النقل
لوكان في شرف المأوى بلوغ منى ... لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل
أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً ... والحظ عنى بالجهال في شغل
لعله ان بدا فضلي ونقصهم ... لعينه نام عنه او تنبه لى
اعلل النفس بالآمال ارقبها ... ماأضيق العيش لولا فسحة الامل
لم ارض بالعيش والايام مقبلة ... فكيف ارضي وقد ولت على عجل

غالى بنفسى عرفاني بقيمتها فصنتها عن رخيص القدر مبتذل
وعادة النصل ان يزهو بجوهره وليس يعمل إلا في يدي بطل
ما كنت اوثر ان يمتد بى زمني حتى ارى دولة الاوغاد والسفل
تقدمتنى اناس كان شوطهم وراء خطوى إذ أمشي على مهل
هذاجزاء امرىء اقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الاجل
وان علانى من دونى فلا عجب لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر في حادث الدهر مايغني عن الحيل
أعدى عدوك ادنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل

ما احسن قول الشيخ الدر نجاوي ملك الشعراء بمصر ، المتوفى بها سنة الف ومائة وثلاثة وعشرين ، وتاريخ وفاته (مات الشعر بعده) مضمناً بيت الطرغائى ، وفيه توربة لطيفة ، وهو :

دع اللواط وعج بالغانيات ودع حب الصغار وصاحبهم على دخل
فانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل

رجع إلى لامية الطغرائى :

غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت مسافة الخلف بين القول والعمل
وحسن ظنك بالايام معجزة فظن شراً وكن منها على وجل
وشان صدقك عند الناس كذبهم وهل يطابق معوج بمعتدل
ان كان ينجع شيء في ثباتهم على العهود فسبق السيف للعذل
يا وارداً سؤر عيش كله كدر انفقت صفوك في ايامك الاول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه وانت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا يحتاج فيه إلى الانصار والخول
ترجو البقاء بدار لاثبات لها وهل سمعت بظل غير منتقل

ويا خبيراً على الاسرار مطلعاً أصمت ففي الصمت منجاة من الزلل
قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك ان ترعى مع الهمل

سبحان المانح له هذه البلاغة ، التي تغص الحسود فلا يجد الاساغة ، ولقد زادها الشيخ صلاح الدين الصفدي بشرحه بياناً ، وانما فصل بالمسجد جماناً ، ثم ان الكمال السميري ، وثب عليه عبد اسود كان للطغرائي في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية فقتله . ونسبته إلى سمير بلدة من عمل شيراز .

والطغرائي نسبته إلى من يكتب الطغرى وهي الطرة في اعلى الكتب ، تكتب بالقلم الغليظ فوق البسملة ، بما يتضمن نعوت الملك ، وهي لفظة فارسية ، وكان نظم اللامية ببغداد والله اعلم .

أقول: حيث إنا ذكرنا لامية العرب ولامية العجم فلابأس ان نعززهما بثالث وهي لامية الاديب الفاضل ، المصقع الخطيب الكامل ، الشيخ عمر بن الوردي وهي:

اعتزل ذكر الاغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل
ودع اللهو لأيام الصبا فلأيام الصبا نجم افل
ان احلى عيشة قضيتها ذهبت ايامها والاثم حل
واترك الغادة لا تحفل بها تمس في عز وترفع وتجل
واله عن آلة لهو اطربت وعن الامرد مرتج الكفل
ان تبدى تنكسف شمس الضحى وإذا ما ماس يزرى بالاسل
زاد إذ قسناه بالنجم سنا وعدلناه ببدر فاعتدل
وافتكر في منتهى حسن الذي انت تهواه تجد امراً جلل
واهجر الخمرة ان كنت فتى كيف يسعى في جنون من عقل
واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرىء إلا وصل
ليس من يهزم جيشاً بطلا انما من يتقي الله البطل
صدق الشرع ولا تركن إلى رجل يرصد في الليل زحل

حارت الافكار في قدرة من ... قد هدانا سبلنا عز وجل
كتب الموت على الخلق فكم ... فل من عرش وافنى من دول
اين نمرود وكنعان ومن ... رفع الاهرام تبدو كالفلل
أين عاد أين فرعون ومن ... ملك الارض وولى وعزل ؟
أين من سادوا وشادوا وبنوا ... هلك الكل وما تغني الحيل ؟
أين ارباب الحجى اهل النهي ... أين اهل العلم والقوم الاول ؟
سيعيد الله كلا منهم ... وسيخزي فاعلا عما فعل
أي بني اسمع وصايا جمعت ... حكما خصت بها خير الملل
اطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعد الخير على اهل الكسل
واحتفل في الفقه في الدين ولا ... تشتغل عنه بمال وخول
واهجر النوم وحصله فمن ... يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت ايامه ... كل من سار على الدرب وصل
فى ازدياد العلم ارغام العدا ... وصلاح العلم اصلاح العمل
جمل المنطق بالنحو فمن ... يحرم الاعراب في النق اختبل
انظم الشعر ولازم مذهبي ... في اطراح الرفد فالدنيا اقل
فهو عنوان على الفضل وما ... أحسن الشعر إذا لم يبتذل
مات اهل الجود لم يبق سوى ... مقرف او من على الاصل اتكل
أنا لا اختار تقبيل يد ... قطعها اجمل من تلك القبل
أن جزتني فى مديحى صرت في ... رقها اولا فيكفيني الخجل
اعذب الالفاظ قولي لك خذ ... وامر اللفظ ونطق بلعل
ملك كسرى تغنى عنه كسرة ... وعن البحر اقتناع بالوشل
اعتبر نحن قسمنا بينهم ... تلقه حقاً وبالحق نزل
ليس ما يحوي الفتى عن عزمه ... لا ولا ما فات يوما بالكسل

قاطع الدنيا فمن عاداتها تخفض العالي وتعلى من سفل
عيشة الزاهد في تحصيلها عيشة الجاهل بل هذا أذل
كم جهول وهو مثر مكثر وحكيم مات فيها بالعلل
كم شجاع لم ينل منها المنى وجبان نال غايات الامل
فاترك الحيلة فيها واتكل انما الحيلة في ترك الحيل
أي كف لم ينل منها القرى فبلاها الله منه بالشلل
لا تقل اصلي وفصلي أبداً انما اصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرء من غير أب ويحسن السبك قد ينفي الزغل
وكذا الورد من الشوك وما ينبت النرجس إلا من بصل
مع انى احمد الله على نسبي إذ بأبي بكر وصل
قيمة الانسان ما يحسنه اكثر الانسان منه او أقل
بين تبذير وبخل رتبة فكلا هذين ان زاد قتل
لا تخض في سب سادات مضوا انهم ليسوا بأهل للزلل
وتغافل عن امور انه لم يفز بالحمد الامن غفل
مل عن الذام وازجره فما بلغ المكروه إلا من نقل
دار جار الدار إن جار وان لم تجد صبراً فما احلى النقل
جانب السلطان واحذر بطشه لا تخاصم من إذا قال فعل
لا تل الحكم وان هم سألوا رغبة فيك وخالف عن عذل
فهو كالمحبوس عن لذاته وكلا كفيه في الحشر تغل
لا توازى لذة الحكم لما ذاقه الشخص إذا الشخص انعزل
والولايات وان طالت لمن ذاقها فالسم في ذاك العسل
نصب المنصب او هي جلدى وعنائى من مداراة السفل
قصر الآمال في الدنيا تفز فدليل العقل تقصير الامل

ان من يطلبه الموت على غرة منه جدير بالوجل
غب وزر غباً تزد حباً فمن اكثر الترداد اضناه الملل
خذ بفضل السيف واترك حده واعتبر فضل الفتى دون الحلل
حبك الاوطان عجز ظاهر فاغترب تلق عن الاهل بدل
فبمكث الماء يبقى آسنا وسرى البدر به البدر اكتمل
ايها العائب قولي عبثا ان طيب الورد مؤذ بالجعل
عد عن اسهم لفظي واشتغل لا يصيبنك سهم من ثمل
لا يغرنك لين من فتى ان للحيات ليناً يعتزل
أنا كالخيزون صعب كسره وهو لين كيفما شئت اعتدل
غير اني في زمان من يكن فيه ذا مال هو المولى الاجل
واجب عند الورى اكرامه وقليل المال فيهم يستقل
كل أهل العصر غمر وأنا منهم فاترك تفاصيل الجمل

ولله در العلامة بهاء الدين محمد العاملي إذ يقول دو بيت :

فرق كتب العلم واجمع مالا فالعمر مضى ولم تنل آمالا
لاينفعك النحو ولا الصرف ولا افعال يفعلل افعلالا

﴿ترجمة أبي الحسن الإمام علي الهادي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام﴾

(وبقية نسبه معروف)

كان قد سعى به إلى المتوكل العباسي ، وقيل له ان في منزله سلاحا وكتباً من شيعته وأوهموه انه يطلب الامر لنفسه، فوجه بعده نفراً من الاتراك ليلا فهجموا عليه في منزله فوجدوه وحده في بيت ، وعليه مدرعة من شعر ، وعلى رأسه ملحفة من صوف وهو مستقبل القبلة يقرأ آيات من القرآن في الوعد والوعيد ليس بينه وبين الارض بساط إلا الرمل والحصى ، فاخذ على تلك الصورة التي وجد

عليها وحمل إلى المتوكل في جوف الليل ، فمثل بين يديه والمتوكل يستعمل الشراب ، وفي يده كاس ، فلما رآه المتوكل عظمه واجلسه إلى جانبه ولم يكن في مجلسه شيء مما قيل له عنه ولا وجدله حيلة يتعنت بها عليه فناوله المتوكل الكأس الذي كان بيـــده ، فقال : يا امير المؤمنين ما خامر الخمر لحمي ودمي قط فاعفني ، فاعفاه وقال له : انشدني شعراً استحسنه منك فقال : انى لقليل الرواية في الشعر ، فقال : لا بد ان تنشدني ، فأنشده :

باتوا على قلل الاجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما اغنتهم الحيل
واستنزلوا بعد عز عن مراتبهم ... فاودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ... اين الاسرة والتيجان والحلل
اين الوجوه التى كانت منعمة ... من دونها تضرب الاستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما اكلوا دهراً وما شربوا ... فاصبحوا بعد طول الاكل قد اكلوا

فاشفق من حضر المجلس على الامام علي الهادى عليه السلام وظنوا أن بادرة تبدر اليه من هذا الظالم ، فبكى المتوكل بكاء طويلا حتى بلت دموعه لحيته ، وبكي من حضر ثم امر برفع الشراب ، ثم قال : يا ابا الحسن اعليك دين ؟ قال : نعم اربعة آلاف دينار ، فامر بدفعها اليه وردوه إلى منزله مكرماً معظما .

وكانت ولادته يوم الاحد ثالث عشر رجب ، وقيل يوم عرفة سنة اربع ، وقيل ثلاثة عشرة ومائتين ، ولما كثرت السعاية في حقه عند المتوكل اخرجه من المدينة ، وكان مولده بها واقره بسر من رأى وهى مدينة بناها المعتصم وقد تقدم ذكرها فاقام بها الامام علي الهادى عليه السلام عشرين سنة وسبعة اشهر .

وتوفى بها يوم الاثنين لخمس بقين من جمادي الآخرة وقيل لاربع بقين وقيل في رابعها ، وقيل في ثالث رجب سنة اربع وخمسين ومائتين ، ودفن في داره ، والله اعلم بغيبه واحكم .

وأما فضائل الامام علي الهادي عليه وعلى آبائه السلام فليس لها حـــد ، ومعجزاته لا يحصرها العد .

وقد ذكر بعض فضائله ومعجزاته الشيخ العالم العلامة القدوة الفهامة الشيخ محمد بن الحسن الحر في ديوانه في ارجوزة طويلة اختصرنا منها قوله :

بعد ابيه كان حل مدفنه ... بعـد ثلاث وثلاثين سنه
في هـذه المدة كان قاما ... بالامر بعده لنا اماما
بسم متوكل قـد قتـلا ... راح شهيداً مستضاما مبتلى
أولاده الحسين بعد الحسن ... محمد وجعفر ذو الفنن
وابنته عائشة بنيـه ... من قد عرفت الكامل النبيه
وامـه جاريـة سـريه ... عامـة كريمـة سريـه
كنيته كما رووا ابو الحسن ... قاسم وكنية كلاها حسن
ألقابه الهادي التقي الناصح ... القانع الفتاح نقل واضح
العالم الامين والفقيـه ... وطيب يعرفه الفقيـه
ومرتضى متوكل والنص ... دل على فضل به يختص
تواتراً والمعجزات تؤثر ... دات على امامة لا تنكر
اخبر بالغيوب غير مره ... كان لجبهـة الـكمال غره
كنقله في الحال موت الواثق ... وملك جعفر لشخص واثق
اخبر شخصاً انه سيوثق ... فـكان ثم انه سيطلق
اخبر قوما بحضور الموت في ... وقت معين فـكان فاعرف
وكم وكم قد ارسل الاكفانا ... فـكان من موتهم ما كانا
وكم دعا على عدو فهلك ... وكان قد عز وبز وملك
وداخل خان الصعاليك على ... صورة منكر لما قد فعـلا
أراه روضات وجنات بها ... انهار ماء عجب فانتبها

في عسكر المكرم مات الوالد فاخبر الاهلين ذاك الماجد
في ذلك اليوم بيثرب وقد حكى فعال جعفر حين ولد
ان كثيراً سيضلون به وكم لقد اوضح عن مشتبه
وكم اجاب سائلا من قبل ما سأله عن مشكل قد ابهما
وكم لقد نبأ انساناً بما اضمره فراح عنه معجبا
وكم شفا المريض بالدعاء فقد حبا القلوب بالشفاء
واخذه في الصيف اسباب المطر مسافراً اعجب ما منه ظهر
فجاءهم في الصيف غيث هاطل وبرد مثل الصخور وابل
فصحبه قد سلموا إذ نقلوا وكل من سواهم قد قتلوا
واخبر القوم بما كان السبب حتى قضوا من ذاك اعجب العجب
مات ثمانون من الاعداء ودفن الجميع في البيداء
مصداق ما قال الامام الطهر في كل بقعة تكون قبر
وما جرى له مع النصرانى من اوضح الاعجاز والبرهان
أظهر ما كان وما يكون مكرراً فحارت الظنون
رأى الامام صوراً منقوشه في فرش في مجلس مفروشه
وكان من ذلك صورة الأسد وثم هندي على القول الأسد
مشعبذ محاول ان يخجله فضحك الحضار مما فعله
فامر الامام ذاك الاسدا باكله فقام حيا واعتدى
فاكل المشعبذ الهنديا لما رأى فعاله الرديا
فدهشوا ودهش الخليفة ولم يروا آثار تلك الجيفة
وهابه الاطيار حتى سكتت من بعد ما قد نطقت وصوتت
ارى الخليفة الجليل عسكره في الخافقين بصفات منكره
وكلهم كانوا من الملائكه في صورة الخلائق المباركه

فانكر الخليفة الذي يرى وخاف من كثرتهم وذعرا
وطبع الحصاة فاعجب واسمع وكم طوى الأرض فاين من يعي
وفي اجابة الدعاء منه معجزة كم نقلوها عنه
ورفع الريح له الاستارا فحار من شاهدها وخارا
ذلت له السباع لما نزلا يوما اليها وبكت تذللا
كتابه الكتاب في الظلماء وختمه من اعجب الاشياء
وأخرج الفواكه العجيبة من حائط وانها غريبه
وارتفع الامام في الهواء وعاد بغرائب السماء
اخرج من تحت التراب برّا لقوت قوم يشتكون الضرا
انبع من تحت التراب ماء اروى به جماعة ظماء
لبسن في الصيف ثيابا للمطر فنزل الغيث وكانوا في السفر
وعلمه بالالسن الكثيرة جرى من الفضائل الغزيره
بل معجز له ونقل الجعفري أعجب نقل ثابت مشتهر
سأله ان يعلم الهنديه مص حصاة مصة قويه
ثم رمى بها اليه فوضع في فمه تلك الحصاة فانتفع
فعلم الالسن سبعين اتت ثلاثة من بعدها لها تلت
اولها الهندية المطلوبه ونال مما رامه مطلوبه
ولمس الحصى فصار ذهبا فوهب المائين ما قد وهبا
وسقيه المعز سما يؤثر وعلمه وفضله لا يحصر

وفي سنة اربعمائة امر الحاكم بأمر الله المؤذنين ان لا يقولوا حي على خير العمل في الاذان ، وان يقولوا في صلاة الصبح الصلاة خير من النوم ، وان يكون ذلك من مؤذني القصر عند قولهم السلام على امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فامتثل ذلك .

أقول : ذكرني قول حي على خير العمل قصيدة الولي الفاضل العارف بالله الشيخ الحكاك فاثبتها هنا لانها في غاية الرقة وهي :

حي على خير العمل على الغزاله والغزل على الخدود والمقل على العناق والقبل
طبعي عليهن طبع فلم أعد عما منع كيف يلام من جمع على الفتور والكحل
خلع العذار سنتي غريزتي جبلتي وا كلفي بفتنتي بالانقصار والميل
وغادة بقدها تقتل قبل حدها تلون في خدها من الحياء والخجل
هيفا تذيب بالنعس مالا يذوب بالقبس رمت فؤادي في الغلس فقلت اهلا لا شلل
حين بدت من الخبا تجر اذيال الصبا قالت حذار فالظبا مشهورة قلت لعل
فبت في ليل اغر بين الزهور والدرر حتى إذا جاء السحر قالت كفاك ماحصل
وليت عنها للعلم لما تولت للحزم قالت انقض للذمم قلت لها منك الملل
فعقدت بنانها واكدت ايمانها ان الزمان خانها فاعتب زماناً ماعدل
واندب هناك السلما وابك هضيبات الحمى واهتف بذكرى كلما هب الصبا قلت اجل

ثم منع المؤذنين عن قول حي على خير العمل في ربيع الاول سنة احدى واربعمائة ، ومنع في سنة خمس واربعمائة مؤذني جامع القاهرة ومؤذني القصر من قولهم بعد الاذان : السلام على امير المؤمنين ورحمة الله ، وامرهم ان يقولوا بعد الأذان : الصلاة رحمك الله ، ولهذا الفعل اصل .

قال الواقدي : كان بلال رضي الله عنه يقف على باب رسول الله ﷺ فيقول : السلام عليك يارسول الله ، وربما قال : السلام عليك يا رسول الله بابي وامي يا رسول الله حي على الصلاة ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، الصلاة يا رسول الله .

فلما استخلف ابو بكر كان سعد القرظي يقف على بابه فيقول : السلام عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله ، حي على الصلاة حي على الفلاح ، الصلاة يا خليفة رسول الله . وذكر مثله في خلافة عمر .

وما زال المؤذنون إذا أذنوا سلموا على الخلفاء وامراء الاعمال ثم يقيموا بعد السلام والصلاة ، فيخرج الخليفة او الامير هكذا كان العمل مدة ايام بني امية ثم مدة خلافة بنى العباس .

فلما استولت العجم سلم المؤذنون في ايامهم على الخليفة بعد الاذان للفجر فوق المنارة ، فلما انقضت ايامهم غيّر السلطان صلاح الدين تلك الرسوم ، وامر المؤذنين ان يقولوا عوض السلام على الخليفة ، السلام على رسول الله ﷺ .

واستمر على ذلك بعد الاذان للفجر في كل ليلة بمصر والشام والحجاز ثم امر السلطان صلاح الدين المؤذنين ان يزيدوا في ليلة الجمعة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلم، فاستمر ذلك إلى شعبان سنة احدى وتسعين وسبعمائة ، فسمع بعض الفقراء المعتقدين سلام المؤذنين على رسول الله ﷺ في ليلة الجمعة وقد استحسن ذلك طائفة من اخوانه . فقال لهم : اتحبون ان يكون هذا السلام في كل اذان ، قالوا : نعم فبات تلك الليلة ، فلما اصبح تواجد يزعم انه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه وانه امره ان يذهب إلى المحتسب ويبلغه عنه انه يأمر المؤذنين بالسلام على رسول الله ﷺ في كل اذان صلاة ، فمضى اليه وهو يومئذ نجم الدين الطنبدي .

قال المقريزى في الخطط وكان شيخاً مهولا ، وقال له : ان رسول الله ﷺ يأمرك ان تأمر المؤذنين ان يزيد وافى كل اذان قولهم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله كما يفعل في ليالي الجمع .

قال : فاعجبه هذا القول وجهل ان رسول الله ﷺ لايأمر بعد وفاته إلا بما يوافق ما شرعه الله على لسانه في حياته .

قال : وتمت هذه البدعة واستمرت إلى يومنا هذا في جميع ديار مصر والشام والحجاز ، فصاروا يصلون ويسلمون عليه صلى الله عليه وآله وسلم عقيب الاذان للفرائض الخمس إلا الصبح والجمعة فانهم يقدمون ذلك فيها عن الاذان ، ولا يفعلون

ذلك في المغرب اصلا لضيق وقتها .

وقد اختلف في ذلك هل هو مستحب او مكروه او بدعة ؟ واستدل الاول بقوله تعالى (وافعلوا الخير) ومعلوم ان الصلاة والسلام عليه من اجل القرب لاسيما وقد تواترت الاخبار على الحث على ذلك مع ما جاء في فضل الدعاء عقب الاذان والصواب انه بدعة حسنة يؤجر فاعلها بحسب نيته وان ذلك لمن جميل العوائد واحسن الفعال والفوائد .

وسئل الحافظ ابن حجر عن قول بعض المؤذنين في صلاته على النبي ﷺ الصلاة والسلام عليك يا من تدلل على الله ، هل هو أصل في السنة ؟ وهل هو جائز أم لا ؟ وهل يكون هذا مع كونه ﷺ اكثر الناس خوفا من ربه وإذا لم يكن وارداً فما ذا يجب على هذا المؤذن ؟

فاجاب : بان هذا اللفظ لم يرد في السنة ، وانه من الالفاظ المبتدعة ، والأولى ترك ذلك ، فان عاد زجر مع تعزيره على جرأته بما لم ترد به سنة ، الله أعلم .

وأما التسبيح في الليل على المآذن فلم يسكن من فعل السلف ، وكان ابتداء فعله بمصر ، وسببه ان مسلمة بن مخلد امير مصر بنى منارة الجامع العتيق واعتكف فيه فسمع أصوات النواقيس عالية فشكى ذلك إلى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين فقال : انا امد في الأذان من نصف الليل إلى قرب الفجر ، فلما مد في الأذان نقسوا فنهاهم مسلمة عن ضرب النواقيس وقت الأذان ، ومد شرحبيل الأذان اكثر الليل .

ما احلى ما قال من قال :

رأيته يضرب الناقوس قلت له : من علم الظبي ضرباً بالنواقيس

وقلت للنفس أي الضرب يؤلمك ؟ ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيس

ثم ان الامير ابا العباس احمد بن طولون كان قد جعل بحجرة بقرب منه رجالا يكبرون ويسبحون الله تعالى ويحمدونه كل وقت ، ويقرؤن القرآن

ويتوسلون ويؤذنون في اوقات الأذان ، وجعل لهم ارزاقا واسعة تجرى عليهم فلما مات احمد بن طولون وقام من بعده ولده ابو الجيش خمارويه أقرهم على حالهم ومن حينئذ أتخذ الناس قيام المؤذنين في الليل على المآذن ، وصار يعرف ذلك بالتسبيح .

ولما تولى السلطان صلاح الدين بن أيوب أمر المؤذنين ان يعلنوا في الليل بذكر العقيدة المعروفة بالمرشدة ، فواظب المؤذنون على ذكرها في كل ليلة في جوامع مصر والقاهرة ، واحدث ايضاً التذكير في يوم الجمعة في اثناء النهار بانواع من الذكر على المآذن ليتهيأ الناس لصلاة الجمعة ، وكان ذلك بعد السبعمائة .

قال ابن كثير : كان ذلك في يوم الجمعة سادس ربيع الآخر سنة اربع واربعين وسبعمائة رسم بان يذكر بالصلاة يوم الجمعة في سائر مآذن دمشق كما يذكر في مآذن الجامع الأموي ، ففعل ذلك ، انتهى .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ ترجمة القاضي البيضاوي صاحب التصانيف المشهورة ﴾

ومن مصنفاته : كتاب الغاية في الفقه ، وشرح والمصابيح ، والمنهاج والطوالع ، والمصباح في الكلام ، وأشهر مصنفاته في زماننا هذا تفسيره الموسوم بأنوار التنزيل .

اسمه عبد الله ، ولقبه ناصر الدين ، وكنيته ابو الخير بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي ، وبيضاء قرية من اعمال شيراز تولى قضاء القضاة بفارس .

وكان زاهداً عابداً متورعاً دخل تبريز فصادف دخوله مجلس الوزير ، وفيه اجلاء من الفضلاء ، فجلس في اواخر القوم بصف النعال ، بحيث لم يعلم أحد بدخوله ، فاورد المدرس اعتراضات ، وزعم ان أحداً من الحاضرين لا يقدر على جوابها ، فلما فرغ من تقريرها ، ولم يقدر أحد من الحاضرين ان يجيبه عنها شرع البيضاوي في الجواب ، فقال له المدرس لا اسمع كلامك حتى اعلم انك فهمت

ما قررته ، فقال له البيضاوي : تريد ان اعيد كلامك بلفظه أم بمعناه ، فبهت المدرس وقال له : أعده بلفظه ، فاعاده وبين ان في تركيب ألفاظه لحناً ، ثم انه أجاب عن تلك الاعتراضات باجوبة شافية ، ثم اورد لنفسه اعتراضات بعددها ، وطلب من المدرس الجواب عنها ، فلم يقدر ، فقام الوزير من مجلسه واجلس البيضاوي في مكانه ، وسأله : من أنت ؟ فقال : انا البيضاوي .

وطلب قضاء شيراز فأعطاه ما طلبه واكرمه وخلع عليه .

وكانت وفاة البيضاوي سنة ستمائة وخمس وثمانين وقبره هناك والله أعلم .

يعجبني هذان البيتان :

إذا رأيت عارضاً مسلسلا في وجنة كجنة يا عاذلي

فاعلم يقيناً انني من امة تقاد للجنة بالسلاسل

من لامية الطغرائي المتقدم ذكرها :

فيم الاقامة في الزوراء لاسكن بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

الزوراء : بغداد كما تقدم ، والسكن : ما يسكن اليه الانسان من زوج وغيره وبقية البيت مثل من أمثال العرب ، والاصل ان الصدوق العدوية كانت تحت زيد ابن اخنس العدوي ، وله بنت من غيرها تسمى الفارعة ، وكانت تسكن بمعزل منها في خباء آخر ، فغاب زيد في سفر له ، فعشق الفارعة هذه رجل عدوي يسمى شبيبا ، فطاوعته الفارعة فكانت تركب كل ليلة على جمل لابيها وتنطلق معه إلى بيته فيبيتان فيه ، فرجع زيد من غيبته ، فمر على كاهنة اسمها طريفه فاخبرته بريبة في بيته ، فأقبل زيد سائراً لا يلوى على احد لانه تخوف على امرأته حتى دخل عليها ، فلما رأته عرفت الشر في وجهه فقالت له : أقف الأثر ولا تعجل ، لا ناقة لي فيها ولا جمل . فصار ذلك مثلا يضرب .

دخل شريك بن الاعور على معاوية ، وكان سيد قومه وكان دميما ، فقال له معاوية : انك الدميم ، والجميل خير من الدميم ، وانك لشريك وما لله شريك ، وان

اباك الاعور ، والصحيح خير من الاعور ، فكيف سدت قومك ؟ فقال له : انت معاوية ، وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت الكلاب ، وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر ، وانك ابن حرب ، والسلم خير من الحرب ، وانك ابن أمية ، وماأمية إلا أمة فصغرت ، فكيف صرت علينا امير المؤمنين ؟ ثم خرج من عنده وهو يقول :

أيشتمني معاوية بن حرب وسيفي صارمي ومعي لساني
وحولي من بني عمي ليوث ضراغمة تهش إلى الطعان

كان الشريف المرتضى جالساً على دكة له مشرفة على الطريق ، فمر به ابن المطرز الشاعر يجر نعلا له بالية ، وهي تنثر الغبار ، فامر باحضاره ، وقال له انشدني أبياتك التي تقول فيها :

إذا لم تبلغني اليكم ركائبي فلا وردت ماءاً ولا رعت العشبا

فانشده اياها ، فلما انتهى إلى هذا البيت أشار الشريف إلى نعله البالية وقال له أهذه كانت من ركائبك ؟ فقال : نعم لما عادت هبات مولانا الشريف إلى مثل قوله

فخذ النوم من جفوني فاني قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي إلى ما ترى لانك خلعت ما لا تملك على من لا يقبل فاستحسن جوابه الشريف وامر له بجائزة سنية .

ما احلى هذين البيتين :

قال لي العذال في حبه وقوله زور وبهتان
ماوجه من احببته جنة قلت ولا قولك قرآن

في الحديث : وليس عند ربك صباح ولا مساء ، قال علماء الحديث : المراد ان علمه سبحانه وتعالى حضوري لا يتصف بالمضي والاستقبال كعلمنا ، وشبهوا ذلك بحبل ، كل قطعة منه على لون في يد شخص يمده على بصر نملة ، فهي لحقارة باصرتها ترى كل وقت لوناً ، ثم يمضى ويأتي غيره فيحصل بالنسبة اليها ماض وحال واستقبال بخلاف من بيده الحبل ، فعلمه سبحانه وتعالى وله المثل الاعلى بالمعلومات

كعلم من بيده الحبل ، وعلمنا بها كعلم تلك النملة .

للبلدي وقد سافر محبوبه فى البحر :

سار الحبيب وخلف القلبا يبدي الغرام ويظهر الكربا
قد قلت مذ سار السفين به والشوق ينهب مهجتي نهبا
لو أن لي ملكا اصول به لأخذت كل سفينة غصبا

قال الصفدي في تذكرته : ان سيدنا جبرئيل عليه السلام نزل على لقمان الحكيم وخيره بين النبوة والحكمة ، فأختار الحكمة ، فمسح جبرئيل على صدره ، فنطق بها ، فلما ودعه قال: اوصيك بوصية فاحفظها يالقمان ، لأن تدخل يدك إلى مرفقك في فم التنين خير لك من ان تسأل فقيراً استغنى .

قال الزمخشري فى ربيع الابرار عن كسرى، موت الف سيد اهون من ارتفاع سفلة .

وقيل : وبذلك يستدل على قرب الساعة ، ولما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : يأتى على الناس زمان يكون اسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع ، وقد شوهد ذلك عياناً وبان صدق الشارع فان صار اسافل الناس رؤساً فقد طاب الموت وإذا اسدى الامر لغير اهله فانتظروا الساعة فقد فات الفوت .

قوله لكع على وزن فعل ـ بضم الكاف وفتح العين ـ واللكع في الاصل عند العرب العبد ، ثم استعمل في الاحمق .

يقال للرجل لكع ، وللمرأة لكاع ، وقد لكع يلكع ، واكثر ما يستعمل ويقع في النذل وهو اللئيم الاحمق ، وقيل الوسخ . وقال محمد بن كمال باشا :

أرى الناس مخسوف بهم غير انهم على الارض لم تثبت عليهم صعيدها
وما الخسف ان تلقى اسافل بلدة اعاليها بل ان يسود عبيدها

وقال ابو نصر الفارابى :

نظري إلى الادوان قد ادوانى وتطلب الاعيان قد اعيانى

من كل انسان إذا خاطبته لم تلق إلا صورة الانسان

وقال الطغرائي من لاميته :

ما كنت اوثر أن يمتد بى زمني حتى ارى دولة الاوغاد والسفل

يقال آثرت فلاناً على نفسى ، أى اخترته ، وقوله : يمتد ، يقال : مد الله في عمره ، أي أمهله وطوله ، والزمن والازمان : اسم لقليل الشيء وكثيره ، ويجمع على ازمنة وازمان وازمن ، والاوغاد جمع وغد وهو الذي يملأ بطنه من الطعام . وقيل : هو الذي يأكل ويحمل ، والوغد - باللام - هو الضعيف الخامل الذي لا ذكر له ، والسفل جمع سفلة والسفلة - بفتح السين وكسر الفاء - الاسقاط من الناس

وفي المصباح : ومنه قيل للارذال ، سفلة - بفتح السين وكسر الفاء - وفلان من السفلة ، قال ويجوز التخفيف ، فيقال : سفلة ، كما يقال في كلمة كلمة ، والسفلة والاسفال والاسقاط والارذال بمعنى واحد ، ولبعضهم :

قد دفعنا إلى زمان لئيم لم ننل منه غير غل الصدور
وبلينا من الورى بأناس تركتهم اعجازهم في الصدور

وقيل لاعرابى : ما السقم الذي لا يبرأ والجرح الذي لا يندمل ؟ قال : حاجة الكريم إلى اللئيم فان فوت الحاجة اهون من طلبها من غير أهلها وعليه قول الشاعر

لا تطلبن إلى لئيم حاجة ان اللئيم بمنعها مسرور
ان كنت تطلب لامحالة حاجة فأت الكريم فخيره ميسور

وقال آخر :

لا تطلبن إلى لئيم حاجة واقعد فانك قائم كالقاعد
يا خادع البخلاء في اموالهم هيهات تضرب في حديد بارد

ومن كلام بعض الحكماء : إذا سألت كريماً حاجة فدعه يتفكر فانه لا يتفكر إلا في الخير ، وإذا سألت لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طمعه ان لا يفعل .

وقال علي عليه السلام :

لحمل الصخر من قلل الجبال أحب إلي من ذل السؤال

وفي رواية من متن الرجال لا سيما إذا كان السائل كريماً والمسؤل لئيما ، فاذا كان ذلك فهو الموت الاحمر .

وقال بعضهم : اتقوا صولة الكريم إذا جاع ، واتقوا صولة اللئيم إذا شبع

قال الشاعر :

دهرى زهى للجاهلين وجوده واختص بالعيش اللذيذ قروده

والعاقل النحرير محروم فان حصل العشاء له فذلك عيده

وقال الآخر :

تجنب كرام الناس واستغن عنهم ولا تلتمس ما عشت فضل كريم

فان يد الحر الكريم مذلة فكيف إذا كانت يداً للئيم

ومن سوء هذا الزمان ، رفع الاسافل وخفض الاعيان ، كما قال المرحوم ابراهيم الغزي :

فلا تغرنك الدنيا بمن رفعت فلا حقيقة فيما يرفع الآل

الحمد لله افضينا إلى دول تعلو وليس لنا فيهن آمال

وقال الآخر :

سكنت بلابلة الزمان واصبح الوطواط ناطق

وتنكست روس البزاة وصاد فرخ البوم باشق

وسطا الغراب على العقاب وذاك من عدم البواشق

وتسابقت عرج الحمير فقلت من عدم السوابق

خلت الرقاع من الرخاخ وفر زنت فيها البيادق

قال العلامة الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه : (الوصف الذميم في فعل

اللئيم) : ومن إنشاد بعض القبط مفتخراً بفعله القبيح :

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى بي الحال حتى صار ابليس من جندي

فلو مات قبلي كنت احسن بعده طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

أقول القائل لذلك هو في الحقيقة شيطانه الذى يعلمه الشعر ، بدليل ما نقله الامام الاوحد الشيخ تقي الدين اليمنى في تذكرته ، ولفظه: وفي سنة تسع وخمسمائة توفى الابله الشاعر ، وانما سمي الابله لذكائه ، وهو من اسماء الاضداد ، جرت له واقعة وذلك انه كان صاحب ابن الدارمى صاحب الباب ، وكان يمدحه فخرج معه يوما إلى البستان ، وكانت ليلة مقمرة ، فانشده ابياتاً فلما انهاها قال ابن الدارمى: هذه القصيدة لك ؟ قال : نعم ، فصاح صائح من داخل البستان : كذب ، فخاف ابن الدارمي وقام غلمانه إلى الباب ، فاذا هو مغلق وطافوا بالبستان ، فلم يروا احد فعادوا وجلسوا ، فقال ابن الدارمي : أنشدنا اخرى ، فانشده فقال : هذه لك ؟ قال : نعم ، فصاح ذلك الصوت بعينه كذبت ، ففتشوا فلم يجدوا أحداً ، ثم قال له : انشدنا ، فانشده ، فقال : هذه لك ؟ قال : نعم ، فصاح ذلك الصوت كذبت ! فقال له الابله : فلمن هي ؟ قال : لي ، قال : من انت ؟ قال : انا شيطانك الذي اعلمك الشعر ، فقال له الابله : صدقت حفظك الله علي .

قال ابن الرومى الشاعر : مرض الابله فدخلت عليه ، فقال لي : ما بقيت اقدر انظم شيئاً ، قلت : ولم ؟ قال : تابعي قد مات وتوفى بعد ذلك .

قال السيوطى : ويؤيد هذه الحكاية قول الشاعر :

انى وكل شاعر من البشر شيطانه انثى وشيطانى ذكر

قال السيوطي : ثم ان السفلة اللئام في عصرنا هذا عن الخير بمعزل لا يبالون بهجو ولا يرغبون لمدح كبيرهم عفر رعديد وصغيرهم غمر هلباجة ، وقد اكثر الشعراء في ذمهم ، والبلغاء في خبيث وصفهم ، فمن ذلك ما قال ابو عبد الله محمد بن سعيد الدلاصي ، ثم البوصيري وهو صاحب البردة ، توفي يوم الاربعاء ثانى عشر

من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وسبعمائة بالبيمارستان بعلة الرعاف فقال :

اكسير نحس كل بمفرده مركب من مدبر فاسد
ان شئت ان تجعل الورى سفلا الق على الالف منهم واحد

قوله عفراى خبيث مخداع ، والرعديد الجبان ـ والغمر بضم الغين ـ هوالذي لم يجرب الامور، والهلباجة الاحمق ، والاحمق لغة ناقص العقل، ويجمع على احامق وقيل غير ذلك ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فلما كان عصر سادس وعشرين من جمادي الاولى من عام الف ومائة وسبعة وثلاثين خرجنا بعون رب العباد ، من مدينة احمد آباد صحبة السيد الجليل النجيب المثيل الكريم الصدوق الوفي ، مولانا السيد يوسف بن الكريم الشهم السيد محمد النجفي ، ورحلنا إلى بلدة ديوهى السالف ذكرها صحبة الامير عين الاعيان ذي الفضل والايدي علينا والاحسان ، الامير الكبير مهر علي خان ، وكان ولاه البلدة السلطان ، وكان السيد يوسف المذكور يطلب ديناً من ابن اخت هذا الامير المشهور وقدره من السكة الهندية خمس عشرة الف ربية ، فسار السيد معه ليعطيه من حاصل البلاد إذا جمعه ، فسرنا معه بعز وكرامة حتى دخلنا ديوهى بالسلامة ، وكان الخان جلي الله كربه قد وعدني بمنصب الحسبة ، فوفى لي بما وعد ، لا زال في عيشة ورغد ، وجعلني على المدينة ناضراً ومحتسب، رزقه الله من حيث لايحتسب غير أن الدنيا لنا ما وفت ، وبعد ما اسعفت عفت :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال

والمغرور بالدنيا وفيها من حطام ، هو كالمغرور بالاحلام :

يا طالب الدنيا الدنية انها شرك الردا ومنازل الاكدار
دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غداً تباً لها من دار

قلت : تأمل في هذين البيتين فانهما ينشدان على وجهين : الوجه الأول كما

سطرناه ، وهو من البحر الكامل ، والوجه الثانى من مجوز الكامل وهو هذا :

يا طالب الدنيا الدنية انها شرك الردا
دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا

وهذا النوع من انواع البديع لطيف ، ويسمى التشريع وهو أن يتصور الشاعر في قصيدته وزنين او اكثر ، كقول الصفى الحلي من بديعيته :

فلو رأيت مصابى عند ما رحلوا رثيت لي من عذابى يوم بينهم

فهذا البيت وزنه من بحر البسيط وهو : (مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن) إلى ثمانية ، ويكون التشريع فيه باسقاط جزء من كل شطر ، فيصير :

فلو رأيت مصابي رثيت لي من عذابي

والبيتان الاولان لابى القاسم الحريرى اوردها في مقاماته .

ثم ان النواب المستطاب رستم على خان استأجر تلك البلدة المذكورة من السلطان ، فعزل مهر علي خان المذكور بعد شهور أربع ، واخرجنا منها ودمعنا اربعون واربع :

داء قديم في بنى آدم محنة انسان بانسان

ثم ان النواب رستم علي خان تكفل بقضاء الدين الذي للسيد يوسف على صهره مهر علي خان فرجعنا وأقمنا عنده شهرين ، ولم يحصل للسيد من طلبه غير الفين ، فلما طال المطال علينا وزاد تركناه ، وسرنا إلى احمد آباد وطلب السيد باقى ماله من مهر علي خان ، فحول له بثلاثة آلاف بعد مدة من الزمان .

فلما كان ثانى عشر محرم سنة الف ومائة وثمانية وثلاثين رحلنا من احمد آباد إلى بندر كمبايت المشهور بين العباد ، وكان هذا البندر من بنادر الهند الكبار والآن قد خرب ولم يبق منه المعشار ، فنزلنا بدار الجناب الرئيس مرزا زمان الكمبايتي . فلما كان صبح عشرين من محرم الحرام عام الف ومائة وثمانية وثلاثين من هجرة خير الانام ركبنا في السفينة من بندر كمبايت المشهور ، وتوجهنا إلى

بندر سورت المعمور ، فلما كان خامس وعشرين محرم دخلنا البندر في وقت مكرم وشكرت الملك الوهاب ، وقنعت من الغنيمة بالاياب .

والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيناً بالاياب المسافر

واجتمعت هناك بالاديب الفاضل ، الشهم العاقل ، الذي اكرم منه ما طرق قط سمعي الشيخ عبد المحسن ابن مفتي مكة المشرفة الشيخ تاج الدين القلعي وبالاديب الفاضل الجواد ، الذي ليس له في عصره مماثل ، رئيس الزمان ، مقلد اعناق الرجال بالاحسان، الجي شريف مكة المشرفة الشيخ احمد بن علان، وبالاديب الكامل ، العالم العامل السيد عبد الله بن السيد محمد السلفيتي القدسي ، وبشيخنا واستاذنا العالم العلامة الحبر الفهامة السيد عبد الله بن السيد جعفر باعلوى الملقب بعدهر، وبالعالم العلامة حياة الروح والنفوس مولانا السيد جعفر الصادق الميدروس وبالسيد اسماعيل عطاء الله ، وابنه الاسعد السيد اسعد ، وبالسيد عبد الرحمن القسطنطيني وبالسيد عبد الرحمن امين ، وبالشيخ عباس الحافي ، والشيخ محمود المتقي والقاضي مصطفى ابن قاضي جدة القاضي احمد ، وكل هؤلاء الاعزة الكرام من سكان بيت الله الحرام ، قدرمتهم الغربة إلى الهند ، واستبدلوا من ليلى بهند :

حسنوا القول وقالوا غربة انما الغربة للاحرار ذبح

فاسأل الله الغريب المجيب ، ان يردنا واياهم إلى جوار بيته العتيق عن قريب ويرد إلى الاوطان كل غريب بحرمة حبيبه محمد الحبيب وآله وصحبه الكرام عليهم اشرف السلام :

أجارتنا انا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب

فان تصلينا فالمودة بيننا وان تهجرينا فالغريب غريب

قلت : هذان البيتان من ابيات لأمرىء القيس قالها بانقرة موضع بالروم عند ما دنت وفاته لما سمه ملك الروم في حلة ارسلها اليه ، وقصته مشهورة ولا بأس بذكرها ها هنا .

رأيت في شرح المقصورة الدريدية ما هذا لفظه : قيل كان امرؤ القيس بن حجر الكندي فاتكا كثير الغزل والولوع بالنساء ، وكثير ما كان يفعل ذلك لينفي عن نفسه الفكر ، فطرده ابوه لما ان قال الشعر فاستتبع صعاليك العرب .

وكان ينتقل في احيائها ويغير بهم فيصف الاوثان ويبكي على الدمن ويذكر الرسوم والاطلال وغير ذلك .

وكان ابوه ملك بنى اسد فتمالؤا عليه فقتلوه ، فبلغ الخبر إلى امرىء القيس وهو يشرب ، فقال ضيعني ابي صغيراً ، وحملني على اخذ الثار كبيراً فارسلها مثلا ثم قال اليوم خمر وغداً امر ، فارسلها مثلا ، ثم جمع جمعاً من بني بكر بن وائل وغيرهم ، وخرج بهم يريد بنى اسد فاذنوا به فارتحلوا ، ثم توجه اليهم فوقع ببني كنانة فقتلهم قتلا ذريعاً حتى . قالت عجوز منهم : انا من بني كنانة وان بنى اسد قد هربوا ، فقال عند ذلك :

ألا ياهف هند اثر قوم هم كان الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم ببني ابيهم وبالاشقين ما كان العقاب
وافلتهن علياء جريضاً ولو ادركنه صفر الوطاب

إعراب هذه الابيات : ألا : استفتاح كلام ، يا : حرف ندا ، هف ، هند : منادى : مضاف ، أثر : ظرف ، قوم : مضاف أى في أثر قوم ، هم : مبتدأ كانوا كان واسمها الشفاء ، خبر كان وهو منصوب ، والجملة خبر المبتدأ ، فلم : حرف جازم ، ويصابوا : مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف النون من يصابوا ، والضمير فيه مفعول لم يسم فاعله .

وقاهم : فعل ومفعول ، جدهم : فاعل ومضاف ، ببنى مجرور ، أبيهم : مضاف وبالاشقين : مجرور ، ما : زائدة ، كان : فعل ماض ناقص ، العقاب : اسم كان وهو مرفوع ، وخبر كان في المجرور قبلها.

وأفلتهن : فعل ومفعول ، علياء : فاعل ، جريضاً : مفعول باسقاط حرف

الجر ، أي من جريض ، ولو: حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ادركته فعل وفاعل ومفعول ، صفر : فعل ماض ، الوطاب : فاعل ، انتهى .

وعلياء اسم رجل ، والجريض غصص الموت ، والوطاب قربة اللبن ، وهومثل ضربه في خلو الجسد من الروح ، ثم ان اصحابه اختلفوا عليه ، وقالوا له : وقعت بقوم براء فظلمتهم ، فخرج إلى اليمن إلى بعض ملوك حمير سمي قرملا فاستجاشه فتبطه ، ففي ذلك يقول :

وكنا اناساً قبل غزوة قرمل ورثنا العلا والمجد اكبر أكبرا

ثم انه توجه إلى قيصر ملك الروم ومر في طريقه بالسموأل بن عادياليهودي وهو في حصنه الابلق الفرد بتيما فأودعه سلاحا ومتاعاً .

أقول : لا بأس بذكر لامية السموأل هذا ، فانها مشهورة وهي :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وان هولم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل

تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل

وما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول

وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل

لنا جبل يحتله من يجيره منيع يرد الطرف وهو كليل

رسى اصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا ينال طويل

هوالابلق الفرد الذي سار ذكره يعز على من رامه ويطول

وإنا اناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

قلت : في هذا البيت من البديع الاستطراد ، وهو ان يقصد الشاعر معنى من معانى الشعر من غزل او حماسة او غير ذلك ، ثم يستطرد منه إلى غيره كقول السموأل هذا فانه استطرد من الفخر إلى ذم بني عامر وسلول (رجع) :

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فيطول

وفي هذا البيت من البديع الجناس المطرف ، وهو قوله (آجالنا لنا) وقد تقدم الجناس المطرف في اول هذا الكتاب ، وهو ما زاد احد ركنيه على الآخر حرفا في طرفه الأول (رجع) :

وما مات منا سيد حتف انفه ولا ضل منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الظباة نفوسنا وليس على غير الظباة تسيل
صفونا فلم نكدر واخلص سرنا اناث اطابت حملنا وفحول
علونا إلى خير الظهور وحطنا لوقت إلى خير البطون نزول
فنحن كماء المزن ما في انصبابنا كهام ولا فينا يعد بخيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول
إذا مات منا سيد قام سيد قؤول بما قال الكرام فعول
وما اخمدت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيامنا مشهورة في عدونا لها غرر معلومة وحجول
واسيافنا في كل شرق ومغرب بها من قراع الدار عين فلول
معودة ان لا يسل نصالها فتغمد حتى يستباح قتيل
سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم فليس سواء عالم وجهول
فان بني الديان قطب لقومهم تدور رحاهم حولهم وتجول

قلت : كل هذه الابيات البديعة لا تخلو من انواع البديع ، وانما تركنا بيان ذلك اختصاراً وخوفا من الاطالة .

ثم ان امرىء القيس بعد ما اودع السلاح والمتاع عند السموأل مضى إلى قيصر ليستنصره على بني اسد ، وكان معه عمرو بن قميئة ، فلما صعد الدرب واوغلا في بلاد الروم بكى صاحبه عمرو فعند ذلك قال امرىء القيس .

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن إنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك انما نحاول ملكا او نموت فنعذرا

ثم هلك عمرو فسمته العرب الضائع ، وقد كان امرىء القيس مر ببكر بن وائل فضرب قبابه فيهم وقال : يا معشر بكر هل فيكم شاعر ؟ قالوا : نعم عندنا شيخ كبير فسألهم ان يأتوه به ففعلوا فاستنشده فانشده فاعجبه ، فسأله ان يصحبه إلى قيصر فاجابه ، ثم ان الحرث بن ابى شمر الغسانى وهو الحرث الاكبر بلغه ان امرىء القيس اودع سلاحا ومتاعاً عند السموأل فبعث اليه رجلا من اهل بيته يقال له الحرث بن ملك فلما دنا من حصنه أغلق بابه وسأله ما الذي جاء به ، فقال الحرث جئتك لتدفع لي سلاح امرىء القيس ومتاعه فابى عليه . وكان للسموأل خارج الحصن ابن يتصيد يومه ذلك ، فلما رجع قبض الحارث عليه ، وقال للسموأل ان لم تعطني ما قلت لك وإلا قتلت ابنك هذا ، فقال لا سبيل إلى ذلك ، فاصنع ما شئت ، فقتل ابنه ، فضربت العرب المثل به في الوفاء ، وقالت هو اوفى من السموأل وفي ذلك يقول أعشى قيس :

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به ... في جحفل كفريع الليل جرار
بالابلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدار
خيره خطتي خسف وقال له ... مهما تقول فانى سامع داري
فقال ثكل وغدر انت بينهما ... فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له ... اقتل اسيرك انى مانع جاري

ولما وصل امرىء القيس إلى قيصر قرب مجلسه وادنى مكانه واتخذه نديماً وخلع عليه واحسن إلى اصحابه ، ثم استمان به فوعده ان يرفده بجيش .

وكان امرىء القيس جميل الوجه ، وكانت لقيصر بنت جميلة فاشرفت يوما من قصرها فرأته ورآها فتراسلا حتى اجتمعا فطرقها ليلا ولذلك يقول من قصيدته

فقالت سباك الله انك فاضحي ... ألستَ ترى السمار والناس احوالي
فقلت يمين الله ابرح طارقا ... ولو قطعوا رأسي لديك واوصالي

قلت : ومن ظريف التضمير قول الاديب ابى الحسين الجزار على هذا

الروي والقافية :

قفا نبك من ذكرى قميص وسروال ودراعة لي قد عفا رسمها البالي
وما أنا من يبكى لأسماء ان نأت ولكنني ابكي على فقد اسما لي
لوأن امرىء القيس ابن حجر رأى الذي أكابده من فرط هم وبلبال
لما مال نحو الخدر خدر عنيزة ولا بات إلا وهو عن حبها سالي
ولاسيما والبرد وافى بريده وحالي بما اعتدت من عسره حالى
ترى هل يرانى الناس في فرو جبة اجر بها تيها على الارض اذيالى
ويمسى عدوى غير خال عن الاسى إذا بات عن امثالها بيته خالى
ولو انني اسمى لادنى معيشة كفانى ولم اطلب قليل من المال
ولكنني اسمى لمجد وجوخة وقد يدرك المجد المؤثل امثالى

وكان : قد سبق امرىء القيس إلى قيصر رجل من بنى اسد يقال له الطماح فوشى به إلى قيصر فهم بقتله فوجه معه جيشاً وارسل في اثره بحلة مسمومه مع رجل وقال له ان الملك يخصك بالسلام وقد بعث اليك بحلة قد لبسها ليكرمك بها فادخله الحمام وكساه اياها بعد خروجه ، فلما لبسها تنفط بدنه وفي ذلك يقول :

فلو انها نفس تموت جميعه ولكنها نفس تساقط انفسا
وبدلت قرحا دامياً بعد صحة لعل منايانا تحولن ابؤسا
لقد طمح الطماح من بعد ارضه ليلبسني من دائه ما تلبسا

ثم نزل الى جنب جبل والى ناحية منه قبر فسأل عنه فقيل هو قبر ابنة بعض الملوك الروم ، فقال : فما جاء بها الى ها هنا ؟ فقيل له انها ترهبت في دير لها ، فماتت ودفنت بحيث يرى الملك ، فعند ذلك جعل يقول :

أجارتنا ان الخطوب تنوب وانى مقيم ما اقام عسيب
أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب
فان تصلينا فالمودة بيننا وان تقطعينا فالغريب غريب

أجارتنا ما فات ليس يؤوب وما هو آت في الزمان قريب
وليس غريباً من تناءت ديارُه ولكن من وارى التراب غريب

فلما ايقن بالموت قال :

كم طعنة مثعنجره وخطة مسحنفره
وجفنة مدعثره قد غودرت بانقره

قال في شرح مقصورة ابن دريد ما هذا نصه : قال عبيد الله بن عمر : هذا الكلام رجز موزون ، ويحتمل ان يكون تكلم وأراد النثر فخرج على الطبع نظما ، ويحتمل ان يريد الرجز وقصده ، وانما توجه لى ذلك من وجهين :

احدهما : ان غيره قد قال حال الجريض دون القريض فحاله لا يقتضي انه اجمع على ارادة المنظوم دون المنثور.

والثانى : ان كثيراً من النثر يدخل في النظم ، ويحتوي على غالب أدوات الشعر ، وقد قال الله عزوجل في حق رسول الله ﷺ ينفي عنه صناعة الشعر (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) ثم انا وجدنا كلاما مشهوراً في كتب اهل الحديث يتزن وله تقطيع كتقطيع المنظوم ، فمن ذلك قوله ﷺ .

هل انت إلااصبع دميتي وفي سبيل الله ما رميتي

فهل ينكر أحد فضل هذا الكلام وبلاغته لو خرج مخرج النظم عند اهل النظم ، وهذا ايضاً كقوله ﷺ :

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

فهذا كله رجزاً لا محالة خرج مخرج النثر ، فابتني نظما وقد انكر كثير من العلماء جعل الرجز من الشعر ، وقالوا : ليس بشعر لان رسول الله ﷺ لا يقول الشعر والذي فروا منه من البشاعة وقعوا فيه لان كل شيء يحصره الوزن وتضمه القافية يسمى شعراً على كل حال فجعلوا رسول الله ﷺ قصد الوزن واراده إذا أباحوا له الرجز ولا يطلق اسمه إلا على موزون ، فهذا ابشع من ذلك ورسول الله

ﷺ لم يقصد قط إلى وزن البتة ، ولا اراده قطعاً ، فيرجع القول إلى ما قلناه بدليل ان الله عزوجل لم يرد بكلامه منهاج الشعر وانما جاء اكثره على قافيته لتعلم العرب انه الذي ركب فيهم الفصاحة واوجدها فيهم ، فنظموها ونثروها ، ولو شاء لجعل ما علم نبيه من النثر نظما وانه المالك لجوامع الكلم ، وجعل له امتناع قول الشعر على انه افصحهم معجزة من معجزاته وآية من آياته ، وقد يدخل فى الوزن منه شيء سبق اليه الشعراء على قلة جواز ذلك ونظموا منه كثيراً كقول ابي نواس

خط في الارداف سطر من كتاب الله موزون

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

وقول الآخر :

ان زرتم او جرتم أنا المحب الصابر

لكنكم يا ساداتي أملكم التكاثر

وكثير في القرآن لم اذكره لئلا تعبث به الطلبة وانما احوجني إلى ذكر ما ذكرت إقامة الدليل ، وايضاح الحجة ، فافهم والله يرشدك .

وقول امرىء القيس في الرجز مثمنجرة ، يعني منصبه ، ومسحنفرة ـ أي ماضية بينة ـ ومدعثرة يعني مكسرة ، وقوله غودرت ، أي تركت وانقرة موضع في بلاد الروم ، ثم مات امرىء القيس فهنالك قبره ، انتهى كلامه .

قلت : حيث انا ذكرنا امرىء القيس فلا باس بذكر لاميته التي هي افصح اللاميات ، وعين قلادة السبع المعلقات ، وهي :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجته من جنوب وشمأل

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنها حب فلفل

كأني غداة البين يوم تحملوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجمل

وان شفائى دمعة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول
كدأبك من ام الحويرث قبلها وجارتها ام الرباب بمأسل
إذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

قلت : في هذا البيت من نوع البديع التأويل ، وهو ان يأتى الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوة النظر فيه والنظم له ، كقول امرىء القيس هذا فان فيه من قال تضوح المسك منهما نسيم الصبا ، ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم يعني بجانب نسيم الصبا وهو ضعيف ، ومن قائل تضوع المسك منهما لتضوع نسيم الصبا وهذا الاقوى .

(رجع) :

ففاضت دموع العين مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي
ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل
ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجباً من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل
ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرىء القيس فانزل
ففلت لها سيري وارخي زمامه ولا تبعديني من جناك المعلل
فمثلك حبلي قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم محول
ويوم على ظهر الكثيب تعذرت علي وآلت حلفة لم تحلل
افاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد ازمعت صرماً فاجملي

قلت : وفي هذا البيت من انواع البديع ، نوع التصريع ، وهو ان يأتى الشاعر ببيت في القصيدة يستوي فيه الجزآن من عروض البيت وضربه ، كقولي من قصيدة ميمية :

عسى من قضى بالبعد يا جيرة الحمى يمن لنا بالقرب منكم تكرما

رجع إلى معلقة امرىء القيس :

وان تك قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي
اغرك مني ان حبك قاتلي وانك مهما تأمري القلب يفعل
وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في اعشار قلب مقتل
وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهوبها غير معجل
تجاوزت حراساً اليها ومعشراً علي حراصاً لو يسرون مقتلي
إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح المفصل
فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل
فقالت يمين الله ما لك حيلة وما ان ارى عنك الغواية تنجلي
فقمت بها تمشي تجر وراءها على اثرنا اذيال مرط مرحل
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي قفاف عقنقل
هصرت بفودي رأسها فتمايلت علي هضيم الكشح ريا المخلخل
مهفهة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل
تصد وتبدي عن شنيب وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش إذا هي نضته ولا بمعطل
وفرع يزين المتن اسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعثكل
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل المدارى في مثنى ومرسل
وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقي المذلل
ويضحي فتيق المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل
وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي اومساويك اسحل
تضيء الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسي راهب متبتل
إلى مثلها يرنو الحليم صبابة إذاما اسبكرت بين درع ومجول
كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل

تسلت عمايات الرجال عن الصبا وليس فؤادى عن هواها بمنسل
ألا رب خصم فيك الوى رددته نصيح على تعذاله غير مؤتل
وليل كموج البحر ارخى سدوله علي بانواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف اعجازاً وناء بكلكل
ألا ايها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الاصباح منك بامثل
فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل
وقربة اقوام جعلت عصامها على كاهل مني ذلول مرحل
وواد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيل
فقلت له لما عوى ان شأننا طويل العنا ان كنت لما تمول
كلانا إذا ما نال شيئاً أفانه ومن يحترث حرثى وحرثك يهزل
كأن الثريا علقت في مصابها بامراس كتان إلى صم جندل
وقد اغتدى والطير في وكراتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل
كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل
على الذبل جياش كان اهتزامه إذا جاش فيه حميه غلى مرجل
يزل الغلام الخف عن صهواته ويلوي بأثواب العنيف المثقل
درير كخذروف الوليد امره تتابع كفيه بركض موصل
له أيطلا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقريب تنفل
مسح إذا ماالسابحات على الونى اثرن غباراً بالكديد المركل
ضليع إذا أستدبرته سد فرجه بضاف فويق الارض ليس باعزل
كأن سراته لدى البيت قائما مداك عروس او صلاية حنظل
كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل
فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيل

فادبرن كالجزع المفصل بينه بجيد معم في العشيرة مخول
فالحقه بالهاديات ودونه جوا حرها في صرة لم تزيل
فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا ولم ينضح بماء فيغسل
فظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء او قدير معجل
فرحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ما ترى في العين فيه تسهل
فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني قائماً غير مرسل
اصاح ترى برقا اريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل
يضيء سناه او مصابيح راهب أهان السليط بالذبال المفتل
قعدت واصحابي له بين ضارج وبين العذيب بعد ما متأمل
علا قطنا بالشيم ايمن صوبه وأيسره اعلى الستار فيذبل
فاضحى يسح الماء حول كتيفة يكب على الاذقان دوح الكنهبل
ومر على القنان من نقيانه فانزل منه العصم من كل موئل
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا اطما إلا مشيداً بجندل
كأن ثبيراً في عرانين وبله كبيراً اناس في بجاد مزمل
كأن ذرى رأس المجيمز غدوة من السيل والاغثاء فلكة مغزل
والقى بصحراء العبيط بعاعه نزول اليمانى ذى العياب المجمل
كأن مكاكي الجواء غدية صبحن رفافاً من رحيق مفلفل
كان سباعاً فيه غرثى عشية بارجائه القصوى انابيش عنصل

قلت : ولا بأس ايضاً بذكر دالية طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط وهى ايضاً من السبع المعلقات قال :

لخولة اطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقى الوشم في ظاهر اليد
وقوفا بها صحبي علي مطيهم يقولون لا تهلك اسى وتجلد

كان حدوج المالكية غدوة ... خلايا سفين بالنواصف من دد
عدولية أو من سفين بن يامن ... يجور بها الملاح طوراً ويهتدي
تشق حباب الماء حيزومها بها ... كما قسم الترب المفايل باليد
وفي الحي احوى ينقض المردشان ... مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعى ربربا بخميلة ... تناول اطراف البريد وترتدي
وتبسم عن ألمى كأن منوراً ... تخلل حر الرمل دعص له ندى
سفته اباة الشمس إلا لثاته ... اسف ولم تكدم عليه بإثمد
ووجه كان الشمس حلت رداءها ... عليه نقي اللون لم يتخدد
وانى لامضى الهم عند اختصاره ... بهوجاء مرقال تروح وتغتدى
أمون كألواح الاران نسأتها ... على لاحب كأنه ظهر برجد
تبارك عتاقا ناجيات واتبعت ... وظيفاً وظيفاً فوق مور مقند
تربعت القفين بالشول ترتعي ... حدائق مولى الاسرة اغيد
تريع إلى صواب المهيب وتتقي ... بذي خصل روعات اكلف ملبد
كان جناحى مضرجى تكنفا ... حفا فيه شكا في العسيب بمسرد
فطورا به خلف الزميل وتارة ... على حشف كالشن ذا ومجدد
لها فخذان عولى النحض فيهما ... كأنهما بابا منيف ممرد
وطى مجال كالحنى خلوقه ... واخرته لزت بدأي منضد
كان كناسى ضالة يكنفانها ... واطرقسي تحت صلب مؤيد
لها مرفقان افتلان كأنما ... امرا بسلمى دالج متشدد
كقنطرة الرومى اقسم ربها ... لتكتنفا حتى تشاد بقرمد
صهابية العثنون موجدة القرى ... بعيدة وخد الرجل موارة اليد
امرت يداها فتل شزر واجنحت ... لها عضداها في سقيف منضد
جنوح دفاق عندل ثم افرغت ... لها كتفاها في معالى مصعد

كان علوب النسع في دأياتها موارد من خلقاء في ظهر فدفد
تلاق واحياناً تبين كأنها بنائق غر في قميص مقدد
واتلع نهاض إذا صعدت به كسكان بوصى بدجلة مصعد
وجمة مثل العلاة كأنما وعى الملتقى منها إلى حرف ميرد
وخد كقرطاس الشآمي ومشفر كسبت اليماني قده لم يجرد
وعينان كالماويتين استكنتا بكهفي حجاجي صخرة قلت مورد
طحوران عوار القذى فتراهما كمكحولتي مدعوة ام فرقد
وصادقتا سمع التوجس للسرى لهمس خفي او لصوت مبدد
مولتان تعرف العتق فيهما كسامعتي شاة بحومل مفرد
واروع نباض احد ململم كمرداة صخر من صفيح مصمد
وان شئت سامى واسط الكور رأسها
وعامت بضبعيها نجاء الخفندد
وان شئت لم ترقل وان شئت أرقلت
مخافة ملوى من القد محصد

واعلم مخروت من الانف مارن عتيق متى ترجم به الارض تزدد
على مثلها امضى اذا قال صاحبي ألا ليتني افديك منها وافتدي
وجاشت اليه النفس خوفا وخاله مصابا ولو امسى على غير مرصد
إذا القوم قالوا من فتى خلت انني عنيت فلم اكسل ولم اتبلد
احلت عليها بالقطيم فاجذمت وقد خب آل الا معز المتوقد
فذالت كما ذالت وليدة مجلس ترى ربها اذيال سجل ممدد
ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم ارفد
فان تبغني في حلقة القوم تلقني وان تقتنصني في الحوانيت تصطد
متى تأتني اصبحك كاساً روية وان كنت عنها ذا غنى فاغن وازدد

وان يلتق الحى الجميع تلاقني ... إلى ذروة البيت الرفيع المصمد
نداماي بيض كالنجوم وقينة ... تروح علينا بين برد ومجسد
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة ... بجس الندامى بضة المتجرد
إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا ... على رسلها مطروفة لم تشدد
وما زال تشرابى الخمور ولذتى ... وبيعي وانفاق طريفي ومتلدى
إلى ان تحامتني العشيرة كلها ... وأفردت افراد البعير المعبد
رأيت بنى غبراء لا ينكرونني ... ولا اهل هذاك الطراف الممدد
ألا ايا هذا اللائمي احضر الوغى ... وان اشهد اللذات هل انت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيتى ... فذرنى ابادرها بما ملكت يدى
فلو لا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدك لم احفل متى قام عودي
فمنهن سبقى العاذلات بشربة ... كميت متى ما تغل بالماء تزبد
وكرى إذا نادى المضاف محنبا ... كسيد الغضا ذي السورة المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ... ببهكنة تحت الخباء المعمد
كأن البرين والدماليج علقت ... على عشر او خروع لم يحصد
كريم يروي نفسه في حياته ... ستعلم ان متناغداً أينا الصدى
أرى قبر نحام بخيل بماله ... كقبر غوي في البطالة مفسد
ترى حشوتين من تراب عليهما ... صفائح صم من صفيح منضد
أرى الموت يعتام الكريم ويصطفى ... عقيلة مال الفاحش المتشدد
أرى العمر كنزا ناقصا كل ليلة ... ولم تنقص الايام والدهر ينفد
لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى ... لكالطول المرخي وثنياه باليد
فما لي اراني وابن عمى مالكا ... متى ادن منه ينأ عني ويبعد
يلوم ولا ادري علام يلومني ... كما لامني في الحي فرط بن اعبد
واياسني من كل خير طلبته ... كأنا وضعناه إلى رمس ملحد

على غير ذنب قلته غير انني ... نشدت فلم أغفل حمولة معبد
وقربة ذي القربى وجدك انني ... متى يك عهد للنكيشة اشهد
وان ادع في الجلى اكن من حماتها ... وان تأتك الاعداء بالجهد اجهد
وان يقذفوا بالقذع عرضك اسقهم ... بكاس حياض الموت قبل التهدد
بلا حدث احدثته وكمحدث ... هجائي وقذفي بالشكاة ومطردي
فلو كان مولاي امرأ هو غيره ... لفرج كربي او لأنظرني غدى
ولكن مولاي امرؤ هو خانق ... على الشكر والتسآل اوانامفتدي
وظلم ذوي القربى اشد مضاضة ... على المرء من وقع الحسام المهند
فذرني وخلقي انني لك شاكر ... ولو حل بيتي نائياً عند صرغد
فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولوشاء ربي كنت عمرو بن مرثد
فالفيت ذا مال كثير وعادني ... بنون كرام سادة لمسود
أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه ... خشاش كرأس الحية المتوقد
فآليت لا ينفك كشحي بطانة ... لعضب رقيق الشفرتين مهند
حسام إذا ما قمت منتصراً به ... كفى العود منه البدء ليس بمعضد
أخي ثقة لاينثني عن ضريبة ... إذا قيل مهلا قال حاجزه قد
إذا ابتدر القوم السلاح وجدتني ... منيعاً إذا بلت بقائمه يدي
وبرك هجود قد آنارت مخافتي ... نواديها اسعى بعضب مجرد
فمرت كهاة ذات خيف جلالة ... عقيلة شيخ كالوبيل يلندد
تقول وقد تر الوظيف وساقها ... الست ترى أن قد اتيت بموئد
وقال ألا ماذا ترون بشارب ... شديد علينا بغيه متعمد
فقال ذروها انما نفعها له ... وألا تردوا قاصى البرك يردد
فظل الا ماء يعتلن حوارها ... ويسعى علينا بالسديف المسرهد
فان مت فانعيني بما أنا اهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

ولا تجعليني كامرىء ليس همه ... كهمي ولا يغني غناي ومشهدي
بطيء عن الداعي سريع إلى الخنا ... ذليل بأجماع الرجال ملهد
فلو كنت وغلا للرجال لضرني ... عداوة ذي الاصحاب والمتوحد
ولكن نفى عني الرجال جراءتي ... عليهم واقدامي وصدقي ومحتدي
لعمرك ما امري علي بغمة ... نهاري ولا ليلي علي بسرمد
ويوم حبست النفس عند اعتراكها ... حفاظاً على روعاتها والتهدد
على موطن يخشى الفتى عنده الردا ... متى تعترك فيه الفرائص ترعد
أرى الموت اعداد النفوس ولا ارى ... بعيداً غداً ما اقرب اليوم من غد
واصفر مضبوح نظرت حواره ... على النار واستودعته كف مجمد
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له ... بتاتاً ولم تضرب له وقت موعد
لعمرك ما الايام إلا معارة ... فما اسطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

قلت : ومن السبع المعلقات المشهورات ايضاً قصيدة عنترة بن شداد العبسي الميمية المشهورة ، ولا بأس ايضاً بذكرها ، وهي :

اعياك رسم الدار لم يتكلم ... حتى تكلم كالاصم الاعجم
ولقد حبست بها طويلا ناقتي ... ترغو إلى سفع الرواكد جثم
هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم
دار لآنسة غضيض طرفها ... طوع العنان لذيذة المتبسم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي ... وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
فوقفت فيها ناقتي وكأنها ... فدن لأقضي حاجة المتلوم
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا ... بالحزن فالصمان فالمتثلم
حييت من طلل تقادم عهده ... أقوى واقفر بعد أم الهيثم

حلت بارض الزائرين فاصبحت عسراً على طلابها ابنة مخرم
علقتها عرضاً واقتل قومها زعماً لعمر ابيك ليس بمزعم
ولقد نزلت فلا تظنى غيره منى بمنزلة المحب المكرم
كيف المزار وقد تربع اهلها بعنيزتين وأهلنا بالغيلم
ان كنت ازمعت الفراق فانما زمت ركائبهم بليل مظلم
ما راعنى إلا حمولة اهلها وسط الديار تسف حب الخمخم
فيها اثنتان واربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الاسحم
إذتستبيك بذي غروب واضح عذب مقبله لذيذ المطعم
وكأن فارة تاجر بقسيمه سبقت عوارضها اليك من الفم
او روضة انف تضمن نبتها غيثاً قليل الدمن ليس بمعلم
جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم
سحا وتسكابا فكل عشية يجري عليها الماء لم يتصرم
وخلا الذباب لها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم
تمسي وتصبح فوق ظهر حشية وابيت فوق سراة أدهم ملجم
وحشيتي سرج على عبل الشوى نهد مراكله نبيل المحزم
هل تبلغنى دارها شد نية لعنت بمخروم الشراب مصرم
خطارة غب السرى موارة تطس الاكام بذات خف ميثم
وكأنما اقص الاكام عشية بقريب بين المنسمين مصلم
يأوي إلى قلص النعام كما اوت خرق شآمية لأعجم طيظم
يتبعن قلة رأسه وكأنه حدج على نعش لهن مخيم
صعل يعود بذي العشيرة بيضه كالعبد ذي الفرو الطويل الاصلم
شربت بماء الدحرضين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

وكأنما ينأى بجانب دفها الوحشي من هزج العشي مؤوم
هز جنيب كلما عطفت له غضبى اتقاها باليدين وبالفم
بركت على ماء الرداع كأنما بركت على قصب اجش مهضم
وكأن ربا او كحيلا معقداً حش الوقود به جوانب قمقم
بلت مغا بنهابه فتوسقت منه على سمن قصير مكدم
ابقى لها طول السفار مقرمداً سنداً ومثل دعائم المتخيم
ينباع من ذفري غضوب جسرة زيافة مثل الفنيق المكدم
ان تغد في دوني القناع فانني طب بأخذ الفارس المستلئم
أثني علي بما علمت فانني سهل مخالفتي إذا لم اظلم
فاذا ظلمت فان ظلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم
ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات اسرة قرنت بازهر في الشمال مفدم
فاذا شربت فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي وتكرمي
وحليل غانية تركت مجدلا تمكو فريصته كشدق الاعلم
سبقت يداي له بعاجل ضربة ورشاش نافذة كلون العندم
هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا ازال على رحالة سابح نهد تعاوره الكماة مكلم
طوراً يجرد للطعان وتارة يأوى إلى حصد القسي عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعة انني اغشى الوغى واعف عند المغنم
ولقد ابيت على الطوى واظله حتى انال به لذيذ المطعم
ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

قلت : هذان البيتان فيهما من انواع البديع الافتنان ، وهو ان يجمع الشاعر في البيت بين غرضين من فنون الكلام كالغزل والحماسة وتشبيه ذلك كقولي:

يا بدر انى عند مشتبك القنا والقوم بين مقطب ومعبس
أهوى معانقة الرماح لانها ماست كقدك يا حياة الانفس

رجع إلى قصيدة عنترة :

ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعن هربا ولا مستسلم
جادت يداي له بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوم
برحيبة الفرغين يهدي جرسها بالليل معتس الذياب الضرم
فشككت بالرمح الطويل اهابه ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع ينشنه يقصمن قلة رأسه والمعصم
ومشك سابغة هتكت فروجها بالسيف عن حامى الحقيقة معلم
ربذ يداه بالفداح إذا شتا هتاك غايات التجار ملوم
فطعنته بالرمح ثم علوته بمهند صافي الحديدة مخذم
لما رآني قد نزلت اريده ابدى نواجذه لغير تبسم
عهدي به شد النهار كأنما خضب البنان ورأسه بالعظلم
بطل كان ثيابه في سرجه يحذي نعال السبت ليس بتوأم
يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم
فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي فتجسسى اخبارها لي واعلمى
قالت رأيت من الاعادي غرة والشاة ممكنة لمن هو مرتمى
وكأنما التفت بجيد جداية رشأ من الغزلان حر أرثم
نبئت عمراً غير شاكر نعمتى والكفر مخبثة لنفس المنعم
ولقد حفظت وصاة عمى بالضحى إذ تقلص الشفتان من وضح الفم
في حومة الموت التي لا تتقى غمراتها الابطال غير تغمغم

إذ يتقون بي الاسنة لم أحم عنها ولو انى تضايق مقدمي
لما سمعت نداء مرة قد علا وابني زبيعة في الغبار الاقتم
ومحلما يدعون تحت لوائهم والموت تحت لواء آل محلم
ايقنت ان سيكون عند لقائهم ضرب تطير عن الفراخ الجثم
لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كانها اشطان بئر في لبان الادهم
ما زلت ارميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا بلبانه وشكى إلي بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي
والخيل تقتحم الغبار عوابساً من بين شيظمة واجرد شيظم
ولقد شفى نفسي وابرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنترة اقدم
ذلل ركابي حيث شئت مشايعي قلبي واحفره برأي مبرم
ولقد خشيت بان اموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمي عرضي ولم اشتمهما والناذرين إذا لم القهما دمي
ان يفعلا فلقد تركت اباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

قلت : ومن جياد السبع المعلقات ايضاً قصيدة عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي شهاب الاراقم وهي :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبق خمور الاندرينا
مشعشعة كان الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا
تجور بذي اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حتى يلينا
ترى اللحز الشحيح إذا امرت عليه لما له فيها مهينا
صددت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا
وانا سوف تدركنا المنايا مقدرة لنا ومقدرينا

ففي قبل التفرق يا ضعينا نخبرك اليقين وتخبرينا
بيوم كريهة طعناً وضربا اقربه مواليك العيونا
فقي نسألك هل احدثت صرما لوشك البين ام خنت الامينا
تريك إذا دخلت على خلاء وقد امنت عيون الكاشحينا
ذراعي عيطل ادماء بكر تربعت الاجارع والمتونا
وثديا مثل حق العاج رخصا حصاناً من اكف اللامسينا
ومتنى لدنة طالت ولانت روادفها تنوء بما يلينا
وراجعت الصبا واشتقت لما رأيت حمولها اصلا حدينا
واعرضت اليمامة واشمخرت كاسياف بايدي مصلتينا
وان غدا وان اليوم رهن وبعد غد بما لم تعلمينا
فما وجدت كوجدي ام سقب اضلته فرجعت الحنينا
ولا شمطاء لم تترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا
أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا
بانا نورد الرايات بيضا ونصدرهن حمراً قد روينا

قلت : في هذا البيت من انواع البديع التدبيج ، وهو ان يقصد الشاعر ألواناً يكني بها ويوري عما يريده من مدح او وصف او نسب او حماسة او غير ذلك ، كقول الطغرائي من لاميته المتقدم ذكرها :

يحمون بالبيض والسمر اللدان سود الغدائر حمر الحلى والحلل

رجع إلى معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي :

وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا
وسيد معشر قد توجوه بتاج الملك يحمى المحجرينا
تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا
وقد هرت كلاب الحى منا وشذ بنا قتادة من يلينا

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا
يكون ثقالها شرق نجد ولهوتها قضاعة اجمعينا
وان الظعن بعد الظعن يفشو عليك ويخرج الداء الدفينا
ورثنا المجد قد علمت معد نطاعن دونه حتى نبينا
ونحن إذا عماد الحي خرت على الاحفاض نمنع من يلينا
ندافع عنهم الاعداء قدما ونحمل عنهم ما حملونا
نطاعن ما تراخى الصف عنا ونضرب بالسيوف إذا غشينا
بسمر من قنا الخطى لدن ذوابل او ببيض تمتلينا
نشق بها رؤس القوم شقا ونخليها الرقاب فيختلينا
تخال جماجم الابطال فيها وسوقا بالاماعز يرتمينا
نجذ رؤسهم في غير وتر فما يدرون ما ذا يتقونا
كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بايدي لا عبينا
كأن ثيابنا منا ومنهم خضبن بارجوان او طلينا
إذا ما عي بالاسناف حي من الهول المشبه ان يكون
نصبنا مثل رهوة ذات جد محافظة وكنا السابقينا
بفتيان يرون القتل مجداً وشيب في الحروب مجربينا
حديا الناس كلهم جميعاً مقارعة بنيهم عن بنينا
فاما يوم خشيتنا عليهم فتصبح خيلنا عصباً تبينا
وأما يوم لا نخشى عليهم فنمعن غارة متلبينا
برأس من بني جشم بن بكر ندق به السهولة والحزونا
باي مشيه عمرو بن هند نكون لقيلكم فيها قطينا
تهددنا وتوعدنا رويدا متى كنا لأمك مقتوينا
وان قناتنا يا عمرو أعيت على الاعداء قبلك ان تلينا

إذا عض الثقاف بها اشمأزت ... وولتهم عشوشنة زبونا
عشوشنة إذا غمزت ارنت ... تشج قفا المثقف والجبينا
فهل حدثت عن جشم بن بكر ... بنقض في خطوب الاولينا
ورثنا مجد علقمة بن سيف ... اباح لنا حصون المجد دينا
ورثت مهلهلا والخير منه ... زهيراً نعم ذخر الذاخرينا
وعتابا وكلثوما جميعاً ... بهم نلنا تراث الاكرمينا
وذا البرة الذى حدثت عنه ... به نحمي ونحمي الملجئينا
ومنا قبلة الساعي كليب ... فاي المجد الا ما ولينا
متى تعقد قرينتنا بحبل ... نجذ الحبل او نقصى القرينا
ونوجد نحن امنعهم ذمارا ... وأوفاهم اذا عقدوا يمينا
ونحن غداة او قدّ في خزازي ... رفدنا فوق رفد الرافدينا
ونحن الحابسون بذي اراط ... تسف الجلة الخور الدرينا
ونحن الحاكمون اذا أطعنا ... ونحن العازمون اذا عصينا
ونحن التاركون لما سخطنا ... ونحن الآخذون لما رضينا
وكنا الايمنين اذا التقينا ... وكان الايسرون بني ابينا
فصالوا صولة فيمن يليهم ... وصلنا صولة فيمن يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وابنا بالملوك مصفدينا
اليكم يا بني بكر اليكم ... ألما تعرفوا منا اليقينا
ألما تعلموا منا ومنكم ... كتائب يطعن ويرتمينا
علينا البيض واليلب اليمانى ... واسياف يقمن وينحنينا
علينا كل سابغة دلاص ... ترى تحت النجاد لها غضونا
اذا وضعت على الابطال يوما ... رأيت لها جلود القوم جونا
كأن متونهن متون غدر ... تصفقها الرياح اذا جرينا

وتجعلنا غداة الروع جرد عرفن لنا نقائذ وافتلينا
ورثناهن عن آباء صدق ونورثها اذا متنا بنينا
وقد علم القبائل من معد اذا قبب بابطحها بنينا
بانا المنعمون اذا قدرنا وانا المهلكون اذا اتينا
ونشرب ان وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا
ألا ابلغ بني الطماح عنا ودعميا فكيف وجدتمونا
نزلتم منزل الاضياف منا فعجلنا القرى ان تشتمونا
قرينا كم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا
على آثارنا بيض كرام تحاذر ان تفارق او تهونا
ظعائن من بنى جشم بن بكر خلطن بميسم حسباً ودينا
أخذن على فوارسهن عهداً إذا لاقوا فوارس معلمينا
ليستلبن ابدانا وبيضاً واسرى في الحديد مقرنينا
إذا ما رحن يمشين الهوينا كما اضطربت بطون الشاربينا
يقدن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا
إذا لم نحمهن فلا بقينا لخير بعدهن ولا حيينا
ولا منع الظعائن مثل ضرب ترى منه السواعد كالقلينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
إذا ما الملك سام الناس خسفاً ابينا ان يقر الخسف فينا
نسمى ظالمين وما ظلمنا ولكنا سنبدوا ظالمينا
إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر له الجبابر ساجدينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر نملؤه سفينا
ولو كان السماء حلول أنس لكنا فوق سبع قاطنينا
ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال زهير بن ابي سلمى ـ بضم السين المهملة ـ المزني وليس في العرب سلمى بضم السين ـ غيره ، وهذه القصيدة من اجود السبع المعلقات وهي :

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم
ودار لها بالرقمتين كانها ... مراجع وشم في نواشر معصم
بها العين والآرام يمشين خلفة ... واطلاؤها ينهضن من كل مجثم
وقفت بها من بعد عشرين حجة ... فلأياً عرفت الدار بعد توهم
أثافيّ سفعا في معرس مرجل ... ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها ... الا انعم صباحا ايها الربع واسلم
تبصر خليلي هل ترى من ظعائن ... تحملن بالعلياء من فوق جرثم
علون بانماط عتاق وكلة ... وراد حواشيها مشاكهة الدم
وورکن في السوبان يعلون متنه ... عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكوراً واستحرن لسحرة ... فهن ووادي الرس كاليد للفم
وفيهن ملهى للصديق ومنظر ... انيق لعين الناظر المتوسم
كأن قتاة العهن في كل موقف ... وقفن به حب القنا لم يحطم
فلما وردنا الماء زرقا جمامه ... وضعن عصي الحاضر المتخيم
جعلن القنان عن يمين وحزنه ... وكم بالقنان من محل ومحرم
ظهرن من السوبان ثم خزعنه ... على كل قيني قشيب ومفأم
فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله ... رجال بنوه من قريش وجرهم
يميناً لنعم السيد ان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم
سعى ساعياً غيض بن مرة بعدما ... تبزل ما بين العشيرة بالدم
تدار كتما عبساً وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعاً ... بمال ومعروف من القول فاسلم
فاصبحتما منها على خير موطن ... بعيدين فيها من عقوق ومأثم

عظيمين فى عليا معد هديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم
تعفى الكلوم بالمئين فاصبحت ينجمها من ليس فيما بمجرم
وينجمها قوم لقوم غرامة ولم يهريقوا بينهم ملء محجم
فاصبح يجري فيهم من تلادكم مغانم شتى من نتاج مزنم
فمن مبلغ الاحلاف عنى رسالة وذبيان هل اقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفي ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم حساب او يعجل فينقم
وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضري إذا أضريتموها فتضرم
فتعركم عرك الرحى بثفالها وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم
فتولد لكم غلمان اشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم
فتفلل لكم ما لا تفل لاهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم
لعمري لنعم الحي جر عليهم بما لا يؤاتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوى كشحاً على مستكنه فلا هو ابداها ولم يتقدم
فقال سأقضي حاجتي ثم اتقى عدوى بألف من روائي ملجم
فشد ولم ينظر بيوتاً كثيرة لدى حيث القت رحلها ام قشعم
لدى اسد شاكى السلاح مجرب له لبد اظفاره لم تقلم
جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه سريعاً وإلا يبد بالظلم يظلم
رعوا ظمأهم حتى إذا تم اوردوا غماراً تفرى بالسلاح وبالدم
فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا إلى كلأ مستو بل متوخم
لعمرك ما جرت عليهم رماحهم دم ابن نهيك او قتيل المثلم
ولا شاركت في القتل في دم نوفل ولا وهب منها ولا ابن المحرم
فكلا اراهم اصبحوا يعقلونه صحيحات مال طالعات بمخرم

لحي حلال يعظم الناس امرهم إذا طرقت احدى الليالي بمعظم
كرام فلا ذو النبل يدرك نيله لديهم ولا الجاني عليهم بمسلم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا ابالك يسأم
واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يعمر فيهرم
ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه إلى مطمئن الخير لا يتجمجم
ومن هاب اسباب المنايا ينلنه وان يرق اسباب السماء بسلم
ومن يجعل المعروف في غير اهله يكن حمده ذماً عليه ويندم
ومن يعص اطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهزم
ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم تبق إلا صورة اللحم والدم
رأيت سفاه الشيخ لاحلم بعده وان الفتى بعد السفاهة يحلم
سألنا فاعطيتم وعدنا وعدتم ومن اكثر التسآل يوماً فيحرم

وقال لبيد بن ربيعة العامري :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها
فمدافع الريان عرى رسمها خلقاً كما ضمن الوحي سلامها
دمن تجرم بعد عهد انيسها حجج خلون حلالها وحرامها

رزقت مرابيع النجوم وصابها ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجن وغشية متجاوب ارزامها
فعلا فروع الايهقان واطفلت بالجلهتين ظباؤها ونعامها
والوحش ساكنة على اطلائها عوذاً تأجل بالفضاء بهامها
وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها اقلامها
او رجع واشمة اسف نؤورها كفففاً تعرض فوقهن وشامها
فوقفت اسألها وكيف سؤالنا صما خوالد لا يبين كلامها
عريت وكان بها الجميع فابكروا منها وغودر نوءها وثمامها
شاقتك ظعن الحي حين تحملوا فتكنسوا قطنا تصر خيامها
من كل محفوف بظل عصيه زوج عليه كلة وقرامها
زجلا كأن نعاج توضح فوقها وظباء وجرة عطفا آرامها
حفزت وزايلها السراب كأنها اجزاع بيشة اثلها ورضامها
بل ما تذكر من نوار وقد نأت وتقطعت اسبابها ورمامها
مرية حلت بفيد وجاورت اهل الحجاز فاين منك مرامها
بعشارق الجبلين او بمحجر فتضمنتها فردة فرخامها
فضوائق ان ايمنت فمظنة منها وحاف القهر او طلحامها
فاقطع لبانة من تعرض وصله واشر واصل خلة صرامها
واحب المجامل بالجزيل وصرمه باق إذا ضلعت وزاغ فوامها
بطليح اسفار تركن بقية منها فاحنق صلها وسنامها
وإذا تعالى لحمها وتحسرت وتقطعت بعد الكلال خدامها
فلها هباب في الزمان كأنها صهباء راح مع الجنوب جهامها
اوملمع وسقت لاحقب لاحه طرد الفحول وضربها وكدامها
يعلو بها حدب الاكام مسحج قد رابه عصيانها ووحامها

بأحزة الثلبوب ربا فوقها قفر المراقب حوطها آرامها
حتى إذا سلخا جمادي ستة جزءاً فطال صيامه وصيامها
رجعاً بأمرها إلى ذي مرة حصد ونجح صريمة ابرامها
ورمى دوابرها السفا وتهيجت ريح المصائف سومها وسهامها
فتنازعا سبطا يطير ظلاله كدخان مشعلة يشب ضرامها
مشمولة غلثت بنابت عرفج كدخان نار ساطع اسنامها
فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عردت اقدامها
فتوسطا عرض السرى وصدعا مسجورة متجاور اقلامها
محفوفة وسط اليراع يظلها منه مصرع غابة وقيامها
افتلك ام وحشية مسبوعة خذلت وهادية الصوار قوامها
خنساء ضيعت الفريز فلم يرم عرض الشقائق طوفها وبغامها
لمعفر فهد تنازع شلوه غبش كواسب لا يمن طعامها
صادفن منها غرة فأصبنها ان المنايا لا تطيش سهامها
باتت واسبل واكف من ديمة يروى الخمائل دائماً تسجامها
يعلو طريقة متنها متواتراً في ليلة كفر النجوم غمامها
يجتاف اصلا قالصاً متبدداً بمجوب انقاء يميل هيامها
وتضيء في وجه الظلام منيرة كجمانة البحري سل نظامها
حتى إذا انحسر الظلام واسفرت بكرت تزل على الثرى ازلامها
علهت تردد في نهاء صعائد سبعاً تواما كاملا ايامها
حتى إذا يئست واسحق حالق لم يبله ارضاعها وفطامها
وتوجست ركز الانيس فراعها عن ظهر غيب والانيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها
حتى إذا أيس الرماة وارسلوا غضفاً دواجن قافلا اعصامها

فلحقن واعتكرت لها مذروبة كالسمهرية حدها وتمامها
لتذودهن وايقنت ان لم تذد ان قد احم من الحتوف حمامها
فتقصدت منها كساب فضرجت بدم وغودر في المكر سخامها
فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحى واجتاب اردية السراب اكامها
اقضي اللبانة لا أفرط ريبة او ان يلوم بحاجة لوامها
او لم تكن تدري نوار بانني وصال عقد حبائل صرامها
تراك امكنة إذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها
بل انت لا تدرين كم من ليلة طلق لذيذ لهوها وندامها
قد بت ساهرها وغاية تاجر وافيت إذ رفعت وعز مدامها
أغلى السباء بكل ادكن عاتق او جونة قدحت وفض ختامها
وصبوح صافية وجذب كرينة بموتر تأتا له ابهامها
باكرت حاجتها الدجاج بسحرة لاعل منها حين هب نيامها
وغداة ريح قد كشفت وقرة قد اصبحت بيد الشمال زمامها
ولقد حميت الخيل تحمل شكتي قرطاً وشاحي إذ غدوت لجامها
فعلوت مرتقياً على ذي هبوة حرج على اعلامهن قتامها
حتى إذا القت يداً في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها
أسهلت وانتصبت كجذع منيفة جرداء يحصر دونها جرامها
رقمتها طرد النعام وشله حتى إذا سخنت وخف عظامها
قلقت رحالتها واسبل نحرها وابتل من زبد الحميم حزامها
ترقى وتطعن في العنان وتنتحي ورد الحمامة إذ اجد حمامها
وكثيرة غرباؤها مجهولة ترجى نوافلها ويخشى ذامها
غلب تشذر بالذحول كانها جن الندى رواسياً اقدامها
انكرت باطلها وبؤت بحقها عندي ولم تفخر علي كرامها

وجزور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه اجسامها
ادعو بهن لعاقر او مطفل بذلت لجيرانى الجميع لحامها
فالضيف والجار الغريب كأنما هبطا تبالة مخصباً اهضامها
تأوي إلى الاطناب كل ردية مثل البلية قالصاً اهدامها
ويكللون إذا الرياح تناوحت خلجا تمد شوارعا ايتامها
انا إذا التقت المجامع لم يزل لزآزىء وعظيمة جسامها
ومقسم يعطي العشيرة حقها ومعذم لحقوقها هضامها
فضلا وذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غنامها
من معشر سنت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة واما مها
لا يطمعون ولا يبور فعالهم إذ لا تميل مع الهوى احلامها
فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها
وإذا الامانة قسمت في معشر اوفى بأوفر حظنا قسامها
فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكه فسما اليه كهلها وغلامها
فهم السعاة إذا العشيرة افظعت وهم فوارسها وهم حكامها
وهم ربيع للمجاور فيهم والمرملات إذا تطاول عامها
وهم العشيرة ان تبطأ حاسد او ان يميدمع العدو لئامها
ان يقرعوا فسوابغ موضونة والبيض تبرق كالكواكب لامها

وقال الحارث بن حلزة اليشكري ، وهذه القصيدة آخر المعلقات :

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء
بعد عهد لنا ببرقة شماء فادنى ديارها الخلصاء
فالمحياة فالصفاح فاعناق فتاق فعازب فالوفاء
فرياض القطا فاودية الشر يب فالشعبتين فالايلاء
لا ارى من عهدت فيها فابكى اليوم دلها وما يجير البكاء

وبعينيك او قدت هند النار اخيراً تلوى بها العلياء
فتنورت نورها من بعيد بحزازى هيهات منك الصلاء
اوقدتها بين القعيق فشخصين بعود كما يلوح الضياء
غير انى قد استعين على الهم إذا خف بالثوى النجاء
بزفوف كأنها هقلة ام رئال دوية سقفاء
أنست نبأة وافزعها القناص عصراً وقد دنا الامساء
فترى خلفها من الرجع والوقع منينا كأنه اهباء
وطراقا من خلفهن طراق ساقطات ألوت بها الصحراء
أتلهى بها الهواجراذ كل ابن هم بليـــة عمياء
واتانا من الحوادث والانباء خطب نعنى به ونساء
ان اخواننا الاراقم يغلون علينا في قيلهم اخفاء
يخلطون البري منا بذي الذنب ولا ينفع الخلى الخلاء
زعموا أن كل من ضرب العير موال لنا ونحن الولاء
اجمعوا امرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مناد ومن مجيب ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء
أيها الناطق المبلغ عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء
لا تخلنا على غراتك انا قدما قد وشى بنا الاعداء
فبقينا على الشناة تمنينا حصون وعزة قعساء
قيل ما اليوم بيضت بعيون الناس فيها تغيظ واباء
وكأن المنون تردى بنا ارعن جوناً ينجاب عنه العماء
مكفهراً على الحوادث لا ترثوه للدهر مؤيد صماء
ارمي بمثله جالت الخيل وتأبى لخصمها الاجـلاء
ملك مقسط وافضل من يمشي ومن دون ما لديه الثناء

أيما خطة اردتم فادوها الينا تسمى بها الاملاء
ان تبشتم ما بين ملحة والصاقب فيه الاموات والاحياء
او نقشتم فالنقش يجسمه الناس وفيه السقام والابراء
او سكتم عنا فكنا كمن اغمض عيناً في جفنها الاقذاء
او منعتم ما تسئلون فمن حدثتموه له علينا العلاء
هل علمتم ايام ينتهب الناس غوار الكل حي غواء
إذ رفعنا الجماله من سعف البحرين سيراً حتى نهاها الحساء
ثم ملنا على تميم فاحرمنا وفينا بنات قوم اماء
لا يقيم العزيز بالبلد السهل ولا ينفع الذليل النجاء
ليس ينجى الذى يوائل منا رأس طود وحرة رجلاء
ملك اضرع البرية لا يوجد فيها لما لديه كفاء
كتكاليف قومنا إذ غزا المنذر هل نحن لابن هند رعاء
ما اصابوا من تغلبي فطول عليه إذا أصيب العفاء
إذ أحل العلياء قبة ميسون فادنى ديارها الموضاء
فتأوت له قراضية من كل حي كأنهم القاء
فهداهم بالاسودين وامر الله بلغ يشفى به الاشقياء
إذ تمنونهم غروراً فساقتهم اليكم امنية اشراء
لم يغروكم غروراً ولكن رفع الآل شخصهم والضحاء
ايها الناطق المبلغ عنا عند عمرو وهل لذاك انتهاء
من لنا عنده دلائل آيات ثلاث في كلهن القضاء
آية سارق الشقيقة إذ جاءت معد لكل حي لواء
حول قيس مستلئمين بكبش قرظي كأنه عبلاء
وصتيت من العواتق لا تنهاه إلا مبيضة رعداء

فرددناهم بطعن كما يخرج من خربة المزاد الماء
وحملناهم على خرم تهلان شلالا فدمي الانساء
وجبهناهم بطعن كما تنهز في حمة الطوى الماء
وفعلنا بهم كما علم الله وما ان للخائنين دماء
ثم حجراً اعتى ابن ام قطام وله فارسية خضراء
أسد في اللقاء ورد هموس وربيع ان شمرت غبراء
وفككنا غل امرىء القيس عنه بعد ما طال حبسه والعناء
ومع الجون جون آل بني الاوس عنود فكأنها دفواء
ما جزعنا تحت العجاجة إذ ولوا شلالا وإذ تلظى الصلاء
واقدناه رب غسان بالمنذر كرها إذ لا تكال الدماء
واتيناهم بتسعة املاك كرام اسلابهم اغلاء
وولدنا عمرو بن ام اناس من قريب لما أتانا الحباء
مثلها تخرج النصيحة للقوم فلاة من دونها افلاء
فاتركوا الطيخ والتعاشي وأما تتعاشوا في التعاشي الدراء
واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي وهل ينقص ما في المفارق الاهواء
واعلموا اننا واياكم فيما اشترطنا يوم اختلفنا سواء
عنتا باطلا وظلماً كما تعتر عن حجرة الربيض الظباء
اعلينا جناح كندة ان يغنم غازيهم ومنا الجراء
أم علينا اجراً اياد كما نيط بحوز المحل والميساء
ليس منا المضريون ولا قيس ولا جندل ولا الحراء
ام جنايا بني عتيق فانا منهم ان غررتم برآء
وثمانون من تميم بايديهم رماح صدورهن القضاء

تركوكم ملجبين وآبوا بنهاب يصم منها الحداء
ام علينا جرا حنيفة ام ما جمعت من محارب غبراء
أم علينا جرا قضاعة بل ليس علينا فيما جنوه نداء
ثم جاؤا يسترجعون فلم ترجع لهم شامة ولا زهراء
لم يحلوا بني رزاع ببرقاء نطاع لهم عليهم دعاء
ثم فاؤا منهم بقاصمة الظهر ولا يبرد الغليل الماء
ثم خيل من بعد ذاك مع الغلاف لا رأفة ولا ابقاء
وهو الرب والشهيد على يوم الحيارين والبلاء بلاء

تمت المعلقات السبع ، بعون رافع السموات السبع ، وباسط الارضين السبع .

وقال ابوعبيدة : اشعر شعراء الجاهلية عشرة: اولهم امرىء القيس بن حجر وزهير بن ابى سلمى ، وطرفة بن العبد ، ولبيد بن ربيعة العامري ، وعنترة بن شداد العبسى ، وعمرو بن كلثوم التغلبي ، والحارث بن حلزة اليشكري ، هؤلاء السبعة قد ذكرناهم ، والثلاثة الباقون ، اولهم الاعشى ولاميته مشهورة وأولها :

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا ايها الرجل

وهي طويلة مشهورة ، وثانيهم النابغة الذبيانى ، ودالليته مشهورة اولها :

يا دارميـة بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الابد

وثالثهم ابن عمرو الشيبانى ، وبائيته مشهورة اولها :

اقفر من اهله لحوب فالقبطيات فالذنوب
فراكس فثعالبات فذات فرقين فالقليب
فعودة فقفا جبر ليس لها منهم غريب

وهذه كلها اسماء مواضع وهى طويلة مشهورة ، والله اعلم :

اسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام الذين ذكروا في القرآن العزيز خمسة وعشرون نبياً محمد ﷺ ، آدم ، ادريس ، نوح ، هود ، صالح ، ابراهيم ، لوط

اسماعيل ، اسحاق ، يعقوب ، يوسف ، أيوب ، شعيب ، موسى ، هارون ، يونس داود ، سليمان ، الياس ، اليسع ، زكريا ، يحيى ، عيسى ، وكذا ذو الكفل ، عند كثير من المفسرين .

قال ابن الجوزي والقاضي عياض وغيرهم في كتبهم : ان زيد بن ابى زيد المعروف بالرشك ـ بالضم وهو العقرب ـ دخلت العقرب في لحيته فاقامت ثلاثة أيام وهو لا يدرى بها لعظم لحيته وطولها .

قال بعضهم : وكونها مقدرة بثلاثة ايام هـذا التقدير ، كيف يصح لانه لو علم بها في اول وجودها في لحيته ما تركها فمن اين تعلم هذه المدة ؟ قيل في التقصى عنه انه يحتمل ان يكون في منزه او مكان يكون فيه العقارب ، وكان مبدأ كونه في ذلك الموضع من ثلاثة ايام ، فلما اصابها بعد ذلك علم ان مبدأ وجودها في لحيته من ذلك الوقت .

قال الشيخ بهاء الدين العاملي رحمه الله تعالى في كشكوله والذي وقع في زماننا وثبت صدقه عندنا ان في قرية قيصر التي كانت مصيفنا في كل سنة كانت امرأة في بعض الليالي باتت مع ابن لها ابن اربعين سنة ، فوجدت بابنها طول الليلة تململا وعدم استقرار في المبيت ، فلما اصبحا سألته عن ذلك ، فقال آذاني القمل جداً ، فجاءت اليه بقميص نضيف ، فلما خلعت قميصه وجدت فيه تسع عقارب ، وهـذا اعجب من الاول :

﴿ فائـدة ﴾

الطعوم تسعة وهى : الحلو ، والمر ، والحامض ، والمز ، والمالح ، والحريف ، والعفص ، والدسم ، والتفه ، لان الجسم أما ان يكون كثيفاً او لطيفاً او معتدلا والفاعل فيه أما البرودة او الحرارة ، او المعتدل بينهما فيفعل الحار ، في الكثيف مرارة ، وفي اللطيف حرافة ، وفي المعتدل ملوحة ، ويفعل البارد في الكثيف عفوصة ، وفي اللطيف حموضة ، وفي المعتدل حلاوة ، وفي اللطيف دسومة .

وقال بعضهم : ان اصول الطعام اربعة : الحلاوة ، والمرارة ، والحموضة ، والملوحة ، وما عداها فهو مركب .

من قول الامام علي عليه السلام :

صن السر عن كل مستخبر وحاذر فما الحزم إلا الحذر
اسيرك سرك ان صنته وانت اسير له ان ظهر

قيل لبعض الاعراب وقد اسن : كيف انت اليوم ؟ فقال : ذهب مني الاطيبان ، الاكل والنكاح ، وبقي الارطيان السعال والضراط .

﴿ ترجمة أبي محمد الإمام الحسن العسكرى بن على الهادى ﴾
(ابن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى الكاظم عليهم السلام)

وبقية نسبه اشهر من القمر ، ليلة اربعة عشر يعرف هو وابوه بالعسكرى ، لان المعتصم لما بنى مدينة سر من رأى انتقل اليها بعسكره ، فقيل لها العسكرية ، فنسب اليها الحسن وابوه .

وكانت ولادة الحسن العسكري يوم الخميس في بعض شهور احدى وثلاثين ومائتين ، وقيل : سادس ربيع الاول ، وقيل : ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وتوفى يوم الجمعة ، وقيل : الاربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الاول ، وقيل جمادي الاولى سنة ستين ومائتين بسر من رأى ، ودفن بجنب قبر ابيه .

وأما فضائل الامام الحسن فلا يحصرها اللسن ، وقد ذكر بعض فضائله ابن الحر الشيخ محمد بن الحسن . في ارجوزة طويلة منها قوله :

قتله بسمه المعتمد بقوة يرق منها الجلمد
وعمره تسع وعشرون وقد قيل ثمان بعد عشرين فقد
وعاش من بعد ابيه خمساً وقيل ستاً ثم حل الرمسا

ودفنه عند ابيه ظاهر لقبره الاشرف نور زاهر
ولده المهدي صلى الله عليهما وقيل وسواه
نص عليه والدوجد وعلمه وفضله والمجد
آياته والمعجزات جمة . نقلها الرواة والأئمه
أخبر بالحوادث العظام قبل وقوع حادث الامام
وكم اجاب سائلا وما سأل وكم اجاز سائلا وما سأل
ذلت له الدواب والصعاب وعجده الاشرف لا يعاب
علومه كثيرة غزيره كعلمه بالالسن الكثيره
اخبر بالقتل وبالممات لجملة من طالبي الآيات
ذلت له الاعداء والسباع وغيرت لاجله الطباع
كم استجاب الله من دعاء له واردى اكبر الاعداء
اخبر اقواما بما قد اضمروا ولم يكونوا نطقوا واظهروا
دعا لاعمى فشفاه الله وكم شفى الامراض إذدعاه
واستخرج اللؤلؤ من بحر السما وغاص في الارض وفضله سما
وفي حديث الراهب النصراني معجزة من اوضح البرهان
إذ كان في الحبس فصار جدب وكان سؤل المسلمين الخصب
فخرجوا يدعون للاستسقا ثلاثة والارض ليست تسقى
فخرج الراهب والنصارى يستمطرون الصيب المدرارا
فجاءهم غيث غزير هاطل وكلما دعوا اجاب الوابل
فافتتن الناس وراموا الرده لما رأوا من فرج وشدة
فطلبوا الامام حتى خرجا ثم دعا الله فنال الفرجا
وعندما اراد يدعو الراهب وقرب الغيث وفاز الطالب
أمر عبده الامام فاخذ من يده عظما فعند ما نبذ

انقشع الغيم وزال المطر وزال عن دين الاله الخطر
قال الامام انه عظم نبي فليس ما رأيتم بعجب
إذ كلما اظهر للسماء امطرت الغيث بلا دعاء
وطبع الحصاة حتى انطبعت كانه لما دعاها استمعت
كن ثلاث حصيات طبعا فيهن كالاباء فاعجب واسمعا
وضرب الارض واخرج الذهب فغنم السائل والفقر ذهب
ذلت له السباع إذ رموه وخضعت والناس قد رأوه
كذلك الوحوش والاطيار واشتهرت بذلك الاخبار
وكان يكتب الكتاب ومضى إلى الصلاة عن كتاب معرضا
فر في قرطاسه قلمه يكتب في الكتاب بل يختمه
بلا اصابع باذن الله مع حضور بعض من رآه واستمع
كلمه الذئب وذاك عجب لكن قبوله علينا يجب
انبع عين عسل ولبن في داره فاعجب لفعل حسن
ومثل هذا ثابت في النقل وليس بالمحال عند العقل

قال في القاموس: الانسناس وبكسر جنس من الخلق يثب احدهم على رجل واحدة.

وفي الحديث: ان حيا من عاد عصوا رسولهم، فمسخهم الله نسناساً لكل انسان منهم يد ورجل ومن شق واحد، ينقزون كما ينقز الطائر، ويرعون كما ترعى البهائم، ثم قيل: اولئك انقرضوا والموجود على تلك الخلقة، خلق على حدة قلت: الظاهر ان هذا القول هو الاصح لرواية عبد الله بن مسعود ان النبي ﷺ قال: ان الله تعالى لم يهلك قوما او يعذب قوما فيجعل لهم نسلا، وان القردة والخنازير كانوا قبل ذلك، وهذا نص صريح اخرجه مسلم في كتابه القدر.

وفي رواية: ان الله تعالى لم يجعل لممسوخ نسلا، وقد ثبت ان النسناس

من الممسوخين ، او هم ثلاثة اجناس ، او هم يأجوج ومأجوج ، او هم قوم من بني آدم او خلق على صورة الناس ، وخالفوهم في اشياء وليسوا منهم .

وناقة ذات نسناس سير باق ، وقطع الله نسناسه سيره واثره ، ونسنس الصبي تنسيساً ، قال له : أس أس ليبول او يتغوط ، والبهيمة مشاها ونسنس ضعف والطائر اسرع ، والريح هبت هبوباً بارداً ، وتنسس منه خيراً تنسمه .

لبعضهم فيمن به داء الثعلب :

أقول لمعشر جهلوا وغضوا من الشيخ الكبير وانكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا متى يضع العمامة تعرفوه

ونقلت من كتاب أظنه مختصر الكشكول ولم اقف على اسم مؤلفه ، قال : حكى من يوثق بقوله قال كان لي صديق من مكان بلاد الجزيرة ، وكان رجلا صالحاً ورعا فلقيته يوما فوجدته باكياً كئيباً حزيناً ، فسألته عن ذلك ، قال : ان ذلك بسبب موت زوجتي ، ثم قال : تزوجت منذ ست وثلاثين سنة ، ولم اسافر في تلك المدة لشدة شغفي بها ، ثم قال : والله العظيم انها منذ تزوجت بها ما توضأت في بيتي ولا وضوأ واحداً ، بل كانت صلاتها كلها ليلا ونهاراً بالغسل .

ديك الجن الشاعر المشهور : اسمه عبد السلام ، كان من الشيعة ومات سنة خمس وثلاثين ومائتين ، وكان عمره بضعاً وسبعين سنة ، وكان له جارية وغلام قد بلغا في الحسن اعلى الدرجات ، وكان مشغوفاً بهما غاية الشغف ، فوجدهما في بعض الايام مختلطين تحت ازار واحد ، فذبحهما واحرق جسدهما ، واخذ رمادهما ، وخلط به شيئاً من التراب وصنع منه كوزين للخمر ، وكان يحضرهما في مجلس شرابه ويضع احدهما على يمينه والآخر على يساره ، فتارة يقبل الكوز المتخذ من رماد الجارية وينشد :

يا طلعة طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما روى الهوى شفتي من شفتيها

وتارة يقبل الكوز المتخذ من رماد الغلام وينشد :

قبلته وله علي كرامة فلي الحشا وله الفؤاد باسره
عهدي به ثملا كاحسن نائم والحزن يسفح ادمعي في حجره

﴿ فائدة ﴾

الأبعاد ترى من المواضع البعيدة أقصر ، وكل مرئى واقع في سطح والبصر مرتفع عنه فانه اقرب إذا صار البصر ارفع .

فليكن السطح (أ ب) والمرئى (ب) والبصر اعنى (ه) مرتفع عنه بقدر (أ ح) فنقول ان (ب) يرى اقرب من (أ) موقع العمود الخارج من البصر إلى السطح ، إذا صار (ب ه) بقدر (أ ع) لان زاوية (أ ب ح) اعظم من زاوية (أ ب ح) وزاوية (أ) بحالها فيكون (أ ح ب) اعظم من (أ ع ب) وايضاً زاوية (أ ح ب) خارجة عن مثلث (ع ح ب) فافهم والله بكل شيء عليم .

هذه كلمات تستحق ان تكتب بالنور ، على وجنات الحور : من أعز نفسه اذل فلسه ، من سلك الجادة أمن العثار ، من كان عبد اللحق فهو حر ، من بذل بعض عنايته لك فابذل جميع شكرك له ، من تأنى اصاب ما تمنى ، ما صين العلم بمثل بذله لاهله ، ربما كانت العطية خطية والعناية جناية ، لو لا السيف كثر الحيف ، لو صور الصدق لكان اسداً ، ولو صور الكذب لكان ثعلباً ، من قاسى الامور فهم المستور ، من لم يصبر على كلمة سمع كلمات ، من عاب نفسه فقد زكاها ، من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الآخرة ، الفقر يخرس الفطن عن حجته المرض حبس البدن ، والهم حبس الروح ، المنية تضحك من الامنية ، الهدية ترد بلاء الدنيا ، الصدقة ترد بلاء الآخرة ، الحر عبد إذا طمع ، والعبد حر إذا قنع ، اللسان صغير الجرم عظيم الجرم ، يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم ، مجالسة الثقيل حمى الروح ، كلب جوال خير من اسد رابض ، قد تكسد اليواقيت

في بعض المواقيت ، اتبع ولا تبتدع ، ارع من عظمك بغير حاجة اليك ، لا تكن ممن يلعن ابليس في العلانية ويواليه في السر ، لا تشرب السم اتكالا على ما عندك من الترياق ، لا تجالس بسفهك الحلماء ولا بحلمك السفهاء ، صديقك من صدقك لا من صدقك ، لا سرف في الخير كما لا خير فى السرف .

﴿ ترجمة صاحب القاموس ﴾

ذكره الشيخ بدر الدين القرافي المالكي في القول المأنوس شرح مغلق القاموس فقال : اللائق قبل الخوض في الكلام ، التعريف بحال المصنف وما له من مقام ، اعلم ان ممن اثنى عليه وعلى كماله من العلماء الاعلام الحافظين وابن قاضى شهبرة وغيرهما .

قال السخاوي في الضوء اللامع : محمد بن يعقوب بن محمد بن ابراهيم بن عمر بن ابي بكر بن محمد بن ادريس بن فضل الله بن الشيخ ابى اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف ابو اسحاق الفقيه مجد الدين الفيروز ابادي الشيرازي اللغوي الشافعى ، ولد فى ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبعمائة بكازرون .

حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وجود الخط وولي التدريس ، وكثر الآخذون عنه .

وممن اخذ عنه الصلاح الصفدي ، والبها ابن عقيل ، والكمال الاسنوي ، وابن هشام .

ثم دخل القاهرة واخذ عن علمائها ، ودخل في البلاد الشرقية والشمالية ودخل الروم والهند ولقى الفضلاء وحمل عنهم كثيراً ، ثم دخل زبيد في رمضان سنة ست وتسعين وسبعمائه ، فتلقاه السلطان الاشرف اسماعيل وبالغ في اكرامه وصرف له الف دينار ، سوى الف دينار اخرى ، واضاف اليه قضاء اليمن كله في ذي الحجة سنة سبع وتسعين .

وممن قرأ عليه السلطان فمن دونه واستقر بزبيد مدة عشرين سنة ، وكان الاشرف قد تزوج ابنته لمزيد جمالها ، ونال منه رفعة بحيث انه صنف له كتابا واهداه له على اطباق فملأها له دراهم ، وفي اثناء هذه المدة قدم مكة مراراً وكان يحب الانتساب الى مكة ، فيكتب بخطه الملتجيء إلى حرم الله ، ولم يدخل بلداً إلا واكرمه متوليها وبالغ في تعظيمه مثل شاه منصور بن شجاع صاحب تبريز والاشرف صاحب مصر ، والسلطان بايزيد بن عثمان ملك الروم ، وابن ادريس صاحب بغداد وتيمور لنك وغيرهم .

واقتنى كتباً كثيرة حتى قيل عنه انه قال : اشتريت كتابا بخمسين الف مثقال ذهباً . وكان لا يسافر إلا وصحبته منها احمال ويخرجها في كل منزل وينظر فيها ويعيدها ، وكانت طلبته ومع ذلك فكان يملق احياناً بحيث يحتاج إلى بيع بعض كتبه .

وله تصانيف كثيرة عظيمة شهيرة منها بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تنوير المقياس في تفسير ابن عباس ـ اربع مجلدات ـ فاتحة الابواب تفسير فاتحة الكتاب ـ مجلد كبير ـ الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم ، حاصل سورة الخلاص في فضائل سورة الاخلاص ، شرح خطبة الكتاب ، شرح مشارق الانوار ، منح الباري في شرح البخاري ، كمل ربع العبادات ـ في عشرين مجلداً ـ عدة الحكام في شرح عمدة الاحكام افتضاض السهاد ، في افتراض الجهاد ـ مجلد ـ الاسعاد بالاصعاد إلى درجة الاجتهاد ـ ثلاث مجلدات ـ النفحة العنبرية في مولد خير البرية ، الصلات والبشر فى الصلاة على خير البشر ، الوصل والمنى في فضل منى المعالم المطابة فى فضل طابة ، تهييج الغرام إلى البلد الحرام ، اثارة الحجون لزيارة الحجون ـ عمله في ليلة واحدة ـ أحاسن اللطائف في محاسن الطائف ، فصل الدرة من الخرزة في فضل السلامة على الخبزة ، قربتان بالطائف ، روضة الناظر في ترجمة الشيخ عبد القادر ، المرقاة الوفية في طبقات الحنفية ، التبلغة في ترجمة أئمة اللغة ،

الفضل الوفي في العدل الاشرفي ، نزهـة الاذهان في تاريخ اصفهان ـ مجلد ـ تعين الغرفات للمعين على عين عرفات ، منية السؤل في دعوات الرسول ، التجاريح في الفوائد المتعلقة باحاديث المصابيح ، تسهيل طريق الوصول إلى الاحاديث الزائدة على جامع الاصول ، الاحاديث الضعيفة ، الدر الغالي في الاحاديث الموالي ، سفر السعادة المتفق وضعاً والمختلف صنعاً . اللامع المعلم العجاب وزيادة امتلأ بها الوطاب ـ قدر تمامه في مائة مجلد يقرب كل مجلد من صحاح الجوهري ، كل منه خمس مجـــلدات ـ القاموس المحيط والقابوس الوسيط ، مقصود ذوي الالباب في علم الاعراب ـ مجلد ـ تحبير الموشين فيما يقال بالسين والشين ـ تتبع فيه اوهام المجمل لابن فارس من الف موضع ـ المثلث الكبير ـ في خمس مجلدات ـ الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الالوف ، تحفة القماعيل فيمن تسمى من الملائـكة والناس باسماعيل اسماء السراح في اسماء النكاح ، الجليس الانيس في اسماء الخندريس ـ مجلد ـ ابو الغيث في اسماء الليث ، ترقيل الاسل في اسماء العسل ، زاد المعاد في وزن بانت سعاد ـ وشرحه في مجلدين ، التحف الظرائف في النكت الشرائف ، وغير ذلك من مطول ومختصر .

واجتمع بتيمور لنك فعظمه وانعم عليه بمائة الف درهم ، ورام في سنة تسع وسبعين التوجه إلى مكة المشرفة فكتب إلى السلطان الاشرف .

ومن جملة ما كتب وكان من عادة الخلفاء سلفاً وخلفا انهم كانوا يبردون البريد عمد القصد تبليغ سلامهم إلى حضرة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه مدراراً فاجعلني جعلني الله فداك ذلك البريد ، فلا اتمنى شيئا سواه ولا اريد .

فكتب اليه السلطان ان هذا شيء لاينطق به لسانى ولا يجرى به قلمي فبالله عليك إلا ماوهبت لنا هذا لعمر الله يا مجد الدين يمينا بارة ، انى ارضى فراق الدنيا ونعيمها ، ولا فراقك انت اليمن واهله .

وكان كثير الحفظ حتى يقال عنه انه قال ما كنت أنام حتى احفظ مائة سطر

وقد سارت الركبان بتصانيفه ، سيما القاموس فانه اعطى حظا كثيراً .

قال اسماعيل المقري صاحب الارشاد :

مذ مد مجد الدين في ايامه من بعض ابحر علمه القاموسا
ذهبت صحاح الجوهري كانها سحر المدائن حين القى موسى

ومما كتب عنه الصلاح الصفدي :

احبتنا الاماجد ان رحلتم ولم ترعوا لنا عهداً وإلا
نودعكم نودعكم قلوبا لعل الله يجمعنا والا

ونقل من خط المصنف اعني صاحب القاموس قال : انشدنا الفقيه جمال الدين محمد صباح الصباحي لنفسه في مدح هذا الكتاب :

من رام في اللغة العلو على السها فعليه منها ما حوى قاموسها
مغن عن الكتب النفيسة كلها جاع شمل شتاتها ناموسها
فاذا دواوين العلوم تجمعت في محفل للدرس فهو رئيسها
لله مجد الدين خير مؤلف ملك الأئمة وافتدته نفوسها

وأنشد الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الله بن نصر الواسطي فيه

ألا ما لهذا في اللغات مشابه وما هو إلا كاسمه زاخر بحر
أحاط بما يحوي سواه وفاقه بمبدع لفظ مع لغات لها اسر
جزى الله خيراً من تصدى لجمعه وآتاه فضلا راق ما اتصل الدهر

ولغيره :

أيا طالبا لكلام العرب ومبتغيا فيه نيل الارب
عليك بهذا الكتاب الذي ترقى من الفضل اعلى الرتب
واجمع كل الورى انه اجل تصانيف اهل الادب
ولو انصفوه إذا نمقوه لما خط إلا بماء الذهب

ولغيره :

كتبتك يا خير التصانيف كلها على كبر سني وانقضاء سنيني
فليت شبابي عاد حتى يكون لي على كتبي القاموس خير معين
فها انا ذا اتعبت نفسي لاجله وانضيت فيه مقلتي ويميني
ولو انني انصفته لـكتبته بماء فؤادي في سواد عيوني

وقد ذكر الحافظ السيوطي من مفاخر المصنف مانصه : روى لنا غير واحد سئل أي المصنف بالروم عن قول علي بن ابي طالب : ألصق روانفك بالجبوب وخذ المزبر بشنا ترك ، واجعل حندورتيك إلى قيهلي حتى لا انغى نغيـة إلا اودعتهـا بحماطة جلجلانك ما معناه ؟

فقال : ألزق عضرطك بالصلة وخذ المسطر بابا خسك ، واجعل حجمتيك إلى اثعبانى حتى لا انبس نبسة إلا وعيتها في لمظة رباطك ، فتعجب الحاضرون من سرعة الجواب ببديع اللفظ وغريبه .

ثم قال السيوطي : قلت الروانف المقعدة ، والجبوب الارض ، والمزبر القلم والشناتر الاصابع ، والحندورتان الحدقتان ، وقيهلي وجهي ، وأنغى أي انطق والحماطة الحبة ، والجلجلان القلب . . انتهى .

ولم يبين كلمات الجواب ، وأقول : العضرط كزبرج العصعص ، والصلة ما انحدر من الوركين ، والمسطر القلم ، والاباخس ـ بالباء الموحدة وخاء معجمة بعد الالف ثم سين مهملة ـ الاصابع ، والحجمة ـ بجيم ثم حاء مهملة العين ـ والاثعبان اللسان ، ونبس ـ بنون ثم باء موحدة وسين ـ تـكلم فاسرع ، واكثر ما يستعمل في النفي ، واللمظة ـ بالظاء المشالة ـ .

قال ابن النعمان في كتابه ذخيرة الايمان : اللمظة هي النقطة البيضاء في سواد والسوداء في بياض ، وهي بفتح اللام عند المحدثين ، والعرب تقول : لمظة ـ بالضم ـ مثل دهمة وشبهة وصفرة وحمرة وخضرة وشبه ذلك .

وفي الصحاح اللمظة : كالنقطة من البياض .

وفي الحديث الايمان يبد وكلمظة بيضاء في القلب .

وفي كتاب أبي نعيم نسبه إلى علي بن ابى طالب عليه السلام قال : كان علي عليه السلام يقول : ان الايمان يبدو لمظة بيضاء في القلب ، وكلما زاد الايمان زاد البياض ، وإذا استكمل الايمان ابيض القلب كله ، وان النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب ، وكلما زاد النفاق زاد ذلك السواد ، فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه ابيض ، ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه اسود .

رواه النعمان في الكتاب المذكور والرباط الفؤاد ، وقد اشتمل هذا الكتاب اي القاموس المحيط على فوائد شريفة منها ذكر اسماء بعض الصحابة والتابعين والمحدثين والفقهاء وفوائد طبية وامثال واسماء بلدان وقرى وخيل والله تعالى اعلم.

فائدة

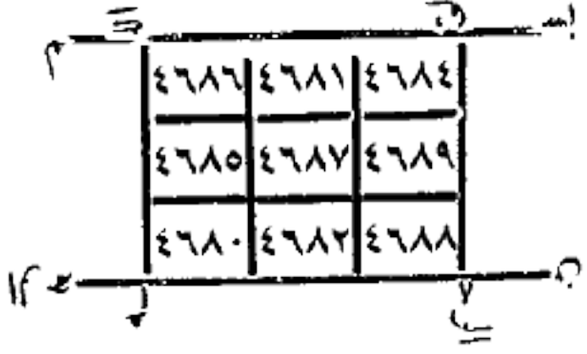

هذا وفق آية الكرسي وله دعاء عظيم ، فاذا اردت شيئاً اوضاق حالك فاقرأ آية الكرسى ثلاثمائة وثلاث عشرة مرة الثلث الأخير من الليل ، واقرأ الدعاء خمسين مرة .

وان حملت الدعاء والوفق في لوح من ذهب خضع لك كل شيء ، وان قابلت سلطاناً او ظالماً خضع لك وانبسط لك باذن الله تعالى .

وهذا الدعاء العظيم المبارك : بعزة الملكوت ، بعظمة الجبروت . الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، مشمورش عظمورش نقمورث كقوش عيطوش كفكفلوش شولث شمهقالوعث قوي كريم مبين ، اللهم اني اسألك ياهو يا هو ياهو يا ربنا يا ربنا يا ربنا يالله يا الله يالله ، اي والله انت الله الذي لا إله إلا أنت خلقتني فعملت سوأ

وظلمت نفسي فاغفر لي ، فأنه لا يغفر الذنوب إلا انت ، اعوذ بك من سخطك ومقتك ، واسألك باسمك الشهير الجليل اكشف عني غمة بصري لأعلم حقيقة الامر من نورك ، واشاهد ملائكة ملكوتيين يذل لها رقاب الجبارة من خلقك وعبادك خضعت الاعناق وخشعت الاصوات وتقدست اسماؤك انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين .

ما كان يدعو به بعض الحكماء : اللهم اهلنا بالانابة اليك ، والثناء عليك ، والثقة بما لديك ، ونيل الزلفى بما عندك ، وهون علينا الرحيل عن هذه الدار الضيقة والفضاء الحرج والمقام الدحض والعرصة المحشوة بالغصة والساحة الخالية عن الراحة بالسلامة والربح والغنيمة إلى جوارك ، حيث قلت في مقعد صدق عند مليك مقتدر وحيث يجد ساكنه من الروح والريحان والراحة مايقول معه الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ، واحسم مطامعنا عن خلقك وانزع قلوبنا عن الميل إلى غيرك واصرف اعيننا عن زهرة عالمك الادنى برحمتك وفضلك وجودك يا كريم .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى (حمعسق) قال : الحاء حلمي ، والميم ملكي ، والعين علوي ، والسين سنائي ، والقاف قدري ، فبحلمي وملكي وعلوي وسنائي وقدري ان لا اعذب عبداً قال لا إله إلا الله مخلصاً ، فاقيني بها .

ومعنى قول ابن عباس : ان لا يعذب عبداً ، يعني لا يعذبه عذاباً دائماً خالداً .

قوله تعالى (وان منكم إلا واردها) الآية. أي داخلها والمراد النار فالورود الدخول عند علي وابن عباس رضي الله عنهما ، وعليه جمهور اهل السنة ، لقوله تعالى (فاوردهم النار) ولقوله (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) ولقوله (ثم ننجي الذين اتقوا) إذ النجاة انما تكون بعد الدخول ، ولقوله ﷺ : لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم ،

وتقول النار للمؤمن : جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي .

وقيل : الورود بمعنى الدخول ، لكنه يختص بالكفار ، لقراءة ابن عباس وان منهم. ويحمل القراءة المشهورة على الالتفات .

وعن عبد الله بن مسعود : الورود الحضور ، لقوله تعالى : (ولما ورد ماء مدين) وقوله (اولئك عنها) واجيب بأن المراد عن عذابها .

وعن الحسن وقتادة: الورود المرور على الصراط ، ممدود عليها فيسلم اهل الجنة ويسقط اهل النار .

وعن مجاهد : ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا . لقوله عليه الصلاة والسلام : الحمى حظ كل مؤمن من النار .

وقال الفقيه رحمه الله : حدثني الثقة باسناده عن الكلبي عن ابى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية كبالها الناس كبوة شديدة وحزنوا وقالوا ليس احد إلا ويدخلها فجلسوا يبكون ، فمكثوا بعد هذه الآية سنتين ثم نزل (ثم ننجي الذين اتقوا) .

قال: وروي في بعض الاخبار انه نزل بعد ثلاثة ايام (ثم ننجى الذين اتقوا) أي من الشرك والمعاصى ففرح المسلمون بها .

(برهانان) مختصران على مساواة الزوايا الثلاث من المثلث بقائمتين .

ليكن المثلث (أبج) ويخرج من نقطة (أ) إلى ٦ خطاً موازيا (لب ح) فنقول زاويتا (٦أب حب أ) كقائمتين لكونهما داخلتين في وجهه وزاويتا (٦أ ح أحب) متساويتان لانهما متبادلتان ، وزاوية (ج) بجموع زاوية (ب) وزاوية (ب) تساوي قائمتين ايضاً ، وذلك ما اردناه .

ثم اقول بوجه آخر : يخرج (أ٦) على الاستقامة موازيا (لب) إلى ٥ فالزوايا الثلاث الحادثة كقائمتين ، والمتبادلتان متساوية ، فالثلاث التي في المثلث كقائمتين وذلك ما اردناه .

ملتقطات من الباب الأخير من كتاب نهج البلاغة

من كلام علي بن ابي طالب عليه السلام : البشاشة حبالة المودة . إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه . أفضل الزهد اخفاء الزهـد . لا قربة بالنوافل إذا اخرت الفرائض. المال مادة الشهوات . كل اناء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فانه يتسع، اتق الله بعض التقى وان قل ، واجعل بينك وبين المعاصى ستراً وان رق ، أفضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه ، كفى بالاجل حارساً. قليل تدوم عليـه خير من كثير محلول عنه ، صاحب السلطان كراكب الاسد بينما هو فرسه ، اذ هو فريسته ، وللشيخ بهاء الدين محمد العاملي رحمه الله تعالى ، دوبيت :

للشوق الى طيبة جفنى باكى ... لو أن مقامى فلك الافلاك
يستحقر من مشى على تربتها ... المشى على اجنحـة الاملاك

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ ترجمة الإمام المهدى المنتظر أبى القاسم محمد بن الحسن العسكرى ﴾
(ابن على الهادى بن محمد الجواد بن على الرضا بن موسى)
(الـكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن)
(على بن الحسين بن على بن أبى طالب)
(عليهم السلام)

هو القائم المنتظر ، على رأي الامامية ، وهو صاحب السرداب ـ وقد تقدم ذكر السرداب في اوائل الـكتاب ـ وللامامية فيـه اقوال كثيرة ، وهم ينتظرون خروجه آخر الزمان .

كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمسين ومائتين ، ولما توفى ابوه ـ وقد تقدم ذكره ـ كان عمره خمس سنين ، واسم امه نرجس .

والشيعة يقولون انه دخل السرداب في دار ابيه وامه في ايام المتوكل العباسي ولم يخرج من السرداب إلا إذا آن اوانه ، وظهر برهانه ، وهذه تسمى الغيبة الكبرى ، وذلك فى سنة خمس وستين ، وعمره يومئذ تسع سنين ، والصحيح : ان ولادته في ثامن شعبان سنة ست وخمسين ومائتين ، ودخل السرداب سنة خمس وسبعين ومائتين ، وعمره سبع عشرة سنة والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب.

وأما فضائله فكثيرة ، ومعجزاته كالشمس شهيرة ، وقد ذكر بعض فضائله ومعجزاته الشيخ العلامة الفهامة محمد بن الحسن الحر الشامي العاملي المشغري في ديوانه ، في ارجوزة طويلة اختصرنا منها قوله :

لقبه المهدي والمنتظر والقائم المكرم المطهر
تواتر النص بانه ولد من الفريقين وانه وجد
وكم رآه رجل ففازا إذ شاهد الرشاد والاعجازا
اكثر من سبعين شخصاً شاهدوا جماله ولاحت الشواهد
لذاك قد تواتر الاخبار بذاك والانباء والآثار
وغاب غيبتين صغرى امتدت وكانت الشدة فيها اشتدت
قريب سبعين من الاعوام كان اختفى عن اكثر الانام
كان له من الموالي سفرا إذ غاب واختفى ورام السفرا
وغيبة اخرى إلى ذا الآن وانه لصاحب الزمان
لكنه لا بد من ان يخرجا وبعد شدة نلاقى الفرجا
والنص ناهيك به تواترا فانظر إلى كل كتاب كي ترى
وهي ألوف قد روت في الكتب وشهدت له بكل عجب
عليك بتتبع النصوص على العموم وعلى الخصوص
ان شئت فاصرف نحوها الاعنة وانظر مؤلفات اهل السنة
تجد كثيراً من رواياتهم جاء بها من ليس بالمتهم

وان ترد اخباره البديعه فانظر إلى مؤلفات الشيعة
فانها مشحونة بذاكا فدع جهولا منكراً أفاكا
ومعجزاته كثيرة اتت منقولة مما استفاض وثبت
كم اخبر القوم بما كان اختفى
من مرض الشكوك فازوا بالشفا
كم حملوا له من الاموال وما درى خلق بتلك الحال
فجاءهم كتابه بكل ما كان وبالتفصيل فانظر واعلما
وفي سوار أرسلوه من ذهب عجائب شتى بها الشك ذهب
إذ رده وباقي المال قبل قال اكسروه فبأمره عمل
فظهر الحديد والنحاس وسطه وحار فيه الناس
وارسلوا ذهبة فقبلا وكم غريب مثله قد نقلا
وبعثوا يوما اليه مالا فرده إذ لم يكن حلالا
وقال من مال فلان فيه اربعمائة بلا تمويه
فحسبوا فوجدوه حقا ولم يقل مولاي إلا صدقا
اخبر قوماً بزمان موتهم وارسل الاكفان عند فوتهم
وكم دعا فلاحت الاجابه وربه لما دعا اجابه
وجعل التراب في الحال ذهب ووهب السائل منه ما وهب
ونطقه في ساعة الولاده بالذكر والدعاء والشهاده
وبعدها في صغر السن عجب واى علم عنهم قد احتجب
ولاح نور ساطع إلى السما إذ ذاك فتعجبوا لما سما
وطيه الارض لبعض الناس معجزة لاحت بلا التباس
وكتبوا له بلا مداد فورد الجواب بالسواد
وقد شفى الامراض ميل كحلا به فاذهب الشكوك والبلا

وفرش الحصير فوق الماء وقام للصلاة والدعاء
فجار فيه طالب وغرقا وعاد عنه خائباً منطلقا
وحمل له مضى نحو السما كانه قد كان يرقى سلما
وكم شفى المرضى بمسح الكف او بدعاء في الشفاء يكفي
روّى ثلثمائة من ماء لم ينتقض من اعجب الاشياء
شبعهم من زاده ايضاً عجب وهو بحاله وقد زال السغب
اراهم الورد الطرى الاحمرا في غير وقته فدع عنك المرا
اخباره بالغيب ليست تنكر اذ في كتاب الله ذاك يذكر
الا من ارتضاه من رسول في سورة الجن فخذ دليلي
إذ علمه من النبي المرتضى اختارهم لكل غيب وارتضى
رأيته في النوم غير مره فاوجب الفرحة والمسره
اخبرنى بكل ما اضمرته وقد اجابنى وما سألته
ناولني الكاس وليس يسكر شربت ما كان فيه سكر
وكنت إذ ذاك مريضاً دنفا ففزت لما ان شربت بالشفا
تفصيل معجزاته يطول وكل ما نقوله قليل
وعمره ثمانمائة خلت ثلاثة واربعين قد تلت
وربنا ادرى بما قد بقيا من عمره وما رأى ولقيا
غيبته تواترت اخبارها واشتهرت من قبلها آثارها
وطول عمره كذا مروي ينقله العدو والولي
وطول عمر الخضر ليس ينكر فما الذي من مثل هذا انكروا
وعمر لقمان وابليس عجب وذاك ممكن وهذا قد وجب
كذاك الياس بلا نزاع وذاك امر ما اقتضاه داع
كذاك ادريس وعيسى بقيا وكم وكم مثلهم قد رويا

وانظر إلى المعمرين الفا وفوقها بين الانام يلفى
وانظر إلى غيبة بعض الانبيا ثم إلى اختفاء بعض الاوصيا
وقدرة الله التي لا تنكر تشمل ما يروى هنا ويذكر
خروجه في آخر الزمان قد صح بالنص وبالبرهان

فلما كان غرة ربيع الاول ، سنة الف ومائة وثمان وثلاثين من هجرة النبي المكمل ، رحلنا من بندر سورت صحبة الجناب المكرم ، والرئيس المفخم ، الحجي الشريف شريف مكة الشيخ أحمد علان ، إلى شاه جهان، اباد تخت السلطان ، وكان طريقنا على احمد اباد المتقدم ذكرها يا امجاد ، فدخلناها وأقمنا بها ثلاثة اشهر إلى ان قبض الشيخ من هناك دراهم كانت محولة له ، ثم رحلنا من احمد اباد ، إلى شاه جهان اباد ، وفي هـذه السنة حصل في بلاد الدكن جراد عظيم يقرب طول الجرادة من الشبر الوافر .

والجراد حيوان معروف ، وليس له جهة مخصوصة ، وانما يكون هاربا هائماً وإذا ارادت الجرادة ان تبيض ذهبت إلى الصخور فتضربها بذنبها فتلقي بيضها فيها

وللجراد ستة ارجل ، واطراف ارجله كالمنشار ، وهو ألوان عديدة ، وفيه خلقة عشرة من الحيوان وجه فرس ، وعينا فيل ، وعنق ثور ، وقرنا أيل ، وصدر اسد ، وبطن عقرب ، وجناح نسر ، وفخذ جمل ، ورجلا نعامة ، وذنب حية .

وفي الحديث: ان جرادة وقعت بين يدي رسول الله ﷺ فاذا على جناحها مكتوب بالعبرانية نحن جند الله الاكبر ، وله تسعة وتسعون ملكا ولو تم لنا المائة لاكلنا الدنيا بما فيها .

قال ﷺ : اللهم اهلك الجراد ، اقتل كبارها وامت صغارها وسد افواهها عن مزارع المسلمين ، وعن معايشهم انك سميع مجيب ، قال : فجاءه جبرائيل عليه السلام فقال : انه قد استجيب لك في بعضها .

وفي الحديث : ان رسول الله ﷺ قال : ان الله تبارك وتعالى خلق الف

امة ، ستمائة منها في البحر ، واربعمائة في البر ، وان اول هلاك هذه الامم بالجراد والله اعلم .

رجع إلى بدء: ومما حدث في هذه السنة ان الامير حامد خان عم الوزير نظام الملك كان حاكما بمدينة احمد اباد ، وكان الامير شجاعت خان مقيما بها ، وكان من الامراء الاعيان فعزل حامد خان بأمر السلطان ، وتولى المدينة سر بلند خان وكان إذ ذاك في ابواب السلطان ، فارسل الامر السلطاني إلى شجاعت خان وامره ان يضبط المدينة ، وان يكون نائباً عنه إلى ان يصل اليه والقى مقاليد الامور اليه فطلب الامير شجاعت خان جميع امراء كجرات والاعيان وقرأ عليهم امر السلطان ومرسوم النيابة من سر بلند خان ، فامتثل الامر الجميع من الرفيع والوضيع وارسل حينئذ شجاعت خان إلى حامد خان بان يسلم القلعة والبلاد ويرحل عن احمد اباد فامتنع وعصى وشقت بين اميرين العصا ، ووقع بينهما داخل المدينة حرب شديد يشيب منه رأس الوليد ، مدة ثلاثة ايام بلياليها حتى خلنا من صوت المدافع ان المدينة خسفت بمن فيها .

ثم خرج حامد خان كرهاً وصار شجاعت خان واليها ، واقام حامد خان خمسة ايام خارج البلاد على غدير عظيم مشهور ، يسمى كنكريه طلا ـ وبفتح الكافين بينهما نون ساكنة وكسر الراء المهملة وفتح الياء التحتانية المشددة بعدها هاء ساكنة وفتح الطاء المهملة واللام الف وسكون الواو ـ وهذا الغدير مرصف بالاحجار وحوله انواع الاشجار والثمار ، واصناف الطيور والازهار .

ثم ان حامد خان رحل من ذلك المكان ، وسار طالباً ارض الدكن يستنجد بابن اخيه نظام الملك المخاطب بقليج خان بن غازي الدين خان على اخذ احمد اباد من يد شجاعت خان فانجده بستين الف فارس من كفرة الغنيم الأبالس ، والمقدم عليهم جبار عنيد بل شيطان مريد يسمى كتنه جي فكر بهم راجعاً إلى احمد اباد وقد اضمر الخراب والفساد ، هذا ما كان من حامد خان .

وأما الشيخ احمد علان فانه رحل ورحلنا صحبته من احمد اباد قاصدين شاه جهان اباد، فأتينا بعد اربعة ايام على قرية تسمى كربنج، واقمنا بها يوما. فلما اردنا الرحيل منها وصلتنا الاخبار بأن حامد خان واصل الينا مع الغنيم آخر النهار.

فلما كان بعد العصر وصل حامد خان والغنيم في جيش عرمرم عظيم، وفي اليوم الثاني ارسل لنا علما نركزه عندنا لنأمن من اذى الغنيم، ثم ارسل رسول الامان، وطلب الشيخ احمد علان، فسار اليه بهدية منها سيف عظيم وفر وقاقم وزوج طبنجات، فأكرم الشيخ غاية الكرامة وبشره ومن معه بامن من الغنيم والسلامة، ثم ان الشيخ طلب من حامد خان ان ياذن له في الرحيل إلى شاه جهان اباد بلاد السلطان، فمنعه عن المسير واخبره ان لصوص الكولية في طريقه كثير، وقد قطعوا الطرقات وشنوا على القوافل الغارات، وان يرجع معه إلى احمد اباد إلى ان تخمد نار الفساد فامتثلنا الامر ولله الامر وصبرنا على حوادث القضا وأقمنا معه ولكن على جمر الغضا.

ورحلنا إلى احمد اباد وقد صدنا عن السفر وبلوغ المراد، فلم نزل نسير مع ذلك الجم الغفير إلى ان وصلنا إلى شاهى باغ - يعنى البستان السلطاني - وهو بستان عظيم يجل وصفه عن الحصر، بناه اعظم شاه بن اورنقزيب على شاطىء النهر، وكان وصولنا اليه عند ما تضاحى النهار.

ووصل الينا ذلك الوقت شجاعت خان بعسكر جرار، فوقع بين العسكرين الحرب، واشتد الطعن والضرب واصطفت الصفوف وبرزت الابطال بالالوف وحمى الوطيس والتقى الخميس بالخميس، وجردت السيوف ودارت كاسات الحتوف، وبرز الشجاع الصنديد، وولى الجبان الرعديد، ولعبت الفرسان، وجندلت الاقران في الميدان، وكان لنا يوم عبوس، خرجت فيه النفوس، وقطعت فيه الايدي والرؤس، وصب على الفريقين رصاص المدافع والبنادق كالمطر.

وحصل لحامد خان النصر والظفر. وتقابل مع شجاعت خان على الافيال،

وتضاربا بالسيوف ، ثم ترامیا بالنبال ، فرماه حامد خان في جبهته بالسهام ، فنكسه عن فيله واذاقه كاس الحمام ، ثم قدم عليه فقطع رأسه ، واخمد انفاسه وهزم رجاله ونهب خزائنه واملاكه رحمه الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هذا الذي ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

وإلا إذا ميزت بين شجاعت خان وحامد خان ، رأيت حامد خان برقا بلا مطر ، وشجراً بلا ثمر ، ورأيت شجاعت خان ، خاتم العصر والزمان فاين الغزالة من الذبالة ؟ واين الشراب من السراب ؟ واين الدر من الحصى ؟ واين السيف من العصا

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل هذا السيف خير من العصا

فان شجاعت خان ذو الجود والإحسان كان معدن كل فائدة ، ومنبع كل صلة وعائدة .

وان حامد خان كان ابخل من كلب بني زائدة ، لكن هذا امر مقدور لا ينفع معه المحذور لايسأل عما يفعل وهم يسئلون ، ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ثم ان حامد خان دخل احمد اباد وقد بلغ المراد .

وبعد مضى خمسة ايام طلب صنو شجاعت خان الامير الجليل ابراهيم قلي خان وارسل اليه بالامان وكان ابراهيم قلي خان مضمراً على اخذ ثار اخيه فأتى ودخل القلعة عليه ، فلما وقعت عينه عليه جرد سيفه وركض عليه فانهزم حامد خان ومعه ابراهيم قلي خان إلى ان دخله على النساء والصبيان ، فاستحى حين رأى الناس وقد قرب المسا وفي قلبه لهيب النار حيث لم يأخذ لأخيه الثار .

فما خرج إلى القلعة إلا وفيها من الرجال نحو خمسة آلاف بيدهم الحراب والاسياف ، فحمل عليهم حملة اسد ، ولم يكترث باحد ، وقتل منهم في حملته ستين رجلا وجرح ازيد ثم تكاثرت عليه الرجال واحدقت به الاقيال ، فقطعوه بالسيوف اوصالا اوصال ، رحمه الله الكريم المتعال .

وقد كان هذا الامير الرئيس الشهير كعبة الوفاد ، وملجأ القصاد ، رحيب

النادي ، غوث اللهيف الصادي ، حامي الجار ، كاشف العار ، بطل الحرب ، مجلي الكرب ، جامع الخصال الحميدة ، والصفات المجيدة ، فصار عليه وعلى اخيه ما صار من حامد خان والغنيم الاشرار .

فهذه حال الدنيا ، وزينتها الدنيا ، وافلح من اتقى الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

إنما الدنيا فناء ليس في الدنيا ثبوت
إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ثم ان حامد خان اقام في احمد آباد اياماً قلائل ، فبلغه ان رستم علي خان وهو اخوهما الثالث قد سار اليه في ثلاثين الف مقاتل ، وذلك انه كان حاكماً في بندر سورت ، فلما بلغه قتل اخويه عظم ذلك عليه ، فجهز هذا الجيش وسار اليه فخرج اليه حامد خان والتقيا في قرية يقال لها اراس تبعد عن احمد اباد ستة ايام وصار بينهما حرب عظيم ، فصدمه رستم علي خان صدمة منكرة ، وغلبه وكسر عسكره ، ونهب خزائنه ، وسد عليه أما كنه فولى منهزماً حامدخان ، وتبعه رستم علي خان ، فغدر به عند ذلك العسكر لقدرالله المقدر ، وذلك انه كان طول هذه السنة في حرب عظيم مع الكفرة الغنيم ، ومقدمهم بيلوجي اللئيم .

فلما بلغه قتل اخويه كبر ذلك لديه ، فتصالح مع بيلوجي والغنيم ، على مائة الف روبية ، من السكة الهندية ، وفيلين وخلعة سنية ، وان يكون واياهم يداً واحدة على حامد خان ، وعاهدوه بالزور والمكر ! وارسلوا خفية لحامد خان واخبروه بما اضمروا من غدر رستم علي خان .

فلما التقى الجيشان حمل رستم علي خان على حامد خان بثلاثة آلاف من ابطال العرب الشجعان ، فغلبه وكسره ، واقتفى اثره ، فاغتنم اللعين بيلوجي الفرصة وحمل بخمسة وعشرين الف فارس على مؤخر عسكر رستم علي خان ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وانهزم بقية عسكر الخان بين تلك القرى والبلدان ، ونهب هذا اللعين

الخائن جميع المدافع والسلاح والخزائن ، واحاط بالمدافع والرجال على رستم علي خان ، ومن معه من العرب الابطال ، ورجع ايضاً حامد خان ، وحلق عليه بالفرسان ، فحاربهم سبعة عشر يوماً رستم علي خان ، وقد قتلت ابطاله ، وضاق حاله ولم يبق معه غير خمسة وعشرين من شجعان العرب .

وقد قتل من الغنيمين في هذه المدة أمماً لا تحصى ولا تعد ولا تستقصى وفي كل يوم يأتي المدد إلى حامد خان من ابن اخيه قليج خان ، إلى ان بلغ جمعه مائة وستين الف فارس من الغنيم اهل الكفر والبهتان ، فهجم في اليوم الثامن عشر على رستم علي خان بجميع جيوش الكفر والطغيان ؛ فقتله رحمه الرحيم الرحمن .

وقد كان هذا الامير الكريم الشهير كاملا فى اوصافه والسجية صاحب همة وشجاعة واريحية تضرب بشجاعته الامثال ، وتشد إلى بابه الرحال ، فغدرت به وبأخويه الدنيا الفانية ، وحطتهم عن مراتبهم العالية :

كانوا جمال زمانهم فتصدعوا فكأنما لبس الزمان الصوفا

ثم ان حامد خان كر راجعاً إلى احمد اباد ، مسرور الفؤاد، وبعد ان قتل هؤلاء الثلاثة الاخوة الذي لم يسمح الزمان بمثلهم ، ولا يحصر عد فضلهم ، عصى إذ ذاك على السلطان وزاد في التجبر والطغيان ، وظلم العباد ، وخرب البلاد واظهر في الارض الفساد ، وقطع السبيل ، ونهب الغنى وابن السبيل.

وكان قد وعد الشيخ احمد علان ان يغمره بالاحسان ، ويرده مرد خير إلى السلطان ، فما وفى له بما وعد ، وانكر وجحد ، ونهب من الشيخ احمد علان جميع الخيل التي ارسلها شريف مكة مبارك بن احمد إلى السلطان .

وكان في تلك الايام وصلت إلى احمد اباد من شاه جهان اباد عمدة قمر الدين خان وزير السلطان قاصدة حج البيت ذي الاركان ، وزيارة النبي ذي البرهان .

فلما رأيت الامر قد طال وحل بالناس من الغنيم وحامد خان النكال ، وقد سئمت النفس من الاقامة على الاذلال ، فاستخرت الله في الامور وسرت صحبة عمة

الوزير إلى بندر سورت المعمور :

إذا ما ضاق صدرك من بلاد وخفت عليك يوما من اذاها
فارحل عاجلا منها سريعاً وخلي الدار تنعى من بناها
فدار مثل دارك قد تجدها وروحك لم تجد عوضاً سواها

فلما كان خامس عشر رمضان سنة الف ومائة وثمان وثلاثين من هجرة من انزل عليه القرآن ، رحلنا صحبة عمة الوزير ، وسألنا الله التيسير وسرنا على طريق بانكانير الذي ليس به بركة ولا خير ، وقد كان حامد خان ارسل معها خمسين فارساً من الغنيم يحفظونها من الكولية الاشرار ، السرقة الكفار ، فلم نزل نسير مع عمة الوزير ، وقاسينا في الطريق من لصوص الكولية الهول الخطير .

فلما كان عصر سادس وعشرين من شهر رمضان المبارك دخلنا بندر سورت بعون الله تعالى وتبارك وطابت النفوس ، وزال عنا العنا والبوس :

وان قضى الله بغفرانه فكل ما لاقيته سهل

﴿ ترجمة الإمام الشافعي ﴾

كان ابوعبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضى الله عنه ابن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف المذكور . وباقي النسب إلى معد بن عدنان معروف .

لقي جده شافع رسول الله ﷺ وهو مترعرع وكان ابوه السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر فاسر وفدى نفسه ، ثم اسلم ، فقيل له : لم لا تسلم قبل ان تفدي نفسك ؟ فقال : ما كنت احرم المؤمنين طعما لهم .

وكان الشافعي كثير المناقب ، جم المفاخر ، منقطع القرين ، اجتمعت فيه من العلوم بكتاب الله تعالى ، وسنة الرسول ﷺ وكلام الصحابة رضى الله عنهم

وآثارهم واختلاف اقاويل العلماء، وغير ذلك من معرفة كلام العرب، واللغة والعربية والشعر حتى ان الاصمعي مع جلالة قدره في هـذا الشأن ، كان يقرأ عليه اشعار الهذليين ، واجتمع في الشافعي ما لم يجتمع في غيره حتى قال احمـد بن حنبل رضى الله عنه : ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي .

وقال عبد الله بن احمد بن حنبل : قلت لابي انى اسمعك تكثر من الدعاء للشافعي ؟ فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا ، وكالعافية للبدن ، هل لهذين من خلف او عنهما عوض .

وقال احمد : ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وانا ادعو للشافعي واستغفر له !

وقال يحيى بن معين : كان احمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي ثم استقبلته يوما والشافعي راكب بغلة وهو يمشى خلفه ، فقلت له : يا ابا عبد الله تنهانا عنه وتمشى خلفه ، فقال : اسكت لو لزمت البغلة لانتفعت .

وحكى الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن الحكم انه قال : لما حملت ام الشافعي به رأت كأن المشترى خرج من فرجها حتى انقض بمصر ، ثم وقع في كل بلد منه شظية فتأول اصحاب الرؤيا انه يخرج منها عالم يختص بعلمه اهل مصر، ثم يفرق في سائر البلدان .

وقال الشافعي رضى الله عنه : قدمت على مالك بن انس رضى الله عنه وقد حفظت الموطأ حفظاً ، فقال : ان يكن احد يفلح فهذا الغلام .

وكان سفيان إذا جاءه شيء من التفسير او الفتاوى التفت إلى الشافعي وقال سلوا هذا الفتى .

وقال الحميدي: سمعت ابن يحيى بن خالد ـ يعني مسلما ـ يقول للشافعي افت يا ابا عبد الله فقد والله آن لك ان تفتي ، وهو ابن خمس عشرة سنة .

وقال محفوظ بن ابى بويه البغدادى : رأيت احمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام ، فقلت له : يا ابا عبد الله هذا سفيان في ناحية المسجد يحدث فقال

ان هذا يفوت ، وذلك لا يفوت .

وقال ابن حسان ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحد من اهل العلم كتعظيمه للشافعي . ولقد جاءه يوما فلقي محمد بن الحسن وقد ركب ، فرجع محمد إلى منزله وخلا به يومه إلى الليل ، ولم يأذن لاحد عليه .

والشافعي اول من تكلم في اصول الفقه ، وهو الذي استنبطه .

وقال ابن ثور : من زعم انه رأى مثل محمد بن ادريس الشافعي في علمه وفصاحته ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب ، كان منقطع القرين في حياته ، فلما مضى لسبيله لم يعتض عنه .

قال احمد بن حنبل : ما احد ممن بيده محبرة او ورق إلا وللشافعي في رقبته منة .

وكان الزعفراني يقول : كان اصحاب الحديث رقوداً فأتى الشافعي فايقظهم فتيقظوا . وفضائله اكثر من ان تعد .

ومولده سنة خمسين ومائة . وقد قيل انه ولد في اليوم الذي مات فيه ابو حنيفة رضى الله عنه .

وكانت ولادته بمدينة غزة . وقيل : عسقلان ، وقيل : باليمن . والأول اصح وحمل من غزة إلى مكة وهو ابن سنتين ، ونشأ بها ، وقرأ القرآن الكريم .

وحديث رحلته إلى مالك مشهور فلا حاجة إلى التطويل فيه . وقدم بغداد سنة خمس وسبعين ومائة وأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مصر ، وكان وصوله اليها سنة تسع وتسعين ومائة ، وقيل: سنة احدى ومائتين ، ولم يزل بها إلى ان توفى يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة اربع ومائتين ، ودفن بعد العصر من يومه بالقرافة الصغرى ، وقبره يزار بها بالقرب من المقطم رضى الله عنه .

وقال الربيع بن سليمان المرادي : رأيت هلال شعبان وانا راجع من جنازته وقال : رأيته في المنام بعد وفاته ، فقلت له : يا ابا عبد الله ما صنع الله بك ؟ فقال :

اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللؤلؤ الرطب !

وقد اتفق العلماء قاطبة من اهل الفقه والحديث والاصول والنحو واللغة وغير ذلك على ثقته ، وأمانته ، وعدالته ، وزهده ، وورعه ، ونزاهة عرضه ، وعفة نفسه ، وحسن سيرته ، وعلو قدره وسخائه .

وللامام الشافعي اشعار كثيرة فمن ذلك ما نقلته من خط الحافظ ابي هريرة السلفي قوله :

ان الذي رزق اليسار ولم يصب حمداً ولا اجراً لغير موفق
الجد يدني كل امر شاسع والجد يفتح كل باب مغلق
وإذا سمعت بان مجدوداً حوى عوداً فأمر في يديه فحقق
وإذا سمعت بان محروما اتى ماء ليشربه فغاص فصدق
واحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همـــة يبلى بعيش ضيق
ولربما عرضت لنفسي فكرة فاود منها انني لم اخلق
لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم اقطار السماء تعلق
لكن من رزق الحجى حرم الغنى ضدان مفترقان أي تفرق
ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

ومن المنسوب اليه رضوان الله عليه :

ما ذا يخبر ضيف بيتك اهله ان قيل كيف معاده ومعاجه
ايقول جاوزت الفرات ولم اجد ريا لديه وقد طفت امواجه
ورقيت في درج العلى فتضايقت عما اريد شعابه وفجاجـه
ولتخبرن خصاصتي بتملقي والماء يخبر عن قذاه اجاجه
عندي يواقيت القريض ودره وعليك اكليل الكلام وتاجه
ربى على روض الربى ازهاره فيرف في بادي الندى ديباجه
والشاعر المنطيق اسود سالخ والشعر منه لعابه ومجاجـه

وعداوة الشعراء داء معضل ولقد يهون على الكريم علاجه

وهو القائل :

ولو لا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم اشعر من لبيد

وقال الشافعي رضي الله عنه : تزوجت امرأة من قريش بمكة وكنت امازحها فاقول :

ومن البلية ان تحب فلا يحبك من تحبه
ويصد عنك بوجهه وتلح انت فلا تغبه

اخبرني احد المشايخ الافاضل : انه عمل في مناقب الشافعي رضى الله عنه ثلاثة عشر مصنفاً .

ولما مات رحمه الله تعالى ورضي عنه رثاه خلق كثير ، وهذه المرثية منسوبة إلى ابى بكر محمد بن دريد صاحب المقصورة المشهورة ، وقد ذكرها الخطيب في تاريخ بغداد ، فمنها قوله :

ألم تر آثار ابن ادريس بعده دلائلها في المشكلات لوامع
معالم يفنى الدهر وهي خوالد وتنخفض الايام وهى روافع
مناهج فيها للورى متصرف موارد فيها للرشاد شرائع
ظواهرها حكم ومستنبطاتها لا حكم التفريق فيها جوامع
لرأى ابن ادريس بن عم محمد ضياء إذا ما اظلم الخطب ساطع
إذا المعضلات المشكلات تشابهت سما منه نور في دجاهن لامع
ابى الله إلا رفعه وعلوه وليس لما يعليه ذوالعرش واضع
توخى الهدى واستنفذته يدالتقى عن الزيغ والزمان المرء صارع
ولاذ بآثار الرسول فحكمه لحكم رسول الله في الناس تابع
وعول في احكامه وقضائه على ماقضى بالوحي والحق ناصع
تسربل بالتقوى وليداً و ناشيا وخص بلب الكهل مذهو يافع

وهذب حتى لم تشر بفضيلة إذا التمست إلا عليه الاصابع
فمن يك علم الشافعي امامه فمرتعه في ساحة العلم واسع
سلام على قبر تضمن جسمه وجادت عليه المرخيات الهوامع
لئن غيبت اثراؤه جسم ماجد جليل إذا التفت عليه المجامع
وان فجعتنا الحادثات بشخصه فهن بما حكمن فيه فواجع
فأحكامه فينا بدور زواهر وآثاره فينا نجوم طوالع

وقد يقول القائل: ان ابن دريد لم يدرك الشافعي فكيف رثاه: لكنه يجوز ان يكون قد رثاه بعد ذلك فما فيه بعد ، وقد رأينا مثل هذا في حق غيره ، مثل الحسن عليه السلام والله ولي التوفيق .

هكذا ذكره ابن خلكان رحمه الله تعالى والله اعلم بالصواب .

﴿ فائدة ﴾

اعلم ان عزيز مصر اشترى يوسف الصديق عليه السلام ، ومولى الموالى اشترى قلب المؤمنين لقوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) فاشترى العزيز من يوسف ظاهره دون باطنه لانه لايعلم انه حر فكذلك لايقع على القلب الشراء لان الحر للرب وكما انه لا سبيل لاحد انه يملك الحر كذلك لا سبيل للشيطان على القلب .

واعلم ان قيمة السلعة ثلاثة اشياء ان يكون المشترى خليلا ، والدلال نبيلا والثمن جليلا ، فتعود السلعة ثمينة، بعد ان كانت مهينة. وترجع كثيره بعد ان كانت حقيره ، وهذه اوصاف المؤمن ، نعم ان الله اشترى ، فنعم المشتري الله ، ونعم الدلال النبي ، ونعم الثمن الجنة .

﴿ سؤال ﴾

ما الحكمة في قوله تعالى : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم) ولم يقل باع لهم !

﴿ جوابه ﴾

في هذا الكلام اقوال ، احسنها : ان البائع لا يخلو من احد امرين : اما ان يكون محتاجا او طالباً للربح ليكثر له المال ، والمولى تعالى شأنه ليس بمحتاج إلى ثمن الجنة ولا إلى طلب الفضل انتهى .

ولما اشترى العزيز يوسف قال لامرأته: اكرمي مثواه ، وفيه عشرة اشارات فالملوك لهم فراسة ، والاشراف لهم فراسة ، والمؤمنون لهم فراسة .

الاولى : تفرس الملك وعلم انها تحبه ، فلذلك قال لها : اكرمي مثواه .

الثانية : انه شرفه وفضله لانه لم يعرف في ملكه اعز من زليخا ، فقال لها : هذا غلام عبري ولا يخدم العزيز إلا العزيز ! فلذلك قال لها : اكرمي مثواه .

الثالثة : انه رأى في منامه قائلا يقول له : لا تفرق بين زليخا ويوسف فانها له وهو لها ، فلذلك قال لها : اكرمي مثواه .

الرابعة : ان زليخا كانت تقول في كل وقت بقيت وحيدة فريدة ، بلا ولد فقال لها : هبي انه ولدك اكرمي مثواه .

الخامسة : ان زليخا قالت للعزيز بذلت جميع ملكك في ثمن هذا الغلام فقال لها : اكرمي مثواه لان من يشتري هذا الغلام بهذه الجزائن العظيمة ، ينبغي ان يكرم مثواه .

السادسة : انه قال اكرمي مثواه ، يعني أي شيء فعلتيه معه كأنه معي فهو عندي كريم ، فان اكرمته فقد اكرمتني .

كما قال الله تعالى في حق محمد ﷺ (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وقال الله تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) .

السابعة: قال لها اكرمي مثواه ـ أي اجعلي له اشرف مكان ، واعز موضع .

الثامنة : قال لها اكرمي مثواه لاني سمعت ان طيراً من السماء وقع عليه فجعل

يحدثه فعلمت انه عبد مقرب عند ربه ، فرجوت ان يكرمنا الله لاجله ، وهذا احسن التأويلات .

التاسعة : قال لها اكرمي مثواه ، فانه كريم ونحن كرماء ، ولا يعرف قدر الكريم إلا الكريم .

العاشرة : قال لها اكرمي مثواه فانه لا يقوم مقامنا احد سواه ، فما لنا غيره فكان الامر كذلك لانه جلس مكانه في الملك .

وقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام (ولقد همت به وهم بها) قال بعض المحققين : الاهمام صنفان : اصلي وعارض ، فالاصلي ما كان معه عزم مثل اهمام امرأة العزيز بيوسف عليه السلام . والعارض هو الخطرة ، وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل اهمام يوسف بزليخا فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم او يعمل.

لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى (إذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها ولو لم يعملها) .

روي ان امرأة العزيز لما همت بيوسف «ع» جعلت تذكر محاسنه من القد والصورة والعين والشعر ، حتى هم بها .

وقال بعضهم : همت به بالحرام ، وهم بها بالحلال .

وقيل : كيف يليق بيوسف «ع» ان يفعل مثل هذا وهو نبي الله تعالى .

اعلم ان علماء الاسلام اختلفوا في هذا الاهمام ، فقال بعضهم : ان ذلك كان من جملة امتحان الانبياء ، لان الله تعالى امتحن انبياءه حتى انهم كلما ذكروا ذلك جدوا في الطاعة خوفا من الزلة .

وقيل ابتلاهم ليعرفهم نعمة الله عليهم . وقيل : ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لاهل الذنوب في رجاء رحمة الله تعالى .

وقيل : انما ابتلى يوسف «ع» لانه قال في نفسه : انا خير من اخوتي لانهم مذنبون حين عقوا والدهم ، وفعلوا ذلك الفعل فابتلاه ليكون في درجتهم .

واختلف العلماء ايضا في قوله تعالى عن نبيه يوسف «ع» (لو لا ان رأى برهان ربه) فقال بعضهم : ان طيراً وقع على كتفيه ، وقال له لا تفعل فان فعلت سقطت عن درجة الانبياء .

وقيل : انه رأى اباه يعقوب وهو يقول له : يا يوسف ألا ترانى .

وقيل : ان يوسف رأى زليخا وهى تغطي شيئاً ، فقال لها : ما بالك ؟ قالت اغطى صنمي كي لا يرانى أنا وانت في هذا البيت ! فقال لها : انت استحييت من صنمك الجامد الذي لا يعقل ولا يرى ، فانا اولى بأن استحي ممن يسمع ويرى .

وقيل : نودي يايوسف اسمك في ديوان الانبياء وانت تفعل فعل السفهاء .

وقيل: رأى كفاً خارجا من الحائط عليه مكتوب (ولا تقربوا الزنا) وقيل رأى صورة حسنة وهي تقول انا رسول العصمة لا تفعل فانك معصوم .

وقيل : نكس رأسه فرأى على الارض مكتوبا فيه من يعمل سوءاً يجز به.

وقيل : رأى كأن العزيز واقف وهو يقول : هكذا تفعل باهل من اكرمك

وقيل : كان بينه وبينها حجاب فلم يرها . وقيل : بدلت له حورية من الجنة فتحير فيها ، وقال : لمن انت ؟ فقالت : لمن لا يزنى .

وقيل : سمع قائلا يقول يا يوسف لا تفعل فانها لك حلال . وقيل : رأى الجب الذي كان فيه مصوراً بين عينيه ، ورأى ملكاً قائما وهو يقول يا يوسف انسيت مقامك في هذا الجب .

وقيل : رأى زليخا على صورة قبيحة فهرب منها . وقيل : ناداه مناد يا يوسف انظر عن يمينك ، فنظر فرأى ثعباناً اعظم ما يكون ، فناداه الثعبان من زنى يكون في بطني غداً .

وقيل : خرج من الحائط بلا معصم ولا عضد مكتوب عليه (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين) فقام هاربا ، وقامت هاربة ، فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد ، فرأى ذلك الكف مكتوبا عليه (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) فقاما

هاربين ، فلما ذهب عنهما الروع قال الله تعالى لجبرئيل ادرك عبدي قبل ان يقع في الخطيئة ، فأنحط جبرئيل عاضاً على اصبعيه يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت من جملة الانبياء .

وقيل : معنى قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها) ان زليخا اول ما همت به لانها رأته في النوم ، وهم بها لانه ايضاً رآها في منامه فعند ذلك هم بها .

قلت: وهذا وجه حسن لان الانبياء معصومون عن المعاصى ، قال الله تعالى (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين) فسماه الله مخلصاً والله اعلم .

﴿ ترجمة الإمام مالك بن أنس بن عامر بن عمرو بن غيمان ﴾

(ـ بغين معجمة وياء تحتها نقطتان ـ ويقال عثمان)

(ـ بعين مهملة وثاء مثلثة ـ ابن جثيم ـ بجيم وثاء)

(مثلثة وياء ساكنة تحتها نقطتان ـ وقال)

(ابن سعد هو خثيل ـ بخاء)

(معجمة ـ ابن عمرو)

(ابن ذى اصبح)

الاصبحي المدني إمام دار الهجرة ، وأحد الاعلام ، اخذ القراءة عرضاً عن نافع بن ابي نعيم ، وسمع عن الزهري ، ونافع مولى ابن عمر رضى الله عنهما والاوزاعي ويحي بن سعيد ، واخذ العلم عن ربيعة الرأى . ثم افتى معه عند السلطان .

وقال مالك : قل رجل كنت اتعلم منه ، ومات حتى يجيئني ويستفتيني .

وقال ابن وهب : سمعت مناديا ينادي بالمدينة ألا لا يفتى الناس إلا مالك بن انس ، وابن ابي ذؤيب . وكان مالك إذا أراد ان يحدث توضأ وجلس على صدر

فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ، ثم حدث ، فقيل له في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله ﷺ ولا احدث به إلا متمكناً على طهارة

وكان يكره ان يحدث على الطريق او قائماً او مستعجلا . ويقول احب ان اتفهم ما احدث به عن رسول الله ﷺ .

وكان لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ، ويقول لا اركب في مدينة فيها جثة رسول الله ﷺ مدفونة ، هكذا ذكره ابن خلكان .

(واقول) بل كان لا يتغوط في المدينة بل في جبل سلع ويقول كمقالته الأولى

وقال الامام الشافعي ـ المتقدم ذكره ـ رضى الله عنه: قال لي محمد بن الحسن رضى الله عنه: ايهما اعلم صاحبنا او صاحبكم ـ يعني ابا حنيفة أومالكاً ـ رضي الله عنهما قال : قلت على الانصاف قال : نعم ، قال : قلت فانشدك الله من اعلم بالقرآن صاحبنا ام صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال : فقلت انشدك الله من اعلم بالسنة صاحبنا ام صاحبكم ؟ قال ، اللهم صاحبكم ، قال : فقلت انشدك الله من اعلم باقاويل الصحابة صاحبنا ام صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال الشافعي : فلم يبق إلا القياس ، والقياس لا يكون إلا على هذه الاشياء ، فعلى اي شيء نقيس .

وقال الواقدى : كان مالك يأتى المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ويعود المرضى ويقضى الحقوق ويجلس في المسجد ويجتمع عليه اصحابه ، ثم ترك الجلوس في المسجد .

وكان يصلي وينصرف إلى مجلسه ، وترك حضور الجنائز . وكان يأتى إلى اصحابها فيعزيهم ، ثم ترك ذلك فلم يكن يشهد الصلوات في المسجد ولا الجمعة ولا يأتي احداً يعزيه ولا يقضي له حقاً واحتمل الناس ذلك حتى مات عليه.

وكان ربما قيل له في ذلك فيقول : ليس كل الناس يقدر ان يتكلم عذره وسعى إلى جعفر بن سليمان بن علي وهو ابن عم أبي جعفر المنصور .

وقال : انه لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشيء ، فغضب جعفر ودعا به وجرده

وضربه بالسياط ومد يده حتى انخلعت كتفه ، وارتكب منه امراً عظيما ، فلم يزل بعد ذلك الضرب في علو ورفعة ، وربما كانت تلك السياط حلياً حلى به .

وذكر ابن الجوزي في كتاب شذور العقود انه مات في سنة تسع واربعين ومائة للهجرة وكمل له اربع وثمانون سنة .

وقال الواقدي : مات مالك وله تسعون سنة ، والله اعلم بالصواب .

وحكى الحافظ ابوعبد الله الحميدى في كتاب جذوة المقتبس ، قال : وحدث القعنبي قال دخلت على مالك بن انس رضى الله عنه في مرضه الذي مات فيه فسلمت عليه ، ثم جلست فرأيته يبكي فقلت : يا ابا عبد الله ما الذي يبكيك ؟ قال لي: يا ابن قعنب وما لي لا ابكي ومن احق الناس بالبكاء مني ، والله لوددت انى ضربت لكل مسألة افتيت فيها برأيي سوطاً ، وقد كان لي السعة فيما سبقت اليه لو لم افتها بالرأي . او كما قال .

وكانت وفاته بالمدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ، ودفن بالبقيع . وكان شديد البياض إلى الشقرة طويلا عظيم الهامة ، اصلع الرأس يلبس الثياب العدنية الجياد ، ويكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة ولا يغير شيبه.

ورثاه جعفر بن احمد بن الحسين بقوله :

سقى جدثاً ضم البقيع لمالك ... من المزن مر عاد السحائب مبراق
أمام موطاه الذي طبقت به ... اقاليم في الدنيا فساح وآفاق
اقام به شرع النبي محمد ... له حذر من ان يضام واشفاق
له سند عال صحيح وهيبة ... فللكل منه حين يرويه اطراق
واصحاب صدق كلهم عالم فسل ... بهم انهم ان انت ساءلت حذاق
ولولم يكن إلا ابن ادريس وحده ... كفاه ألا ان السعادة ارزاق

والاصبحي - بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح الباء الموحدة وبعدها حاء مهملة هذه النسبة إلى ذي اصبح ، واسمه الحارث بن عون بن مالك بن زيد بن شداد بن

زرعة ، وهو من يعرب بن قحطان ، وهي قبيلة كبيرة باليمن ، واليها تنسب السياط الاصبحية . هكذا ذكره ابن خلكان ، وبالله المستعان.

﴿ حكاية ﴾

قيل : ان الرشيد كان في كل سنة يخلع على عبيده وجواريه يوم العيد ، قال فجمعهم يوم عيد على عادتهم ، ووضع انواع الحلل والثياب والديباج والدراهم والدنانير ، وقال : من احب شيئاً فليضع يده على ما اراد ، فوضع كل منهم يده على ماختاره إلا جارية منهن فانها وضعت يدها على الرشيد ، فقال لها: ماتصنعين؟ قالت : يا مولاي ألست امرتنا بان نضع يدنا على ما نحب ، فأنا لا احب سواك ! فقال لها الرشيد : انا ومالي بيديك واعجبته غاية الاعجاب واعتنقها وحكمها في جميع ما عنده . كذلك العبد إذا تعلق بذكر مولاه ، ولا احب سواه ، قربه وادناه ، واعزه واولاه ، واعطاه كل ما يقناه ، من دنياه وعقباه .

يتمنى طرف المحب يراكا أتراه يفوز منك بذاكا
يا بعيداً عن ناظري وهو في القلب مقيم ما آن وقت لقاكا
كيف ماشئت كن وماشئت فاصنع بفؤادي فما احب سواكا
ان تكن في الهوى لقتلي راض يا حبيبي فقد رضيت رضاكا
ان اعش فالحياة انت وان مت ففي القبر حجتي ذكراكا

للشيخ العارف بالله محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى :

نجب الاعمار بنا تثب ما اسرع ما تضل النجب
والشمس تطير بأجنحة والليل تطارده الشهب
والدهر يجد بفعل الجد فليس يليق بك اللعب
ما القصد سواك فخل هواك وكن رجلا فلك الطلب
العرش لأجلك مرتفع والفرش لأجلك منتصب

والجو لاجلك منخرق والريح تمور بها السحب
والزهر لوجهك مبتسم والغيم لعمرك ينتهب
وكأن سماء الدنيا البحر وحب كواكبها الحبب
وكأن الشمس سفينته وشراع ذوائبها ذهب
سل دهرك اين قرون الارض يجيبك انهم ذهبوا
ساروا عنا سيراً عجلا فكأن مسيرهم الخبب
واستوحشت الاوطان لهم لما انست بهم الترب
ما افصحهم ولقد صمتوا ما ابعدهم ولقد قربوا
يا لاعب جد بفعل الجد فليس الامر به لعب
واهجر دنياك وزخرفها فجميع مناصبها نصب
فكأنك والايام وقد فتحت باباً فيه النوب
وبقيت غريب الدار فلا رسل تأتيك ولا كتب
وسلاك الاهل ومل الصحب كأنهم لك ما صحبوا
فاذا نقر الناقور وصاح فيومئذ يوم عجب
فيصيخ السمع ويجثو الجمع ويجري الدمع وينسكب
وجميع الناس قد إجتمعوا ثم افترقوا ولهم رتب
ذا مرتفع ذا منخفض ذا منجزم ذا منتصب
فهناك المكسب والخسران وثم الراحة والتعب

آخر مثله :

نسمات الروح لها ازج تحيا وتعيش بها المهج
وبنشر حديثك يطوى الغم عن الارواح ويندرج
وببهجة وجه جلال جمال كمال صفاتك ابتهج
لا كان فؤاد ليس يهيم على ذكراك ويمتزج

لا اعتب قلب الغافل عنك فليس على الاعمى حرج
ما الناس سوى قوم عرفوك وغيرهم همج همج
قوم فعلوا خيراً فعلوا وعلى الدرج العليا درجوا
فهموا المعنى فهم المعنى فبذكر الله لهم لهج
دخلوا فقراء إلى الدنيا وكما دخلوا منها خرجوا
شربوا بكؤس تفكرهم من ظرف هواه وما مزجوا
يا مدعياً لطريقتهم قوم فطريقك منعوج
تهوى ليلى وتنام الليل وحقك ذا طلب سمج

آخر مثله :

في الدهر تحيرت الامم والحاصل منه لهم ألم
بعجائبه وغرائبه أمواج زواخر تلتطم
والعمر يسير مسير الشمس فليس تقر له قدم
قدمان له يسعى بهما فضحى ودجى ضوء ظلم
والناس بحلم جهالتهم فاذا ذهبوا ذهب الحلم
صم بكم عمى بهم نعم قسمت لهم نعم
فرقوا فرقا فرقوا فرقا ومضوا طرقا لا تلتئم
ذا مرتفع ذا منتصب ذا منخفض ذا منجزم
لا يفتكرون لما وجدوا لا يعتبرون لما عدموا
وهواء نفوسهم عبدوا والنفس لعابدها صنم
واسم الاسلام على ذا الخلق وليس المسلم عشرهم
اوليس المسلم من سلمت منه نفس ويد وفم

قيل : لما انتصر الملك الكامل محمد بن الملك العادل ابى بكر بن ايوب الكردي على الفرنج جلس في قصره بمدينة المنصورة ، وحضر عنده اخوه الملك

المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب حماه ، واحضروا سفرة المدام ، ثم ان الملك الاشرف موسى احضر جارية عنده مشهورة بضرب العود والغناء ، وامرها بالغناء ، فانشدت تغني بهذين البيتين .

ولما طغى فرعون ظلماً بسحره وجاء إلى مصر ليفسد في الارض
اتى نحوهم موسى وفي يده العصا فاغرقهم في اليم بعضاً على بعض

فطرب الملك الاشرف موسى لذلك وشق على اخيه الملك الكامل محمد فطلب جارية من عنده فاخذت العود وأنشدت تغني وتقول :

ايا اهل دين الكفر قوموا لتنظروا لما قد جرى في عصرنا وتجددا
ألا ان موسى قد اتانا وقومه وعيسى جميعاً ينصرون محمدا

فطرب الملك الكامل محمد لذلك وامر لكل جارية منهما بخمسمائة دينار .

(اعلم) انه ليس في النصف الاول من القرآن كلا ، وأما في النصف الثاني ففيه نيف وثلاثون موضعاً ، ففي بعض المواضع في معنى الرد للكلام الاول . وفي بعض المواضع للتنبيه في معنى الافتتاح ، وفي بعض المواضع تحتمل كلا الوجهين ، فاول ذلك قوله تعالى (اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهداً) كلا ثم الكلام عنده أي كلا لم يطلع الغيب ولم يتخذ عهداً ، ثم ابتدأ سنكتب ما يقول . ومنها قوله تعالى (قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحاً فيما تركت) كلا هنا بمعنى الردع عن طلب الرجعة ، وللانكار والاستبعاد .

ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن موسى «ع» (فاخاف ان يقتلون) قال كلا اي لا يقتلونك .

وأما التي للتنبيه في معنى الافتتاح ، فكقوله تعالى (الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) ثم قال كلا سوف تعلمون انتهى .

﴿ ترجمة الأمير سيف الدولة أبي الحسن على بن عبد الله بن حمدان ﴾

قال الثعالبي في اليتيمة : كان بنو حمدان ملوكا وامراء اوجههم للصباحة والسنتهم للفصاحة ، وايديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلادتهم ، وكان غرة الزمان ، وعماد الاوان ، ومن به سداد الثغور ، وسداد الامور .

وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف بأسها ، وتفل انيابها ، وتذل صعابها وتكفي الرعية سوء آدابها ، وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في الاسلام الأثار .

وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الادباء ، وحلبة الشعراء .

ويقال انه لم يجتمع ببابه احد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وانما السلطان سوق يساق اليها ما ينفق فيها .

وكان اديباً يحب الشعر الجيد ، شديد الاعتزاز لما يمدح به فلو ادرك ابن الرومى زمانه لما احتاج إلى ان يقول :

ذهب الذين تهزهم مداحهم ... هز الكماة عوالي المران

كانوا إذا امتدحوا رأوا مافيهم ... فالاريحية منهم بمكان

وكان كل من ابى عبد الله بن محمد بن الفياض الكاتب وابى الحسن علي بن محمد السميساطي قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت كقول ابى الطيب المتنبي :

خليلي انى لا ارى غير شاعر ... فلم منهم الدعوى ومني القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة ... ولكن سيف الدولة اليوم واحد

له من كريم الطبع في الحرب منتض ... ومن عادة الاحسان والصفح عائد

ولما رأيت الناس دون محله تيقنت ان الدهر للناس ناقد
أخو غزوات ما تغب سيوفه رقابهم إلا وسيحان جامد
فلم يبق إلا من حماها من الردى لمى شفتيها والثدي النواهد
تبكي عليهن البطاريق في الدجى وهن لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائد
ومن شرف الاقدام انك فيهم على القتل مموق كانك شاكد
وان دماً اجريته بك فاخر وان فؤاداً رعته لك حامد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى ولكن طبع النفس للنفس قائد
نهبت من الاعمار ما لوحويته لهنئت الدنيا بانك خالد
فأنت حسام الملك والله ضاربٌ وانت لواء الدين والله عاقد
أحبك ياشمس الزمان وبدره وان لامني فيك السهى والفراقد
وذاك لان الفضل عندك باهر وليس لان العيش عندك بارد
فان قليل الحب بالفضل صالح وان كثير الحب بالجهل فاسد

وكقول السرى بن احمد الموصلي :

اعزمتك الشهاب ام النهار اراحتك السحاب ام البحار
خلقت منية ومنى فاضحت تمور بك البسيطة او تمار
سيوفك من شكاة الثغر برء ولكن للعدا فيها بوار
تحلى الدين او تحمي حماه فأنت عليه سور او سوار
وكفاك الغمام الجود يسرى وفي احشائه ماء ونار
يسار من سجيتها المنايا ويمني من عطيتها اليسار
حضرنا والملوك له قيام تغض نواضراً فيها انكسار
وزرنا منه ليث الغاب طلقا ولم تر قبله ليثاً يزار
فكان لجوهر المجد انتظام وكان لجوهر الحمد انتثار

فعشت مخيراً لك في الامانى وكان على العدو لك الخيار
فضيفك للحيا المنهل ضيف وجارك للربيع الطلق جار

وكقول ابى فراس الحارث بن سعيد :

اشدة ما اراه فيك ام كرم تجود بالنفس والارواح تصطلم
يا باذل النفس والآمال مبتسما أما يهولك لا موت ولا عـدم
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى ان السلامة من وقع القنا تصم
ناشدتك الله لا تسمح بنفس على حياة صاحبها تحيي بها امم
هى الشجاعة إلا انها سرف وكل فضلك لا قصد ولا امم
إذا لقيت رقاق البيض منفرداً تحت العجاج فلم تستكثر الخدم
تفدي بنفسك اقواما منعتهم وكان حقهم ان يفتدوك هم
من ذا يقاتل من تلقى القتال له وليس يفضل عنك الخيل والبهم
تضن بالطعن عنا ضن ذي بخل ومنك في كل حال يعرف الكرم
لا تبخلن على قوم إذا قتلوا أتتوا عليك بنو الهيجاء دونهم
ألبست مالم سوا أركبت ماركبوا اعرفت ماعرفوا اعلمت ما علموا
هم الفوارس في ايديهم اسل فان رأوك فاسد والقنا اجم

وكقول ابى العباس احمد بن محمد النامي :

خلقت كما ارادتك المعالي فانت لمن رجاك كما يريد
عجيب ان سيفك ليس يروي وسيفك في الوريد له ورود
واعجب منه رمحك حين يسقى فيصحو وهو نشوان يميد

وكقول ابي الفرج الببغا :

نداك إذا ضن الغمام غمام وعزمك ان فل الحسام حسام
فهذا ينيل الرزق وهو ممتع وذاك يرد الجيش وهو كهام
ومن طلب الاعداء بالمال والظبى وبالسمد لم يبعد عليه مرام

وكقول ابى الفرج الواوا :

من قاس جدواك بالسحاب فما انصف في الحكم بين شكلين
انت إذا جدت ضاحك ابداً وهو إذا جاد دامع العين

وكقول ابى نصر بن نباته من شعراء العراق :

حاشاك ان تدعيك العرب واحدها يا من ثرى قدميه طينة العرب
فان يكن لك وجه مثل اوجههم عند العيان فليس الصفر كالذهب
وان يكن لك نطق مثل نطقهم فليس مثل كلام الله في الكتب

وكانت غمائم جوده تفيض ، ومآثر كرمه تستفيض ، فتؤرخ بها ايام المجد وتخلد في صحائف حسن الذكر .

﴿ فصل في انفجار ينابيع جوده على الشعراء ﴾

قال الثعالبي في يتيمة الدهر : حدثني ابو الحسن محمد بن علي العلوي الحسيني الهمدانى الوصي قال: كنت واقفاً بين يدي سيف الدولة بحلب والشعراء ينشدونه فتقدم اليه اعرابى رث الهيئة ، فاستأذن الحجاب في الانشاد فاذنوا له فانشد يقول:

انت علي وهذه حلب قد نفد الزاد وانتهى الطلب
بهذه تفخر البلاد وبالامير تزهو على الورى العرب
وعبدك الدهر قد اضرّ بنا اليك من جور عبدك الهرب

فقال سيف الدولة : احسنت والله انت واصر له بمائتي دينار .

وحكى ابن لبيب غلام ابى الفرج الببغا ان سيف الدولة كان قد امر بضرب دنانير للصلات ، في كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته فامر يوما لابى الفرج منها بعشرة ، فقال ارتجالا :

نحن بجود الامير في حرم نرتع بين السعود والنعم
ابدع من هذه الدنانير ما لم يجر قدما في خاطر الكرم

فقد غدت باسمه وصورته في دهرنا عوذة من العدم

فزاده عشرة اخرى .

وكان ابو فراس بين يديه في نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة : ايكم يجيز قولي ؟ :

لك جسمي تعله فـدمي لم تحله

وليس له إلا سيدى ـ يعني ابا فراس ـ فارتجل ابو فراس فقال :

قال ان كنت مالكا فلي الامر كله

فاستحسنه واعطاه ضيعة بمنبج تغل الفي دينار .

واستنشد سيف الدولة ابا الطيب المتنبي قصيدته التي اولها :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتي على قدر الـكرام المكارم

وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع ابو الطيب ينشدها ، فلما بلغ قوله منها :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمـة ووجهك وضاح وثغرك باسم

قال له : قد انتقدنا عليك هذين البيتين كما انتقد على امرىء القيس بيتاه :

كأنى لم اركب جواداً للذة ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم اسبأ الزق الروى ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

وبيتاك لا يلتئم شطراها ، كما لا يلتئم شطرا هذين البيتين ، كان ينبغي لامرىء القيس ان يقول :

كأنى لم اركب جواداً ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال

ولم اسبأ الزق الروى للذة ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال

ولك ان تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

فقال : ايد الله الامير ان صح ان الذي استدرك على امرىء القيس هذا اعلم بالشعر منه ، فقد اخطأ امرىء القيس ، واخطأت انا ومولانا يعلم ان الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لان البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفاريقه لانه هو الذي اخرجه من الغزلية إلى الثوبية .

وانما قرن امرىء القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة في شراء الخمر للاضياف بالشجاعة في منازلة الاعداء .

وانا لما ذكرت الموت في الأول اتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه ولما كان الجريح المنهزم لا يخلو من ان يكون عبوساً ، وعينه من ان تكون دامعة باكية قلت ووجهك وضاح وثغرك باسم ، لاجمع بين الاضداد في المعنى وإن لم يتسع اللفظ لجميعها .

فاعجب سيف الدولة بقوله ووصله خمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار .

وكان ابو بكر وابو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث اليهما مرة وصيفاً ووصيفة ، ومع كل واحد منهما بدرة وتخت ثياب مصري ، فقال احدهما من قصيدة طويلة :

لم يغد شكرك في الخلائق مطلقا إلا ومالك في الانام حبيس
خولتنا شمساً وبدراً اشرقت بهما لدينا الظلمة الحنديس
رشأ أتانا وهو حسنا يوسف وغزالة هي بهجة بلقيس
هذا ولم تقنع بذاك وهذه حتى بعثت المال وهو نفيس
اتت الوصيفة وهي تحمل بدرة وانى على ظهر الوصيف الكيس
ووهبتنا مما اجادت حوكه مصر وزادت حسنه تنيس
فغدا لنا من جودك المأكول والمشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : احسنت إلا في لفظة المنكوح فليست مما يخاطب بها الملوك ، وهذا من عجيب نقده .

وحكى ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي : قال طلب مني رسول لسيف الدولة كان قد قدم الحضرة شيئاً من شعري ، وذكر ان صاحبه رسم له ذلك فدافعته اياما ، ثم ألح علي وقت الوداع فاعطيته هذه الثلاثة الابيات :

ان كنت خنتك في المودة ساعة فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت ان له شريكاً في العلى وجحدته في فضله التوحيدا
قسما لو اني حالف بنفوسها لغريم دين ما اراد مزيدا

قال : فلما عاد الرسول إلى الحضرة ودخلت اليه مسلماً اخرج إلي كيساً بختم سيف الدولة مكتوبا عليه اسمي ، وفيه ثلاثمائة دينار .

﴿ نبذ من ذكر وقائعه وغزواته ﴾

حدث ابو علي عبد الله الحسين بن خالويه قال : لما كانت الشام بيد الاخشيد محمد بن طغج سار اليها سيف الدولة فافتتحها وهزم عسكره عن صفين فقال المتنبي :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له خير الخلائق والانام سمي

الابيات الثلاثة المتقدم ذكرها في ترجمة المتنبي .

وكان ظهر في العرب رجل يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه والتفت عليه القبائل ، وفتح مدائن من اطراف الشام ، واسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، والزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال فسرى اليه سيف الدولة من حلب يحث السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فاوقع به وقتله ووضع السيف في اصحابه فلم ينج إلا من سبق به فرسه وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه ابووائل وبين يديه رأس الخارجي فقال ابو فراس يذكر ذلك :

فانقذ من مس الحديد وثقله أبا وائل والدهر اجدع صاغر

وآب ورأس القرمطي امامه له جسد من اكعب الرمح ظاهر

وهذا احسن ما قيل في الرأس المصلوب على الرمح .

وقال ابو الطيب المتنبي في خلاص ابى وائل :

ولو كنت في اسر غير الهوى ضمنت ضمان ابي وائل
فدي نفسه بضمان العقار واعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبة فجئن بكل فتى باسل
كان خلاص ابى وائل معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت على البعد عندك كالقائل
فلبيته بك في جحفل له ضامن وبه كافل
وعدت إلى حلب ظافراً كعود الحلي إلى العاطل

وكان سيف الدولة قد اصطنع كلابا وادناها وأمن سربها فقهرت العرب وعلت كلمتها إلى ان بدرت منهم هفوة احفظته ، فاسرى اليهم واوقع بهم وملك حريمهم واموالهم ثم صفح عنهم وكرم وجمع الحرم ووكل بهن الخدم ، وحملهن واحسن اليهن ، فقال أبو الطيب المتنبي من قصيدة :

فعدن كما اخذن مكرمات عليهن القلائد والملاب
يثيبك بالذي اوليت شكراً واين من الذي تولى الثواب
وليس مصيرهن اليك سبياً ولا في صونهن لديك عاب
ولا في فقدهن بني كلاب إذا أبصرن عزتك اغتراب
وكيف يتم بأسك في اناس تصيبهم فيؤلمك المصاب
ترفق ايها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

هذا كلام ما احسنه غاية :

وبين المخطئين هم وليسوا باول معشر خطأوا فتابوا
وانت حياتهم غضبت عليهم وهجر حياتهم لهم عقاب

وما جهلت اياديك البوادي ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مولده وبال وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم وحل بغير جانيه العذاب

كانما اقتبسه من قوله تعالى افتهلكنا بما فعل السفهاء منا :

ولو غير الامير غزا كلابا ثناه عن شموسهم ضباب

ما احسن ما كنى عن الحرم بالشموس وعن المحاماة دونهن بالضباب :

ولكن ربهم اسرى اليهم فما نفع الوقوف ولا الذهاب
كذا فليسر من طلب الاعادي ومثل سراك فليكن الطلاب

قال ابو فراس يمدحه ويذكر نسوة كلاب :

قد ضج جيشك من طول القتال به وقد شكتك الينا الخيل والابل
وقد درى الروم مذجاوزت ارضهم ان ليس يعصمهم سهل ولا جبل
في كل يوم تزور الثغر لا ضجر يثنيك عنه ولا شغل ولا ملل
فالنفس جاهدة والعين شاهدة والجيش منتهك والمال مبتذل
توهمتك كلاب غير قاصدها وقد تكنفك الاعداء والشغل
واستقبلوك بفرسان اسنتها سود البراقع والاكوار والكلل
فكنت اكرم مسؤل وافضله إذا وهبت فلا من ولا بخل

ويقال : ان سيف الدولة غزا الروم اربعين غزوة له وعليه .

فمنها : انه اغار على زبطرة وعرفه وملطية ونواحيها ، فقتل واحرق وسبى وانثنى قافلا إلى درب موازر فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فاوقع به وقتل صناديده ورجاله وعقب إلى بلدانه ، وقد تراجع من هرب منها فاعظم القتل واكثر الغنائم ، وعبر الفرات إلى بلاد الفرات إلى بلاد الروم ولم يفعله احد قبله حتى اغار على بطن هريط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه خلو بلدان الشام منه غزا انطاكية فاسرى سيف الدولة يطوي المراحل لا ينتظر متأخراً ولا يلوي على متقدم حتى عارضه

بمرعش ، فأوقع به وهزمه ، وقتل رؤس البطارقة واسر قسطنطين ابن الدمستق واصابت الدمستق ضربة في وجهه فاكثر الشعراء في هذه الوقعة فقال ابو الطيب المتنبي

لكل امرىء من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدا
ورب مريد ضره ضر نفسه وهاد اليه الجيش اهدى وما هدى
سريت إلى جيحان من ارض آمد ثلاثاً لقد ادناك ركض وابعدا
فولى واعطاك ابنه وجيوشه جميعاً ولم يعط الجميل ليحمدا
وما طلبت زرق الاسنة غيره ولكن قسطنطين كان له الفدا

وهي طويلة ، وقال ابو فراس :

واب بقسطنطين وهو مكبل تحف بطاريق به وزراور
وولي على الرسم الدمستق هاربا وفي وجهه عذر من السيف ظاهر
فدى نفسه بابن عليه كنفسه وللشدة الصماء تفني الذخائر
وقد يقطع العضو النفيس لغيره ويدفع بالامر الكبير الكبائر

وسار سيف الدولة لبناء الحدث ، وهي قلعة عظيمة الشان ، فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء أهل مملكته وجهزهم بالصليب الاعظم ، وعليهم فردس الدمستق سائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى حتى احاطوا بعسكر سيف الدولة والتهب الحرب واشتد الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، ثم انزل الله نصره فحمل سيف الدولة يخترق الصفوف طالباً للدمستق ، فولى هاربا واسر صهره وابن بنته وقتل خلق كثير من الروم ، فاكثر الشعراء في هذه الوقعة .

وقال المتنبي يذكر الحدث :

بناها علي والقنا يطرق القنا وموج المنايا حولها متلاطم
وكان بها مثل الجنون فاصبحت ومن جثث القتلى عليها تمائم
تفيت الليالي كل شيء اخذته وهن لما يأخذن منك غوارم

وذكر الدمستق فقال :

وقد فجعته بابنه وابن بنته ... وبالصهر حملات الامير الغواشم
مضى بشكر الاصحاب في فوته الظبا ... لما شغلتها هامهم والمعاصم
ويفهم صوت المشرفية فيهم ... على ان اصوات السيوف اعاجم
يسر بما اعطاك لا من جهالة ... ولكن مغنوما نجا منه غانم

وقال السرى :

رفعت بالحدث الحصن الذي خفضت ... من الحوادث حتى زال جانبه
اعدته عدويا في مناسبه ... من بعد ما كان روميا مناسبه
فقد وفى عرضه بالبيض واعترضت ... طولا على منكب الشعرى مناكبه
مصغ إلى الجوا علاه فان خفقت ... زهر الكواكب خلناها تخاطبه
كأن ابراجه من كل ناحية ... ابراجها والدجى وصف غياهبه

﴿ ملح من شعر سيف الدولة ﴾

قال الثعالبي : انشدني ابو الحسن محمد بن اسعد الجوع الاحمدي الافريقي المتيم لسيف الدولة في وصف قوس قزح ، وهو احسن ما سمعت فيه على كثرته :

وساق صبيح للصبوح دعوته ... فقام وفي اجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كانجم ... فمن بين منقض علينا ومنقض
وقد نشرت ايدي الجنوب مطارفاً ... على الجود كناوالحواشي على الارض
يطرزها قوس السحاب باصفر ... على احمر في اخضر اثر مبيض
كأذيال خود اقبلت في غلائل ... مصبغة والبعض اقصر من بعض

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة .

ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال :

وانظر اليه كزورق من فضة ... قد اثقلته حمولة من عنبر

وقال ابو الحسن العلوي الهمداني : انشدني سيف الدولة لنفسه ، وانا اراه من قوله في صباه :

اقبله على جزع كشرب الطائر القزع
رأى ماء فاطمعه وخاف عواقب الطمع
فصادف فرصة فدنا ولم يلتذ بالجرع

وله قوله :

فكم عناق لنا وكم قبل مختلسات حذار مرتقب
نفر العصافير وهي خائفة من النواطير يانع الرطب

ويحكى انه كان لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق عليها من الريح الهابة عليها ، فحسدها سائر حظاياه على لطف محلها منه وازمعن ايقاع مكروه بها من سم او غيره ، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فامر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها وقال :

راقبتني العيون فيك فاشفقت ولم اخل قط من اشفاق
ورأيت العذول يحسدني فيك مجداً بأنفس الاخلاق
فتمنيت ان تكوني بعيداً والذي بيننا من الود باق
رب هجر يكون من خوف هجر وفراق يكون خوف الفراق

وقال ابو بكر الخوارزمي: انشدني ابن خالويه بحلب لسيف الدولة :

تجني علي الذنب والذنب ذنبه وعاتبني ظلماً وفي شقه العتب
واعرض لما صار قلبي بكفه فهلا جفاني حين كان لي القلب
إذا ابرم المولى بخدمة عبده تجنى له ذنباً وان لم يكن ذنب

واخبر ابو الحسن احمد بن فارس قال : انشدني شاعر يعرف بالمتيم لسيف الدولة :

قد جرى في خده دمه فالى كم انت تظلمه
رد عنه الطرف منك فقد جرحته منك اسهمه

كيف يستطيع التجلد من خطـرات الوهم تؤلمـه

وانشد غير واحد له ما كتبه إلى اخيه ناصر الدولة عند وحشة جرت بينهما :

رضيت لك العليا وقد كنت اهلها وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
وما كان لي عنها نـكول وانما تجافيت عن حق فتم لك الحق
أما كنت ترضى ان اكون مصلياً إذا كنت ارضى ان يكون لك السبق

وانشدت له في وصف نار الـكانون :

كأنما النار والرماد معاً وضوؤها في ظلامه يحجب
وجنة عذراء مسها خجل فاستترت تحت عنبر اشهب

نظيرها في الحسن قول كشاجم :

كأنما الجمر والرماد وقد كاد يواري من ناره النورا
ورد جني القطاف احمر قد ذرت عليه الاكف كافورا

وقول ابي طالب المأموني :

ما ترى النار كيف اسقمها القر فأضحت تخبو وحيناً تسعر
وغدا الجمر والرماد عليه في قميص مذهب ومعنبر

ولبعضهم :

يا قائماً في بيتـه قاعدا من غير معنى وبلا فائده
قد جن اضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المائده

(من انوار التنزيل) عند قوله تعالى حكاية عن عيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة واز كى السلام .

قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا . . . الخ . .

روي انها سفرة حمراء نزلت بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم ، فبكى عيسى عليه السلام وقال : اللهم اجعلني من الشاكرين ، اللهم اجعلها رحمة

للعالمين ولا تجعلها نقمة وعقوبة ، ثم قام وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال : بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية ، بلا فلوس ولا شوك وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ، ما عدا الكراث وإذا خمسة ارغفة على واحد زيتون ، وعلى الثانى عسل ، وعلى الثالث سمن ، وعلى الرابع جبن ، وعلى الخامس قديد ، فقال شمعون : يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخر ؟ قال ليس منها ولكن اخترعه الله بقدرته، كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله ، فقالوا : يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية اخرى ؟ فقال : يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ، ثم قال : عودي فعادت مشوية ، ثم طارت المائدة ، ثم عصوا بعدها ، فمسخوا .

وقيل : كانت تأتيهم اربعين يوما وغبا ، يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والضعفاء والكبار يأكلون حتى إذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها .

ولم يأكل منها فقيراً إلا اغناه الله مدة عمره ، ولا مريض إلا برىء ، ولم يمرض ابداً .

ثم اوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام (ان المائدة يأتي اليها الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء) فاضطرب الناس لذلك فمسخ ثلاثة وثمانون رجلا .

وقيل لما وعد الله إنزالها بهذه الشريطة (استغفروا وقالوا لا نريد) فلم تنزل

وعن مجاهد : ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي الوحي ، والله اعلم .

قوله تعالى : (كهيعص) قال ابن عباس رضى الله عنهما : الكاف : فالله كاف بخلقه ، والهاء : فالله هاد بخلقه ، والياء : فيد الله مبسوطة على خلقه ، بالرزق والعطف عليهم ، والعين : فالله عالم بخلقه وامورهم ، والصاد : فالله صادق بوعده .

وروي عن علي بن ابى طالب عليه السلام انه قال : هو اسم الله الاعظم .

وروي عنه ايضاً انه قال: قسم اقسم الله به(كهيعص) فعلى طريق ابن عباس رضى الله عنه معناه بسم الله الكافي الهادي اليد المبسوطة العالم الصادق .

ومن قال هو قسم ، أي ورب كهيعص ، ومن قال انه ابتداء السورة فمعناها اقرأ كهيعص ، والله اعلم .

وعن علي بن ابي طالب «ع» أهل الكهف سبعة واسماؤهم: (يمليخا مكشلمينيا مشلينيا) هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره (مرنوش دبرنوش شاذنوش) وكان يستشير هؤلاء الستة في امره ، والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس ، واسم الراعي (كفنشيططونس) .

هكذا اورده الامام الواحدي في الوسيط ، واسم مدينتهم افسوس ، واسم كلبهم قطمير ، والله عليم خبير .

﴿ ترجمة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن اسد بن ادريس بن حيان بن ﴾
(عبد الله بن ادريس بن عوف بن قاسط بن ذهل بن ثعلبة بن)
(عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن)
(هنب بن قصى بن دعمى بن جديدة بن أسد بن)
(ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان)
(الشيبانى المروزى الأصل)
(هذا هو الصحيح فى نسبه)

وقيل : انه من بني مازن بن ذهل بن شيبان ، وذهل بن ثعلبة المذكور هو عم ذهل بن شيبان ، فليعلم ذلك والله اعلم .

خرجت امه من مرو وهي حامل به فولدته ببغداد في ربيع الاول سنة اربع وستين ومائة . وقيل : انه ولد بمرو وحمل إلى بغداد وهو رضيع . وكان امام المحدثين ، وصنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق فيه لغيره .

وقيل : انه كان يحفظ الف الف حديث ، وكان من اصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه وخواصه ، ولم يزل يصاحبه إلى ان ارتحل الشافعي رحمه الله إلى مصر

وقال في حقه خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا افقه من ابن حنبل ودعى في خلافة المأمون إلى القول بخلق القرآن فلم يجب ، فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع .

وكان حسن الوجه يخضب بالحناء خضابا ليس بالقانى ، وفي لحيته شعرات سود ، اخذ عنه الحديث جماعة من الاماثل منهم محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم ابن الحجاج النيسابوري ، ولم يكن في آخر عصره مثله في الورع والعلم .

وتوفى ضحوة نهار الجمعة لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول .

وقيل : بل لثلاث عشرة من الشهر المذكور سنة احدى واربعين ومائتين ببغداد ودفن بمقبرة باب حرب بن عبد الله احد اصحاب ابى جعفر المنصور. وإلى حرب تنسب المحلة المعروفة بالحربية

وقبر احمد بن حنبل رحمه الله تعالى مشهور بها وحزر من حضر في جنازته فكانوا ثمانمائة الف ، ومن النساء ستون الفاً .

وقيل انه اسلم يوم مات عشرون الفاً من النصارى واليهود والمجوس .

وكان له ولدان عالمان وهما : صالح وعبد الله . فأما صالح فتقدمت وفاته . وأما عبد الله فأنه بقي إلى سنة تسعين ومائتين وبه كان يكنى الامام احمد رحمهم الله.

هكذا ذكره القاضى الفاضل الامام العلامة احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابى بكر بن خلكان البرمكي رحمه الله تعالى ، انتهى من الغيث الذي انسجم .

قيل : ليس بينك وبين بلاد نسب خير البلاد ما حملك ، قال ابن الساعاتى :

اهلك والليل منضيا جملك شمر فخير البلاد ما حملك
لا خير في بقعة تروق من الارض إذا لم تنل بها املك
حتام لا تعمل الجياد ولا تعمل في ام غاية ابلك

لقد تربصت خيفة الاجل المحتوم لو كان دافعاً اجلك
وحبذا ذاك لو وجدت فتى افضل يوماً عليك اوفضلك

وقال ابن قلاقس :

والصغير الحقير يسمو به السير فيعنو له الكبير الجليل
فرزن البيدق التنقل حتى انحط قدراً في رقعة الدست فيل

﴿ من يلعب بالشطرنج غائباً ﴾

وقال الصفدي في الغيث الذي انسجم شرح لامية العجم : ذكرت هنا ابياتاً لابن الرومي فيمن يلعب بالشطرنج غائباً وهي :

غلط الناس لست تلعب بالشطرنج لكن بانفس اللعباء
غير ما ناظر بعينك في الدست ولا مقبل على الرسلاء
بل تراها وانت مستدبر الظهر بقلب مصور من ذكاء
ما رأينا سواك خصماً يولي وهو يردي فوارس الهيجاء

قال الشيخ ابواسحاق رحمه الله تعالى في كتاب المهذب من كتاب الشهادات ان سعيد بن جبير كان يلعب بالشطرنج استدباراً ذكره في فصل اللعب بالشطرنج

قال الصفدي : وقد رأيت انا غير مرة بالديار المصرية شخصاً متجنداً يعرف بعلاء الدين بن قيران وهو اعمى يلعب مع العوالي ويخطئهم ويغلبهم وما راعني فيه إلا انه يقعد ويتحدث وينشد الاشعار ، ويحكي كل حكاية في شأنه وهو يشاركنا فيما نحن فيه ويدع اللعب ويقوم إلى الخلاء ، ويحضر ولم يغب عنه شيء مما هو فيه وهذا غريب ! وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجهله من يلعب الشطرنج إلا اناس قلائل .

قال الصفدي : ورأيت غير مرة ايضاً بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة شخصاً يعرف بالنظام العجمي وهو يلعب بالشطرنج غائباً في مجلس الصاحب شمس

الدين ، وأول ما رأيته لعب مع الشيخ امين الدين سليمان رئيس الاطباء ، وكان طبقة فغلبه مستدبراً ولم نشعر به حتى ضربه شاه مات بالفيل ولم نره حتى التفت الينا وقال مات !

وحكي لي عنه انه يلعب غائباً على رقعتين !

وحكى لي صاحبنا المولى بدر الدين حسن بن علي الغزى انه رآه يلعب على رقعتين غائباً ، وقدامه رقعة يلعب فيها حاضراً ، وغلب في الثلاث ، والعهدة عليه في ذلك ، انتهى .

وكان الصاحب شمس الدين يدعه في وسط الدست ويقول له: عد لنا قطعك وقطع غريمك فيسردها جميعاً كأنه يراها بين يديه ، وانشأ فيه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة مقامة بديعة ختمها بقوله :

لله في الشطرنج فكرة لاعب ان غاب اوحضر اجتنيت حدائقه
نفسان نفس اللعب اونفس النهى هاتيك صامتة وهذي ناطقه

ويقول ايضاً :

ولاعب يعرب شطرنجه عن فهمه المنتقد الصائب
يغيب لكن ذهنه حاضر يا حبذا من حاضر غائب

قال الصفدى : كذا رأيته ولو قال يا حسنه من حاضر غائب او يا عجباً لسلم من حذف فاعل حب الذي هو بدل من ذا وهوغير جائز ، وانشدنى من لفظه لنفسه ملغزاً في الشطرنج :

وما صامت يمضى ويرجع مفكراً ويقضى على اوصاله الوصل والصد
كأن الضنى آل عليه اليه فما فيه إلا النفس والعظم والجلد
واحرفه خمس ولكن شطره ثلاثة اخماس الحروف التى تبدو

قال الصفدي وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة :

اشكو السقام وتشكو مثله امرأتي فنحن في الفرش والاعضاء ترتج

تفسان والعظم في نطع يجمعنا كأنما نحن في التمثيل شطرنج

ولك في لفظ شطرنج لغتان ـ بالشين المعجمة ـ وهو الافصح لانه مأخوذ من الشطر ، كأن كل لاعب له شطر من القطع ـ وبالسين المهملة ـ لانه مأخوذ من تسطير الرقعة بيوتاً ، وان ألحقته باوزان العربية كسرت اوله ، فقلت شطرنج لان فعلل في العربية له نظير مثل قرطعب .

وفي القاموس ، ولا يفتح اوله .

أقول : وهنا بحث لعمي علامة عصره الاكبر السيد محمد بن علي بن حيدر مع صاحب القاموس فتأمله وهذه صورته : قال عليه رحمة الملك القدوس في حاشيته على القاموس : ذكر السخاوي في كتابه عمدة المحتج في حكم الشطرنج قول ابن جني الوجه عندي الكسر .

وقول الحريرى انه القياس في كلام العرب . . الخ .

ومنع الصاغانى في مجمع البحرين ، فتح اوله ، لكن السخاوي نقل قول صاحب المحكم وكسر شينه اجود وساق المنقولات إلى ان قال نعم مقتضى كلام المحكم والمطرزي والجواليقي في المعرب جواز الفتح ، وانه اشهر .

وذكر لفظ الجواليقي وهو الشطرنج فارسى معرب ، وبعضهم يكسر شينه ليكون على مثال من امثلة العرب ، مثل جردحل .

ثم قال السخاوي إلا ان الجواليقى نفسه قال في لحن العامة الشطرنج ـ بكسر الشين ـ كجردحل والفتح غلط .

وكذا قال ابن مكي ومشى عليه المجد في القاموس إلى ان قال السخاوى لكن قال الشيخ محمد بن برى متعصباً على الجواليقى المعروف عند اهل اللغه ـ بفتح الشين ـ ولا يجب ما قاله من كسر الشين ليكون على امثلة العرب ، وانما يجب لو كانت العرب تصرف ما عربتها إلى امثلتها ، إلى ان قال : وقد قال سيبويه في الاسم المعرب ، وربما الحقوه ببنية كلامهم ، وربما لم يلحقوه على ان ائمة اللغة لم يذكروا

هذه اللفظة إلا بفتح الشين . وقدذكرها ابن السكيت في أصلاح المنطق بفتح الشين وذكرها غيره ، ووافقه البطليوسي في شرح ادب الكتاب انتهى ماذكره السخاوي

فقول صاحب القاموس ولا يفتح اوله ضعيف ، كما ظهر لك والله اعلم .

والصحيح ان هذه لفظة عجمية ، كذا جاءت واوصله بالعجمية (شش رنك) معناه ستة الوان ، وهي الشاه والفرزان والفيل والفرس والرخ والبيدق .

يقال ان بعضهم سمع آخر يقول : يا سجاع هات السطرنج من تحت السطرة ـ بالسين المهملة في الجميع ـ فقال ضيعت على النحو تسع نقط .

قلت : لا شك ان هذا القائل كان مصريا فلاحاً .

قال الصفدي : والناس كثير منهم يغلط في الصولي وهو ابو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن صول تكين الكاتب ويزعم انه واضع الشطرنج لما ضرب به المثل .

والصحيح ان واضعه صصه بن داهر الهندي كان يزد شير بن بابك اول ملوك الفرس الاخيره قد وضع النرد ، ولذلك قيل له : نرد شير جعله مثلا للدنيا واهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتاً ، بعدد شهور السنة ، والمهارك ثلاثين قطعة بعدد ايام الشهر ، والفصوص مثل الافلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش ، ويقابله اليك والبنج ويقابله الدو والجهار ، ويقابله السى ، وجعل ما يأتى به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه ، وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش ، لكنه إذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى وكيف يتحيل على الغلب وقهرخصمه مع الوقوف عند ما حكمت به الفصوص ، وهذا هو مذهب الاشاعرة

قال الصفدى: اخبرنى من اثق به ان الشيخ تقي الدين احمد بن تيمية رحمه الله كان يقول اللعب بالنرد خير من اللعب بالشطرنج لان لاعبه يعترف بالقضاء والقدر والشطرنج لا عبه ينفى ذلك ، فهو اقرب إلى الاعتزال او كما قال :

وما احسن قول الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال من قصيدته اللامية :

هذا وفي الفصوص لعبنا غداً كالمثل
تلوح في اكفنا كالجوهر المفصل
تفعل فيما بيننا فعل القضا في الدول

ه ولأبي عبد الله محمد بن احمد الخياط الدمشقي قصيدة شينية يصف فيها النرد ابدع فيها ، فلما وضعت الفرس ذلك افتخرت به ، وكان ملك الهند يومئذ بلهيث فوضع له صصه المذكور الشطرنج ، فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله .

ولما عرضه على الملك واوضح له امره ، سأله ان يتمنى عليه ، فتمنى عليه عدد تضعيفه قمحا ، فاستصغر الملك من همته وانكر عليه ما قابله به من طلب النزر القليل في ذلك المقام ، فقال : ما اريد غير ذلك فامر له بذلك .

فلما حسبه ارباب الديوان قالوا للملك ما عندنا ما يقارب القليل منه ، فانكر ذلك ، فاوضحوا له بالبرهان ، فاعجبه الامر الثاني اكثر من الاول .

قال القاضي شمس الدين احمد بن خلكان رحمه الله تعالى ، ولقد كان في نفسي من هذه المبالغة شيء حتى اجتمع بي بعض حساب الاسكندرية وذكر لي طريقاً تبين لي ما ذكروه ، واحضر لي ورقة بصحة ذلك . وهو انه ضاعف الاعداد إلى البيت السادس عشر فاثبت فيه اثنين وثلاثين الفاً وسبعمائة وثمانية وستين حبة . وقال : تجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد عيرتها ، فكان الامر كما ذكره والعهدة عليه في هذا النقل ، ثم ضاعف السابع عشر إلى البيت العشرين ، فكان فيه ويبة ثم انتقل من الويبات إلى الارادب ، ولم يزل يضعفها حتى انتهى في البيت الاربعين إلى مائة الف اردب وسبعمائة واثنين وستين اردبا وثلثي اردب ، وهذا المقدار شونة ، ثم انه ضاعف الشون إلى بيت الخمسين ، فكانت الجملة الفا واربعا وعشرين شونة ، وهذا المقدار مدينة ، ثم انه ضاعف ذلك إلى البيت الرابع والستين ، وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر الف مدينة وثلاثمائة واربعاً وثمانين مدينة .

وقال : تعلم انه ليس في الدنيا مدن اكثر من هذا العدد ؟ انتهى .

قال الصفدي : آخر ما اقتضاه تضعيف رقعة الشطرنج ثمانية عشر الف الف ست مرات واربعمائة وستة واربعون الفا خمس مرات . وسبعمائة واربعة واربعون الفا اربع مرات . وثلاثمائة وثلاثة وسبعون الفا ثلاث مرات ، وسبعمائة وتسعة آلاف الف مرتين . وخمسمائة واحد وخمسون الفا وستمائة وخمسة عشر عدداً مرة انتهى

قال الصفدي : انشدني من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري بيتا واحداً يضبط هذا العدد وهو :

ان رمت تضعيف شطرنج فجملته ها واهـــه طمجز مد زود دجا

١٥ ٥٦ ٩٥ ٣٧ ٤٧ ٧٤ ٤٦ ١٣٤

وقال : إذا جمع هذا العدد هرما واحداً مكعباً كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك ، وارتفاعه كذلك بالميل الذي هو اربعة آلاف ذراع بالعمل الذي هو ثلاثة اشبار معتدلة . على ان الاردب المصري مساحته ذراع مكعباً وزنته مائتان واربعون رطلا ، وكل رطل مائة واربعون درهما ، والدرهم اربعة وستون حبة من القمح ، وكل بيت إذا ربعنا ما فيه من العدد حصل من مربعه ما يجب ان يكون في البيت الذي عدده كضعف ذلك البيت إلا واحداً .

فاذا ربعنا ما في الثالث مثلا حصل ما في الخامس ، وإذا ربعنا ما حصل في الخامس حصل ما في التاسع . فاذا ربعنا ما حصل في التاسع حصل ما في السابع عشر فاذا ربعنا ماحصل في الثالث والثلاثين حصل ما في الخامس والستين ، فاذا نقصنا منه واحداً كان الباقي جملة ما في البيوت كلها إلى البيت الرابع والستين . وان نصفناه قبل ان ننتقص منه واحداً كان نصفه حاصل البيت الرابع والستين .

وبهذا العمل يحصل تضعيف رقعة الشطرنج من خمس ضربات انتهى كلامه .

قال الصفدي : حكى من لفظه المولى رشيد الدين يوسف بن ابى البيان قال : قال لي الشيخ تقي الدين احمد بن تيمية يارشيد الدين قال ابن حزم اول كذبة كذبها

بنو اسرائيل انهم دخلوا مصر اثنين وسبعين نفساً في زمن يوسف الصديق عليه السلام وخرجوا مع موسى بن عمران ستمائة الف ، قال: فقلت له هذا ابن حزم من الصحابة قال : لا ، قلت : ولا من التابعين ؟ قال : لا ، قلت : هذا ابن حزم ما كان يدري ان اثنين واثنين اربعة فقال : لاي شيء ؟ قلت : ما يعلم سيدنا ان رقعة الشطرنج اربعة وستون بيتاً فاذا ضاعفناها من واحد انتهت الأعداد إلى كذا و كذا وذكر العدد الذي حصل هناك ، ومع ذلك فبنو اسرائيل انما عدوا الرجال ، وأما النساء والصبيان والاشياخ الذين بلغوا الهرم فلم يذكروهم قال : فسكت الشيخ تقي الدين

قال الصفدي : فقلت انا له يا مولى رشيد الدين قوم يخرجون في عدة الف الف نفس على الفليل هاربين على وجوههم من فرعون ، على ماذا حملوا زادهم وأي ماء إذا نزلوا عليه يقوم بكفايتهم ، هذا بعيد من العادة ، فلم يرد جواباً ، فقلت له : انا اتبرع لك بالجواب ، وهو انهم كان معهم موسى عليه السلام وبيده العصا التي يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، وعناية الله بهم تحملهم وتعينهم على ما يحتاجون اليه من كل شيء ، وعلى الجملة فالذى استبعده ابن حزم لا ينكر لان هذا عدد كثير على ما يزعمونه .

(رجع إلى ذكر الشطرنج) انما يذكر الصولي ويضرب به المثل لانه اجاد اللعب فيه وبلغ الغاية لا لانه واضعه فاعرف ذلك .

حكى المسعودي في مروج الذهب : ان الامام الراضي بالله اتى في بعض متنزهاته بستاناً مونقاً وزهراً رائقاً ، فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه : هل رأيتم منظراً احسن من هذا ؟ فكل انشأ يصف محاسنه وانها لا يفي بها شيء من زهرات الدنيا ، فقال الراضي : لعب الصولي بالشطرنج احسن من هذا ومن كل ما تصفون .

وقيل : انه لما دخل الصولي على الامام المكتفي في اول امره كان عنده انسان يعرف بالماوردى ، وقد الفه المكتفي زماناً ولعبا بين يديه ، واخذ المكتفى

يشجع الماوردي وينصره ، حتى دهش الصولي فلما اتصل اللعب بينهما ورأى اجادة الصولي ، قال للماوردي : عاد ماء وردك بولا !

ويقال : فضائل الهند ثلاثة سبقوا بها من سواهم من الناس : كتاب كليلة ودمنة ، ولعبة الشطرنج ، والتسعة احرف التي تجمع انواع الحساب .

قال الصفدي : وما احسن قول ابن القيسراني ، ومن خطه نقلت :

وقد اختصرت لك الثناء وربما ... وافاك بالمقصود صدر ملطف

هذا الحساب يفوت اوهام الورى ... وتحوزه للهند تسعة احرف

قال الصفدي : ورأيت أنا بعض الاصحاب يأخذ قطع الشطرنج يرصها رصاً مخصوصاً صورة دائرة ، ويدعي ان مركباً كان على ظهر البحر الاعظم في اللجة وفيه مسلمون وكفار فاشرفوا على الغرق ، وأرادوا ان يرموا بعضهم إلى البحر ليخف المركب فينجوا بعضهم ويسلم المركب ، فقالوا : نقترع ومن وقعت القرعة عليه القيناه ! فنظر الرئيس اليهم وهم جالسون على هذه الصورة ، فقال : ليس هذا حكماً مرضياً ، وانما الحكم ان نعد الجماعة ، فكل من كان تاسعاً ألقيناه فارتضوا بذلك ، ولم يزل يعدهم ويلقي التاسع فالتاسع إلى ان القى الكفار اجمعين وسلم المسلمون ، وهذه صورة ذلك والمسلمون هم الحمر وابتداء العدد منهم اولا كما ترى ويبتدىء بالعدد من اول الاربعة الحمر إلى جهة الشمال ، فينتهي التاسع إلى آخر السود الخمسة ، ثم يبتدىء من الاحمرين بالعدد وهكذا . . . إلى ان يلقى السود باجمعها . قلت واحفظ لها بيتاً وهو هذا :

الله يقضي بكل يسر ... ويرزق الضيف حيث كانا

فالحروف المهملة هم المسلمون ، والحروف المنقوطة هم الكفار ما عدا الف الاطلاق الذي هو آخر القافية فلا تحسبه .

وجعل الصفدى لها بيتاً آخر هو :

ولما فتنت بلحظ له عذلت فما خفت من شامت

وحروف هـذا البيت في العدد مثل حروف البيت الذي قبله ولك ان تقيد ذلك بحروف الجمل فتقول :

دهباجا ابيجابيا

١٢٢١٣٢٢١١٣١٢٥٤

وذلك : اربعة وخمسة واثنان وواحد وثلاثة وواحد وواحد واثنان واثنان وثلاثة وواحد واثنان واثنان وواحدة .

قال الصفدي : ورأيت من يضع وفقاً على عـدد بيوت الرقعة ، ويدع فيها اعداداً مخصوصة فيحصل من مجموعه وفق كيف ما عددته من اليمين إلى الشمال اوبالعكس او من فوق إلى اسفل اوبالعكس اومن قطريه تجده مائتين وستين عدداً لا يختلف ، وفي اربعـة اركانه او فاق كل منها وفق بذاته على نقل الفرزان وهذه صورته :

٨	٧	٥٩	٦٥	٦١	٦٢	٢	١
١٦	١٥	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	١٥	٩
٤١	٤٢	٢٢	٢١	٦٥	١٩	٣٩	٤٨
٣٣	٢٤	٣٥	٢٩	٢٨	٢٧	٣٩	٤٥
٢٥	٢٦	٣٨	٣٧	٣٦	٣٥	٣١	٣٢
١٧	١٨	٤٦	٤٥	٤٤	٤٣	٢٣	٢٤
٥٦	٥٥	١١	١٢	١٣	١٤	٥٥	٤٩
٦٤	٦٣	٣	٤	٥	٦	٥٨	٥٧

وقيل ان المأمون كان لا يجيد اللعب بالشطرنج ويقول: عجباً مني كيف ادبر ملك الارض من المشرق إلى المغرب ولا احسن تدبير رقعة ذراعين في ذراعين .

وما احسن قول النور الاسعردي :

اعييت إذ لاعبت بالشطرنج من اهوى فابدى خده توريدا
وغدا لفرط الفكر يضرب ارضه بقطاعه لما انثنى مجهودا
فعطفت أنشده هناك معرضاً وجوانحي فيه تذوب صدودا
رفقاً بهن فما خلقن حديدا أو ما تراها اعظما وجلودا

وقال محمد بن شرف القيروانى في مدح الشطرنج حرب سجال ، وخيل عجال وفرسان ورجال قريبة الآجال ، سريعة عودة المجال ، تستغرق الفكرة وتسلب اللب سلاب السكرة وتترك اللسان وما أراد اساء او أجاد ، إلا انها تدني مجلس الصعلوك من اشرف الملوك ، حتى لا يكون بينهما في اقرب بقعة ، إلا عرض الرقعة ، فربما التقت بنانهما في بيت القطعة ولسانا هما على بيت القطعة لعب صولي ، وغريب اصولي قمر لجاجي ولعب لجاجي ، مظفر الفئة يراها عن مائة ، بيوته حصينة وشاهه مصونة دوابه مجتمعة ، وشاهه ممتنعة ، جيد النظر ، شديد الحذر ، لا يبقي ولا يذر ، عينه تغلي وفكرته تملي ، ويده تبلي .

وقال في ضد ذلك : آخر الطبقة ، واول الابقة ، لعب كل يطرح له الكل رخه ابدا فيل ، وشاهه قتيل ، لعب يرمد ويسكمد ، لعب الغريب ، فيه غريب ، والصواب فيه لا يصاب ، دفع ما فيه نفع ، قطع على نطع ، ما في دفعاتها اغراب ولا لوقعاتها اطراب ، طويل حك الرقعة ، كثير مس القطعة. على طول امساك وثقل احراك ، وما احسن قول القائل :

وهبك اتقنتها ما ذا أتيت به يازوج اكبر مافيها من القطع

فلما كان غرة جمادي الآخرة عام الف ومائة وتسعة وثلاثين من هجرة الشفيع في الآخرة ركبنا في المركب المبارك فخر الاسلام المعمور مركب الملا محمد علي بن عبد الحي بن الملا عبد الغفور ، وارخته بقولي :

فخذ تاريخ فخر الاسلام بيتاً تماما في المعاني فيه لطف

فبسم الله مجريها دواما وبسم الله مرساها يخف

كان سفري من بندر سورت صحبة الجناب الرئيس صاحب الخلق والخلق النفيس والفضل الظاهر والكرم الباهر الناخودة عبد الرحمن بن عبد القادر والجناب الجليل الرفيع السيد حسين بن السيد محمد رفيع ، فاحسنا معي شروط المحبة والأخا وسرت معهما مكرماً إلى بندر المخا. فلم نزل نسير في بحر الهند الفسيح الكبير .

فلما كان صبح ثامن عشر من هذا الشهر مررنا على بندر عدن ، وزال عنا الهم والحزن .

﴿ فائدة ﴾

عدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن .

بناها عدن بن سنان بن اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام وسميت به . وهي ارض جرداء لا ماء بها ولا زرع . ويجلب اليها الماء من عيون بعيدة ، وبها جبل محيط من جميع جوانبها ، ولها من ذلك الجبل طريق يوصل إلى البر .

وتأتي اليها المراكب بالبضائع من الهند والسند والبصرة والحبشة ، وغير ذلك

ويقال ان بها جبلا احمر يسمى جبل النار وهو في وسط البحر المالح يخرج منه النار بالليل ، حتى يضيء منه البحر ، وبها البئر المعطلة .

وكان في اليمن بلدان كثيرة ، وقرى عامرة شهيرة ، منها : قرية تسمى انيق يقولون ان اهلها اهل سحر عظيم ، يجعلون الآدمي قرداً او حماراً ، وغير ذلك من فنون السحر .

ومنها : مدينة ظفار وكانت مسكن الملوك الحميرية ، وبها اللبان الجيد واليها ينسب الجزع الذي يسمونه الظفار .

ومنها : مدينة الشحر وهي بين عدن وعمان على ساحل البحر المالح واكثر معيشة اهلها من التمر والسمك ، وينسب اليها العنبر الشحري واللبان الشحري ويوجد بها من النساس ما لا يحصى .

ومن جبال اليمن المشهورة شعب ، وفيه بلد وقرى كثيرة وينسب اليه ابو عمرو عامر بن شرحبيل الشعبي ، وكان عالماً فاضلا ولي القضاء في ايام عبد الملك ابن مروان .

ومن كور اليمن المشهورة مأرب ، وهي بين حضرموت وصنعاء ، والآن خربت ولم يبق منها سوى ثلاث قرى ويسمونها الدرب ، وكل قرية منها منسوبة إلى قبيلة من قبائل اليمن . وكانت سبب خراب بقية الضياع التي هناك ، ان الجراد تسلط على زروعهم ، وصار يقرضها بالليل ، فضجروا منه وتركوا له تلك الارض .

قلت : هناك بحث للعالم العلامة عمي السيد محمد بن علي بن حيدر مع صاحب القاموس فتأمله . قال في القاموس : الارب بالكسر الدهاء إلى قوله ومأرب كمنزل وعين باليمن مملحة ، وقال في مادة مأرب : كمنزل بلاد الازد .

قال عمي قدس الله روحه ونور ضريحه في حاشيته على القاموس ما هذا لفظه اقول في ثمار القلوب لابي منصور الثعالبي : مأرب اسم لقصر ملك سبأ ، ثم صار اسما للبلدة ، وهي التي وصفها الله تعالى بالطيب فقال (كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) ولا اطيب مما وصفه الله تعالى بالطيب ، ولا اعذب من مائه ومأرب هي التي ارسل الله تعالى عليهم سيل العرم .

قلت : وقصته ان امرأة كاهنة رأت في منامها ان سحابة غشيت ارضهم ، وارعدت وابرقت ثم امطرت ، فلما انتبهت اخبرت زوجها بذلك ، وكان اسمه عمرو مزيقيا ، فذهب إلى سد مأرب فوجد الجرذ يقلب برجله صخرة ، فعلم ان ذلك من الامور المقدرة ، فباع جميع ما يملكه من ضياع وبساتين ، وخرج من ارض سبأ هو واولاده وعياله وقومه ، ثم بعد ذلك بأيام ارسل الله الجرذ فنقبت سد مأرب وهو السد الذي كان يحول بينهم وبين البحر المالح ، فانهدم السد وخرج منه الماء إلى تلك الارض فاغرقها بمن فيها من السكان .

وكان هذا السد بناه لقمان الاكبر بن عاد اخو شداد ، واحكم بنيانه بالحجر

وأذاب بينه الرصاص ، وكان طول هذا السد فرسخاً في فرسخ وجعل فيه بوابا ليأخذوا منه الماء ، على قدر كفايتهم .

وكانت ارض مأرب مسيرة ستة اشهر متصلة بالعمائر والبساتين والفواكه فغرقت تلك الدور والبساتين وبدلهم الله بجنتهم جنتين كما هو مذكور في القرآن العظيم (رجع إلى ما نقله عمي طاب ثراه): والمثل مضروب بعذوبة ماء مأرب .

وقال القاضي البيضاوي في تفسير الآية : لقد كان لسبأ في مساكنهم أي في موضع سكناهم ، وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث مراحل. وفي شعر عمارة اليمني .

وقد هد قدما عرش بلقيس هدهد وخرب فأر قبل ذا سد مأرب

وكل ذلك يدل على ان مأربا اسم بلاد سبأ التي اخربها سيل العرم بخراب سدها الذي خربه الفأر ، فقوله مأرب كمنزل عين باليمن مما لحة ان اراد هذا الذي كان بلاد سبأ فهو اغفال واخلال بذكر نسبة الموضع إلى سبأ ، وان كان غيره فقد اغفل ذكر بلاد سبأ .

وكذلك قوله: مأرب كمنزل بلادالازدان ارادغير بلاد سبأ فقد أخل بذكر بلاد سبأ المسماة بمأرب ، وان اراد بلاد سبأ ، فذلك لا يعلم إلا بعلم الغيب إذ لا دلالة في العبارة على ذلك ، بل تدل على خلافه ، لان الازد قبيلة من جملة قبائل كهلان بن سبأ ، وهو اخو حمير كلاهما ولد اسبأ الذي يجمع قبائل اليمن عامة ، كما في القاموس وغيره من كتب اللغة والنسب ، ومن حمير ايضاً قبائل كثيرة مع القبائل الكثيرة التي من كهلان وكلها من سبأ وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان والله عز وجل يقول (لقد كان لسبأ في مساكنهم) فهي مساكن مجمع قبائل حمير وكهلان وهي مأرب كما نص عليه الثعالبي والقاضي البيضاوي وغيرهما ، فقوله مأرب كمنزل بلاد الازد يدل على ان هذه البلاد غير بلاد سبأ ، ثم ان قبائل الازد لم تحدث إلا بعد زمان طويل من زمان سبأ الذي فيهم قوله تعالى (لقد كان لسبأ

في مساكنهم آية) وبعد ان خرب سيل العرم مساكنهم بزمان طويل وسكنت الازد في بلدان واقطار متعددة ، فقيل كما في القاموس وكتب النسب ازد السراة وازد عمان وازد شنوءة وجمهورهم بل جميعهم اولاد عمرو مزيقيا ومنهم الاوس والخزرج وخزاعة واولاد جفنة وغيرهم ، ومزيقيا هذا هو الذي نجا من سيل العرم وخرج بقومه قبل وقوعه كما قدمنا ثم تفرق نسله وعقبه في البلدان والاقطار وكل من قبائل مزيقيا يقال لهم الازد ، فمن أين يفهم قوله مأرب كمنزل بلاد الازد . ان مأربا بلاد سبأ التي خربها سيل العرم ، وذكرت في القرآن .

واعلم ان ما ذكرهم في مادة مأرب الميم فيه اصلية ، وما ذكره في مادة ارب الميم فيه زائدة ، فينبغي ان يكون هذا غير ذاك ، او يكون صاحب القاموس متردداً في زيادة الميم واصالتها ، فلذلك ذكر الموضع في المادتين ، وليس في الصحاح إلا المذكور في مادة ارب والله اعلم .

فلما اسفر صبح عشرين من جمادي الآخرة توكلنا على رب الدنيا والآخرة ودخلنا بندر المخا ـ بفتح الميم والخاء ـ بندر الامن والرخا .

﴿ فائدة ﴾

المخا كانت قرية صغيرة يسكنها اناس يقال لهم بنو الجنيني ـ تصغير جني ـ ويسمون ايضاً بني القنيني ـ على وزن الجنيني ـ ونسبهم في الفرس الذين سكنوا جدة وانتقلوا منها بسبب امر حدث عليهم من الشريف سلطان مكة فتفرقوا في البلدان ، كدهلك وفرسان .

وأما الآن فالمخا بندر عظيم تأتي اليه المراكب من الهند والسند وبنكاله والصين والفرنج وبنيبار وعمان والبصرة وغير ذلك وعليه سور مبني باللبن والآجر ثم زاد في بنائه وخرجه عن حده الاصلي نحو عشرين ذراعا الشيخ صالح بن علي الحريبي لما كان والياً على المخا في زمن الامام المهدي صاحب المواهب عام الف ومائة

واربعة عشر او سبعة عشر ، وبنى قلعة مالطة ، وبالجانب الشامي قلعة محكمة على البحر بناها فضلي باشا حين كانت اليمن بيد الروم .

وبالجانب اليماني قلعة مكينة بناها السيد حسن الجرموزي وبخارجها قلعتان مكينتان حصينتان واحدة على آبار الشاذلي المشهورة ، والأخرى من الاسفل عنها قريب منها وكلاهما يحفظان الماء من العدو ، وهما اضبط واحفظ من القلاع الاخر وحفرت عند القلعة السفلى بئر عظيمة وماؤها عذب ، والقلعتان بناهما الملاذ الشهير الوزير الكبير المشهور في فضله وعدله من صنف هذا الكتاب لاجله وهو الجناب الرئيس الجوهر الفرد النفيس حاكم بندر المخا ، صاحب المجد والسخا ، المقصود في الشدة والرخا ، رفيع المقدار ، نسل الاخيار ، قاموس الجود المدرار ، مولانا الفقيه العادل النبيه احمد بن يحيى خزندار ، حرسه الله من طوارق الليل والنهار ، وحرس نجله السعيد الشهم المجيد بحر الكرم الزخار ، فخر الاسلام سيدي عبد الله بن احمد خزندار لا زال رايات سعدهما على رأسهما منشورة ، ولا برحت جميع اعاديهما من قوة باسهما وطالعهما مقهورة . بحرمة النبي الامين وآله الميامين :

آمين آمين لا ارضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمينا

وللسور أربعة ابواب ، باب الشاذلي ، وباب العلموذى ، وباب صندل ، وباب الصغير ، وبداخل البندر وكالة عظيمة بناها محمد باشا في ايام ما كانت اليمن بيد الروم واوقفها على النبي ﷺ وهي الآن مشهورة بوكالة النبي ﷺ .

وبالمخا جامع عظيم بناه بنو النائبة .

﴿ ترجمة الشيخ على بن عمر الشاذلى ﴾

وبالمخا ضريح ابى الحسن العارف بالله القطب الولي الشيخ علي بن عمر بن ابراهيم بن ابى بكر هديمة بن محمد بن عبد الله بن الفقيه محمد دعسين بن هبيني بن ربيعة بن علي بن احمد بن شكر بن رزام بن يحيى بن عبد الله بن زكريا بن خالد

ابن عبد العزيز بن عبد الله بن الصحابي خالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية الاكبر بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الاموي الصوفي الشاذلي .

كان مولده بالقرشية السفلى من وادي رمع في زبيد المدعو فيه بالبركة سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، وموضع ولادته في القرية . وولد بعده اخوه موسى بن عمر، ثم توفي والدها قتيلا بيد المعازبة القبيلة المشهورة من قبائل عك بن عدنان . وكان يوم قتله طفلا فرباه عمه العالم العلامة محمد بن العلامة ابي بكر بن احمد دعسين واعتني به غاية الاعتناء ، وقرأ القرآن العظيم ، ثم قرأ في العلوم حتى صار حرياً بالتقديم ، ولما بلغ من العمر ثمانية عشر عاما احرز العلوم واتقن الفنون ، وحقق في تحقيقه لها الظنون ، ثم لما بلغ عمره عشرين سنة ارتحل إلى مكة المشرفة ، فحج ثم زار قبر النبي ﷺ .

ثم ارتحل إلى بيت المقدس فاقام به مدة طويلة يقرأ في العلوم من الفروع والاصول ، وفنون المعقول والمنقول ، وتزوج بامرأة هناك ، وولدت له ابناً سماه ابا الفتح ، ومات صغيراً .

ثم ارتحل من بيت المقدس إلى مدينة مصر باشارة نبوية رآها في منامه .

قال رضي الله عنه في رحلته : كنت ببيت المقدس فرأيت النبي ﷺ ليلة ، فقال لي اقتد بأبيك ابي الحسن الشاذلي ، قال وتكرر المنام ثلاث ليال متوالية ، ففي الليلة الثالثة قلت : يا سيدي يا رسول الله الشاذلية كثيرون بمصر والشام وبالمغرب اكثر ، ولو امرتني بالتقدم إلى البحر المحيط لتقدمت ، فقال لي : خذ عن سيدك الشيخ ناصر الدين فهو شيخ الوقت وقطبه وكان الشيخ ناصر الدين بمصر فارتحل الشيخ علي ابن عمر إلى مصر فوصل إلى محلة المرحوم ونزل على جماعة من الفقراء في زاوية الشيخ الكبير السيد احمد الرفاعي فجلس عندهم فاحس به الشيخ ناصر الدين من طريق الكشف فارسل اليه رجلا من اصحابه يقال له الشيخ محمد الداخلي واصحبه اليه هذه القصيدة المشهورة المسماة مجال السلوك إلى ملك الملوك .

وقد اعتنى بشرحها جماعة من العلماء المحققين ، وهي احسن ما نظم في علم التصوف وامتن ماحقق من معالي معالم التعرف ، لكونها كافلة بتهذيب من تعلق باذيال طريق القوم ، كافية لمن جال بفهمه في الغوص على درر كلامهم ، وكان لطائر ذكائه على معانيهم حوم ، وله في بحار عباراتهم عوم ، وها انا اثبتها في هذا الكتاب طلباً للبركة من ذلك الجناب ، وهي :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه
ولو تعرض ارواحا وجاد بها في كل طرفة عين لا يساويه
وقطرة منه تكفي الخلق لوطعموا فيشطحون على الاكوان بالتيه
وذو الصبابة لو يسقى على عدد الانفاس والكون كاساً ليس يرويه
يروى ويظمأ لا ينفك صاحبه يصحو ويسكر والمحبوب يسقيه
في ريه ظمأ والصحو يسكره والوجد يظهره طوراً ويخفيه
يبدو له لسر من آفاق وجهته وليس إلا له منه تبديه
له الشهادة غيب والغيوب له شهادة والفناء المحض يبقيه
له لدى الجمع فرق يستضيء به كالجمع في فرقه ما زال يلقيه
يدنو ويعلو ويرنو وهو مصطلم في الحالتين بتمييز وتوليه
له الوجودات اضحت طوع قدرته فما يشاء من الاطوار يأتيه
للقوم سر مع المحبوب ليس له حد وليس سوى المحبوب يحصيه
به تصرفهم في الكائنات فما يشاء شاؤا وما شاؤه يقضيه
ان كنت تعجب من هذا فلاعجب لله في الكون اسرار ترى فيه
لاشيء في الكون إلاوهو ذوأثر وما المؤثر غير الله قاضيه
ليس التضاد مناعاً لقدرته من حيث قدرته يأتى تماليه
وانما من وجوه الحادثات له تمانع في محل ظل يحويه
وللفقير وجوه ليس يحصرها عد وكل وجود فهو واديه

لو كنت تدري وجود العبد كيف ترى
فيـــه الـكمال كما النقصان تنفيـه

فالعبد هذا هو الحر الذي حصلت ... له الخلافـة جل الله معطيه
اوصافه ظهرت من وصف مبدعه ... وكاء مظهر يبدي تجليـــه
إذا رؤى ذكر المولى لرؤيتـه ... وفاز بالسعد والتقريب رائيـه
عبد عليه سمات العز لائحة ... وخلعة العز والتحكيم عاليـه
ان كنت تقصد ان تحظى بصحبته ... فاسلك على سنن طابت مساعيه
اخلص ودادك صدقا في محبته ... والزم ثرى بابه واعكف بناديه
واستفرغ العمر في آداب صحبته ... وحصل الدر والياقوت من فيه
وابذل قواك وبادر في اوامره ... إلى الوفاق وبادر في مراضيـه
واحذر بنفسك ان تأتى ولو خطأ ... ما لا يحب وباعد عن مناهيـه
وكن محب محبيـه وناصره ... والزم عداوة من اضحى يعاديه
واعلم يقيناً بان الله ناصرهم ... لو لم تكن ناصراً فالله يكفيـه
وانزل الشيخ في اعلى منازله ... واجعله قبلة تعظيم وتنزيه
ولست تفعل هذا ان ظننت به ... نقصاً ولا خللا فيما تعانيـه
واترك مرادك واستسلم له ابداً ... وكن كميت مخلى في اياديه
اعدم وجودك لا تشهد له اثراً ... ودعه يهدمـه طوراً ويبنيـه
متى رأيتك شيئاً كنت محتجبا ... برؤية النفس عما انت ناويه
ولا ترى ابداً عنه غنى فمتى ... رأيت عنه غنى يخشى تناسيه
ان اعتقادك ان لم تأت غايتـه ... فيه فيوشك ان تخفى مباديه
وغاية الامر هذا ان تراه على ... نهج الكمال وان الله هاديه
ومن امارة هذا ان تزول ما ... عليك اشكل اظهاراً لخافيـه
والعبد ان يعتقد شيئاً وليس كما ... يظنه لم يخب والله معطيـه

وليس ينفع قطب الوقت ذا خلل في الاعتقاد ولا من لا يواليه
إلا إذا سبقت للعبد سابقة يعود من بعد هـذا من مواليه
ونظرة منه ان صحت اليه على سبيل رد باذن الله تغنيـه
والناس عبد ان مجذوب وسالك ما دعي اليـه بتعليم وتنبيـه
والجذب أخذة عبد بغتة بيدي عناية نحو امر ليس ينويه
فهو المراد ومخطوب العناية لا يحس كلفة تكليف تلاقيـه
طوراً يرد عليه الحس تكملة له فيقصد ما قد كان ناويه
تراه يعبد لا يلوي على شغل سوى العبادة يستحلى تفانيـه
وقد يغيب عن الاحساس مختطفاً وذو العناية حفظ الله يحميـه
ترى الحقائق تبدو منه في نسق مع الكشوف لان الله يلقيـه
وذو السلوك تراه في ارادته يجاهد النفس ذارعي لباقيـه
يمشي على نهج اهل الصدق ملتزما شروطهم خائفاً فيما يرجيه
كم من مريد قضى ما نال بغيته حق القضاء عليه في تقاضيـه
وكم مريدونى من بعـد عزمته إذ عزمه ذاك ما صحت مبانيـه
من ليس يخلص في مبدا ارادته يهوى به الحظ في اهوى مهاويه
وما المريد الذي صحت ارادته إلا مراد له جـذب يوافيـه
والجذب ان جاء من بعد السلوك له فضل على الجذب مما السعى تاليه
والجذب هذا الذي التفضيل فيه هو الجذب الذي ظهرت حسا بواديه
وفي الحقيقة لولا الجذب ماسلكت طريق حق ولا ريمت مرائيـه
لولا العناية والتخصيص قد سبقا في دعوة العبد ما قامت دعاويـه
ان المريد مراد والمحب هو المحبوب فاستمل هـذا من اماليـه
ان كان يرضاك عبداً انت تعبده وان دعاك مع التمكين تأتيـه
ويفتح الباب اكراما على عجل ويرفع الحجب كشفاً عن تدانيه

وثم تعرف ما قد كنت تجهله مما عن الحصر قد جلت معانيه
وترتوي من شراب الانس صافية يا سعد من بات مملوءاً بصافيه

قلت : وزاد بعض المشايخ في هذه القصيدة الفريدة بيتاً ذكر فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو :

وصل يا رب ما غنت مطوقة على النبي صلاة منك ترضيه

فلما دخل الشيخ محمد الداخلي على الشيخ علي بن عمر الشاذلي ، ناوله هذه القصيدة المذكورة وقال له الشيخ ناصر الدين يدعوك فأمر نظره على القصيدة ، وقال له : استمعها مني ، وقرأها عليه حفظاً ، فقالوا له: هل تعرف الشيخ ناصر الدين؟ فقال لهم : لا ، بل هو اعرف بي يعرفني قبل ظهوري من ظهر أبي .

ثم سار هو والشيخ محمد الداخلي إلى مصر ، ودخل على الشيخ ناصر الدين فقابله بالبشاشة والترحيب ، وعامله بالانس والتقريب ، وسلكه الطريق الشاذلية ، وهذبه وادناه من الحضرة الالهية ، وقربه ولقنه الذكر وفهمه معانى الفكر ، وادخله الخلوة وبشره بالفتح ، وأظهر له من العلوم والمعارف ما يطول معه الشرح .

فأقام بمصر في كنفه ثلاث سنين وقرأ كثيراً من العلوم على جماعة من علماء مصر العارفين ، ثم انه اشتاق إلى الوطن من ارض اليمن فاستأذن شيخه الشيخ ناصر الدين في السفر فاذن له ، وذلك عند مسير الحجاج إلى مكة المشرفة ، فخرج وخرج معه شيخه الشيخ ناصر الدين مودعاً له إلى بركة الحاج ، ولما وصل إلى البركة عزم الشيخ ناصر الدين على الحج ، فهيئت له المحامل والمراكب فحجا معاً ، فلما انما حجهما وعمرتهما نزل الشيخ علي بن عمر إلى جدة للسفر إلى اليمن ، فنزل معه الشيخ ناصر إلى جدة ، وقال : بلغنا إلى جدة وزرنا الجدة ، على احد الاقوال .

ولما وصل الشيخ علي بن عمر الشاذلي إلى اليمن تأهل بأم ولده ابي السرور بقرية الاوشج ، ويقال لها موشج ، وبام ولده ابى الفتح بالقرشية ، وبام ولده ناصر الدين بقرية البقعة .

ثم حصلت له اشارة نبوية بالدخول إلى بر العجم وارض الحبشة ، فامتثل الاشارة وولد له هناك اولاد كثيرون وصحبه بتلك البلدان جماعة من اهلها العلماء منهم ، والصوفية والاعيان ، ثم امر بالتقدم إلى بلاد السلطان سعد الدين المجاهد فسار إلى هنالك واجتمع به السلطان ، وقام بواجبه ، وانتشرت هنالك كراماته وتزوج ابنة عم السلطان سعد الدين ، واسمها مريم ، وكان والدها ولي السلطنة قبل اخيه والد سعد الدين المذكور .

ولما تزوجها الشيخ ولدت له هنالك ابنيه الشيخين الجليلين زين العابدين وعبد الرؤف ، وخرج بها معه إلى المخا ، وولدت له ابناً سماه عبد القادر ، مات صغيراً ، وولدت له بنتاً سماها فاطمة ، ثم ماتت الام في حياته بالمخا .

وكان قد اقام مدة طويلة ببلاد السلطان سعد الدين المذكور إلى ان حصلت له الاشارة بالخروج إلى بر العرب ، فخرج إلى المخا واستوطنها ، ولما وصل إلى المخا وافق وصوله وصول امرأة من القبيلة الفرسانيين سكنة موزع اسمها زينب وهي ذات مال جزيل ، وكانت خائفة على ابن لها من القبيلة العقارب اتهموا ابنها بقتل رجل منهم ، فاستجارت هي وابنها بالشيخ وسألته ان يشفع لهما إلى القبيلة المذكورة ، فرحمهما وسار اليهم شافعاً لها ، فقبلوا شفاعته ، واقام عند بعض كبرائهم للضيافة ، فعزم أخ للمقتول على اذية الشيخ ، وكان من عادة الشيخ ان يتمشى آخر النهار إلى البر فخرج من بيت الضيافة على جاري عادته فلحقه اخو المقتول مضمراً قتله ، والسيف في يده مسلول ، فالتفت الشيخ فدعا عليه فصرع في موضعه وحمل إلى بيته ، فمكث يوماً ومات ، فاعترفوا بان صاحبهم مخطىء ، واعتذروا اليه من فعله وانهم لم يعلموا بذلك ، فقبل عذرهم ، ثم رجع إلى المخا ، فوجد موضعاً مواتاً فاحياه ، وابتنى فيه بيوتاً ، وسكن بها واسكن غيره معه ممن وفد اليه .

وكان استيطانه بالمخا لاشارة من شيخه الشيخ ناصر الدين وهي قوله له يا بني حيث وجدت قلبك فخيم ـ وقد قدمنا ذكر هذه الوصية .

وكان زوجاته لا ينقصن عن اربع وصار صاحب زوايا واربطة واتباع كثيرين ، واصحاب مشهورين ، وشهر طريق الشاذلية في جميع قطر اليمن ، وأظهر مصنفاتهم ، ونوع علومهم بالقصد الحسن .

وكان كثير النذور والفتوحات خصوصاً من الحبشة ، وكانت له مكارم اخلاق وفضائل .

وكان يعين الفقراء والوافدين بماله وجاهه ، وكان لا يدخر شيئاً من الدنيا وكل ما دخل عليه انفقه في فعل الخير ، وكان لا معلوم له ولا محصول بل اطعام الطعام لديه لكل من وفد اليه مبذول .

قال تلميذه الشيخ احمد بن ابي بكر الهاشمي ، وفي مدة اقامتي في خدمته لم اعلم ان زكاة الفطر وجبت عليه إلا مرة او مرتين مع وسع الانفاق والتبسط في مكارم الاخلاق ، ولقد رأيناه يهب الخيل العتاق ، والبحاري الفارهة النجب والرقيق ، والفضة والذهب ، والثياب المستحسنة الرفيعة بانواعها من التفاصيل والارباع والمقاطع لكل مواصل ومقاطع ، وكذا الثياب الصوف ، وانواع البزوز الهندية ، وكل الصنوف .

وكان مذهبه الغنى بالله والايثار ، ونفع المسلمين بالجهر والاسرار ، وكان كثيراً ما ينشد هذا البيت :

الخير مبذول لمن ورد الحمى سراً وجهراً في مدى الاوقات

وسمعته مرة يتكلم في الغنى بالله ، ثم ذكر هذا المقام وعزته وغربته ووحدته ثم قال في اثناء ذلك: والله ان الدنيا وكنوزها ، وما فيها من قاف إلى قاف . او قال مسيرة خمسمائة عام في قبضة من هو في هذا الموضع ـ يعني نفسه ـ .

وكان رضى الله عنه قليل الاكل جداً ، وقد يحبس الايام عن الطعام ويقرب اليه فيقول : نحن لا نأكل قبل الفقراء ، ولا قبل الضيوف ، فاذا نوى الموافقة امر من يطلب صغار اولاده ، ومن حضر من صغار الفقراء ، ثم يمس منه قليلا باطراف

اصابعه ، ثم يقوم وهم عليه ، ويقول : لو لا المجابرة ما اكلت ، ويقول : حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه .

وما زال نفع الله به على الطريقة المرضية ، والسيرة الحسنة السنية حتى انتقل بالوفاة إلى جوار ربه ورحمته ضحى يوم السبت اول يوم من شهر صفر الخير سنة ثمان وعشرين وثمانمائة .

وكان عمره حينئذ ثلاثة وسبعين عاماً ، ودفن بموضع عيّنه لنفسه ، وبنيت على قبره قبة معظمة متقنة محكمة بناها قوم من يافع ، القبيلة المشهورة من قبائل حمير الاكبر بن سبأ الاكبر بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، يقال لهم : آل سلام ـ بتشديد اللام ـ وخلفه بعدموته في القيام بالمشيخة ابنه الشيخ الجليل جوادالدين عبد الرؤف فقام بالوظيفة اتم قيام ، وانتفع به الخواص والعوام ، وواظب على العبادة والصيام ، واقامة الجمعة والجماعة ، وتلاوة القرآن على قبر والده واطعام الطعام ، وصلة الاقارب والارحام ، واشتهر بين الناس ذكره ، وعلا بملازمة العبادة قدره ، ولم يزل على ذلك إلى ان توفى ضحى يوم الجمعة في الثالث من شهر رمضان الكريم سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، ودفن داخل القبة بجنب قبر والده من جهة القبلة ، وجعل على قبريهما تابوتان من خشب الساج معتمان يكسوان كسوة لائقة على ممر الازمان .

ثم جاورهما الوزير المعظم المرحوم الباشا سنان ، ولما امر الوزيرالدستور الكبير حسن باشا بعمارة قبة الشيخ المذكورة بمباشرة علي جلبي امين بندر المخا الترجمان الحلبي ، فعمرها عمارة متقنة وجدد التابوتين وكساهما كسوة حسنة .

وكان ابتداء العمارة في سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، وختامها في سنة الف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية ، ثم امر الوزير المذكور بانشاء جامع كبير شرقي القبة وشاميها فبنى بناء اكيداً ، ولما تم نصب له منبر عجيب من الحجر الاخضر ثم بنيت فيه منارة عجيبة في غاية الطول والنحافة واللطافة والتحافة ثم

صليت فيه الجمعة ، واستمرت فيه الخطبة وصلاة الجمعة ، واقامة الجماعة تقبل الله ذلك بمنه وكرمه ويمنه .

وبالمخا ضريح الشيخ صدّيق الشاذلي ، وضريح الولي الاكمل الشيخ صندل، وضريح الولي الربانى الشيخ علي الجازانى ، وضريح الولية الشريفة عطا .

وخارج المخا ضريح الولي الشيخ محمد بن سعيد العامودي ، والشيخ ابو بكر ابن موسى العمودي ، وضريح الولي القدسي السيد ابراهيم الشمسى ، وضريح صاحب الكرامات والالطاف الشيخ السقاف ، وضريح الشيخ عبد الرزاق الشاذلي وضريح ولي الله السيد شكر الله المشهور في عصرنا بالشيخ جوهر ـ نسبة إلى قيم ضريحه ـ الازهر ، وحوله مسجد عظيم بناه الناخودة محمد سعيد عام الف ومائة واربعين بأمر الناجر المشهور الملا محمد علي بن عبد الحى بن الملا عبد الغفور .

وفي سنة الف ومائة وتسعة وثلاثين عمر الناخودة المكرم الرئيس المعظم ذو الفخر الظاهر والكرم الباهر الناخودة عبد الرحمن بن عبد القادر منارة القطب الولي الشيخ علي بن عمر الشاذلي بأمر الملا محمد علي المذكور ابن عبد الحي بن عبدالغفور وارخت بناءها بقولي :

منارة ذكر لرب ولي بمسجد قطب الورى الشاذلي
بناها سليل الفتى عبد حي سميع عليم قديم علي
وذلك نجل لعبد الغفور مليك لتجار من الأول
ولا تنس عبد الرحمن جوداً وقدر له لم يزل يعتلي
فذاك الذي قد تولى بناها حماه الاله بهذا الولي
وشيد بنيانها فارتقت سموا باشراق نور جلي
وارخ لطفاً منارة وحي بناها لجود محمد علي

ونزلت في المخا بدار الجناب المكرم ، المآب المعظم ، العالى الرئيس ، الغالى النفيس ، شهامة المخا ، ومعدن الجود ومنبع السخا ، الشهم الكريم الشيخ محمد صالح

ابن المرحوم محمد علي القاضي الحكيم ، واقمت بداره السعيدة اياما ، ثم نقلت إلى فندق ودود ، واقمت به اياما ، ثم نقلت خارج المدينة إلى نخل الجناب الجليل المشهور الشيخ محمد صالح الحكيم المذكور . وقد كان هذا الجليل الاصيل الكريم المثيل كامل الفخر والاعزاز ، حاوي الرياسة حقيقة لا مجاز ، رئيس المخا مرجواً في الشدة والرخا ، ماجداً عادلا عالماً فاضلا استاذاً حكيم ، ملجأ الغريب واليتيم سالكا نهج الصدق المستقيم ، اديباً ألمعي اريباً اوذعي ، حاوي الخصال الحميدة والصفات المجيدة ، كم اكرمني واحسن معي شروط المحبة وحفظني عن بذل ماء وجهي في الغربة ، فجزاه الله عنه جزيل الاجر والثواب وحشره في زمرة محمد وآله الاطهار الأنجاب . وما زال هذا الجناب الفخيم والملاذ العظيم ، اعني المرحوم الشيخ محمد صالح الحكيم ، موقراً في المخا لدى الكبير والصغير ، مسدياً احسانه إلى الغني والفقير ، إلى ان دعاه إلى قربه الملك العلي فنقله إلى الجنة من المخا بندر على فذهبت مكارم الاخلاق من بعده وتيتمت العفاة بعد فقده .

وكان انتقاله إلى جوار رب العالمين سابع شعبان المعظم عام الف ومائة واربعين ودفن بنخلة خارج باب الشاذلى من طرف اليمن ، رحمه الرحمن الرحيم واسكنه بحبوحة جنة النعيم ، وهذا قضاء الله ولا اعتراض في حكم الله .

وكان رحمه الله تعالى واغاض وابل رحمته عليه ووالى قد ارسل إلي حين وصولى إلى المخا بصلة سنية ، وصحبتها قصيدة بالبلاغة ملية ، غير انها غربت عن ذهني ولم احصلها إلا انى احفظ مطلعها وهو : هى رامة فحذار من آرامها .

فاجبته بقولي :

افدي التي سمحت برد سلامها نحوي وكانت لم تشر بسلامها
عادت وجادت بالوصال وانعمت ورمت جميع عواذلي بسلامها
هيفاء تسبي العاشقين بحسنها ولذيذ منطقها وسحر كلامها
وافت وأوفت عهدها وتلطفت وشفت فؤادي من عظيم كلامها

هي بنت عشر في السنين واربع لله ما احلى رشيق قوامها
حوت الظرافة والطرافة واللطافة والملاحة كلها بتمامها
يا قلب ان شئت التقرب من لقا ليلى وطلعتها فمج بخيامها
فهي الحبيبة للقلوب وحسنها يغنيك عن هند وعن اقسامها
وإذا اردت توسلا وتوصلا لمراتب العليا فلذ بامامها
الماجد الوافي محمد صالح الاسماء والافعال نسل كرامها
هو في السماحة واحد في عصره فالناس تقصده لنيل مرامها
هو مصقع هو جهبذ هو ضيغم هو فارس في نثرها ونظامها
يا سيداً ابدت لنا أفكاره دررا أتت تثني على نظامها
وافت بمعرف من فصاحة منطق اشهى لنا من شيحها وخزامها
انت الذي حاز الكمال بأسره وروى حديث العلم عن اعلامها
بل انت عين العصر غرة وجهه يا واحد الدنيا وخير عظامها
خذها اليك فريدة في حسنها قس يقبلها على اقدامها
تمشي إلى سحبان تسحب ذيلها وتذل شانيها بحد حسامها
تسمى اليمكم والسرور يحفها من فوقها وورائها وأمامها
فاسلم ودم في نعمة ابدية من اول الدنيا لحسن ختامها
ما غردت قمرية في دوحها وشجت فؤاد الصب من انغامها
وشدا المتيم عند ما بلغ المنى افدى التي سمحت برد سلامها

وطلب مني رحمه الله تعالى معارضة هذا الحميني الذي اوله :

قال ابن موسى حبيبي ورد خدك فتش اسمح لنا يا حبيب نجنيه

فقلت مادحاً له ومودعا عليه رحمة الله ما طاف بالبيت طائف ودعا :

قال الحسيني حبيبي مر بي واحترش لما رأى طول سقمي فيه
ما انساه لو قطعوا قلبي بحد المشش والوجد به والنبي ما اخفيه

العقل من حسن وجهك ياحبيب اندهش عسى عسى باللقا تشفيه
والقلب قد ذاب من طول الجفا ياورش يكفيه هذا الجفا يكفيه

قفل :

لما تبدى حبيبي في القبا الاطلس ازرى بغصن النقا والبان
ناديته يا رشا يا نزهة الانفس يا مخجل الحور والولدان
نظره لحالي انا يا شمعة المجلس لعل وقت اللقا قد آن
لفت ونادى ترقب زورتي في الغبش قولي وحق الهوى اوفيه

قفل :

وفا بوصلي واصفى عيشنا ذاالرشا وزال عنا جميع البوس
طلبت ياصاح قبلة قال خذ ماتشا وارشف رحيقي وثغري بوس
قبلته واعتنقنا من قبيل العشا حتى سمعنا غنا الناقوس
ثم افترقنا بحسنى والفؤاد انتعش ابقيه يا رب لي ابقيه

فقل :

واخلص بمدحي محمد صالح السيره والاسم والذكر والافعال
من قد رقى في البرا ياشرف الرتبة ومن حوى الجود والافضال
ومن وفى لي بكل الخير في غربتي ومن حبانى ببذل المال
كم من محب بساط الشكر له قد فرش وكم وكم من سجايا فيه

قفل :

ياذا الرئيس المرجى آن وقت السفر قصدى وداعي لكم لا غير
فاسمح لنا نلتم الاعتاب ياذا الظفر عسى أنال المنى والخير
من شك في جودك الوافى صريحا كفر يا من لبابه يحث السير
ومن يعاديك ادعوله بلسعة حنش واسأل الله لا يحييه

وقلت مؤرخاً ولادة بنت لأبنه يحيى :

ايا ما جداً قد ساد طراً على الورى ومن ذكره قد سار في الشرق والغرب
تهنى لك البشرى ببنت سعيدة وقد حفها الاقبال في البعد والقرب
لميلادها الميمون قلت مؤرخاً بعمر طويل دام متمها ربي

واجتمعت بالجناب الكريم الرئيس العظيم من فرج عني كربتي في غربتي الشيخ علي التربتي . وكان قد وعدني بماء ورد فابطأ في الوعد ، فارسلت اليه بهذه الابيات

قل لحاوي الاحسان ذخري علي الكريم المبجل التربتي
الأديب الاريب زين المعالى الرئيس المفضل الالمعي
زاده الله عزة وكمالا ووقاراً بالمصطفى والوصى
قد وعدتم بأنكم تصلونا من نداكم بماء ورد ذكي
فانتظاري لماء وردك هذا كانتظاري للقائم المهدي

واجتمعت بأخيه محمد التربتي وامتدحته بهذا الموشح معارضاً :

لي في ربى حاجر غزيل اتلع يسبى القلوب

فقلت : وما شاء الله كان .

قال الغريب الهاشمي المولع كم شا اذوب
من حب سكان اللوى والاجرع دمعي سكوب
في حبهم والله لو اقطع ما شا اتوب
مال العذول الغرّ في مطمع قوله كذوب

بيت :

قدطال سقمي في الهوى وسهدى ما لي مجير
ما حدت في العشاق مثل وجدي ربى خبير
انى فريد العاشقين وحدي ما لي نظير
كم لي بميدان الغرام مجمع يشفى القلوب

بيت :

كفف فديتك يا رشا سهامك روحي فداك
يا بدر وارحم باللقا غلامك ما لي سواك
فدى بروحي يا رشا قوامك مزري الاراك
يا بدر كم عني الوصال تمنع ما لي ذنوب

بيت :

يا مخجلا سمر القنا الرديني ما لي براح
في عشقتك يا منيتي وعيني سهري مباح
ما طلتني ولا قضيت ديني يا ذا السماح
والوعد دين الخيرين فاسمع ما هو مشوب

بيت :

دم يا حبيبي بالسرور مسعد بين الانام
مثل الفتى حاوي السخا محمد تاج الكرام
من دام في اوج الكمال يصعد أعلى مقام
لا زال في روض الفخار يرتع منفي الكروب

بيت :

حياه من بحر السخا زخار مولى الجميل
محيي رسوم الاكرمين الاخيار هذا النبيل
حاوي صفات الانجبين الابرار ما له مثيل
رب العطا للسائلين اجمع مسكي الجيوب

بيت :

يا من ترقى ذروة المعالى يا ذا النجاد
يهنيك هذا العيد يا جمالي عيد الرشاد

واسلم ودم من طارق الليالي بين العبـاد
انت الذي فيك الثنا تجمـع منفى العيون

وقلت ايضاً امتدحه بهذا الموشح ، ولو تركته كان اصلح :

يقول الهاشمي يا ظبي لعلع احاديثي بحبك مستطيله
متى يابدر تصغى لي وتسمع غرامى فيك يا سيد القبيله
فقلبي بالجفا امسى مروع وفيك محبتي اضحت طويله
عسى يابدر هذا الهجر يرفع لان الهجر ما لي فيه حيله

بيت :

إلى كم يا منى قلبي تعـذب محبك بالجفا وافنيت صبك
إلى كم يا عذولى شا تخرب بيوت الود منا خاف ربك
غرامه في حشا قلبي مطنب فدع ياعاذلي عذلك وعتبك
عسى الايام بالمحبوب تجمع ويبرى سقم احشاي العليله

بيت :

ايا بدري ادام الله سعدك وجاد عليك بالحسنى وافضل
عبيدك قد اتى يسعى لعندك يرجي حبله المقطوع يوصل
فرفقاً بى ادام الله مجدك كمجد الصاحب الشهم المفضل
محمد من حوى الاعزاز اجمع وفاز برتبة عليا جليله

بيت :

تبارك خالق سوي واتقن محاسن ذاته عزت عن الشين
فكم اغنى و كم اقنى واحسن وكم من فضة اعطى ومن عين
فذاك لسائر الاوصاف معدن وذاك لكل عين قرة العين
وذاك لجملة الخيرات منبع وذاك ابو المكارم والفضيله

بيت :

ايا من خص بالذات الحميده اعيذ جمال وجهك بالمثاني
اليك قصيدتى زفت فريده حكت في الحسن حسنك والمعانى
وحيدة عصرها هذي القصيده بنظم فاق نظم الاصفهاني
اتت في حلية الاقبال ترتع وفاقت في البها ظبي الخميله

وقلت مادحاً له ومهنيه بعيد الفطر سنة ١١٣٩ والحكم لله العلى الكبير :

دمع عينى لا تمل انسجاما ان رأيت الحشا يذوب اضطراما
وفؤادي اصطير على حر بلواك غراما ولوعة وسقاما
ان شهراً قد كنت تأنس فيه بت حبل الوصال منه انصراما
زارنا سرعة المزار وولى عن قريب وما اطال قياما
مع هذا فليت شعري اراض راح عنا ام ساخطاً لواما
فهو خير الشهور إذ شرفته ليلة القدر عزة واحتراما
وبه انزل المهيمن قرآناً علينا مفصلا احكاما
ويضيف العفاة فضلا وفيه يغفر الله ذنبهم اكراما
ورجائى بانه يقبل التوب ويعفو مآثماً واجتراما
فليالیه خلتها حين تبدو بسنا الهدى والتقى اياما
كيف لا وهى قد مضت برحاب رحب اوسع الورى انعاما
معهد العز موضع الانس يسمو مطلع الشمس بهجة واحتشاما
بكريم نواله انجد الخلق وفي ظله انام الانام
ذى المعالى محمد حسن الخلق ومن حاز رفعة ومقاما
قد رعى ذمتي فاوجب انى طول عمري ارعى لديه الذماما
وكفانى ببلدة في حماها صاحب الفضل لن ينال طماما
فلزمت الجلوس عن مجلس الغير لما ذا اسعى له وعلاما

وغنى النفس كان عندي قدما وهو اسدى لنا الهبات العظاما
فسأثني بكل خير عليه ان ترحلت او اردت مقاما
يا رئيساً يؤمه كل عاف إذ يراه لكل خير اماما
صمت شهر الصيام منك احتسابا واقمت الهدي به والقياما
فهو لا شك عن محياك راض راح يهدى تحية وسلاما
وأتى العيد بالسعود لديكم يتهنى ويلثم الاقداما
فلك البشر إذ أتاك بشيراً بدوام السرور عاماً فعاما
واعذرا عذر مهدي الجواهر للبحر فأنت الكريم كهف اليتامى
واصفح الذنب عن محبك صدقا يا جمالى ولا تزدنى ملاما
وابق في الناس بالمكارم بدأ وابق فيها مدى الزمان ختاما
ما شدا عاشق حليف غرام دمع عيني لا تمل انسجاما

واجتمعت بابناء اخي علي وحيدر ومرتضى ونور الدين اسعدهم الله بسعده المكين ، بجاه محمد وآله الميامين ، واجتمعت بالرئيس العلي ، من هو بكل وصف حميد ملي ، الشيخ علي بن محمد البابلي ، وارخت زواجه ببدرة بنت الناخودة عبد الرزاق بقولي :

عطف الزمان وساعد الدهر والعسر زال واقبل اليسر
والسعد وافى والسرور اتى وصفا وطاب الشرب والسكر
وبساط صبح الصد مزقه ليل الوصال وقوض الهجر
بشراك حقاً قد حظيت بمن تهواه وهو القصد والذخر
عرس جليل قد حبيت به وبه الهنا والسعد والفخر
ولقد اتى تاريخه ابداً بجماله يهنيك ذا البدر

واجتمعت بالرئيس المكين ملاذ الغريب والمسكين ، صاحب الخلق الجميل والخلق الحسين المشهور ذكر جوده في العالمين ، الذي كان لى في غربتي كالوالد

الشفيق المعين ، فاغناني عن بذل ماء وجهي للخلائق اجمعين ، بتسخير رب العالمين الجناب المعظم الحاج محمد بن ياسين. رحمه الله تعالى و كانت لسبع بقين من ربيع الاول سنة الف ومائة وسبع واربعين. رحمه الرحمن المعين. واجتمعت بكثير من الاخوان الكرام عليهم مني اشرف السلام .

﴿ اعرف هذه الفائدة ﴾

قال الفقيه البغوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم) الآية ، وقال ابراهيم النخعي فسلموا على انفسكم إذا كان في البيت انسان يقول السلام عليكم ، وإذا لم يكن فيه احد يقول السلام علينا من ربنا وعلى عباد الله الصالحين . وهكذا . .

وقال مجاهد والحسن والكلبي : (فسلموا على انفسكم) يعني بعضكم على بعض ويقال : ان معنى السلام ، إذا قال السلام عليكم يعني السلامة لكم مني فكانه امنهم على انفسهم من شر نفسه ، ويقال (السلام عليكم) يعني حفظكم من الآفات .

ويقال : السلام هو الله ، فكانه يقول الله حفيظ عليكم ومطلع على ضمائركم فان كنتم في خير فيزيدوا وان كنتم في شر فازجروا تحية من عند الله .

قال : وأصل التحية هو البقاء والحياة ، كقوله حياه الله ، وانما صار نصباً على المصدر .

وفي الكشاف عن انس : قال خدمت رسول الله ﷺ عشرين سنة وروى تسع سنين . فما قال لي في شيء فعلته لم فعلته ، ولا قال لي في شيء كسرته لم كسرته وكنت واقفاً على رأسه اصب الماء على يديه ، فرفع رأسه فقال: ألا اعلمك ثلاث خصال ؟ قلت : بلى بأبي انت وامي يا رسول الله ، قال : متى لقيت احداً من امتي فسلم عليه يطل عمرك ، وإذا دخلت بيتاً فسلم على اهله يكثر خير بيتك ، وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاولين .

وقالوا: ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : إذا دخلت المسجد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

﴿ فائدة ﴾

قال ارسطو في كتابه الموسوم باثولوجيا : ان من وراء هذا العالم سماء وارضاً وبحراً وحيواناً وناساً سما ، وبين كل من في ذلك العالم سماوي ، وليس هناك شيء ارضى ، والروحانيون الذين هناك يلائمون للانس الذين هناك لا ينفر بعضهم عن بعض ، وكل واحد لا ينافر صاحبه ، ولا يضاده بل يستريح اليه .

وفي سنة اثنتين وثمانين والف منتصف جمادي الاولى ألبس باشا جدة الشريف احمد بن محمد الحارث خلعة ملك مكة وولاه على جميع الحجاز ، وهو في طيبة وكادت تحصل فتنة ولكن وقى الله شرها ، لان باشا جدة كتب للابواب بامور طويلة فامر السلطان بتجهيز العساكر على الحجاز واليمن ، ووصل إلى صاحب مصر ووصل اول العسكر إلى ينبع وعزل الباشا ، وسافر من المدينة ومات في الطريق .

واصطلح الشريف سعد والسيد احمد بن الحارث ، وفيها في اول ذى الحجة وصلت عساكر من مصر ومن الشام ومعهم باشا الشام ، وارادوا القبض على شريف مكة سعد بن زيد فلم يقدروا عليه لأخذ حذره منهم ، ثم لما علم انهم صمموا على الهجوم عليه وقت النفر هرب ليلا هو وأصحابه إلى الطائف ، ولما اصبحوا ولوا الشريف بركات بن محمد بن ابراهيم بن بركات بن ابي نمى ، وخلعوا عليه بمنى ثالث عشر ذى الحجة ، ونزل من منى ومعه بعض الاشراف والعساكر السلطانية ادام الله عدالته ودولته .

وبلغه من العدل في رعاياه امنيته ، غرة وجه العالم ، وطرة السادة الاشراف

اعيان بنى آدم ، لباب المجد الاطهر وعباب الفيض الافخر فرع الشجرة الزكية طراز العصابة الهاشمية ، اللابس لبس لواء العدالة والمتوشح بملابس التقى والنهاية والجلال ، الغني بسطوع بدره عن كمال نشر كماله ، وكفاه شرفا انه من نسل المصطفى ﷺ ومن اعيان آله .

وكانت ولايته بمكة بسعي من الشيخ محمد بن سليمان المغربى ، وسببه ان الشيخ محمد استشفع عند الشريف سعد في شيء فلم يشفع فيه ،واتفق ان اخا الوزير الاعظم حج ذلك العام ، وكان له ولع بعلم الفلك واجتمع بالشيخ محمد واخذ عنه ذلك ، وطلب الشيخ ان يسافر معه إلى الابواب السلطانية ، فسافر معه واجتمع بالسلطان ، وطلب منه ان يزيل اشياء بمكة المشرفة فامر السلطان بابطالها.

منها ان صدقة السلطان چقمق كانت تقسم على ارباب البيوت حبوبا وكانت سابقاً تطبخ شربة وخبزاً ، فردت على ما كانت وكذلك السلطان قايتباي .

ومنها توليته على جميع الاربطة ولا تكون إلا لمن يستحقها بشرط الواقف.

ومنها ان تبطل الدفوف في الزوايا ، وان يمنع النساء من الخروج ليلة المولد الشريف ، وتم جميع ذلك وجعله ناظراً على جميع اوقاف الحرمين .

﴿ ترجمة أبي حنيفة النعمان بن ثابت بن روطاه ، الإمام الفقيه الكوفى ﴾

(مولى تيم الله بن ثعلبة وهو من رهط حمزة الزيات ، كان ابوحنيفة)

(خرازاً يبيع الخرز وجده روطاه من أهل كابل ، وقيل)

(من أهل بابل ، وقيل : من أهل الانبار ، وقيل)

(من أهل سبأ ، وقيل : من ترمذ وهو)

(الذى مسه الرق فاعتق وولد)

(ثابت على الإسلام.)

وقال اسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من ابناء فارس من الاحرار ، والله ما وقع علينا رق قط ، ولد جدي سنة ثلاثين وذهب إلى

علي بن ابى طالب عليه السلام وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته ، ونحن نرجو ان يكون الله تعالى قد استجاب ذلك لعلي عليه السلام فينا .

والنعمان بن المرزبان هو الذي اهـدي لعلي بن ابى طالب الفالوذج في يوم المهرجان ، فقال عليه السلام : مهرجونا كل يوم . هكذا قاله الخطيب في تاريخه .

وادرك ابو حنيفة اربعة من الصحابة وهم انس بن مالك ، وعبد الله بن ابى اوفى بالكوفة ، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة . وابو الطفيل عامر بن وائلة بمكة ولم يلق احداً منهم إلا واخذ عنه .

واصحابه يقولون : لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم ، ولم يثبت ذلك عند أهل النقل .

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد : انه رأى أنس بن مالك وأخـذ الفقه عن حماد بن ابى سلمة ، وسمع عطاء بن ابى رباح ، وابا اسحاق السبعي ، ومحارب بن دثار ، والهيثم بن حبيب الصراف ، ومحمد بن المنكدر ، ونافعاً مولى عبد الله بن عمر وهشام بن عروة ، وسماك بن حرب .

وروى عنه عبد الله بن المبارك ، ووكيع بن الجراح ، والقاضى ابو يوسف ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهم .

وكان عالماً عاملا زاهدا عابدا ورعا تقياً كثير الخشوع ، دائم التضرع إلى الله تعالى ، ونقله ابو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد ، فلما رآه قد عزم على ان يوليه القضاء فابى ، قال : فحلف عليه ليفعلن ، فحلف ابو حنيفة ان لا يفعل فقال له الربيع بن يونس الحاجب : ألا ترى امير المؤمنين يحلف فقال ابو حنيفة : امير المؤمنين على كفارة ايمانه اقدر مني على كفارة ايمانى وابى ان يلي القضاء فأمر به إلى الحبس في الوقت والعوام يدعون انه تولى عـدد اليمين اياما ليكفر بذلك عن يمينه ، ولم يصح هذا من جهة النقل .

وقال الربيع : رأيت المنصور تناول ابا حنيفة في امر القضاء وهو يقول اتق

الله ولا ترع في امانتك إلا من يخاف الله والله ما انا مأمون الرضى فكيف اكون مأمون الغضب ولو اتجه الحكم عليكم ، ثم تهددتني ان تغرقني في الفرات او إلي الحكم لاخترت ان اغرق ولك حاشية تحتاج إلى من يكرمهم لك وانا لا اصلح لذلك فقال : كذبت ، انت تصلح لذلك ، فقال ابو حنيفة : قد حكمت لي على نفسك كيف يحل لك ان تولى قاضيك على امانتك وهو كذاب .

وحكى الخطيب ايضاً في بعض الروايات : ان المنصور لما بنى مدينة بغداد ونزلها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة ، ارسل إلى ابي حنيفة فجيء به فعرض عليه قضاء الرصافة فابى فقال له ان لم تفعل ضربتك بالسياط قال او تفعل قال نعم فقعد في القضاء يومين ، فلم يأته احد ، فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر ، فقال الصفار : لي على هذا درهمان واربعة دوانق ثمن ثوب فقال ابو حنيفة للصفار : اتق الله وانظر فيما تقول ، فقال الآخر : ليس له علي شيء ، فقال ابو حنيفة للصفار : ما تقول ؟ فقال : أستحلفه لي ، فقال ابو حنيفة للرجل : قل والله الذي لا إله إلا هو ، فلما رآه عازماً على ان يحلف قطع عليه وضرب بيده إلى كمه ، فحل صرة واخرج درهمين ثقيلين ، وقال للصفار : هذان الدرهمان عوض ثمن ثوبك ، فنظر الصفار اليهما وقال : نعم ، فاخذ الدرهمين.

فلما كان بعد يومين اشتكى ابو حنيفة فمرض ستة ايام ثم مات .

وكان يزيد بن عمرو بن هبيرة امير العراقين أراد ان يوليه القضاء بالكوفة ايام مروان بن محمد آخر ملوك بني امية فابى عليه ، فضربه مائة سوط على عشرة اسواط ، كل يوم عشرة وهو على الامتناع ، فلما رأى ذلك خلى سبيله .

وكان احمد بن حنبل إذا ذكر ذلك بكى وترحم على ابي حنيفة ، وذلك بعد ان ضرب احمد على القول بخلق القرآن .

وقال اسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة وذلك بعد ان ضرب ابي ومر بالكناسة فبكى فقلت له يا ابتا مايبكيك ؟ فقال يابني في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة ابي عشرة

ايام في كل يوم عشرة اسواط على ان يلي القضاء ، فلم يفعل . والكناسة ـ بضم الكاف ـ موضع بالكوفة .

وقال الفضل بن غانم : كان ابو يوسف مريضاً شديد المرض فعاده ابو حنيفة مراراً ، فسار اليه آخر مرة فرآه ثقيلا فاسترجع ثم قال : لقد كنت اؤملك بعدي للمسلمين ولئن اصيب الناس بك ليموتن عالم كثير معك ، ثم رزق العافية ، وخرج من الغد واخبر ابو يوسف بقول ابى حنيفة فيه . فارتفعت نفسه وانصرفت وجوه الناس اليه ، فعقد لنفسه مجلساً في الفقه وقصر عن لزوم ابى حنيفة ، فسأل عنه فاخبر انه عقد لنفسه مجلساً وانه بلغه كلامك فيه ، فدعا رجلا كان عنده قدر فقال له : سر إلى مجلس ابى يوسف يعقوب وقل له : ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوبا ليقصره بدرهم ، فسار اليه بعد ايام في طلب الثوب ، فقال له القصار مالك عندي شيء فانكره ، ثم ان رب الثوب رجع اليه ثانياً فدفع اليه القصار الثوب مقصوراً . هل له اجرة القصر ؟ فان قال لك : له اجرة ، فقل له : اخطأت ، وان قال لك لا اجرة له ، فقل له اخطأت ، فسار اليه الرجل وسأله فقال ابو يوسف : له الاجرة فقال : اخطأت فنظر ساعة ، ثم قال : لا اجرة له ، فقال اخطأت ، فقام ابو يوسف من ساعته فاتى ابا حنيفة فقال له : ماجاء بك إلي إلا مسألة القصار فقال اجل والله ، قال : سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد مجلساً يتكلم في دين الله وهذا قدره لا يحسن ان يجيب في مسألته من الاخبارات ، فقال : يا ابا حنيفة علمني فقال له ان كان القصار قصره بعد ما غصبه فلا اجرة له ، لانه قصره لنفسه وان كان قصره قبل ان يغصبه فله الاجرة لانه قصره لصاحبه !

ثم قال له ابو حنيفة : من ظن انه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه .

وكان ابو حنيفة حسن الوجه ، حسن الخلق ، شديد الكرم ، حسن المواساة لاخوانه ، وكان من مرابيع الرجال .

وقيل : كان طويلا تعلوه سمرة ، وكان احسن الناس نطقاً واحلاهم نغمة .

وذكر الخطيب في تاريخ بغداد : ان ابا حنيفة رأى في المنام كأنه نبش قبر رسول الله ﷺ فبعث من يسأل محمد بن سيرين ، فقال ابن سيرين صاحب هذه الرؤيا يسرد علما لم يسبقه اليه احد قبله .

وقال الشافعي رضى الله عنه : قيل لمالك ارأيت ابا حنيفة ؟ قال : نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته .

وروى حرملة بن يحيى عن الشافعي انه قال : الناس عيال على هؤلاء الخمسة من اراد ان يتخرج في الفقه فهو عيال على ابى حنيفة ، وكان أبو حنيفة وفق له في الفقه ، ومن اراد ان يتخرج من الشعر فهو عيال على زهير بن سلمة. ومن اراد ان يتخرج في المغازي فهو عيال على ابن اسحاق ، ومن اراد ان يتخرج في النحو فهو عيال على الكسائى ، ومن أراد أن يتخرج في التفسير فهو عيال على مقاتل ابن سليمان .

وقال يحيى بن معين : القراءة عندي قراءة حمزة ، والفقه فقه ابى حنيفة على هذا ادركت الناس .

وقال جعفر بن الربيع : اقمت عند ابى حنيفة خمس سنين فما رأيت اطول صمتاً منه ، فاذا سئل عن الفقه فتح فاه وسال كالوادي ، وسمعت له دويا وحهارة بالكلام وكان اماماً في القياس .

قال علي بن عاصم : دخلت على ابي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره فقال للحجام تتبع مواضع البياض ، فقال له الحجام : لا ، فقال : لم ، قال : لانه يكثر ، فقال له ابو حنيفة ، فاذا تتبع مواضع السواد لعله يكثر فحكيت لشريك هذه الحكايه ، فضحك وقال : لو ترك ابو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام .

وقال ابو عبد الله بن رجاء : كان لابى حنيفة جار بالكوفة اسكاف يعمل نهاره اجمع حتى إذا كان الليل رجع إلى منزله وقد اخذ لحماً فطبخه او سمكة

فشواها ، ولا يزال يشرب إلى ان يدب الشراب فيه فينشد ويقول :

اضاعوني وأي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم .

وكان ابو حنيفة كل ليلة يسمع جلبته ، وابو حنيفة يصلي الليل كله ، ففقد ابو حنيفة صوته ، فسأل عنه فقيل له قد اخذه العسس من ليال وهو محبوس فصلى ابو حنيفة صلاة الفجر من الغد وركب بغلته واستأذن على الامير ، فقال الامير : ائذنوا له ان يدخل راكباً ولا ينزل حتى يطأ بساطي ، ففعل ولم يزل الامير يوسع له من مجلسه حتى قال له : ما حاجتك ؟ قال : لي جار اسكاف اخذه العسس منذ ليال ، فليأمر الامير باخراجه ، فقال : نعم هو ومن اخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا ، فامر باطلاقهم اجمعين . فركب ابو حنيفة والاسكاف يمشي وراءه ، فلم يزل ابو حنيفة مصغياً اليه . وقال له يا فتى اضعناك! فقال : لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق . وتاب الرجل ولم يعد إلى ما كان عليه .

قلت هذا البيت الذي انشده الاسكاف المذكور هو من ابيات لعبد الرحمن ابن عمرو بن عثمان بن عفان الاموي المرجي ـ بفتح العين المهملة وسكون الراء وفي آخرها جيم وياء ـ نسبة إلى المرج موضع بين مكة والمدينة ، وهي :

أضاعوني وأي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وصبري عند معترك المنايا وقد شرعت اسنتها بنحري

اجرر في الجوامع كل يوم فيا لله مظلمتي وقسري

لاني لم اكن فيهم وسيطا ولم تك نسبتي في آل عمرو

عسى الملك المجيب لمن دعاه سينجيني فيعلم كيف شكري

فاجزي بالكرامة اهل ودي واجزي بالصغارة اهل نكري

وكان سبب عمله لهذه الابيات ان محمد بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان كان والي مكة المشرفة ، وحبس المرجي المذكور

لانه كان يشبب بامه جيدا ، وهي من بني الحارث بن كعب ، ولم يكن ذلك لمحبته اياها ، بل ليفضح ولدها المذكور ، واقام في حبسه تسع سنين ثم مات فيه بعد ان ضربه بالسياط ، واشهره في الاسواق فعمل هذه الابيات وهو في السجن .

وللبيت الاول من هـذه القصيدة المذكورة نادرة ذكرها الحريري في درة الغواص في اوهام الخواص في قوله: ويقولون هو سداد من عوز فيلحنون في فتح السين ، والصواب ان يقال بالكسر .

وقد جاء في اخبار النحويين ان النضر بن شميل المازني استفاد في افادة هذا الحروف ثمانين الف درهم ، وساق خبره وذكر اسناداً انتهى فيه إلى محمد بن ناصح الاهوازي .

قال : حدثني النضر بن شميل قال كنت ادخل على المأمون في سمره فدخلت ذات ليلة وعلي ثوب مرقع ، فقال لي : يا نضر ما هـذا التقشف حتى تدخل على امير المؤمنين في هذه الخلقان ، فقلت : يا امير المؤمنين انا شيخ ضعيف وحر مرو شديد فاتبرد بهذه الخلقان ، فقال لا ولكنك قشف .

ثم اجرينا الحديث فاجرى هو ذكر النساء ، فقال : حدثنا هشيم عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز ـ فاورده بفتح السين ـ قال فقلت صدق يا امير المؤمنين حـدثنا عوف بن ابى جميلة عن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز فاوردته بالكسر .

قال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : يا نظر كيف قلت سداد ؟ قلت : لان السداد ها هنا لحن ، قال : اوتلحنني ؟ قلت : انما لحن هشيم وكان لحانة وتبع امير المؤمنين لفظه ، قال : فما الفرق بينهما ؟ قلت : السداد بالفتح القصد في الدين والسبيل . والسداد بالكسر البلغة ، وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد .

قال : اوتعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين هذا العرجي يقول :

أضاعوني وأي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال المأمون: قبح الله من لا ادب له ، واطرق ملياً ، ثم قال يا نضر ما مالك قلت : اريضة لي بمر واتصأ بها واتمررها ، قال : أفلا نفيدك مالا ، قلت : اني إلى ذلك لمحتاج ، قال : فأخذ القرطاس وانا لا ادري ما ذا يكتب ، ثم قال: كيف تقول إذا امرت ان تترب ، قلت : اترب ، قال : فهو ما ذا ، قلت : فهو مترب قال : فمن الطين ؟ قلت : طينة ، قال : فهو ما ذا ؟ قلت : فهو مطين ، قال : فهذه احسن من الاولى ، ثم قال . يا غلام اتربه وطينه . ثم صلى بنا العشاء وقال لخادمه تبلغ معه إلى الفضل بن سهل الوزير ، قال فلما قرأ الفضل الكتاب قال يا نضر ان امير المؤمنين قد امر لك بخمسين الف درهم ، فما كان السبب فيه ؟ فاخبرته ولم اكذبه ، فقال . لحنت امير المؤمنين ؟ فقلت لا انما لحن هشيم وكان لحانة فتبع امير المؤمنين لفظه وقد تبع الفاظ الفقهاء ورواة الآثار ، ثم امر لي الفضل ايضاً بثلاثين الف درهم فاخذت ثمانين الف درهم بحرف استفيد مني .

قلت . رحم الله ذلك الزمان واهله .

﴿ ولنرجع إلى ترجمة ابى حنيفة النعمان ﴾

قال ابن المبارك . رأيت ابا حنيفة في طريق مكة وقد شوى لاصحابه فصيلا فاشتهوا أن يأكلوه بخل فلم يجدوا شيئاً يصبوا فيه الخل فتحيروا ، فرأيت اباحنيفة وقد حفر في الرمل حفرة وبسط عليها السفرة وسكب الخل على ذلك الموضع فاكلوا الشوي بالخل ، فقال له اصحابه تحسن كل شيء ! فقال لهم عليكم بالشكر فان هذا شيء الهمته لكم فضلا من الله عليكم .

وحكى الحسن بن زياد قال . دفن رجل مالا في موضع ثم نسي اي موضع دفنه فيه ، ولم يقع عليه فجاء إلى ابى حنيفة وشكى اليه فقال له ابو حنيفة ليس هذا

من فقهنا فأحتال لك ولكن اذهب فصل الليل إلى الصباح فانك ستذكر أي موضع دفنته فيه ، ففعل الرجل ولم يصلي إلا اقل من ربع الليل حتى ذكر الموضع ، فجاء إلى ابى حنيفة فاخبره ، فقال قد علمت ان الشيطان لا يدعك تصلي حتى يذكرك ، فهلا اتممت ليلتك شكراً لله !

وقال اسيد بن عمر صلى ابو حنيفة فيما احفظ صلاة الفجر بوضوء صلاة العشاء اربعين سنة .

وكان اغلب لياليه يقرأ القرآن في ركعة واحدة . وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانه .

وختم القرآن في الموضع الذي توفى فيه سبعة آلاف مرة .

ومناقبه وفضائله كثيرة اقتصرت منها على هذه النبذة اليسيرة وقد ذكرها ابن خلكان في تاريخه ، وقال فمثل هذا الامام لا يشك في دينه وورعه وتحفظه ولم يعب بشيء سوى قلة العربية .

فمن ذلك ما روى ان ابا عمرو بن العلا المقرئ النحوى سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود ام لا؟ فقال لا كما هو مذهبه خلافا للامام الشافعي، فقال ابو عمرو ولو قتله بحجر المنجنيق ؟ فقال ولو بأبا قبيس ـ يعني الجبل المطل على مكة ـ .

وقد اعتذروا عن ابى حنيفة بانه قال ذلك على لغة من يقول ان الكلمات الست المعربة بالحروف وهي (ابوك واخوك وحموك وفوك وهنوك وذو مال) ان اعرابها يكون في الاحوال الثلاثة بالالف ، وأنشدوا على ذلك :

ان أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

وكانت ولادة ابى حنيفة سنة ثمانين للهجرة ، وقيل : سنة احدى وستين ، والاول اصح .

وتوفى في رجب ، وقيل في شعبان سنة خمسين ومائة وقيل لاحدي عشرة ليلة خلت من جمادي الاولى من السنة المذكورة ، وقيل سنة احدى وخمسين ومائة .

وقيل ثلاث وخمسين ، والاول اصح . وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلي القضاء فلم يفعل ، وهذا هو الصحيح . وقيل انه لم يمت في السجن .

وقيل انه توفى في اليوم الذي ولد فيه الامام الشافعي ودفن بمقبرة الخيزران وقبره هناك مشهور .

وزوطا ـ بضم الزاي وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعدها الف مقصورة هو اسم نبطي .

وكابل ـ بفتح الكاف وضم الباء الموحدة بعدها لام ـ هي ناحية معروفة من بلاد الهند ينسب اليها جماعة من العلماء وغيرهم ، وبابل والانبار معروفان ، والله سبحانه اعلم واحكم .

(من فتح القدير) ومن المأثور من حديث عوف بن مالك رضى الله عنه قال صليت مع رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه لصاحب تلك الجنازة : (اللهم اغفر له وارحمه واعف عنه واكرم منزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وابدله داراً خيراً من داره واهلا خيراً من اهله وزوجاً خيراً من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر وعذاب النار) .

قال عوف: فتمنيت ان اكون أنا ذلك الميت! رواه مسلم والترمذي والنسائى

﴿ ترجمة صالح بن محمد بن حسين بن عثمان الخالدى عقيد بنى خالد ﴾

غزا شمراً سنة الف ومائة وثلاث ، فنهب اموالهم ، وقتل رجالهم ، ثم انهم انذروه بعد ذلك ، فلم يلتفت إلى قولهم ، فاجتمعوا بقبائلهم وغاروا على بنى خالد واستولوا على جمعهم ، ففر صالح بنفسه واسروا أخاه عبد العزيز فطلبوا فداءه ثلاثين فرساً بسروج مذهبة ، وثلاثين فرساً بسروج غير مذهبة ، وثلاثين عبداً وثلاثين جارية ، والف وخمسمائة ناقـــة ، وعشرة آلاف احمر ذهباً وحملين فضة

وعشرة آلاف شاة ومائة بندقة ومائة وسبعا وثلاثين درعا ، ومن البر والارز مقدار نصف المذكور ، هذا وقد كان قيل لعبد العزيز المذكور انك لو دخلت على احدنا مستجيراً لخلصك من كل هذا ، فقال : لا اسم قوى بالعار ، والبسهم الشنار فيقال علي انه دخل خوفا من القتل او من عطاء المال ثم ان بني عمه وقبيلته اجتمعوا وادوا عنه جميع ذلك واطلقوه .

لجمال العارفين الشيخ محيي الدين بن العربي قدس الله سره .

مرضى من مريضة الاجفان عللاني بذكرها عللاني
شجت الورق في الرياض وناحت شجو هـذا الحمام مما شجاني
يا طلولا برامـة دارسات كم حوت من كواعب وحسان
بابي ثم بي غزال ربيب يرتقي بين اضلعي في امان
ما عليه من نارها فهو نور وكذا النور مخمد النيران
بأبي طفلة لعوب تهادى من بنات الخدور بين الغواني
طلعت في العيان شمساً فلما افلت اشرقت بافق جناني
يا خليلي عرجا بعناني لارى رسم دارها بعياني
فاذا مابلغتما الدار حطا وبها صاحباي فليبكياني
وقفا بي على الطول قليلا اتباكى وابك مما دهاني
الهوى راشق بغير سهام الهوى قاتلي بغير سناني
عرفاني إذا بكيت لديهـا تسعداني على البكا تسعداني
واذكرا لي حديث هند ولبنى وسليمى وزينب وعنان
ثم زيدا عن حاجر وزرود خبراً عن مراتع الغزلان
طال شوقي لطفلة ذات نثر ونظام ومنبر وبيان
من بنات الملوك من دار فرس من اجل البلاد من اصفهان
هي بنت العراق بنت امامي وانا ضدها سهيل يماني

لو ترانى برامة نتعاطى اكؤساً للهوى بغير بنان
والهوى بيننا يسوق حديثاً طيباً مطربا بغير لسان
لرأيتم ما يذهل العقل فيه يمن والشآم مجتمعان
كذب الشاعر الذي قال قبلي وباحجار عقله قد رمانى
ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية إذا ما استهلت وسهيل إذا استهل يمانى

قوله تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) هذه الآية حكم تلك الآية التي نسخ لفظها وبقى معناها وهى (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) .

ذكر الزمخشري في الكشاف عن ابى ذر قال: قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب ، قلت : ثلاثاً وسبعين آية. قال : فو الذي يحلف به ابى انها لتعدل سورة البقرة واطول ولقد قرأنا منها آية الرجم وهي : (الشيخ والشيخة) الخ . . . أراد أبي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن .

قال الزمخشرى : فان قلت ان اللفظ يقتضى تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله تعالى الزانية والزانى عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن مع ان المحصن مأمور عليه بالرجم .

قلت: الزانية والزانى يدلان على الجنسين العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك والشيخ والشيخة قراءة شاذة .

﴿ ترجمة الشيخ شرف المدرسين عبد الرحمن بن وجيه الدين عيسى بن ﴾
(مرشد العمرى نسباً ، الحنفى مذهباً)

قال أديب العصر في سلافة العصر: هو علامة القطر الحجازي ومفتيه ومولى

معروف المعارف ومؤتيه وبحر العلم الذى لايدرك ساحله وبره الذى لا تطوى مراحله اشرقت في سماء الفضائل ذكاء ذكائه وخرس به ناطق الجهل بعد تصديته ومكائه فاصبح وهو للعلم والجهل مثبت وماحق وسبق الى غايات الفضل ومالاوجيه لاحق طار صيته في الآفاق وانعقد على فضله الوفاق وانتهت اليه رياسة العلم بالبلد الامين ، فتصدر وهو منتجع الوافدين والآمين . منه تقتبس انواع الفنون وعنه تؤخذ احكام المفروض والمسنون ، تشد الرحال إلى لقائه ، ويستنشق ارج الفضل من تلقائه .

وتصانيفه في اقسام العلوم صنوف ، وتآليفه في مسامع الدهر اقراط وشنوف ان نثر فما ازاهر الرياض غب المزن الهاطل ، او نظم فما جواهر العقود تحلت به الغيد العواطل ، وها انا أقص عليك من خبره ما يزدهيك وشى حبره ، واتلو عليك من تفصيل حاله ما يروقك خصبه ، وتأسف على محاله ثم اثبت من منظومه بعد منثوره ما يطرب الاسماع بحسن مأثوره .

﴿ فصل في ذكر انتقال جده من شيراز إلى الحجاز وتوطنه بمكة المشرفة ﴾
(على الحقيقة لا المجاز ، وخبر ابتداء امر الشيخ المشار اليه وذكر)
(من اخذ عنه وقرأ عليه)

﴿ فصل ﴾

ورأيت في بعض التذاكير ما نصه ، انه قدم جده الشيخ مرشد إلى مكة المشرفة من بلدة شيراز في حدود الثلاثين وتسعمائة ، وكان وروده اليها بعد ان وصل إلى الديار الرومية ، وخدم سلطانها الاعظم يومئذ ببعض مؤلفاته ، ثم استوطن مكة المشرفة متصديا للتأليف والتدريس مع الانقطاع للعبادة والف حاشية على تفسير البيضاوي لم تتم ، بل بقيت مسودة .

وله عدة تعاليق وشروح وحواشي ورسائل ، وتفرقت كتبه إلى الآفاق بأيدي تلامذته لصغر اولاده ، وكان اصغرهم والد صاحب الترجمة الشيخ عيسى . فحفظ القرآن واستقل ، وكتب الخط الحسن ، وصار المشار اليه فيه وجميع ما على ابواب المسجد الحرام ، والمدارس السلطانية العظام من الآيات والطرازات بخط المشار اليه . تأهل في حدود سنة اربع وسبعين وتسعمائة .

وولد صاحب الترجمة ليلة الجمعة خامس جمادي الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن العظيم وقرأ به في المسجد الحرام اماما وحفظ الالفية والاربعين الحديث النووية وكنز الدقائق إلا القليل منه والجزرية والشاطبية وقطعة من منظومة التلخيص للجلال السيوطي ، وغير ذلك وشرع في الاشتغال في حدود تسع وثمانين وتسعمائة ولازم الشيخ عبدالرحمن بن حسان وقرأ عليه الجرومية وشرحها للفاكهي ، ومقدمة الشيخ محمد الخطاب ، وشرح القواعد الصغرى للشيخ خالدالازهري ، وشرح القطر للمصنف ، وقطعة من الالفية ، والمنهل الصافي للدماميني ، ما عدا شيئاً يسيراً منه ، وشرح التصريف للسعد التفتازاني مع حاشيته ، وفي علم الفقه منية المصلي وربع العبادات من شرح النقاية ، وقطعة من شرح الكنز للعيني .

وأخذ عن القاضي علي بن جار الله بن ظهيرة الحنفي الفقه والفرائض وقطعة من شرح المنار ، وشرح النخبة لابن حجر العسقلاني في دراية الحديث وشرح السراجية في الفرائض لمير باد شاه الحنفي .

وقرأ على الملاعبد الله السندي آداب البحث ، واخذ علم العروض على الشيخ محمد بن علي الركروك الجزائري وقرأ عليه شرح السيد الغرناطي على الخزرجيه فاجازه اياه مع رواية الصحيحين والشفاء .

وروي صحيح البخاري مع الامام شمس الدين محمد الرملي الشافعي واجازه المذكورون وغيرهم وولي مدرسة المرحوم محمد باشا في حدود تسع وتسعين وتسعمائة

فدرس بها صحيح البخاري واملى عليه شرحا بلغ فيه إلى باب رفع العلم، وظهور الجهل فعزل عنها ووليها مدرسها السابق ونظم منظومة في علم التصريف عدتها خمسمائة بيت من بحر الرجز وشرحها شرحا مستوفى ، وشرح كتاب الوافى في علم العروض والقوافي ، وألف رسالة متعلقة بمنازل القمر موسومة بـ (مناهل السمر) وشرحها. وكتب على آية الكرسى رسالة ، وكتب قطعة على الخرزجية .

وولي التدريس سنة خمس بعد الألف ، فدرس به في اوائل ربيع الثانى من السنة المذكورة ، وشرع في كتابة شرح على كنز الدقائق مجرد عن نقل الخلاف غير المذهب ، فشرح كتاب النكاح والرضاع ، وكتاب الحج منه بديباجة مستقلة فصار كتابا مفيداً في المناسك ، وذلك في سنة ثمان بعد الألف ، وافتى بعد موت شيخه القاضى علي بن جار الله على مذهب ابى حنيفة ، وانتهت اليه الفتوى بالديار المكية ، انتهى .

وقرأت في اجازته للشيخ العلامة شهاب الدين احمد المقرى الاندلسي ما نصه كان مولدى بمكة المشرفة ليلة الجمعة لخمس من جمادى الاولى سنة خمس وسبعين فلقبت بشرف المدرسين ، وهو تاريخ عام ولادتى المذكورة على ما جرت به عادة المشارقة من ضبط تواريخ المواليد ، والوقائع بلفظ يكون عدد حروفه بحساب الجمل مطابقاً لعدد ذلك العام ، ثم شرعت في الاشتغال على علماء الحرم ، ومن يفد اليه من عرب وعجم ، بعد ان حفظت القرآن العظيم وصليت به التراويح إماماً بالمسجد الحرام سنين عديدة وحفظت متوناً عديدة في فنون مفيدة اجزت بها عند عرضها على المشايخ ثم قلدت تدريس مدرسة الوزير محمد باشا التي بمكة المشرفة في عام تسع وتسعين وتسعمائة فدرست بها الجامع الصحيح للبخاري واماليت عليه شرحا مفيداً إلى كتاب العلم وصنفت في عام الف منظومتي التي في الصرف حتى قلت في آخرها:

فهاك نظما شافياً في الصرف ألف في مكة عام ألف

ثم اشتغلت بالتدريس والتأليف إلى ان قلدت الامر الخطير ، والشأن الذى

لو لا الرجاء لعفو الله لكنت على وجل كبير ، وهو القيام باعباء الفتوى في سنة احدى عشرة بعد الالف وهى سنة وفاة شيخنا الامام شيخ مشايخ الاسلام الشيخ علي بن جار الله بن ظهيره الحنفي مفتي مكة وابن مفتيها فباشرته حسبة إلى الله سنة عشرين بعد الالف ، فقلدت الافتاء السلطانى وخدمت الامامة والخطابة بالمسجد الحرام ، ثم قلدت في سنة سبع وعشرين بعد الالف تدريس المدرسة السليمانية فاقرأت فيها تفسير البيضاوى مع حاشية جدى الشيخ مرشد المرى ، وكنت في ايام الشباب وخلو الروع من الاوصاب ، ربما تعلقت باهداب الشعر فلي فيه قصائد ومقاطيع ومراسلة منظومة واجوبة كذلك بحسب مايراد من ذلك النوع واخوانيات ومداعبات والغاز ومعميات ومعارضات ، وقد امتدحت شريف مكة وحامي حماها الحسن بن ابى نمى بن بركات بقصيدة عارضت بها قصيدة ابن هانىء المغربى التي مطلعها :

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر وامدكم فلق الصباح المسفر

وامتدحت ابنه الشريف مسعود بقصيدة ذات تواريخ ستة مشجرة في ابياتها على اسلوب عنوان الشرف لابن المقرى ، فلما تقلدت القيام بالفتيا اشغلني ذلك عن سلوك هذه المسالك ، وانشدت قول المقرى :

بعين الشعر ابصرنى اناس فلما ساءنى اخرجت عينه

خروجا بعد راء فهو راء فصار الشعر منى الشرع عينه

اللهم إلا ما يستدعيه الحال من اجوبة على ما يرد علي من رسائل الاخوان مشتملة على نظم قلائد العقيان فتقضتي المشاكلة والموافقة في المراسلة ، فلي اجوبة عما ورد إلي من علماء الافاق مما يستدعيه الوفاق ، وقد اجتمع عندى من ذلك شيء كثير ضمن سفر كبير .

ولي ديوان خطب لانى منذ تقلدت الخطابة لم ازل انشيء في كل نوبة خطبة تناسب الوقت ، فاجتمع عندى من ذلك في نحو عشرين سنة ما يناهز الستين إنتهى ما أردت

نقله من كلامه في اجازته المذكورة وعد من مصنفاته فيها الفتح القدسى تفسير آية الكرسى وتعميم الفائدة تفسير سورة المائدة وهى رسالة وقع الكلام فيها على معنى قول الجلال السيوطي عند تفسير قوله تعالى (لله ملك السموات الارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير) ومنه اثابة الطائع وتعذيب العاصي ، وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر .

ومنها شرح صحيح البخارى المقدم ذكره ، وشرح مناسك الكنز المسمى بفتح مسالك الرمز .

ومنها رسالة تتعلق بالوقف مسماة بوقوف الامام المصنف عند كلام الامام ابى يوسف ألفها لما وقع الخلاف بينه وبين بعض المعتنين في مسئلة تتعلق بالاوقاف

ومنها المنظومة في علم التصريف المسماة بترصيف التصريف وشرحها الموسوم بالشرح اللطيف .

ومنها الوافي شرح الكافي في العروض والقوافي .

ومنها شرح عقود الجمان في المعانى والبيان ، للجلال السيوطي شرحاً مزجا بشرح مطول ، يكاد يزيد على المطول .

ومنها رسالة منظومة فى منازل القمر وشرحها عليها موسوم بمناهل السمر .

ومنها كتاب يتعلق بالشهور والايام ، وما يناسب ذلك من مباحث وكلام له بكل علم تعلق والمام مسمى ببراعة الاستهلال فيما يتعلق بالشهر والهلال .

ومنها ولم يذكره شرح الفية الجلال السيوطي والاشعار بما لقائله من الانشاء والاشعار والله اعلم .

ولم يزل ممتطياً صهوة العز المكين راقيا ذروة طود الجاه الركين ، لا يقاس به قرين ولا تطأ اسود الشرى له عرين ، إلى ان تولى الشريف احمد بن عبد المطلب مكة المشرفة ، ورفل في حلل ولايتها المفوفة .

وكان في نفسه من الشيخ المشار اليه ضغن حل بصميم مهجته ، وما ظعن فارس

اولا بنهب داره ، وخفض محله ومقداره ، ثم قبض عليه قبض المعتمد على ابن عمار وجزاه الدهر على يديه جزاء سنمار ، إلا ان المعتمد أغص ابن عمار بالحسام الابيض وهذا طوقه هلالا افتر ، من انامل عبد اسود ، فجرعه كأس الموت الاحمر .

وقد كان ابقاه في محبسه إلى ليلة عرفة ، ثم خشى ان يسعى في خلاصه من اكابر الروم من عرفه ، فوجه اليه بزنجي اشوه خلق الله خلقاً وتقدم اليه بقتله في تلك الليلة خنقاً ، فامتثل امره فيه ، وجلله من برد الهلاك بضافيه ، فاقفرت لموته المدارس واصبحت ربوع الفضل وهى دوارس ، وذلك في عام سبع وثلاثين والف .

ومن الاتفاقات : ان الشريف المذكور قتل هذه القتلة بعينها ، حين تقاضت منه الليالي ما اسلفته من دينها ، وفي الاثر كما تدين تدان ، وهذا حال الدهر مع كل قاص ودان .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فصل

وهـذا حين أثبت نثره الباهر ، ونظمه المزري بعقود الجواهر ما تستلذه المسامع ويطرب له الناظر ، والسامع ، فمن نثره البديع ما كتبه إلى شيخ الاسلام محمد بن سعد الدين المفتي بقسطنطينية : يقبل الارض التي تتمنى الشمس ان لو حظيت منها بالقبل ، وبدلتها بدرجة شرفها فى الحمل ، ارضاً تقاعست عنها الافلاك ارضاً ترافعت على الفرقدين والسماك ، ارضاً تحيط بها الاعاظم احاطة الهالة بالقمر ارضاً تنيط بها الافاخم ما يختص به كل من نهى وامر ، ارضاً اعد التضمخ بثراها طيبي ، وارى التخلق ببراها اعز سهم من نصيبي ، ارضاً تنافس حصباؤها الدراري ارضاً ينافح شذاها المسك الداري ، ارضاً تمشت فيـه اقدام تستقل الثريا موطئاً ومرقى ، وتجل ان ترى بينها وبين السهى في العلياء فرقا ، ارضاً مقبلة بشفاه الاعاظم ، مبجلة بشفاه الافاخم ، بها تشيد بنيان المعالي ، بها تأيد ايوان الاعالي بها اكتحلت الحاظ الموالي ، بها افتخر الثرى على الاثير العالى . ولا بدع اذهى تمشى

اسيد كرع من معين الفضل سلسبيله ، واوضح لمفترع هضاب الفرع دليله .

واصبح كماله موقى من المين والعيب ، فلا مجال لعين الرضى عن كل عيب اعلم من قضى وافتى ، افضل من باشر التدريس والافتا ، اكثر العلماء علماً ، اغزر مشايخ الاسلام فهما ، اجمع ارباب العلوم رواية ، اوسع اصحاب الفهوم دراية ، ارفع اهل النصوص راية ، ابرع اولى الخصوص آية .

ابن الاثير دونه في الاثر ، ومسلم مسلم له صحة الخبر ، من سد على ابن الجوزي طريق المجاز ، وفتح على ابن معين باب الاعواز ، وتواتر خبر فضله وعرف حديث بيته القديم ، ولم يكن غريباً في اهله ، واعترف له ابن كثير بقلة الجمع .

وقال الفخر لمعقوله ، ما انت وادلة السمع ، وتطامن ابن الحاجب لشرف اصله ومنى القطب بالقطوب عند بيان جنسه وفصله ، واصبح النظام لديه مجدلا ، وكأن الانسان اكثر شيء جدلا . وابن مالك عنه اكتسب تلك الملكة في العربية .

واقر ابن عصفور انه ليست له حوصلة على هذه الفنون الادبية واضحى به مذهب النعمان منصوراً ، ونصر الايمان عليه مقصوراً ، واناط به ملك الربع المسكون مهمات الدين والدنيا ، وابان فيهما عن الباع الاطول واليد العليا ، وصارت اعتابه العليه ، لذوي الفضائل قبله ، وابوابه السنية ، مترافعة عن ان يحظى النجم منها بقبله ، ما قصدها قاصد من مشارق الارض ومغاربها ، إلا ونال اقصى مرام نفسه ومطالبها ، ولا انتسب اليه منتسب إلا ارتفع قدره على الفلك .

فكان دليلا على افضلية خواص البشر على خواص الملك ، سيدنا ومولانا وسندنا ومقتدانا ، وعمدتنا وملجأنا ، شيخ الاسلام ومفتي الانام ، مولانا محمد افندي ابن سعد الدين لا زال مؤيداً به الشرع المبين ، ولا برح الاسلام به مؤيد الحجج والبراهين ، والايمان مسدد الادلة والتبيين ، وينهى إلى حضرته التي هي الغاية القصوى للآمل ، ونهاية الرجوى لكل عالم وعامل ، بعد اهداء سلام عبق الاكوان عنبره وريحه ، ونبت في الارجاء الحرمية عبهره وشيحه ، مع دعاء ترفعه

الملائكة من مواطن الاجابة ، وتثبته في دواوين الدعوات المستجابة ، البقاء على صدق الخلوص في الانتساب إلى ذلك المقام العالي ، الذي هو عند اولى الالباب من اعظم المفاخر والمعالي .

ولعمري لهو الشرف الاقعس والمجد الانفس ، فنسأل الله ان يبقيه على رؤسنا تاجاً ، ولنفوسنا طريقاً إلى الخير ومنهاجاً .

هـذا وقد ورد الكتاب الكريم ، والخطاب الوسيم ، فتشرفنا بوصوله وتزينت حلالنا بحلوله ، واتخذناه خوذة من سطوات الدهر ، وعوذة من تسلطات القهر ، وقر الناظر وصوله ، وسر الخاطر حلوله ، كيف لا وقد تضمن المراد والمرام والانعام بمناصب الافتاء والخطابة والامامة بالمسجد الحرام ، لا زالت منن مولانا في اعناق الانام ، هى الاطواق والناس الحمام ، إلى غير ذلك والسلام .

ومن خطبه هذه الخطبة التي انشأها لعقد جدى السيد الامير محمد معصوم ببنت عمه السيد الامير نصير الدين حسين رحمهم الله تعالى : الحمد لله الذي بعث محمد المعصوم بالدين القيم والشريعة الغاءـة ، وجعل ملته لسائر الملل عن ارتضاع ثدي البقاء فاطمة ، احمده على ان اقام باحمد نظام الدين ، فزاده تعظيما وتشريفاً ، واوحى اليه في الكتاب المبين ان اتبع ملة ابراهيم حنيفاً ، واشكره على ان اذهب عن اهل بيته الرجس وطهرهم تطهيرا ، وتولى نصره على الاعداء ، وكفى بالله ولياً ، وكفى بالله نصيرا ، واشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تطيب بها النفس وتقربها العين واشهد ان مولانا وسيدنا محمداً عبده ورسوله المجعول ذريته من نسل الحسن والحسين صلى الله وسلم عليه وعلى آله الذين من تمسك بولائهم فقد ازدلف إلى الله قربا وعمل بمضمون (قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى) وعلى اصحابه الذين دلت سورة الفتح على مناقبهم ، وفلت الانجم عن بلوغ شأوهم ومراتبهم ، صلاة وسلاما يتقارنان تقارن الايجاب والقبول ، ويتواردان عليه مع نسائم الصبا والقبول .

وبعد : فان العنصر النبوي لا يزال طاهر النمو طاهر الانما ، كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما ، ناهيك بنتيجة مقدمتاها الوصى والبتول ، فلا غرو ان زكت الفروع لزكاء هاتيك الاصول ، فمن ثم وجب ان تصرف الهمم العليه إلى تكثير فروعها وثمارها وتوجه الشيم الابية إلى تقريرها واستقرارها ، وذلك بالنكاح الذي تحفظ به الانساب ، ويكون لبقائها من اتم العلل واقوى الاسباب .

كيف وقد نطق الكتاب العزيز بمشروعيته ، ودلت الاحاديث النبوية على سنيته . قال الله تعالى علواً وقدراً : (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً) . وقال تعالى مهنئا لعباده بهذه النعمة (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

وقال تعالى وهو اعز قائل (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل) .

وقال ﷺ مبيناً بعض هذه الامة : التزويج بركة والولد رحمة .

وقال ﷺ معرضاً بما لم يكن بشأنه معنى النكاح فمن رغب عن سنتي فليس مني .

وقال ﷺ منفراً عن العزبية والايامة : تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مباه بكم الامم يوم القيامة .

وقال ﷺ مبيناً الاقتداء به والاتسا : حبب إلي من دنياكم الطيب والنسا

وقال صلى الله عليه وآله : يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج .

وفضل صلى الله عليه وآله الابكار على غيرهن بكثير ، فقال : تزوجوا الابكار فانهن اعذب افواها واشق ارحاما وارضى باليسير .

وعاتب صلى الله عليه وآله جابراً حيث لم يكن على النكاح يثابر ، هلا بكر تلاعبها وتلاعبك يا جابر .

والاخبار الواردة في فضله كثيرة وهي في مظانها معروفة وشهيرة ، وفيما اورذناه من ذلك كفاية ومقنع ، سيما من كان بمرأى من الاصقاء ومسمع ، ولما ذكرناه من فضائله وسردنا من براهينه ودلائله مال إلى التحلي بعقوده ، والتجلي في موشيات بروده ، السيد السند الاوحد الاصيل المعتمد الجليل الامجد ، خلاصة الصدور الاجلاء الاكابر ، سلالة السادة الاعزاء ذوي المفاخر المتفرع من دوحة السيادة ، المترعرع في روضة السعادة ، ذي الفضائل العديدة والشمائل الحميدة المقتفي آثار اسلافه الكرام ، المرتقي بهمته العلية إلى اشرف مقام السيد محمدمعصوم ابن السيد الصدر الاجل الكبير ، ذي القدر الاشم الخطير فخرالسادة الذين تجملت بهم المحافل والمجالس ، وتكملت بهم الصدور والمدارس ، ونظموا بجيد الوجود عقود فوائدهم ، ونثروا على بساط المناظرة جواهر فرائدهم ، واحيوا مآثر علوم الاوائل ، وأقاموا على المطالب العلية مسلمات البراهين والدلائل ،وسارت مصنفاتهم في سائر الآفاق ، وأذعن لهم بالتسليم اهل الخلاف والوفاق :

جمال ذا العصر كانوا في الحياة وهم بعد الممات جمال الكتب والسير

الامام العالم العلامة الهمام الكامل الفهامة ناشر لواء التحقيق جامع معاني التصوير والتصديق ، السيد الاعظم الامجد مولانا السيد نظام الدين احمد سقى الله ضريحه شآبيب الرحمة واسكنه الفراديس مع آبائه الأئمة ، فرغب في نكاح مخطوبته الحرة الطاهرة المصونة الدرة الفاخرة الثمينة ، ذات الجناب الرفيع ، والحجاب الضافي المنيع ، السيدة الجليلة المثيلة الاصيلة ، العفيفة المصينة ، المتفرعة من دوحة السيادة والسلطنة ، المتربية في مهود العقل والصيانة ، الموفية بعهود الاتصاف بالديانة الشريفة فاطمة ابنة سيدنا ومولانا السيد الذي انعقد على جلالته الاجماع ، واعترف له بالتقدم في ميدان الفضائل بلا نزاع ، كشاف مشكلات المسائل ، حلال معضلات الدلائل ، اللامعة اساريره بانوار التنزيل الجامعة تقاريره لآثار التأويل المعترف بالعجز عن مداركه العلماء الجهابذة ، المغترف من بحار فوائده الاساتذة ، فضلا

عن التلامذة ، الجامع بين شرفي العلم والنسب ، الحائز لفضيلتي المجد الموروث والمكتسب :

علامة العلماء واللجج الذي لا ينتهي ولكل لج ساحل

سيد العلماء المحققين ، سند الفضلاء المدققين ، جامع المعقول والمنقول ، مستنبط الفروع والاصول ، قطب دوائر التحقيق ، صدر صدور المدرسين ، فخر السادة الصلحاء المقدسين ، مولانا السيد نصير الدين حسين ، لا زال بالنظر إلى وجه ربه قرير العين ، وصان ابنته المشار اليها ، واسبل ستر الصيانة والديانة عليها ، وذلك على سنة الله ورسوله ومهر قدره ، والمقدم ما وقع التراضي عليه ، مما المقام في غنى عن الاشارة اليه .

ومن احسن شعره قوله مادحاً سلطان مكة الشرفة الحسن بن ابى نمى بن بركات ، وابنه الشريف ابا طالب ومهنياً لها بالظفر الثانى منهما باهل شمر ، وهو جبل بنجد وعارض بهذه القصيدة ، كما زعم قصيدة محمد بن هانىء المغربى الآتي ذكرها :

نقع العجاج لدي هياج العثير اذكى لدنيا من دخان العنبر
وصليل تجريد الحسام ووقعه في الهام اشدى نغمة من جؤذر
وسنا الاسنة لامعاً في قسطل اسنى واسمى من محيا مسفر
وتسربل في سابغات مزرد ابهى علينا من قباء عبقري
وتتوج بقوالس مصقولة ازهى علينا من سدوس اخضر
وكذاك صهوة سابح ومطهم اشهى الينا من اريكة احور
ولفا الكمي مدرعا في مغفر كلفا الغرير بمقنع وبمخمر
ألفت اسنتنا الولوع بمنهل علقت به علق النجيع الاحمر
وسيوفنا هجرت جوار غمودها شوقا لها من كل اصيد اصعر

فتخاله لما تجرد عندما ... هاج القتام بوارقا بكنهور
وصهيل جرد الخيل خيل كأنه ... رعد يزمجر في الجدى المتعنجر
ودم العدا متقاطراً متدافقاً ... كالوبل كالسيل الجراف الجور
ورؤسهم تجرى به كجنادل ... قذفت بها موج السيول الهمر
غشيتهم في العام منا فرقة ... تركت فريقهم كسبسب اقفر
اودتهم قتلا واجلتهم إلى ... ان حطم الخطى ظهر المدبر
تركت صحاراهم موائد ضمنت ... اشلاء كل مسود وغضنفر
ودعت ضيوف الوحش تقريها بما ... افنى المهند والوشيج السمهرى
فاجابها من كل غيل زمرة ... تحدو مثار عملس او قسور
واظلها ظلل تشاص سحابها ... المركوم اجنحة البزاة الانسر
فبرائن الآساد تضبث في الكلى ... ومخالب العقبان تنشب فى المرى
شكرت صنيع المشرفية والقنا ... إذ لم تضفها الهبر غير مهبر
فغدت قبورهم بطون الوحش منها يبعثون إذا دعوا للمحشر
وخلت ديارهم واقوى ربعهم ... وسرى السري مشمراً عن شمر
انقت من استقصاء قتل شريدهم ... كيما يخبر قائلا من مخبر
فثنت اعنة خيلنا اجيادها ... عن قتل كل مزند وحزور
حتى إذا حان القطاف ليانع ... من ارؤس تركت ولما تؤبر
عصفت بها ريح المنون فالقحت ... وتحركت برعازم من صرصر
فدعت سراة كماتنا لقطافها ... بأنامل القصب الاصم الاسمر
فتجهزت لحصادها في فيلق ... لو يسبحون بزاخر لم يزخر
ملأ تتوق إلى الكفاح نفوسهم ... توقانها للقا الرداح المعصر
يغشون ابطال الوطيس بواسما ... كالليث ان يلق الفريسة يكشر
وتخالهم فوق الجياد لوابسا ... سدا يمور من الحديد الاخضر

فاذاهم ازدحموا بجزع وانثنوا اوري زناد دروعهم ناراً تري
جيش طلائعه الاوابد ان تصخ لو حيه من قيد شهر تنفر
يقتاده الملك المنيخ كأنه بين الموالي ضيغم في مزأر
ملك تدرع بالبسالة فاغتنى يوم الوغا عن سابغ وسنور
ملك تتوج بالمهابة فاكتفى عند الطعان لقرنه عن مغفر
ملك تذكرنا مواقع عضبه في الهام وقعة جده في خيبر
ملك إذا ما جال يوم كريهة لم تلق غير مجدل ومعفر
ملك يجهز من جحافل رأيه قبل الوغيمة جحفلا لم ينظر
ملك تسنم ذروة المجد التي من دونها المريخ بل والمشتري
ملك نداه البحر إلا انه عذب أهذا البحر نهر الكوثر
ملك إذا ماجاد حدث مسنداً عن جوده جود الغمام الممطر
ملك علا قدراً فكنيته العلى بأبي علي فهو اعلى مفخر
ملك سما عن ان اصرح باسمه اسموه عن كل وصف مشعر
ملك قفا سنناً سنياً سنه للمجد والده الزكي المنصر
الاشرف الشهم الذي خضعت له شم الانوف وكل جحجاح سري
الافضل السند الذي بجنابه لاذ الغطارفة الاولى من حمير
الاكمل الندب الذي اوصافه أنست سما الوضاح وابن المنذر
الاكرم المفضال من احسانه اربى على كسرى الملوك وقيصر
ذو الهمة العليا الذي قد نال ما عنه تقصر همة الاسكندر
شرفا تقاعست الكواكب دونه لو لم تمد بنوره لم تزهر
هبها بمنطقة البروج مقرها أمنا هز هذا بنوة حيدر
كلا فكيف بمن حواها جامعاً نسباً سما بأبوة المدثر
اعظم بها من نسبة نبوية علوية تنمى لاصل اطهر

قد شرفت بدأ بأشرف مرسل ... ونهاية بالسيد الحسن السري
فخر الخلائق درة التاج الذي ... بسواه هام ذوي العلى لم تفخر
بشر ولكن في صفات ملائك ... جليت لنا اخلاقه فاستبصر
لم تلقه يومي وغى وعطا سوى ... طلق المحيا في حلى المستبشر
يلقى العفاة وقد تلألأ وجهه ... بسنا السرور وذاك انضر منظر
يعفو عن الذنب العظيم مجازيا ... جانيه بالحسنى كان لم يوزر
ياسيد السادات دونك مدحة ... تفحت بعرف من ثناك معطر
قد فصلت بلآلىء المدح التي ... وقف ابن اوس دونها والبحتري
وافتك ترفل في برود بلاغة ... وبراعة ببرود صنعا تزدري
صاغت حلاها فكرة قدصانها ... شمم الاباء عن امتداح مقصر
ما شانها نظم القريض تكسباً ... لو لا مقامك ذو العلى لم تشعر
ما شانها إلا اكتساب فضائل ... تغنيه عن شرف العظام النخر
فوردت منهلها الروي فلم اجد ... احداً قنلت صفاه غير مكدر
فنهلت منه وعلى بنميره ... وطفقت وارده ولما اصدر
وطفقت فيه غائصاً للألىء ... في غير نظم مديحكم لم تنثر
لا تدعنى العليا رضيع لبانها ... ان كنت في تلك المقالة مفترى
خذها عقيلة كسر خدر فصاحة ... سفرت نقابا عن محيا مسفر
جمعت بلاغة منطق الاعراب مع ... حسن البيان ورقة المستحضر
لو سامها قس لما سمعت له ... بعكاظ يوما خطبة في منبر
شرفت على من عارضته بمدح من ... اضحى القريض به كعقد جوهرى
فاستجلها وافت تهني بالذى ... نفحت بشائره بمسك اذفر
نصر تهز بنوده ريح الصبا ... خفقت على هام الاشم الحزمري
هو نجلك المنصور دام مؤيدا ... بك اينما يلقى العزيمة يظفر

لا زلتما في ظل ملك باذخ وجنود ملككم ملوك الاعصر
مستمسكين بهدي جدكم الذى بالرعب ينصر من مسافة اشهر
أهدى الاله صلاته وسلامه لجنابه في طي نشر العنبر
ولآله وصحابه والتابعين لهم باحسان ليوم المحشر
ماستنشق الابطال في يوم الوغى نقع العجاج لدى هياج العثير

قال صاحب السلافة: ربما تشوق الواقف على هذه القصيدة إلى قصيدة ابن هانىء المعارضة بها ، فيجب الوقوف عليها فلا يجدها وها هى قد اوردتها بجملتها منقولة من ديوانه .

قال ابو القاسم محمد ابن هانىء المغربى الاندلسى يمدح جعفر علي امير الزاب من المغرب :

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر وامدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الاخضر
وضربتم هام الكماة ورعتم بيض الخدور بكل ليث مخدر
ابني العوالي السمهرية والسيوف المشرفية والمديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كانه تحت السوابغ تبع في حمير
القائد الخيل العتاق شوازبا خزراً إلى لحظ السنان الاخزر
شعث النواصى حسرت آذانها قب الاياطل داميات الانسر
تنبوسنا بكهن عن عفر الثرى فيطأن في خد العزيز الاصعر
جيش تقدمه الليوث وفوقها كالفيل من قصب الوشيج الاسمر
وكأنما سلب القشاعم ريشها مما تشق من العجاج الاكدر
وكأنما شملت قناه ببارق متألق او عارض مستمطر
تمتد السنة الصواعق فوقه عن ظلتي مزن عليه كنهور
ويقوده الليث الغضنفر معلماً من كل شثن اللبدتين غضنفر

نحو القبول من الدبور وسار في جمع الهرقل وهمة الاسكندر
في فتية صدأ الدروع عبيرهم وخلوقهم علق النجيع الاحمر
لا يأكل السرحان شلو طعينهم مما عليه من القنا المتكسر
انسوا بهجران الانيس كأنهم في عبقري البيد جنة عبقر
يغشون بالبيد القفار وانما تلد السبنتى في اليباب المقفر
فرواية الصنديد تخبر عنهم واسامة الصديق اصدق مخبر
قد جاوروا أجم الضواري حولهم فاذا هم زأروا بها لم تزأر
ومشوا على قطع النفوس كأنما تجري سنابك خيلهم في مرمر
قوم يبيت على الحشا يا غيرهم ومبيتهم فوق الجياد الضمر
وتظل تسبح في الدماء قبابهم فكأنهن سفائن في ابحر
فحياضهم من كل مهجة اخلع وخيامهم من كل لبدة قسور
من كل اهرت كالح ذي لبدة او كل ابيض واضح ذى مغفر
حي من الاعراب إلا انهم يردون ماء الامن غير مكدر
راحوا إلى ام الرئال عشية وعدوا إلى طيب الكثيب الاعفر
طردوا الاوابد في الفدافد طردهم اللاعوجية في مجال العثير
ركبوا أليها يوم لهو قنيصهم في زيهم يوم الخميس المصحر
انا لتجمعنا وهذا الحي من بكر اذمة سالف لم تخفر
احلافنا فكاننا من نسبة ولداتنا فكانما من عنصر
اللابسين من الجلود الهبر ما اغناهم عن لامة وسنور
لي منهم سيف إذا جردته يوما ضربت به رقاب الاعصر
وفتكت بالزمن المدجج فتكة البراض يوم هجائن ابن المنذر
صعب إذا نوب الخطوب استصعبت متنمر للحادث المتنمر
فاذا عفا لم تلق غير مملك وإذا سطا لم تلق غير معفر

وكفاك من حب السماحة انها منه بموضع مقلة من محجر
فغمامه من رحمة وعراصه من جنة ويمينه من كوثر

يحكى انه انشد هذه القصيدة وممدوحه راكب في جيشه فلما انشد قوله :

ابنى العوالي السمهرية والمواضى المشرفيـة والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كانه تحت السوابغ تبع في حمير

ترجل العسكر كله ولم يبق احـد راكبا سوى الممدوح فلايعلم سؤال كان جوابه نزول عسكر جرار غيره .

ومن الغريب ما توهمـه بعض ادباء العصر ان ابن هانىء مدح بهذه القصيدة سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبي ويستدل على ذلك بقوله فيها :

لي منهم سيف إذا جردته يوما ضربت به رقاب الاعصر

كيف وابن هانىء لم يدخل المشرق قط كما ذكره القاضى ابن خلكان ، وأما الاستدلال بالبيت فليس بشىء فان الشعراء تشبه الممدوح بالسيف والسهم والسنان كما قال ابن هانىء من قصيدة اخرى في جعفر :

إذ عيشنا في مثل دولة جعفر والعدل فينا ضاحك والنائل
فدعوه سيفاً والمنية حده وسنان حرب والكتيبة عامل

قال اديب العصر : قد وقفت في ديوان حسان بن ثابت شاعر النبى ﷺ على قصيدة كقصيدة ابن هانىء الرائية ورويها ، يفخر فيها بقومه ، ويعدد افعالهم وقد رأيت ايرادها هنا فانها في غاية الحسن ، وديوانه قليل الوجود ، وهى :

النسيم ريقك اخت آل العنبر هذا أم استنشاءة من مجمر
ابداه ثغرك ما ارى ام لمحـة من بارق ام معدن من جوهر
اودعتني بلحاظ ثغرك حرقـة ألهبت جمرتها بطرف احور
ونشرت فرعك فوق متن واضح وطويت كشحك فوق خصر مضمر
قولي لطرفك ان يكف عن الحشا سطوات نيران الهوى ثم اهجري

وانهى جمالك ان ينال مقاتلي فينال قومك سطوة من معشري
انى من القوم الذين جيادهم طلعت على كسرى بريح صرصر
وسلبن تاج الملك قسراً بالقنا واخذن قهراً درب آل الاصفر
آبائى من كهلان ارباب العلى وبنو الملوك عمومتى من حمير
قدنا من اليمن الجياد فما انثنت حتى حوت بالصين مهجة يعبر
ورمت سمر قنداً بكل مثقف لهج باشلاء الفوارس اسمر
ووطئن ارض الشام ثم وفارساً بالحارث اليمنى وابن المنذر
صبحت بلاد الهند بالبيض التي صبحت بها كسرى صبيحة دستر
ونصرن في الاحزاب حزب محمد وكسون مومة ثوب موت احمر
وطلعن من رضوى حنين شزبا يحملن كل سليل قوم مسمر
ما ان يريد إذا الرماح شجرنه ذرعا سوى سربال طيب العنصر
يلقي الرماح الشاجرات بنحره ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا فتهدمت ركن المجد إن لم تعقر
وإذا تأمل شخص ضيف مقبلا متسربلا اثواب محل مقفر
اومى إلى الكوماء هذا طارق نحرتني الاعداء ان لم تنحري
كم قد ولدنا من نجيب قسور دامي الاظافر او ربيع ممطر
سدلت انامله بقائم مرهف وبنثر فائدة وذروة منبر
كم فوق وجه الارض من ذي ثروة لو لا فواضل رفدنا لم يذكر
لو لا صوارم يعرب ورماحها لم تسمع الآذان صوت مكبر
نحن الذين نذل اعناق القنا ونعز بالمعروف قل المعسر
قحطان قومى ما ذكرت فخارهم إلا علوت على سنام المفخر
السابقون إلى المكارم والعلى والحائزون غداً حياض الكوثر
فاذا اردت بان ترى مسعاتنا فصل النواظر بالسماك الازهر

لو أمت الجوزاء ان تعلو إلى اعلى ذؤابة مجدنا لم تقدر
ثم الصلاة على النبي وآله مالاح برق في غمام ممطر

قال صاحب السلافة لما وقفت على هذه القصائد احببت النظم عليها ، فقلت مادحاً الوالد في سنة ثلاث وسبعين والف :

لمن الكتائب في العجاج الاكدر يخطرن في زرد الحديد الاخضر
ضربت عليهن الرماح سرادقا دعمت بساعد كل شهم اصعر
والبيض تلمع في القتام كأنها لمع البوارق في ركام كنهور
وصليل وقع المرهفات كأنه رعد يجلجل في اجش مزمجر
والراية الحمراء يخفق ظلها يهفو عليها كل ليث مزئر
والخيل قد حملت على صهواتها من كل اصيد باسل ذي مغفر
متسربل للقلب فوق دلاصه متلثم بالنقع لما يسفر
في موقف كسف الظهيرة نقعه فأضاءها بشروق وجه مقمر
يختال في حلق الدلاص كأنه يختال منها في مفوف عبقر
من فتية ألفوا الاسنة والقنا فقبابهم قصب الوشيج الاسمر
يقرون بيضهم الرقاب وينهلوا زرق الاسنة من نجيع احمر
شادوا عمادهم بكل مثقف لدن ومجدهم بكل مشهر
حلوا من العلياء قمة رأسها وحووا بسالة اكبر عن اكبر
من منهم الملك المهيب إذا بدا خضعت له ذلا رقاب الاعصر
فخر المفاخر والمآثر والجحافل والمحافل والعلى والمنبر
القائد الجيش العرمرم معلماً من كل ليث ذي براثن قسور
السائق الجرد المذاكي شزبا تخطو وتخطر بالرماح الخطر
الفالق الهامات في يوم الوغى والسمر بين محطم ومكسر

الشامخ النسبين بين ذوي العلى الباذخ الحسبين يوم المفخر
الواهب البدرات يتبعها الندى من جوده بسحاب تبر ممطر
يجلو دجى الآمال منه بنائل متلالىء وبوجه جود مسفر
ولكم جلا رهج القتام بباتر متألق وسنان اسمر سمهري
ملك إذا ما جاد يوما اوسطا فالخلق بين مملك ومعفر
من دوحة المجد الرفيع عماده والفرع يعرب عن زكي المنصر
ما ينقضي يوما شهير نواله إلا واتبعه بآخر اشهر
هذا الذي صدع القلوب مهابة واذل كل عملس وغضنفر
هذا الذي غمر الانام سماحة من جوده الطامى الجليل الابهر
هذا الذي حاز المكارم قعسا وسواه يلطم خد حزن اقفر
هذا نظام الدين احمد من له نسب يؤل إلى النبي الاطهر
لمعت اسرة نوره في وجهه فازور عنها كل لحظ اخزر
يجلو لنا من حلمه في حزمه اخلاق احمد في بسالة حيدر
بينا تراه مصدراً في دسته ملكا تراه فوق صهوة اشقر
ار بيب حجر المكرمات وربها ورضيع ثدى العارض المثمنجر
لله جدك اى مجد حزته فشأوت كل مقدم ومؤخر
انت الذي احرزت كل فضيلة ووردت بحر الفضل غير مكدر
ظمئت اماني الرجال لدى العلى فوردت منهلها ولما تصدر
واليكها غراء قد ابرزتها تجلي بشكرك في ندي المحضر
احكمت نظم قريضها فتناسقت كالعقد يزهو في مقلد جؤذر
يذكو بمدحك نشرها فكأنني اذكيتها منه بمسك اذفر
ما ضاع نشر ثنائها في مجلس إلا تفتق عن ذكي العنبر
واسلم على درج المعالي راقياً باجل اخبار واصدق مخبر

وما احسن قول بعضهم على هذا الروى :

من كل ابلج واضح سورة يمشى إلى الهيجاء مشى غضنفر
يلقى الرماح بوجهه وبنحره ويقيم هامته مقام المغفر

وقلت انا في صاحب فسا في مجلس بعض الرؤسا ومضمناً مطلع قصيدة ابن هانىء:

مذ حل صاحبنا الجمال بمجلس للسيد الشهم الابى الافخر
وشممت منه فسوة من فتحة منها تأذى كل من في المحضر
انشدت اصحابى وقلت مضمناً فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر

رجع إلى شعر الشيخ عبد الرحمن صاحب الترجمة ، فمنه قوله مخاطباً ومداعباً للشيخ احمد ابن حكيم الملك في يوم النيروز ومستدعياً منه بعض لوازمه :

يا حكيما ايامه نيروز وعظيما من دونه فيروز
وكريما به المكارم تسمو ولجم النوال منه نحور
دم مهنا بيوم نيروز سعد انت فيه معظم وعزيز
تترجى نوالك العذاب فيه فتية للسماك حقاً تجوز
نوروزنا مما تنورزموا منه إذ كان ذاك شيئاً يجوز
واطفئوا بالنمير قلباً تلظى بلهيب من دونه تموز
وابق في رفعة ترى الشمس حسرى من علاها وما بذاك تفوز
وانعمن بالجواب منك شتابا بمرامى ولا تقل لي هنوز

قوله : شتابا ، معناه سريعاً . وقوله : هنوز ، بمعنى سوف ، وهما كلمتان فارسيتان

﴿ فائدة ﴾

ذكر سيبويه النيروز في باب الاسماء الاعجمية ، وقال : نيروز ـ بالياء المثناة من تحت ـ . وحكى غيره الواو .

وقال علي عليه السلام : نيرزونا كل يوم ، وليس فيه حجة على سيبويه ، لان العرب إذا استعملت الاسماء الاعجمية تصرفت فيها كيف شاءت .

قال الواحدي : يقال لهـذا اليوم نوروز على العجمية ، ونيروز تقريباً من التعريب ومثله من العربية ديجور وهذا اولى بالاستعمال لانه على اوزان كلامهم .

وقال في مليح سقط عن حصانه في السباق :

لا تظنوا السقوط منه لعجز منه بالسبق فهو بالسبق عارف
انما كان ذاك بالمقصد لما رامت الارض لثم تلك المعاطف

ومن شعره ايضاً قوله :

من كان صاحب قدر او كان صاحب قدره
فليتخذ من لجين لآلة الانس قـدره
فالشيء يزداد ظرفا ان ناسب الشيء قدره

ويعجبني من مميلته قوله في احمد وجعله لمحل التشبيه :

وغصن من الكافور ابصرت تحته شويخا من الرهبان اشمث راكعاً
وقد شد زناراً بحقويه وانثنى على قوسه لما توكأ خاشعاً

ولنكتف من نثره ونظمه على هذا المقدار على انه قطرة من دأماء ونجمة من سماء وكتابه الاشعار كافل بجميع ما قال من الانشاء والاشعار .

﴿ فصل ﴾

ولما نعي الشيخ المذكور إلى سميه الشيخ عبد الرحمن العمادي مفتي الشام كتب إلى علامة عصره الشيخ احمد المقري ، من جملة كتاب : وأما مصيبة من كان ولي وسمي ومنجدي السعيد الشهيد المرحوم عبد الرحمن المرشدى ، فانها وان اصابت منا ومنكم الاخوين فقد عمت الحرمين بل طمت الثقلين ، ولقد عـدموته في الاسلام ثلمة ، وفقد به من حرم الله من كان يدعى لـكل ملمة ، لا كمن يدعي إذ يحاس الحيس ، واستحق ان ينشد في حقه وان لم يقس به قيس :

وما كان قيس هلـكه هلك واحد ولـكنه بنيان مجد تهدما

وقال اخوه القاضي شهاب الدين احمد بن عيسى المرشدي العمري وهو معنى مبتكر

ألا انظر إلى هذا الصفاء لبركة تقول لمن قد غاب عنها من الصحب
لئن غبت عن عيني وكدرت مشربي تأمل تجد تمثال شخصك في قلبي

وقال في صوفية عصره :

صوفية العصر والاوان صوفية العصر والاواني
فانقر على فعل قوم لوط بنقر زان لنقر زاني

وقال معللا تسمية القدح قدحا :

مذ صب ساقينا الطلا حتى تناثر وانتضح
خالوا شراراً ما رأوا فلأجل ذا قالوا قدح

﴿ ترجمة الإمام أبي عبد الله محمد بن الحسن اسماعيل بن ابراهيم بن ﴾
(المغيرة بن الاحنف الجعفي بالولاء البخاري الحافظ الإمام في العلم)
(والحديث ، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ)

رحل في طلب الحديث إلى اكثر محدثي الامصار ، وكتب بخراسان والجبال والعراق والحجاز والشام ومصر . وقدم بغداد واجتمع اليه اهلها واعترفوا بفضله وشهدوا له بتفرده في علم الرواية والدراية .

وحكى ابو عبد الله الحميدي في كتاب جذوة المقتبس ، والخطيب في تاريخ بغداد: ان البخاري لما قدم بغداد وسمع به اصحاب الحديث اجتمعوا اليه وعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها واسانيدها ، وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر ودفعوها إلى عشرة انفس إلى كل رجل عشرة احاديث ، وامروهم إذا حضروا المجلس ان يلقوا ذلك على البخاري ، واخذوا الموعد للمجلس ، فحضر المجلس جماعة من اصحاب الحديث من الغرباء من اهل خراسان وغيرها من البغداديين ، فلما اطمأن المجلس باهله انتدب اليه واحد من العشرة فسأله عن حديث من تلك

الاحاديث ، فقال البخارى لا اعرفه ، فسأله عن آخر ، فقال : لا اعرفه ، فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخارى يقول لا اعرفه ، قال: فجعل الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقضون على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ، ثم انتدب رجل آخر من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الاحاديث المقلوبة ، فقال البخارى : لا اعرفه ، ثم سأله عن آخر ، فقال : لا اعرفه ، فسأله عن آخر ، فقال : لا اعرفه فلم يزل كذلك يلقي عليه واحداً بعد واحد . حتى فرغ من العشرة ، والبخارى يقول لا اعرفه ، ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا كلهم من تلك الاحاديث المقلوبة والبخارى لا يزيدهم على قوله لا اعرف ، فلما علم البخارى انهم فرغوا التفت إلى الاول منهم فقال اما حديثك الاول : فهو كذا وحديثك الثانى فهو كذا ، والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى اسناده ، وكذلك كل اسناد إلى متنه وفعل مع الآخرين مثل ذلك ورد متون الاحاديث كلها إلى اسانيدها واسانيدها إلى متونها فاقر الناس له بالحفظ ، واذعنوا له بالفضل .

وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول : الكبش النطاح ، وقد بينت معنى الكبش النطاح في رحلتي نزهة الجليس عند ذكر الاسكندر ذى القرنين فراجعه ثمة والله الموفق للامة .

ونقل محمد بن يوسف الفربرى عن البخارى انه قال : ما وضعت في كتابي الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين .

وعنه انه قال : صنفت كتابي الصحيح من ستمائة الف حديث ، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى .

وقال الفربرى سمع البخارى سبعون الف رجل فما بقي احد يروى عنه غيرى وروى عنه ابو عيسى الترمذى ، وكانت ولادته يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لثلاث عشر ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة .

وقال يعلى الخليلي في كتاب الارشاد : ان ولادته كانت لاثنتي عشر ليلة خلت من الشهر المذكور ، والله اعلم .

وتوفي في ليلة السبت عند صلاة العشاء ، وكانت ليلة عيد الفطر ، ودفن بعد صلاة الظهر سنة ست وخمسين ومائتين بخرقنك ـ بقاف عجمية ـ .

وذكر ابن يونس في تاريخ الغرباء : انه قدم مصر وتوفى بها ، وهو غلط والصواب ما ذكرناه هنا رحمه الله تعالى .

وكان شيخنا نحيف الجسم ، لا بالطويل ولا بالقصير .

والبخاري ـ بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة وبعد الالف راء ـ هذه النسبة إلى بخارى وهى من اعظم مدن ما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند ثمانية ايام .

وخرقنك ـ بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح التاء المثناة من فوق وسكون النون وبعدها كاف ـ وهي قرية من قرى سمرقند .

ونسبة البخاري إلى سعيد بن جعفر الجمفى والي خراسان ، وكان له الولاء ، فنسبوا اليه ، والله الموفق للصواب ، انتهى كلام ابن خلكان رحمه الرحيم الرحمن .

﴿ اعرف هذه الفائدة ﴾

قولهم لمن شرب الماء : هنيئاً ، أي لا آفة فيه ولا نكد ، فهو حال عند الاكثرين مؤكدة لعاملها ، لانهم انابوا عن المصدر صفات الملتزم اضماره ، إذ لم يسمع إلا كذلك .

وقيل : ان هنيئاً اسم فاعل من هنىء ، او من هنؤ ، كشريف من شرف ، وهو ما اتاك بلا مشقة .

وقال المبرد : انه مصدر كالعافية ، واصل ذلك انهم انابوا عن المصدر صفات نحو عائذاً بك وهنيئاً لك .

قال بعض المغاربة وهو موقوف على السماع .

وقال غيره : انه مقيس عند سيبويه يقال لكل من لازم صفة انتهى .

﴿ فائدة ﴾

الكوع - بضم الكاف - ويقال له الكاع وهو العظم الذى عند الابهام مما في مفصل الكف مما يلي الابهام ، والبوع الذي عند ابهام كل رجل. والكرسوع هو العظم الذي يلي الخنصر .

ويقال للجاهل الغبي انه ما يعرف كوعه من بوعه ، اي ما يعرف اسم العظم وقد نظم ذلك بعضهم فقال :

فعظم يلي الابهام كوع وما يلي الخنصر الكرسوع والرسغ ماوسط
وعظم يلي ابهام رجل ملقب ببوع فخذ للعلم واحذر من الغلط

﴿ فائدة ﴾

ويح : منصوب بفعل محذوف مع النداء ، اي : اويح ، على حد يا حسرة على العباد ، أي احضري هذا وقتك ، كذا قيل .

والذي صرح به الأئمة انه حيث كان المصدر بدلا من اللفظ بفعله وجب نصبه وحذف عامله ، نعم بعض تلك المصادر يجوز رفعه كويح ، فقد قالوا ومما استعمل مفرداً مضافا ، قولهم ويح فلان ، وويحاً له .

قال ابن طاهر : متى اضفت ويح وجب النصب وامتنع الرفع لانه مبتدأ لا خبر له ، ومتى افردته جاز كل منهما ، وكذا ويل والنصب فيه غير قوي ، لانه مصدر لافعل له ، بخلاف نحو حمداً وشكراً ، ومن ثم غلب على ويح الرفع بل قال ابن الربيع : يجب رفعه دون ويل ، نعم ان عطف ويل على تب تعين نصبه .

ومنع المازني عطف ويح على تب وعكسه لتناقض معناهما ، ورد بأن ويح اخرج مخرج الدعاء وليس معناه الدعا ، وتباً يستعمل كقاتله الله ما اشعره فعلم ان ويح وويل ونحوهما متى نصب فانما هو بعامله المحذوف وجوبا ، وانه لا دخل للنداء هنا .

واعلم انهم اتفقوا على ان ويح كلمة ترحم تقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها ، وويل كلمة عذاب ، وقيل هما بمعنى. انتهى .

﴿ فائدة ﴾

تجاهل العارف سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره ، وهو سؤال المتكلم عما يعمله على سبيل التعجب او الانكار او التوبيخ نحو (وما تلك بيمينك يا موسى) انتهى .

كان زيد بن علي زين العابدين بن الحسين علي بن ابى طالب عليه السلام يدخل على هشام بن عبد الملك بن مروان وعلى فجار بني امية وظلمتهم ، وكان يقع بينهما محاورات فيفحمه زيد حتى يخجل بين جده ، وفي عز مملكته ، ومن ذلك انه قال له انت يازيد المؤمل للخلافة وما انت وذاك وانت ابن امة ، فقال زيد : ان الأمة لو قصرت بولدها عن بلوغ الغاية ، لما بعث الله من هو ابن أمة نبياً وجعله ابا العرب وابا خير النبيين ، وهو اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ! وكانت امه مع ام اسحاق كأمي مع امك ، وما تقصيرك برجل ابوه رسول الله صلى الله عليه وآله وجده علي بن ابى طالب عليه السلام .

فلما خرج قال هشام لجلسائه : السّتم زعمتم ان اهل هذا البيت قد انقرضوا ألا لعمر الله ما انقرض قوم هذا خلفهم .

ودخل عليه مرة اخرى فرأى عنده يهوديا يسب ، قيل كان يسب النبي صلى الله عليه وآله وقيل كان يسب الآل ، فانتهره زيد وقال : يا كافر أما والله لئن تمكنت منك

لأختطفن روحك ، فقال هشام : مه يا زيد لا تؤذ جليسنا ، فخرج زيد قائلا: من استشعر حب البقاء استأثر الذل إلى الفناء ، وبايع حينئذ على الخروج على هشام فاطاعه من اهل الكوفة خمسة عشر الف مقاتل وبايعوه وبايعه جماعة من الأئمة ، قيل منهم ابو حنيفة ، وامده بمال عظيم فخرج اواخر المحرم سنة اثنتين وعشرين ومائة وخرج معه القراء والفقهاء وأهل البصائر خمسة آلاف في زي لم ير الناس مثله ، ثم خذله الذين بايعوه وتأخروا عنه ، فقال : أين الناس ؟ فقيل له : احتبسوا في المسجد ، فقال لا يسعهم عند الله خذلانهم لنا ! فعاد اليهم وامرهم بالخروج ، فابوا فقال : يا اهل الكوفة اخرجوا من الذل إلى العز وإلى خير الدنيا والآخرة ، فابوا فاقبل جنود هشام فحمل عليهم زيد عليه السلام فلم يتأثر بذلك ، وحاربهم يوم الاربعاء والخميس فحمل عليهم وقتل فرساناً كثيرين فاصيب آخر يوم الجمعة بنشابة في جبهته فجيء له بطبيب فنزعها فمات من ساعته ، ودفن في قناة ماء واجري عليه الماء لئلا يعرفوا قبره ، ثم دلوا عليه فصلب على جذع نخلة عرياناً ! فنسجت العنكبوت على عورته لوقتها فلم يرها احد ، فكان ذلك من كراماته الباهرة ، ثم انزلوه وحرقوه حتى صار رماداً فذروه في الهواء !

فلما كان من السفاح اول خلفاء بني العباس وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس امر بامرأة هشام المذكورة فشدخ رأسها بالعمد وامر بقطع يديها ورجليها وقتلها قصاصاً في ام ولد او زوجة كانت لزيد عليه السلام قتلوها ، ثم امر بهشام فنبش قبره ، فوجد بحاله لانه كان طلى بالعنبر فاقاموه وجلدوه حتى تناثر لحمه ثم حرقوه بالنار وفعلوا به كما فعل بزيد بن علي عليه السلام جزاء وفاقا فتأمل نصرة الله تعالى حتى على يد الاعداء فان غالب بني العباس يكرهون ذرية الحسين عليه السلام لانهم كانوا ينازعونهم الملك ، ويخرجون عليهم كثيراً ، ومع ذلك اظهر الانتقام من هشام لزيد على يد من يكره بني زيد ، وبني عمه فاعتبر ذلك .

﴿ ترجمة صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي رحمه الله تعالى ﴾

ذكره العلامة المحقق القاضي الخواجة نور الله الششتري رحمه الله تعالى في تاريخه المسمى بـ (مجالس المؤمنين) فقال : شاعر ساحر ، وفاضل في فنون الادب ماهر ، وكان في شعراء المتأخرين ، شاعراً بلا قرين ، وقصيدته الميمية ، المشهورة بالبديعية شاهد عدل على فضيلته .

كان معاصراً لملوك ديار بكر كما هو مستفاد من قصائده اللطيفة في مدحهم ويستفاد من ديوانه ان آباءه كانوا في الحلة ومارديين من الرؤساء الاكابر المعظمين وقد افتخر بابيه وخاله في عدة مواضع من ديوانه ، وهو كذلك وكان مشهوراً بين الشعراء بالغنا ، والاستغناء .

قال الشيخ مجد الدين الفيروزابادي الشافعي من اكابر المتأخرين في فن الحديث في بعض مجاميعه : اجتمعت به سنة سبع واربعين وسبعمائة بمدينة بغداد فرأيته شيخاً كبيراً له قدرة تامة على النظم والنثر وخبرة بعلوم العربية والشعر وغزله ارق من سحر النسيم ، واروق من المحيا الوسيم .

وكان شيعياً إلا ان حاله رثة وهيئته قبيحة وعمامته وسخة ووجهه اقبح من الكل ، ومن رأى صورته لايظن انه ينظم ذلك الشعر الذي هو كالدر في الاصداف.

ومن جملة اشعاره في مدح امير المؤمنين علي عليه السلام هذه الابيات :

جمعت في صفاتك الاضداد ... فلهذا عزت لك الانداد
زاهد حاكم حليم شجاع ... فاتك ناسك فقير جواد
شيم ما جمعن في بشر قط ... ولا حاز مثلهن العباد
خلق يخجل النسيم من اللطف وبأس يذوب منه الجماد
فلهذا تحمقت فيه اقوام باقوالهم فزانوا وزادوا
وعلت في صفات فضلك يس وصاد وآل سين وصاد

ظهرت منك للورى مكرمات فاقرت بفضلك الحساد
ان يكذب بها عداك فقد كذب من قبل قوم لوط وعاد
انت سر النبي والصنو وابن العم والصهر والاخ المستجاد
لو رأى مثلك النبي لآخاه وإلا فاخطأ الانتقاد
بكم باهل النبي ولم يلف لكم خامساً سواه يزاد
كنت نفساً له وعرسك وابناك لديه النسا والاولاد
جل معناك ان يحيط به الشعر ويحصي صفاته النقاد
انما الله عنكم اذهب الرجس فردت بغيظها الاضداد
ذاك مدح الاله فيكم فان فهت بمدح فذاك قول معاد

وله ايضاً في مدحه عليه السلام :

امير المؤمنين أراك إذما ذكرتك عند ذي حسب صغى لي
وان كررت ذكرك عند نغل تكدر عيشه وبغى قتالي
فصرت إذا شككت باصل شخص ذكرتك بالجميل من المقال
فليس يطيق سمع ثناك إلا كريم الاصل محمود الخصال
فها انا قد خبرت بك البرايا فانت محك اولاد الحلال

وله ايضاً في مدحه عليه السلام :

فو الله ما اختار الاله محمداً حبيباً وبين العالمين له مثل
كذلك ما اختار النبي لنفسه علياً وصياً وهو لابنته بعل
وسيره دون الانام اخاً له وصنوا وفيهم من له دونه الفضل
وشاهد عقل المرء حسن اختياره فما حال من يختاره الله والرسل

وباقي اشعاره ومقاطيعه الغزلية والمجونية فهي بين ذوي الآداب ظاهرة غير خفية ، وقد ذكرنا في كتابنا هذا منها اشياء كثيرة وهي في ديوانه مثبوبة شهيرة.

وكانت وفاته كما في تاريخ روض المناظر سنة سبعمائة وخمسين من الهجرة

النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام واكمل التحية عليه رحمة رب البرية بكرة وعشية .

الملوخيا : غليظة لزجة باردة ، والاكثار منها يضر بالمرطوبين والمبلغمين واصلاح ضررها ان تطبخ بلحوم الغزلان لخفته وحرارته ، او مع الفراريج وماء الليمون يلطف غلظها ويقطع لزوجتها ، ولا يصلحها اصلاحا تاماً إلا هو. وإذا قطع ورقها الاخضر ووضع على لسع الزنبور نفعه وطبيخ ورقها ينفع من حرق النار وفيه اكثر منافع الخطمى وهو فرع منه ، وذكر انها قديماً لم يكن لها ذكر ولا قدر ولا تعرف في مدينة ولا اقليم إلا بعد الثلاثمائة والستين من الهجرة النبوية خاصة بمصر المحمية .

وكان السبب في ذلك ان المعز العبيدي بانى القاهرة لما دخل مصر استوبأها واختلف عليه الهواء الذي كان يعهده بافريقية ورطوبته لمجاورة البحر فاصابه يبس واستولت عليه امراض حادة ، فدبر له اطباء مصر قانوناً من العلاج ، من جملته ؛ الغذاء بالملوخيا ، فوجد لها نفعاً بيناً في التبريد والترطيب ، واقلع عنه ما كان يجده من الاعراض الرديئة التي سببها اليبس والحرارة ، واد من اكلها فعوفي من مرضه ووقعت منه موقعاً عظيما ، وأمر باصلاحها له وخواصه حتى سميت بالملوكية .

وبلغ من اعتنائهم بها انهم كانوا يجففونها ويطبخونها مجففة السنة كلها .

وكان باكورها إذا دخل يكون ذلك اليوم عيداً كبيراً ، ويعطى لمهديها عطاء كثيراً ، انتهى .

﴿ فائدة ﴾

في آيات موسى التسع صلوات الله عليه نظمها قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة رحمه الله تعالى :

أيات موسى الكليم الطهر يجمعها ... بيت على اثر هذا البيت مسطور

عصا يد وجراد قمل ودم ... ضفادع حجر والبحر والطور

﴿ فائدة ﴾

نظم الشيخ العلامة المحقق الاصفهاني رحمه الله تعالى في تحقيق الزمان آيات القرآن العظيم وعدها تسعة اصناف ، فقال :

ألا انما القرآن تسعة احرف اتيت بها في بيت شعر بلا خلل
حلال حرام محكم متشابه بشير نذير قصة عظة مثل

﴿ فائدة ﴾

في ايمان ابوي النبي ﷺ نظم ذلك الشيخ الفاضل نجم الدين بن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله تعالى فقال :

حبا الله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤفا
فاحيا امه وكذا اباه لايمان به فضلا منيفا
فسلم فالقديم بذا قدير وان كان الحديث به ضعيفاً

قلت : الحديث ان شاء الله صحيح يعقله كل ذي عقل رجيح

﴿ فائدة ﴾

في عدة اعمام النبي ﷺ نظم قرة بن حجل بن عبد المطلب اورده العلامة السيوطي في المحاضرات ، فقال :

اعدد ضراراً ان اردت فتى ندي والليث حمزة واعدد العباسا
واعدد زبيراً والمقدم بعده والصنم حجلا والفتى الراسا
وابا عتيبة فاعددنه ثامناً والقرم عبد مناف الحساسا
والقرم غيداقا وعد جحاجحاً سادوا على رغم العدو الناسا
والحارث الفياض ولى ساجداً ايام نازعه الهمام الكاسا
ما في الانام عمومة كعمومتي خيراً ولا كأناسنا اناسا

بيان ذلك : الصمّ الشديد القوة والحجل المغيرة . وعبد مناف هو ابو طالب والحساس القتال ، وتفصيل هذا النظم يوجب زيادة لبيان وهو مطلوب .

فاعمامه صلى الله عليه وآله وسلم : ابو طالب والزبير وعبد الكعبة وامهم فاطمة بنت عمرو ، وهؤلاء اشقاء عبد الله والده ﷺ . وحمزة والمقوم ـ قيل والمقدام ـ وامهم هالة بنت وهيب بنت عم امه ﷺ. والعباس وضرار وامهما نتيلة وقيل بقيلة بنت حسان . والحارث وهو اكبر ولد عبد المطلب ، وبه يكنى وشقيقه قثم مات صغيراً وامهما صفية بنت جندب ، وابو لهب عبد العزى ، وامه لبناء بنت هاجر بنت عبد مناف ، والغيداق واسمه مصعب ـ وقيل : نوفل ـ وامه ممنعة بنت عمرو بن مالك .

ومنهم من يعدهم عشرة ، فيسقط قثما ايضاً ولم يسلم منهم احد سوى حمزة والعباس رضى الله عنهما كما في تاريخ العلامة الفهامة شيخ الاسلام محمد بن محمد بن الشحنة المصرى الحنفى رحمه الله تعالى .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ فائدة ﴾

في عدة ازواج النبي (ص) نظمهن الشيخ العلامة نجم الدين بن قاضى عجلون ، فقال :

توفى رسول الله عن تسع نسوة ... اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية ... وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة ... ثلاث وست نظمهن مهذب

بيان ذلك: الاولى منهن عائشة بنت ابى بكر الصديق توفيت سابع وعشرين رمضان سنة سبع وخمسين من الهجرة ، ودفنت بالبقيع .

ثم ميمونة بنت الحارث الهلالية توفيت سنة خمس وثلاثين ، وقيل سنة ست

وثلاثين ، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب توفيت سنة احدى واربعين . ثم هند وهي ام سلمة بنت ابي امية توفيت سنة احدى وستين وهي آخر أزواجه وفاة ، ثم زينب بنت جحش ، توفيت في ذي القعدة سنة عشرين من الهجرة ، وهي اول من مات من أزواجه ، ثم جويرية بنت الحارث توفيت سنة ست وخمسين بالمدينة ، ثم رملة وهي ام حبيب بنت ابي سفيان بن صخر بن حرب الاموية ، توفيت سنة اربع واربعين ، وقيل اثنتين واربعين ، ثم سودة بنت زمعة ، توفيت سنة اربع وخمسين بالمدينة في شوال .

﴿ فائدة ﴾

في الاشياء التي إذا أعطيت يسن قبولها ولا ترد . جمعها الشيخ عبد الرحمن ابن الربيع اليمني فقال :

قد كان من سنة خير الورى صلى عليه الله طول الزمن
ان لا يرد الطيب والمسكا والثمر ايضاً يا اخي واللبن

وزاد الشيخ العلامة الفهامة السيوطي فنظمها سبعة وارودها في كتابه قلائد الفوائد وشوارد الفرائد ، فقال رحمه الكريم المتعال :

عن المصطفى سبع يسن قبولها إذا ما بها قد اتحف المرء خلان
فحلو واللبان ودهن وسادة ورزق لمحتاج وطيب وريحان

وصية لمؤلف هذا الكتاب غفر الله له وعليه تاب وعلى جميع الاخوان والاصحاب

اسمع اخي نصيحة من مشفق عرف الامور بأسرها من فطنته
لا تحلقن سوى بكف مهفف يزري الغصون بقده وبقامته
فاذا حلقت بكف صاحب لحية فكأنه الجزار جاء بمديته
وتناول الفنجان ممن اصبحت ماء الحياة بثغره وبريقته
لا من غدا مثل الافاعي راحتاه بها السموم بدت تغص برؤيته

واجعل خديمك ساعـة الحمام اهيف يخجل البدر المنير بطلعته
لا من غدا مثل السحوق مهولا يسعى وراك مهرولا في مشيته
خذها اليك وصية من ناصح ابدى النصيحة فى زمان شبيبته

فلما كان عصر ثانى عشر من ربيع الاول عام الف ومائة واربعين من هجرة النبي المكمل توكلنا على الله ورسوله وأهل بيته وسرنا من المخا في البحر في مركب الكريمي سائرين إلى بندر جـدة وقاصدين حج بيته صحبة الرئيس الناخودة الذى جميع الاوصاف الحميدة لديه موجودة ، اللطيف الظريف المونس ، الجلبي عبدالرحمن حليحل بن الجلبي يونس ، ومعنا الجناب الرئيس التاجر ، حاوي العز والمفاخر ، اللطيف المأنوس الحاج محمد الجسوس .

فلما اصبح رابع عشر دخلنا بندر الحديدة ، وهو بندر صغير على ساحـل البحر تجاره شياطين لئام ، وسكانه افقر الانام ، ونزلنا بدار ابى بكر هرمز وأقمنا هناك خمسة عشر يوما . وفي اثناء هذه الاقامة سرت من الحديدة إلى بيت الفقيـه لزيارة الولي الشهير ابي العباس الشيخ احمد بن موسى بن علي بن عمر بن عجيل فتشرفت بالزيارة ، وطلبت منه النجدة والغارة .

قال الشرجي في طبقاته : الامام العالم الكبير ، والقطب العارف الشهير ، المجمع على ولايته ، وفضله وجلالته وانفراده عن اقرانه ، وتميزه على اهل زمانه .

كان رحمه الله اماماً من أئمة المسلمين ، المنتفع به علماً وعملا ، وكان اشتغاله بالعلم على عمـه الفقيه ابراهيم ، وعلى غيره ، واستفاض بين الناس انه لم يشتغل في صغره بشيء من اللعب ، كما يعتاد الصبيان ، وانه ظهر عليه آثار الصلاح وهو صبي

ومن غريب حكاياته مايحكى عنه انه كان في ايام بدايته يخرج من البيت قبل الفجر ، وما يدخله إلا بعد العشاء من كثرة الاشتغال بالعلم والعبادة والصيام وغير ذلك ، حتى انه دخـل في بعض الايام البيت بالنهار فلم يعرفه بعض اهل البيت لانهم لا يرونه إلا ليلا !

يحكى عن بعض الصالحين انه قال : مثل احمد بن موسى في الاولياء كمثل يحيى بن زكريا في الانبياء .

قال الامام اليافعي اشار إلى ماورد في بعض الاحاديث ما منا معشر الانبياء إلا من عصى او هم بمعصية إلا يحيى بن زكريا .

وكان عارفا بالفقه والاصول والحديث والنحو والفرائض وغير ذلك .

ويحكى انه جاءه رجل من اهل الجبل ومعه عدة مسائل قد جمعها في الفقه والاصول فوجده وعنده جماعة من المدرسة وغيرهم ، فسأله عن تلك المسائل التي في الفقه فأجابه وسكت عن المسائل التي في الاصول ، فظن الرجل ان ذلك قصور من الشيخ ، فلما انفض المجلس دخل الفقيه البيت وامر بادخال الرجل ، وقال له ان العقول لا تحتمل جواب هذه المسائل وربما يحصل بحث وكلام يشوش على الحاضرين السامعين ، ثم اجابه عن جميع ذلك جوابا شافياً .

وكان له بحث حسن ونظر تام في كثير من العلوم ، وله اعتراضات على المهذب والتنبيه ، والكافي الذي في الفرائض تدل على تضلعه في العلوم .

وله كتاب جمع فيه مشايخه واساتيذه في كل فن نفع الله به .

وأما زهده وصلاحه فمستفيض لا يحتاج إلى دليل . وكان الملوك يعظمونه ويقصدونه للزيارة والتبرك ويقبلون شفاعته وكان لا يأتيهم ولا يواصلهم بل يكتب اليهم بالشفاعة ولا يتأخرون عن ذلك ، وكانوا يعرضون عليه مناصب ارضه فيكره ويقول اكون من جملة الناس احب إلي .

يحكى ان الملك المظفر ارسل إلى الفقيه احمد المذكور والى اسماعيل الحضرمي وإلى الفقيه محمد الهرمل يطلبهم ، وكان غرضه ان يولي احدهم قاضي القضاة .

فلما وصل اليهم الطلب اتوا الفقيه اسماعيل الحضرمي وابن الهرمل ومرا على الفقيه احمد ليعزم معهما إلى السلطان فقال لهما قدعزمتما على الذهاب اليه قالا نعم فقال

كان رأيي ان لا تفعلا وإذ فعلتما فلا تذكراني ، فاذا ذكرني فقولا له هو في عشه في البادية ان تركته وإلا ذهب إلى ارض الحبشة .

ومن كراماته ان الشيخ والفقيه عواجة بشرابه والده قبل مولده ، وكان بينهما وبين والده صحبة ، فكانا يقولان له يا فقيه موسى يولد لك ولد يكون شمس زمانه ، فلما ولد حضرا يوم سابعه .

ويحكى انهما اسرا اليه في اذنه وهو في المهد حديثاً ، فلما كبر سئل عن ذلك فقال اوصياني بذريتهما وهذه كرامة جليلة وهي معرفة ما اوصى به وهو في المهد .

ويحكى منه انه حضر يوما عند مصروع فقرأ عليه قوله تعالى (قل الله اذن لكم ام على الله تفترون) فصرخ شيطانه وقال : لا والله لا والله ، ثم زال عنه ولم يعد اليه مدة حياة الفقيه ، فلما توفى رجع اليه كعادته .

وكان بعض الناس حاضراً حين قرأ عليه الفقيه الآية ، فقال : انا اقرأ عليه فجاء وقرأ الآية بعينها ، فضحك ذلك الشيطان منه وقال الآية هي الآية والرجل غير الرجل .

وكان يحج بالناس في كل سنة ويزور بهم ولا يقدر احد ان يتعرض لهم من العرب وغيرهم بسوء ، ومن فعل شيئاً من ذلك عوقب سريعاً .

ومن كثرة تردده بالقافلة من اليمن إلى مكة والمدينة ، أقام اهل تلك البلاد بعد موته مدة طويلة يسمون من جاء اليهم من قوافل اليمن قافلة ابن عجيل .

وكتب يوما إلى الامير عيسى بن موسى صاحب حلى يشفع اليه في حط ثلاثين ديناراً عن بعض الناس ففعل وحط عنه وكتب إلى الفقيه جوابا وهو يقول :

أتاني كتاب ابن الفقيه فقبسته ثلاثاً وقابلت السؤال باسعاف
ثلاثين ديناراً يريد حطيطها فياليتها كانت ثلاثة آلاف

واحوال الفقيه وكراماته لا يمكن استقصاؤها بل هي اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر، ولم يزل على قدمه المبارك من التدريس ونشر العلم ، مع كمال

العبادة والورع والزهد والتقلل من الدنيا إلى حد الغاية حتى توفى رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء خامس وعشرين ربيع الاول سنة تسعين وستمائة ، وذلك بعد ان صلى الظهر قائماً ، واخذ يكتب كتاب شفاعة لبعض المسلمين ، فلما كتب : بسم الله الرحمن الرحيم توفى رحمه الله تعالى .

وكان آخر كلامه : الله الله الله ثلاث مرات .

وكان في حال حياته إذا ضجر الناس يكتب الشفاعات ، ويقول : ما اظن انى اموت إلا وانا اكتب الشفاعات ، فكان كما قال .

وتربته من التربة المباركة المشهورة في اليمن المقصودة للزيارة والتبرك من الاماكن البعيدة ومن استجار به سلم من جميع ما يخاف ، بل من وصل إلى قريته ولم يكن هناك قرية قبل الفقيه بل لما سكن ذلك الموضع سكن الناس عنده ، وليس له اسم غير بيت الفقيه مع كونها قرية كبيرة مشهورة .

وحكى الذي تولى غسله انه رأى انواراً ساطعة واموراً غريبة منها انه لم ير له عورة إلى غير ذلك من الكرامات .

وخلف من الاولاد سبعة: محمد وابراهيم وموسى وابا بكر واسماعيل وعيسى ويحيى اشتغلوا كلهم بالعلم ، وكانوا سادة اهل علم وصلاح ، ولهم ذرية صالحون وشهرتهم تغني عن تفصيل احوالهم .

وكان جدهم المذكور صاحب ماشية بين قومه ، فأراد يوماً ان يسقي دوابه فلم يمكنه ، لكون الدلو لغيره فذبح عجلا وفرى جلده دلواً وسقى دوابه ، فكان قومه يقولـ صاحب العجيل فلما كثر ذلك وعرف به حذفوا المضاف وأقاموا المضاف اليه مقامه، وقالوا عمر عجيل واستمر ذلك في ذريته نفع الله بهم .

وكانت وفاة جدهم المذكور على قدمه المبارك من العلم والعمل ، وذلك لبضع واربعين وستمائة .

واجتمعت بالسيد الشريف المهزب الفطريف ، الجليل الحسيب المثيل النسيب

الاعجد الانجدسلطان مكةالمشرفة الشريف مباركبن الشريف احمد وامتدحته بقولي

تجلى جمال الوصل وانفصل الفصل ... ولاح الهنا واليمن والفيض والفضل
وهب نسيم الارتياح مذكرا ... لوقت به غصن المسرات مخضل
بمعهد اخوان اللطائف والصفا ... سقى الله اخوان الصفا اينما حلوا
بهم حلت النعماء حين تبلجت ... بدور التهانى واستنارت بها السبل
ودارت على الارواح كاساتارجها ... وطاب لها في حانها النهل والعل
وظلنا وبتنا ليس نعرف ما الجفا ... بأصفى زمان لا يكدره العذل
فدع عنك احزاب الجفاء وعقدهم ... فعقد الجفاة الجامدين هو الحل
وقل للذي رام التحرش بالهوى ... هوالحب فاسلم بالحشا ماالهوىسهل
وقل للذي قد صح فيه فناؤه ... ولاح له منه به شاهد عدل
تمسك باذيال الهوى واخلع الحيا ... وخل سبيل الناسكين وان جلوا
وقل لذوي الاذواق طبتم مشاربا ... مواردها تحلو واسرارها تجلوا
وقل لملوك العصر لله درکم ... جزيل العطايا والسخاء لكم شغل
فقد شاهدت عيناي في العصر منكم ... مليكاً به نظم الثنا قدره يعلو
هو السد المقدام في حومة الوغى ... إذا اشتجر الخطى واعتقل العقل
مبارك نجل الشهم احمد من غدا ... بأوصافه في الناس ليس له مثل
حسام سطا بحر طما عارض هما ... جواد علا در غلا ماجد عدل
فكم من صفات فيه حقاً تجمعت ... وكم قد اجاد القول مقوله الفصل
إذا ما دعا الدهر العبوس اجابه ... سريعاً ولا بطء هناك ولا مطل
تفرع من اهل البراعة والعلى ... فيا حبذا فرع له قد زكا اصل
شهيم ابي ضيغم نجل ضيغم ... ولا بدع ان يحذوالاب الماجدالنجل
ومذ كان في التضمين نوع بلاغة ... فلا غرو ان اوردت ما قيل من قبل
هو البدر إلا انه البحر زاخر ... سوى انه الضرغام لكنه الوبل

فنيران بأس في بحور مكارم ومن قوله فعل ومن فعله فصل
ابانت به الايام كل عجيبة يقصر عن ادراكها الفكر والعقل
فيا ملكاً قد عز في الكون قدره ورتبته بين الورى ابداً تعلو
لقد كان قصدي مدحكم بقصيدة مطولة في الحسن مقدارها يغلو
وحيث غدا فرضاً مديحك واجباً وغيركم دهراً مدائحه نفل
فلا غرو ان قصرت طول مدائحي ففي البعد قصر الفرض جاء به النقل
اليك سليل المجد زفت خريدة فريدة حسن منتهى قصدها الوصل
فحقق رجاها واغل مقدار مهرها بما انت، يا مولى الانام له أهل
ولا زلت يا تاج الملوك مبجلا معانيك في أذواق اهل النهى تحلو

فاكرمني غاية الاكرام ، عليه رحمة الملك العلام ، وقد كان ملكاً ماجداً هماما وهزبراً قماماً ، فدعاه ربه إلى جواره ، وآواه ونقله إلى الجنة من المخواه .

وكانت وفاته اوائل عام الف ومائة واحد واربعين رحمه الله تعالى . ثم انى عدت راجعاً إلى الحديدة .

فلما كان تاسع وعشرون ربيع الاول سرنا من الحديدة في وقت مجمل ، فلم نزل في البحر نسير بعون المعين النصير ، فلما ان صرنا يا اخوان مقابل جزيرة كمران أتانا ريح صرصر كاد المركب منه ان يتكسر ، وانكسر السكان ، وتمزق الشراع فارسينا إذ ذاك في عدة ابواع :

لقد خضت يا نفس بحر الهوى واحرقت قلبي بنار الجوى
علام تفارك من مركب سرى في أمان شديد القوى

وصب علينا المطر كافواه القرب ، وايقنا بالغرق والعطب :

ولقد ركبت البحر ارجو راحة فشهدت فيه مواقع الاهوال
وعزمت ان لاعدت فيه ثانياً وهجرته في سائر الاحوال

ثم سرنا في ذلك الريح والموج والمطر ، وقاسينا انواع المشقة والخطر .

وكمران هـذه ـ بفتح الكاف والميم وقبل الالف راء وبعده نون ـ وهي جزيرة مشهورة في البحر مقابلة لبر الصليف ، وهي ذات مياه عذبة ، وازهار طيبة وهواء لطيف ، فنزلنا بها وتشرفنا فيها بزيارة قبر الشيخ الولى ابى عبد الله محمد بن الحسن بن عبدويه العراقى . وعبدويه على وزن سيبويه إلا ان العين مفتوحة .

كان المذكور فقيهاً عالما عاملا ، اصله من العراق واخذ العلم هناك عن الشيخ ابى اسحاق الشيرازي صاحب التنبيه وغيره ، ثم دخل اليمن وسكن مدينة زبيد مدة فاتفق وصول بعض ملوك بني الصليحى منجداً لبعض ملوك الحبشة على ابن عم له نازعه في الملك فنهب لما وصل المدينة ، ونهب للشيخ جملة مستكثرة من المال والكتب وغير ذلك .

وكان الشيخ صاحب ثروة فانتقل إلى جزيرة كمران ونزل بها واشترى هناك جلابا ، وكان يرسل عبيده إلى الهند وغيرها من البلاد فلم يأت عليه مدة يسيرة إلا وقد اخلف الله عليه اضعاف ما اخذ منه ، ولما استقر بالجزيرة قصده الناس من كل ناحية ، واشتغلوا عليـه بالعلم ، وانتفعوا به انتفاعا عظيما لـكونه من اهل الولاية والصلاح ، وخرج من تلاميذه جماعة من العلماء الـكبار ممن درس وافتى .

وكان يقوم بكفاية جميع من وصل اليه من طلبة العلم وغيرهم من الوافدين والمنقطعين ، وكان متحريا في مطعمه لا يأ كل إلا من الارز الذي يجلبه عبيده من بلاد الهند .

وكان يقصد للزيارة والتبرك في حال حياته ويطلب منه الدعاء ، وامتحن في آخر عمره بالعمى ، فعلم بذلك بعض الفقهاء من تلامـذته ، وهو في مدينة المهجم وكان هناك طبيب ماهر عارف فجاء به التلميذ إلى الفقيه ، واخبره بوصول الطبيب معه ، فقال : لا حاجة لي بذلك ، ثم دعا بابن ابن له وقال له اكتب ما املي عليك ثم املى عليه شعراً وهو :

وقالوا قد دهي عينيك سوء فلو عالجتـه بالقدح زالا

فقلت الرب مختبري بهذا فان اصبر أنل منه النوالا
وان اجزع حرمت الاجر منه وكان خصيصتي منـه وبالا
واني صابر راض شكور ولست مغيراً ما قد انالا
صنيع مليكنا حسن جميـل وليس لصنعه شيء مثالا
وربي غير متصف بحيف تعالى ربنا عن ذا تعالى

فلما بلغ إلى قوله (واني صابر راض شكور) رد الله عليه بصره واضاء له البيت حتى رأى ابن ابنه وهو يكتب ، ثم تكامل بصره بعد ذلك ، فقال للولد : اعط الطبيب ما شرط له ، فقد حصل الشفاء باذن الله ، وهذه كرامة جليلة .

وكان له ولد يقال له عبد الله نجب في طلب العلم ، ثم توفى شابا في حياة ابيه ولم يزل الفقيه المذكور على الحال المرضى من العبادة والاشتغال بالعلم واطعام الطعام حتى توفى سنة خمس وعشرين وخمسمائة ودفن إلى جنب مسجده في الحزيرة المذكورة وتربته هناك من التربة المشهورة ، وآثار الفقيـه وبركته ظاهرة على ذلك الموضع المبارك ، وهو مأوى لعباد الله الصالحين المختفين والمتظاهرين .

ومررنا في طريقنا على بندر اللحية وجازان ، ولم ندخلهما ولم تزل الاهوال علينا كل يوم متجددة إلى ان دخلنا بندر القنفذة وأقمنا ثلاثة ايام وزالت عنا تلك الآلام ، ثم سرنا إلى بندر جدة بسلام .

فلما كان غرة جمادي الاولى دخلنا بندر جدة ، وخلصنا الله من تلك الشدة بعد ان اقمنا على ذلك الحال ، الذي تشيب منه رؤس الاطفال اربعين يوما ، لم تذق اعيننا نوما ، لكنه قـــد سلم الله ، والخير فيما يختاره الله ، وأقمنا في بندر جدة اربعة ايام ، وبلغنا المنى والمرام .

﴿ فائدة ﴾

جدة على ساحل بندر مكة ، وبها تقبض المكوس من التجار الواردين من الهند واليمن والبصرة وعمان والصين وغير ذلك .

وبها الاسواق الواسعة والدور العامرة ، والحوانيت المملوءة ، والخانات العظيمة ، وعليها سور محكم ، وبها قلعة محكمة على البحر ، وبها البرج اليمانى على البحر ، وبها مدفع عظيم جداً ، وبها ضريح الولي الشهير القطب الكبير الشيخ المظلوم نفعنا الله به ، وبها ضريح السيد الولي ابى بكر العلوي ، وخارجها قبر حواء عليها السلام ، إلا ان ماءها قليل وخارجها صهاريج مملوءة من المطر ، وإذا قل المطر يأتون اليها بالماء من جبال خليل ، والمسافة نصف ليلة وهي بلد متجر ومكسب وهي بين مكة المشرفة وباشا جدة ، وبها نائب من قبل الشريف .

فلما كان عصر خامس جمادى الاولى رحلنا من بندر جدة إلى المدينة قاصدين زيارة النبي صاحب الوقار والسكينة ، صلى الله عليه وآله وصحبه ، وانصاره وحزبه فمشينا ثلاثة مراحل في خبت اقفر والمرحلة الرابعة أتينا رابغ وهي قرية صغيرة ذات نخيل وآبار ، ثم سرنا منها فاتينا مستورة ، وهى قرية صغيرة جداً ، وبها بئر ماؤها غير جيد ، وبها ضريح الولي الشيخ المهدلي ، ثم رحلنا منها فأتينا خبت البزوة وهو بر أقفر ، ثم سرنا منه فاتينا بدراً ، وقيل : هى اسم موضع ، وقيل : اسم بئر كانت لرجل يدعى بدراً ، وهى قرية لطيفة على واد عظيم ، بها النخيل الباسقة ، والمياه المتدفقة ، والاشجار المؤتلفة ، وبها الموز اللطيف والليمون والاترج وغير ذلك.

وبعض اهلها كرام اخيار ، والبعض لئام اشرار ، وبها مسجد العمامة ، وبها قبور الشهداء اهل الكرامة ، وكتبت بخطى بمحراب مسجد العمامه قولي :

لقد وافيت بدراً بالسلامة ونال القلب يا صحبي مرامه
وزرت مصارع الشهداء فيها وأهل الفضل حقاً والكرامه
وسرت مؤملا من فضل ربى زيارة من اظلته العمامه

وأقمنا في بدر ستة ايام ، ونحن في عز واكرام ، وصحبتنا ام الامير المنتجب الامير جوهر ابوشنب ، وكانت قد اتت صحبتنا من الحفا قاصدة الحج والزيارة فلها الهنا بذلك والبشارة .

ثم توكلنا على مالك الدنيا والأخرى ، وصرنا إلى الصفرا وهو واد لطيف انيس شريف ، مياهه غزيرة ونخيله باسقة كثيرة مخضر الجوانب الفرح والسرور حف به من كل جانب .

رعى الله جيرانى ببدر وبالصفرا وجاد عليهم صوب غادية تترى
عسى من قضى بالبعد بيني وبينهم سيجمعنا في حيهم مرة اخرى

وأغلب اهل الصفرا زيدية ينادون في أذانهم بحي على خير العمل ، ثم سرنا من الصفرا وأتينا الخيف وهو واد عظيم نخيله كثيرة ، ومياهه غزيرة ، وأهله سرقة اشرار لئام فجار .

ثم رحلنا من الخيف فاتينا النازية ، وهى ارض جرداء ، ثم سرنا من النازية فاتينا الفريش وهى ارض قفراء .

فلما اسفر صبح يوم الاحد عن ثانى وعشرين من جمادي الاولى دخلنا مدينة طيبة التي طابت مدخل فيها الرسول صاحب الفخر والعز والهيبة وارخت دخولي بقولي:

لقد دخلت طيبة في يوم سعد لا نكد
وزرت طه المصطفى وخيرة الرب الاحد
قصدت خير الانبيا ولم اعوّل باحد
وكان حالي معسراً ففرج الفرد الصمد
وحفنى من فضله باللطف منه والمدد
ومدخلي ارختـه دخلتها يوم الاحد سنة ١١٤٠

وزرت النبي المختار ، وصحبه الابرار ، وآله سكان البقيع الاطهار ، وزرت عمه الحمزه الذي ايد الله به الاسلام وعزه ، وزرت مسجد قبا ، وجميع من حل في تلك الربى :

قف بسلع وطيبة الغراء واقر مني السلام اهل قباء
واجر ذكرى لهم وقل ذاك صب فيكم لن يزال بالبرحاء

ونزلت بدار السيد الشهيم المثيل الكريم السيد محمد بن خضر الحسيني في حارة سقيفة بني ساعدة ، لا زال السعد كافله ومساعده .

واجتمعت بنقيب الاشراف طراز العصابة من آل عبد مناف السيد الكريم السند العظيم ، ذي الفضائل والمكارم ، مولانا السيد علي بن ابى القاسم ، وقد كان وحيد بنى الحسين ، منزها من كل عيب وشين ، قتله بعض اللصوص من اعراب عنزة في طريق الفرع في اواخر عام اثنين واربعين بعد الالف والمائة من هجرة النبي المأمون الامين رحمه الله تعالى .

واجتمعت باخيه نسل الاكارم السيد محمد بن ابى القاسم وبالسيد الكريم الاطهر ، السيد موسى بن السيد سعد بن جعفر ، وبامير المدينة العظيم الجليل الكريم مولانا السيد مديبغ الحسيني ، وبالسيد سليمان بن السيد محمد الحسيني ، وبالسيد علي بن عامر الحسيني ، وبالسيد سلطان بن محمد بن خضر الحسيني ، وباخيه السيد خضر الحسيني ، وبالسيد ابي القاسم بن علي بن ابي القاسم .

واجتمعت بمفتي الحنفية ، صاحب الاخلاق الحميدة المرضية ، الرئيس الجليل الشهم المثيل مولانا السيد محمد اسعد رحمه الله تعالى ، وقد كان شمامة المدينة ذا همة ورتبة مكينة ، ملجأ القصاد ، مصدر الوراد ، وما زال بطيبه ملاذاً لكل غريب ، إلى ان نقل شهيداً إلى جوار الحبيب . وكانت وفاته صبح ثامن وعشرين رجب الفرد ، طعنه بعض شياطين المدينة ليلة المعراج في خاصرته . ثم صلب ذلك اللعين بعد الخسارة في دنياه وآخرته .

واجتمعت باخيه السيد عبد الله اسعد ، واجتمعت بمفتي الشافعية ، ذي الهمة العلية ، الرئيس النبيل ، العظيم الجليل ، مولانا الشيخ زين العابدين المنوفي .

واجتمعت بالعالم العلامة ، الحبر الفهامة الشيخ محمد بن عبد الله المغربى المدرس بالمسجد النبوي ، وقد كان علامة عصره في كل فن . توفى سنة الف ومائة واحدى واربعين بالمدينة .

واجتمعت بالسيد الخطيب الاجل النجيب الامثل مولانا السيد احمد بن السيد يحيى الازهري وارخت ايوانه في العوالي ببستانه المسمى بماسكة بقولي :

ما اتهم المذول بى وانجد إلا اغاثنى الرشا وانجد
يا لائمي دع الملام واتبع طريق اهل الحب عل ترشد
وان تطع ما قلته وتسمع فلازم الافراح سوف تسعد
أما ترى الربيع جاء مقبلا في اصفر واحمر واسود
والجو من عظم السرور قد بكى واضحك المنثور والمنضد
لله بستان حللنا روضه كجنة الفردوس بل وازيد
وكيف وهو في حمى خير الانام الهاشمي القرشى احمد
هزاره يغنيك في تغريده وشجوه عن نغمات معبد
وبلبل الاسحار غنى طربا على الغصون والحمام ردد
والجلنار خلته كأنه خدود مياس القوام اغيد
والورد فاح عرفه كأنه ثناء مولانا الخطيب احمد
والفل والريحان كل منهما ذكرنا عهد الصبا وجدد
كذلك الكادي قد شبهته صوارما يوم اللقا تجرد
والبدر ما بين النجوم خلته وجه الرئيس الازهري المفرد
ما بين اصحاب وخلان صفوا والكل منهم كامل المبرد
وماؤه مصفق وراقص ومطرب القوم شدى وانشد
يا ايها المولى الذي اوصافه وقدره الجليل ليس يجحد
حليت مذ حللت يا سامى الذرى ايوان عز بالهنا تشيد
فاق على ايوان كسرى رونقاً ورتبة وهيبة ومقصد
فدم واياه بعز شامخ بجاه تاج الانبيا محمد
يا صاح قل في مدحه ما تشتهي ومدح ايوان به تأيد

وقل لمن يريد تاريخاً له بلفظ در فاخر منضد
ارخته في بيت شعر قد زها بودي الوافي يتم ان عد
ديوان انس بالعلى مشيد لنجل يحيى الازهرى احمد

واجتمعت بالجناب الجليل الشيخ عبد الكريم الانصاري حفظه الرب الباري واجتمعت بالسيد الجليل العزيز المثيل ، مولانا السيد اسماعيل نجل السيد محمد مؤمن الحسيني رحمه الله تعالى ، توفى سنة الف ومائة وثلاث واربعين وامتدحته بهذا الموشح الذي بعضه على روي موشح الصفي الحلي الذي اوله :

شق جيب الليل عن نحر الصباح ايها الساقون

فقلت :

صاح صاح الديك قم للاصطباح وقتنا ميمون
واسقنيها بين ازهار الاقاح فالوشاة عمون
خمرة صهباء منها المسك فاح تشرح المغبون
هات درها لاتخف ريب الزمان ما يكون يكون
دع كؤساً واسقنيها بالدنان واجبر المحزون

بيت :

قل لشيخ قلبه منها نفور اغنم اللذات
فز بها فالرب تواب غفور يغفر الزلات
واحتسيها بين ولدان وحور وابسطالاوقات
بين مزمار واعواد ودان نظمه موزون
شربها في مذهب الصوفي امان ليس فيه مجون

بيت :

استمع ما قلته يا ذا النديم خالصاً عن مين
انها ناراً ضاءت للكليم فاخلع النعلين

هي حياة الروح هي برء السكليم هي جلاء العين
عتقت في الدن دهراً من زمان سرها مكنون
فاجتليها بين اقمار حسان كم بهم مفتون

بيت :

ايها الساقي ادرها باليمين واسقنا قدحان
قم ولا تصغي للوم اللائمين فالهنا قدحان
ان تكونوا في هواها صادقين يا اهيل الحان
فاشربوها شرب جد لا دهان كيفما تهوون
واتركوا من لامكم فيها وخان ما نع الماعون

بيت :

لست انسى حين وافاني الحبيب مخجل الاقمار
وبدا يختال كالغصن الرطيب في دجى الاسحار
قال قم يا ايها المضني الكئيب ان بدرك زار
واصلح الاوتار ان السعد آن وغفا الواشون
واغتنم وصلي على كيد الشوان انهم عادون

بيت :

قمت من وقتي وحليت اللثام وارتشفت الراح
واعتنقت البدر معسول الوشام جالب الافراح
ثم عنا بعد ان كاد الغرام يسلب الارواح
لا تسل عما جرى يا ذا المصان فالحديث شجون
لا تقل فيما قضى كيف كان انني مفتون

بيت :

قال لي المحبوب قد نلت الوصال ما تشا من بعد

قلت مدحى سيداً حاز الجلال والتقى والسعد
ذاك اسماعيل ينبوع النوال من وفى بالوعد
كم له جود حكى قطر الرثان ليس بالمظنون
كم حبانى بين ابناء الزمان ذا الفتى المأمون

بيت :

كم لفقري بالعطايا قد ذبح ذا عزيز الجاه
كم وكم اسدى الينا بالمنح حسبة لله
ذا فريد العصر حقاً لا نجح كل من عاداه
ذا رفيع القدر صدقا والمكان كفه سيحون
ذا ابو الآداب ذا رب البيان فضله جيحون

بيت :

ان وصفى قاصر عن مدح من اعجز الوصاف
بالسخا والقبض والذكر الحسن ليس فيه خلاف
الجليل الهاشمى المؤتمن عمدة الاشراف
ابقه يا رب لي طول الزمان ما دعا الداعون
بالضحى والليل والسبع المثان والنبا والنون

واجتمعت بالرئيس السيد الجليل ذى المقام العالى ، الجوهر الفريد النفيس المثيل الغالي ، مولانا السيد محمد بن السيد طه القادري . واجتمعت بالسيد الالمعي اللبيب الاريب اللوذعي الاديب مولانا السيد جعفر بن السيد محمد البيتي .

واجتمعت بالرئيس الجليل الغالي الجلبي عبد الرحمن بالي ، وباخيه الجلي عبدالله بالي، وبكثير من اعزاء المدينة الكرام ، عليهم مني اشرف التحية والسلام .

﴿ ترجمة أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ﴾
(صاحب الصحيح)

قال ابن خلكان في تاريخه هو احد الأئمة الحفاظ والاعلام المحدثين ، دخل إلى الحجاز والعراق والشام ومصر ، وسمع يحيى بن يحيى النيسابوري ، واحمد بن حنبل ، واسحاق بن راهويه ، وعبد الله بن مسلمة القعنبي وغيرهم .

وقدم بغداد غير مرة ، وروى عنه اهلها ، وآخر قدومه اليها سنة تسع وخمسين ومائتين .

وروى عنه الترمذي وكان من الثقات .

وقال محمد بن الماسرخشي : سمعت مسلم بن الحجاج يقول صنفت هذا الكتاب المسند الصحيح من ثلاثمائة الف حديث مسموعة .

وقال الحافظ ابو علي النيسابوري : ما تحت اديم السماء كتاب اصح من كتاب مسلم في علم الحديث .

وقال الخطيب البغدادي : كان مسلم يناضل عن البخاري حتى اوحش مابينه وبين محمد بن يحيى الذهلي بسببه . وكان ابو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ لما استوطن البخاري نيسابور ، اكثر مسلم من الاختلاف اليه ، فلما وقع بين محمد بن يحيى والبخاري ما وقع في مسئلة اللفظ ونادى عليه البخاري ، ومنع الناس من التردد اليه حتى هجر خرج من نيسابور في تلك المحنة وقطعه اكثر الناس إلا مسلم ابن الحجاج فانه لم يتخلف عن زيارته، فانتهى إلى محمد بن يحيى ان مسلم بن الحجاج على مذهبه قديماً وحديثاً ، وانه عوتب على ذلك بالحجاز والعراق ، فلم يرجع عنه. فلما كان يوم مجلس محمد بن يحيى قال في آخر مجلسه : ألا ومن قال باللفظ فلا يحل له ان يحضر مجلسنا ، فاخذ مسلم الرداء فوق عمامته وقام على رؤس الناس وخرج من مجلسه ، وجمع كل ما كان كتب عنه على ظهر حمال إلى باب محمد بن يحيى

فاستحكمت بذلك الوحشة بينهما ، وتخلف عنه وعن زيارته .

وتوفى مسلم المذكور عشية يوم الأحد ، ودفن بظاهر نيسابور يوم الأثنين لخمس بقين . وقيل : لست بقين من رجب سنة احدى وستين ومائتين ، وعمره خمس وخمسون سنة .

قال ابن خلكان : هكذا وجدته في بعض الكتب ، ولم أر احداً من الحفاظ يضبط مولده ، واجمعوا على انه ولد بعد المائتين .

قال ابن خلكان : وكان شيخنا تقي الدين ابو عمر وعثمان المعروف بابن الصلاح يذكر مولده ، وغالب ظني انه قال في سنة اثنتين ومائتين والله اعلم واحكم.

﴿ ذكر عبد الله بن عبد الكريم ﴾

وكان مطلعاً على احوال الامير احمد بن طولون عارفاً بامور عالماً بوروده وصدوره ، فقال : ان الامير احمد بن طولون كان يربي من يطرح على الطرقات من المواليد ، ويقيم لهم الكوافل ، ويسدي اليهم النفقات ، رغبة في الثواب وتقربا إلى الله تعالى بهذه الاسباب ، فوجد عند سقايته طفلا مطروحا فالتقطه ورباه ، وباسمه سماه ، وشهره باليتيم ، فلما كبر ونشأ كان اكثر الناس ذكاء وفطنة ، واحسنهم رواء وصورة ، وصار يرعاه ويعلمه ، وهو يعرف بأحمد اليتيم ، فلما حضرت وفاة احمد بن طولون اوصى لولده ابي الجيش خمارويه فاخذه اليه ، فبعد موت ابن طولون احضره الامير ابو الجيش ، وقال له انت عندى بمكانة ارعاك لها ، لكن عادتى انى آخذ العهد على كل من اصرفه في شيء من اموري انه لا يخونني فعاهده ، ثم حكمه في امواله وقدمه في اشغاله ، فصار احمد اليتيم مستحوذاً على المهام ، حاكما على جميع الحاشية الخاص والعام ، والامير ابو الجيش يحسن اليه كلما رأى خدمته متصفة بالنصح ، ومساعيه متسمة بالنجح ، فركن اليه واعتمد في اسباب بيوته عليه فقال له يوما : يا احمد امض إلى الحجرة الفلانية ، ففي المجلس حيث اجلس سبحة

جوهر فجئني بها ، فمضى احمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من خواص الامير نائمة مع بعض الفراشين ، فلما رأياه خرج الفتى وجاءت الجارية إلى احمد وعرضت نفسها عليه ودعته إلى قضاء وطره ، فقال لها : معاذ الله ان اخون الامير وقد احسن إلي واخذ العهد علي ، ثم تركها واخذ السبحة وانصرف إلى الامير وبقيت الجارية شديدة الخوف من احمد لئلا يذكر حالها للامير ، وبقيت اياماً لم تجد من الامير ما تنكره من اقباله ولا ظهر لها ما توهمته في احمد من تسرعه في مقاله وانتهاء حاله .

واتفق ان الامير اشترى جارية وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها ، واعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ، ولا يراها .

وكان اولا مشغوفا بتلك الجارية الخائنة ، فلما اعرض عنها اشتغالا بالجديدة وشغلته بعذوبة رضابها ، عن ارتشاف ضرب اضرابها وهجر حظايا مقاصيره واقتصر عليها في طويل تنعمه وقصيره ، وكانت تلك الاولى متأمرة ، مطرحة حكم امره لا تخاف من وليه ولا نصيره فكبر عليها اعراضه عنها ، ونسبت ذلك إلى اطلاع احمد اليتيم اياه على ما كان منها فدخلت على الامير ، وقد ارتدت من الكآبة بجلباب نكرها ، وركبت وجهها في صورة حزن افسادها بزمان فكرها واجهشت بالبكا بين يديه لاتمام كيدها ومكرها عليه ، وقالت ان احمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الامير استشاط غضباً وهم في الحال بقتله ، ثم عاوده حاكم عقله فتأنى في فعله واستحضر خادماً يعتمد عليه وقال له : إذا ارسلت اليك انساناً ومعه طبق ذهب فاقتل ذلك الانسان ، واحمل رأسه في الطبق واحضره مغطى .

ثم ان الامير ابا الجيش جلس لشربه وحضر عنده ندماؤه ، واحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه ، جار على عادته في اجتناء جنا قربه ، ولم يخطر بخاطره ولا تقلب في قلبه شيء مما نسب اليه وقذف به ، فلما ثمل الامير واخذ منه ما كان يتناوله ، قال له : يا احمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم ، فقل له يملأه

مسكاً ، فاخـذه احمد اليتيم ومضى واجتاز احمد في طريقه بالمغنين وبقيـة الندماء والخواص ، فقاموا اليه وسألوه ان يجلس معهم ساعة . فقال : انا ماض في حاجـة للامير امرني باحضارها في الطبق ، فقالوا : ارسل من ينوب عنك في احضارها وخذها وادخل إلى الامير ، فادار احمد عينيه فرأى الفتى الفراش الذي كان نائماً مع الجارية فاعطاه الطبق ، وقال له: امض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير أملء هذا الطبق مسكاً ، فمضى الفتى إلى الخادم ، وذكر له قصته فقطع الخادم رأسه وغسله وجعله في الطبق وغطاه ، واقبل به ، فناوله لاحمد اليتيم ، وليس عنده علم بباطن الامر ، فلما دخل به إلى الامير كشفه وتأمله ، وقال : ما هذا يا احمد ؟ فقص عليه خبره وقعوده مع المغنين وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ الطبق والرسالة مع الفراش وانه لا علم عنده غير ما ذكره ، فقال له الامير : يا احمد تعرف لهذا الفراش خبراً استوجب به ما قد جرى عليه؟ فقال ايها الامير ان الذي تم عليه بما ارتكبه من خيانتك ، وقد كنت رأيت الاعراض عن اعلام الامير بذلك ، ثم اخذ احمد يحـدثه بما شاهده وما جرى له وحديث الجارية من اوله إلى آخره لما انفذه إلى احضار السبحة . فدعا الامير ابو الجيش بتلك الجارية واستقرها فاقرت بصحة ماذكره احمد فاعطاه اياها وامره بقتلها ففعل فازدادت مكانته عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه ، وجعل ازمة جميع ما يتعلق به بيديه ، ولم يجعل لاحـد من عظماء تلك الدولة حكما يتسلط به عليه .

فانظر إلى آثار الوفاء كيف يحمي من المعاطب ، وينجي من قبضة التلف بعد انتضاء القواضب ويفضي بصاحبه إلى ارتقاء غوارب المراتب ويقضي لصاحبه على من يريد رداه ببغية الغائب وأمله الـكاذب ويرمي شيطان حدسه ومقتل نفسه من انتقام الله تعالى بشهاب قدرته الثاقب وسهم قضائه الصائب .

فهذا الغلام لما وفى لمولاه بعهده ، وهو في الحقيقة بشر مثله وليس بعبده واطلع الله على صدق نيته وصحة جـده ، دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من

عنده ، فكيف إذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافياً في طاعته بعقده ، باذلا في واجبات عبادته ، واجتناب معصيته ، مستطاع جهده ، فانه تعالى وتقدس يفيض عليه من لطائف مواهب بره ورفده ، ويمنحه من رأفته ما يتعجل به انجاز وعده ويفتح له انواع رحمته واقسام نعمته ما لا ممسك له من بعده . انتهى .

بنى الشاه شجاع رباطاً بمكة المشرفة عند باب الصفا ، وامر ان يكتب على بابه من شعره هذين البيتين .

بباب الصفا بيت احل به الصفا لمن هواصفى في الوداد من القطر
تباعده الاعذار بالملك والمدا وليس بصب من تمسك بالعذر

لبعضهم :

لئن نحن التقينا قبل موت شفينا النفس من ألم العتاب
وان ظفرت بنا ايدي المنايا فكم من حسرة تحت التراب

لعبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس :

وردنا دماء من امية عذبة وكلنا لهم في القتل بالصاع اصوعا
وما في كثير منهم بقليلنا وفاء ولكن كيف بالنار اجمعا
إذا انت لم تقدر على الشيء كله واعطيت بعضاً فليكن لك مقنعا
رعبنا نفوساً منهم بسيوفنا وصاح بهم داعي الفناء فاسمعا
قضيناهم ديناً وزدنا عليهم كما زاد بعض الفرض من قد تطوعا
وكان لهم من باطل الملك عارض فلما علته شمس حق تشعشعا
فليت علي الخير شاهد اسهماً اصابتهم لم تبق في القوس منزعا

للشيخ عبد القادر الجيلاني :

يقول حبيبي وقد زارني وبت لطلعته اشهد
إذا كنت تسهر ليل الوصال فليل الصدود متى ترقد

(ابو دلامة) لما وعدته الخيزران ام هارون الرشيد في طريق الحج بجارية تأخرت

في اعطائه اياها ، فارسل اليها مع ام عبيدة جارية المتوكل شعراً :

ابلغي سيدتي بالله يا ام عبيده
انها ارشدها الله وان كانت رشيده
وعدتني قبل ان تخرج للحج وليده
فتأنيت وارسلت بعشرين قصيده
كلما اخلقت ارسلت لها اخرى جديده
ليس في بيتي لتمهيد فراشي من قعيده
غير عجفاء عجوز ساقها مثل القديده
وجهها اقبح من حوت طري في عصيده

فلما قرئت عليها ضحكت ضحكاً شديداً ، واستعادت البيت الاخير مراراً وبعثت اليه بجارية بهية ، وجائزة سنية .

في كتاب حياة الحيوان: نقل عن ابن الاثير في كامل التاريخ في حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة قال : كان جار وله بنت اسمها صفية ، فلما صار عمرها خمس عشرة سنة نبت لها ذكر وخرج لها لحية .

قلت : وذكر بعض المؤرخين ان بنتاً كانت في قيشة ـ وهي قرية من قرى اصفهان ـ تزوجت فحصل لها ليلة الزواج حكة في عانتها ، ثم خرج لها في تلك الليلة ذكر وخصيتان وصارت رجلا ، وصار ذلك في زمن السلطان الشاه خدا بنده

كتب الصفي الحلي إلى بعض الفضلاء وقد بلغه انه اطلع على ديوانه فقال : لا عيب فيه سوى انه خال من الالفاظ العربية فكتب اليه شعراً :

انما الحيزبون والدردبيس والطخا والفقاح والغلطبيس
والغماريس والسقحطب والصقعب والخر بصيص والعيطوس
والجراجيح والعقنقس والعسفلق والطرفسان والعطسوس
والسبنتي والحفص والهيق والهجرس والعقنفير والعنتريس

لغة تنفر المسامع منها حين تتلى وتشمئز النفوس
وقبيح ان يسلك النافر الوحشى منها ويترك المأنوس
ان خير الالفاظ ما اطرب السامع منها وطاب فيها الجليس
اين قولي هذا كثيب قديم من مقالي عقنقل قدموس
لم تجد شاديا يغنى قفا نبك على العود اذ تدار الكؤس
لا ولا من شدا أقيموا بنى امى إذا ما ادرت الخندريس
اترانى ان قلت للحب ياعلق درى انه العزيز النفيس
او تراه يدري إذا قلت خب العير بأنى اقول سار العيس
او إذا قلت للقيام جلوس علم الناس ما يكون الجلوس
خل للاصمعي جوب الفيافي بنشاف تجف منه الرؤس
وسؤال الاعراب عن صيغة اللفظ إذا اشكلت عليه الاسوس
درست تلكم اللغات واضحى مذهب الناس ما يقول الرئيس
انما هـــذه القلوب حديد ولديد الالفاظ مغناطيس

للشريف ابو الحسن العقيلي مفتخراً :

نحن الذي غدت رحى احسابهم ولها على قطب الفخار مدار
قوم لغصن ندامهم من رفدهم ورق ومن معروفهم اثمار
من كل وضاح الجبين كأنه روض خلائقـه لها ازهار

اقبل رجل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له: ما اسمك ؟ قال شهاب ابن حرقة ، قال: ممن ؟ قال : من اهل حرة النار ، قال : واين مسكنك ؟ قال : بذات لظى ، فقال له عمر : ادرك قومك فقد احترقوا ، فكان الامر كما قال عمر !

وسأل بعض العرب رجلا عن اسمه ، فقال : بحر بن فياض بن تيار ، فقال له لا ينبغي لاحد يلقاك إلا في سفينة .

للأمير ابو الفتح الحاتمي وقد اجاد ما شاء :

اما ترى الخمر مثل الشمس فى قدح كالبدر فوق يد كالغيث إذ صابت
فالكاس كافورة لكنها انحجرت والخمر يا قوتة لكنها ذابت

﴿ اعرف هذه الفائدة ﴾

انما للحصر عند الجمهور قيل بالمنطوق ، وقيل بالمفهوم ويقال له : الاختصاص والقصر خلافا لمن فرق ، وهو اختصاص امر بآخر بطريق مخصوص ويعبر عنه ايضاً بانه اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما سواه وينقسم إلى قصر الموصوف على الصفة وعكسه ، وكل اما حقيقي او مجازي ، فالحقيقي نحو ما زيد إلا كاتب اي لا صفة له غير ذلك ، وهو كالمحال لتعذر ان يكون لذاته صفة واحدة فقط ، ولم يقع منه شيء في القرآن .

والمجازي نحو وما محمد إلا رسول ، اي مقصور على الرسالة لا يتعداها إلى التبرى من الموت الذى استعظموه ذهولا عن كونه من شأن الإله، وانكر قوم افادة انما له ويرد عليه آيات كثيرة نحو (انما العلم عند الله) واعلم ان المحصور فيه هو الاخير ، ومن ثم كان مفاد انما قام زيد اثبات القيام لزيد ، ونفيه عن غيره وانما زيد قائم اثباته له ونفي غيره انتهى .

﴿ فائدة ﴾

كل اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر المضاف هو اليه والمعرف المجموع نحو (وكلهم آتيه يوم القيامة) فرداً واجزاء المعرف نحو (يطبع الله على كل قلب متكبرجبار) باضافة قلب إلى متكبر ، أى على اجزائه ، وقراءة التنوين لعموم افراد القلوب ، ثم ان لم يكن المفرد نعتاً لنكرة ، ولا توكيد المعرفة بان تلاها العامل كما هنا جازت اضافتها كما هنا وقطعها نحو (وكلا ضربنا له الامثال) واعلم انها حيث

اضيفت لمنكر وجب في ضميرها مراعاة معناها نحو (وكل شيء فعلوه في الزبر) (وعلى كل ضامر يأتين) او لمعرف جازت مراعاة لفظها في الافراد ، والتذكير ومراعاة معناها ، وكذا إذا قطعت نحو (قل كل يعمل على شاكلته) (وكل اتوه داخرين) وانها حيث وقعت في حيز نفي بان سبقتها أداته ، او فعل منفي نحو (ما جاء كل القوم) (وكل الدراهم لم آخذ) لم يتوجه المنفي لسلب شمولها ، فيفهم اثبات الفعل لبعض الافراد ما لم يدل على خلافه نحو (والله لا يحب كل مختال فخور) مفهومه اثبات المحبة لاحد الوصفين ، لكن لانظر اليه للاجماع على تحريم الاختيال والفخر مطلقاً وحيث وقع النفي في خبرها كقوله صلى الله عليه وآله وسلم في خبر ذي اليدين كل ذلك لم يكن توجه إلى كل فرد فرد .

وكذا ذكره البيانيون فاحفظ هذا فانه ينفعك ، انتهى .

﴿ ترجمة الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن ﴾
(علي بن سينا الملقب شرف الملك البخاري)
(الحكيم الفيلسوف)

صاحب التصانيف المشهورة ، كان ابوه من اهل بلخ ، من الكفاة والعمال تزوج امرأة يقال لها سارة من قرية من قرى بخارى ـ يقال لها افشنه ـ فولدت الرئيس ابا علي المذكور بهذه القرية ، فتعلم القرآن والأدب .

فلما بلغ عشر سنين حفظ اشياء من اصول الادب ، وتأمل احياناً رسائل الفضاء ، وتعلم الهندسة والجبر والمقابلة على محمود البقال وتلقن مسائل الخلاف عن اسماعيل الزاهد ، وقرأ كتاب ايسا غوجي وكتاب اقليدس والمجسطي على ابي عبد الله الناتلي ثم اشتغل بتحصيل العلوم الطبيعية والالهية والطبية حتى صار عديم المثل والقرين ، ثم اتصل بخدمة الامير نوح بن منصور السامانى ، وسأله الدخول

إلى خزانة كتبه ، فاذن له فدخلها وظفر فيها بكتب كثيرة في علوم الاوائل من كتب ابي نصر الفرابى الآتى ذكره وغير ذلك مما لم يكن في ايدي الناس .

وتوفى ابوه وعمره اثنان وعشرون سنة ، وتصرفت به الامور والاحوال وتقلد بعض اعمال السلطان ، ولما اضطربت امور الدولة السامانية دعته الضرورة إلى الخروج من بخارى إلى خوارزم ، وكان يلبس الطيلسان على زي الفقهاء ، ثم انتقل في البلاد ، ثم انتقل إلى همدان وتقلد وزارة شمس الدولة .

وكان قوي المزاج ، وقوة النكاح غالبة عليه . وكان يشتغل باستفراغها فأثر ذلك في مزاجه ، ولم يزل يعالج نفسه حتى ضعف واعتراه قولنج ، فحقن نفسه في يوم واحد ثمان حقن فقرح بعض امعائه .

فامر يوما باتخاذ البعض من بزر الكرفس في جملة ما يحقن به ، فطرح بعض غلمانه في الادوية شيئاً كثيراً من الافيون ، وكان السبب ان ذلك الغلام خانه سابقاً ، فخاف على نفسه منه ، فقصد قتله فصار من الضعف إلى حال لايقدر على القيام ، وكان مع ذلك يتجلد ، ويحضر مجلس علاء الدولة ولا يحتمى ويجامع فصار يبرأ اسبوعا ويمرض اسبوعا ، ثم قصد علاء الدولة همدان من اصفهان ، ومعه ابوعلي المذكور فعاوده القولنج فوصل إلى همدان ، وقد سقطت قوته فأهمل المداواة وقال لا ينفع التدبير مع اوان التقدير .

ثم اغتسل وتاب وتصدق بما معه على الفقراء ورد المظالم إلى اهلها واعتق غلمانه ، وكان يحفظ القرآن الكريم ، فصار يختم في كل ثلاثة ايام ختمة إلى ان مات في يوم الجمعة الاولى من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين واربعمائة ، ودفن بهمدان ، وكانت ولادته في صفر سنة سبعين وثلاثمائة بالقرية المتقدم ذكرها والطالع السرطان درجة شرف المشتري والقمر على درجة شرفه ، والشمس على درجة شرفها ، والزهرة على درجة شرفها ، وسهم السعادة في تسع وعشرين من السرطان وسهم الغيب في اول السرطان مع سهيل والشعري اليمانى . هكذا ذكره ابن خلكان

وللرئيس ابى علي المذكور مع تفننه في العلوم شعر فمن ذلك قوله في النفس :

هبطت اليك من المحل الارفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهى التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما ... كرهت فراقك وهى ذات تفجع
انفت وما الفت فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع
واظنها نسيت عهوداً بالحمى ... ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى إذا اتصلت بهاء هبوطها ... من ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت ... بين المعالم والطلول الخضع
تبكي وقد ذكرت عهوداً بالحمى ... بمدامع تهمى ولما تقلع
حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ... ودنا الرحيل إلى الفضاء الاوسع
وغدت تغرد فوق ذروة شاهق ... والعلم يرفع كل من لم يرفع
وتعود عالمة بكل خفية ... في العالمين فخرقها لم يرقع
فهبوطها ان كان ضربة لازب ... لتكون سامعة لما لم تسمع
فلاي شيء اهبطت من شاهق ... سام إلى قعر الحضيض الاوضع
ان كان اهبطها الاله لحكمة ... طويت على الفطن اللبيب الاروع
إذ عاقها الشرك الكثيف فردها ... قفص عن الاوج الفسيح الاربع
فكانها برق تألق بالحمى ... ثم انطوى فكانه لم يلمع

ومن المنسوب اليه قوله ايضاً :

اجعل غذاءك كل يوم مرة ... واحذر طعاماً قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استطعت فانه ... ماء الحياة يصب في الارحام

سينا ـ بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح النون وبعدها الف ممدودة ـ والله تعالى اعلم وادرى واحكم .

﴿ فائدة ﴾

حبذا : هي كنعم عملا ومعنى مع زيادتها عليها باشمارها بان الممدوح بها محبوب للقلب واصله حبب ـ بالضم ـ أي صار صاحبه حبيباً لاحبب بالفتح ثم ادغم فصار حب ، والاصح ان ذا فاعله ويلزم الافراد والتذكير وان كان المخصوص بخلاف ذلك لانه كالمثل والامثال لا تغير او لان فيه حذفا تقديره ، في نحو : حبذا هند حبذا حسنهما، وحبذا زيد ، وحبذا امره وشأنه ، فالمقدر المشار اليه مفرد مذكر وانما حذف واقيم المضاف اليه مقامه ولانه على ارادة جنس شائع اقوال، والاكثرون على الاول .

وقيل : حبذا ، كله فعل ، وفاعله المخصوص ، وقيل : الكل اسم واحد واختاره ابن عصفور ، فهو مرفوع اتفاقا ، ثم هل ، هو مبتدأ خبره المخصوص او عكسه قولان ، وعلى ان ذا هو الفاعل ، فالمخصوص مبتدأ ، والجملة هي خبره والرابط ذا .

وقيل : مبتدأ محذوف الخبر ، وقيل : عكسه ، وكأنه قيل من المجرب المحبوب ، فقال زيد أي هو ، وقيل بدل من ذا ، وقيل بيان ولا يتقدم مخصوص حبذا عليها ، وان جاز تقديمه بقلة على نعم لانها فرع عنها فلاتساويها في تصريفاتها وتحذف بقلة ، ويكون قبل المخصوص او بعده نكرة منصوبة مطابقة نحو حبذا الصبر شيمة ، وحبذا الرجلين الزيدان ، ثم ان اشتق اعرب حالا ، وإلا فهو تمييز على خلاف منتشر فيه وتدخل عليها لا فتساوي بئس في العمل ، والمعنى مع زيادة ما تقدم ضده في حبذا ، وهي غير منصرفة فلا مصدر لها ، ومن ثم عملت فيما عداه كالظرف والتمييز والحال ، وان توقف ابو حيان في الآخرين وتجرد من ذا فيضم اولها ، ويجوز بقاء فتحه ، وجر فاعلها بالباء كحب بها ، انتهى .

وقف رجل حبشي ومعه زوجته وابنته تحت ميزاب الكعبة المشرفة البهية

ودعا ربه بهذين البيتين بلغة العبرانية وهما :

دقدقها فتندى تبلى كرا بزندي
طبلكموا كموها بيند يند يندي

فسقط له الميزاب ثلاث مرات وخدمة البيت يأخذون الميزاب منه ويردونه إلى موضعه ، وكان علي بن الحسين عليه السلام جالساً في المسجد ، فقال لهم : ادفعوا اليه الميزاب فانه قد انعم به عليه رب هذه الكعبة ، ورب الارباب ، فدفعوه له ثم قال الناس للامام علي بن الحسين عليه السلام ماالذي تكلم به هذا الحبشى من الكلام؟ فقال انه كان يقول :

مستتر بخرقة عن العرى مجتنب عن اكل اموال الورى
فها انا وزوجتي وابنتي كما ترى يامن يرى ولا يرى

﴿ ترجمة أبي الوفاء شعبان بن سليم الصنعاني المولد والنشأة الرومي الأصل ﴾

احد المجيدين المعاصرين ، قال صاحب نسمة السحر في شأنه : المفتخر فاضل لو جاراه القمر لانصف او الفلك المحيط لرآه باحاطته بالآداب اعرف يقول مجاريه بفضل شعبان على محرم ولا جرم ، فالديباج الرومى انفس والنسيب مقدم به بان فضل ابن الرومي على العرب ، واتى بمثل العجم من جاراه ، وأما هو فجاء بمثل الرطب ، فمعانيه غواني تميس من الالفاظ في الحلل ، وما هو إلا الشمس ، ومن ناواه أما الجدي واما الحمل .

وله في الطب يد لا يقوى عليها بقراط تخفق لها الملل خفقان قلب العاشق بالاقراط ، وهو من ابناء اجناد الرومية ، الذين بعثهم السلطان سليمان بن سليم خان إلى بلاد اليمن ، وكان والده جنديا ، واما هو فتكسب بالتجارة اولا والخياطة ، ثم بالطب ، وفيه مع الادب صلاح تام ، وحسن عشرة وصمت ووقار . وقد جمع شعره في سفينة من رآها بات بها صباً ، واشبه الجلندي في اخذ كل سفينة غصباً .

فمنه وهو مما تشتاق اليه الروح وتترك الحاسد بالدمع في مثل طوفان نوح قوله :

يا اسرة الحب ان عز التخلص من اسر الغرام وذقتم في الهوى الهونا
قيلوا بنا عند ما بمنا بحبهم قلوبنا فعساهم ان يقيلونا

وله في مليح اسم رقيبة يحيى :

يا صفى الدين هل يرضيك يا باهي المحيا
انني مت غراما ورقيبي فيك يحيى

وله في الثور الرقيب ، وكان يميل إلى شخص ينبز بالحبتين :

لقد ابدى الزمان لنا عجيبا سرت اسراره في الخافقين
نمت فيه البركات حتى تكفى ثورنا بالحبتين

وقلت انا في ثور يشرب الراح ، ولم يعرف الاغتباق من الاصطباح :

ان عب كأس الطلا ثور فلا عجب وان يكن شربه من اعظم الجور
فالراح شمس اضاءت في الكؤس ولم يكن عجيباً حلول الشمس في الثور

ولشعبان المذكور :

وشادن يقرأ في معشر يسألهم ما الحال والماضي
فقلت ان الحال هذا الذي ترى بنا من طرفك الماضى

وله في الموشح الملحون اليد القوية ، فمن ذلك قوله :

أقام عذري فيك لام العذار يامتلفي بالصد والتيه
لذا حلا لي فيك خلع العذار ونشر ما قد كنت اطويه
عادل قوامك ان تثنيت جار وكم حويسد لامني فيه
حفيت جنة ورد خدك بنار ونرجس الالحاظ يحميه

بيت :

يا من تفرد في الملاحة وفاق فليس له في الحسن ثاني
عيون عشاقك لحصرك نطاق مهما ترى للقلب ثاني

ومبسمك قد رق وراق خمر الشتيب الاقحوانى
ومن خدودك يجتني الجلنار لكن يحرق قلب جانيه

بيت :

الحسن كله قد قسم لك جميع وانا غرامك قد قسم لي
فكل كلي للصبابة مطيع فيها قد استحليت ذلي
مالي سوى حسنك اليك من شفيع ساعي اليك في جمع شملي
عساك تنعم لي بقرب المزار فالغصن قد يخضر ذاويه

بيت :

ما كان احلى جمعنا في زرود ما بين هاتيك الاثيلات
وانت مثل الغصن تحت البرود ولك إلى الاحباب ميلات
فليت شعري ماانقضى هل يعود هيهات ولى ذاك هيهات
ابديت من بعد التجافي نفار وودنا كدرت صافيه

وله :

اسعد الله مساك يا دولة بالرضا والنعيم
حين وافيت صبك الموله في دياجي البهيم
مرحباً بك على العيون والرأس حين وافيت غفلة الحراس
في مقام السرور والايناس
كم وكم لي لهذه الليله منتظر من قديم
وانت قد ملت يا رشا ميله وانا بك أهيم
سف كأس المدام مستثنى ان في الراح من لماك معنى
وبخديك جنة تجني
قد حمته صوارم المقله والقوام القويم
فلبعدك بمهجتي شعله مثل نار الجحيم

واكثر شعره في الموشح يتغنى به لرقته ومحاسنه كثيرة لا تحصى ، انتهى .

﴿ فائدة ـ الاشهر الرومية ﴾

تشرين الاول : بارد رطب ، وتهيج فيه الامراض الدموية وتتولد فيه الصفراء ، وفيه يبتديء اشتداد البرد ، ويكره فيه شرب الماء البارد ليلا ، ويكره فيه الجماع والفصد والحجامة ، ويحمد فيه شرب الدواء والله اعلم .

تشرين الثاني : بارد يابس تهيج فيه المرة الصفراء ، ويشتد فيه البرد ، ويحمد فيه شرب الماء المسخن على الريق ، ويحمد فيه اكل الزنجبيل والنخوة والثوم والبصل والكراث والحلف والخردل ، ويحمد فيه الجماع ودخول الحمام ، ويكره فيه اكل لحم البقر والقثاء والسمك والزبد ، ويحمد فيه لبس الصوف والله اعلم .

كانون الاول : هذا الفصل بارد يابس تهيج فيه الامراض السوداوية وتتغير فيه الطبيعة ، ويستحب فيه شرب الماء البارد على الريق ، ويحمد فيه النكاح ويكره فيه أكل الزبد والسمك ، والله اعلم .

كانون الثاني : هذا الفصل حار رطب يهيج فيه الامراض الدموية وتهب فيه رياح مختلفة ، ويكثر فيه المطر والثلج ، ويجري الماء في الاغصان ، ويحمد فيه اكل لحم الطيور ، ويابس الفواكه والثوم والبصل ، ويكره فيه اكل الحلو ، والله اعلم .

شباط : هذا الفصل بارد رطب تهيج فيه الامراض البلغمية ، وتهب فيه الارياح المختلفة ، ويكثر فيه المطر والثلج ، ويكره فيه قطع الخشب وحرث الأرض ويجري الماء في الاغصان ، ويحمد فيه سف الكمون وشرب العسل ، ويكره فيه الفصد والحجامة ، وشرب الدواء ، والله اعلم .

آذار : هذا الفصل حار يابس تهيج فيه الامراض الصفراوية ويحمد فيه الفصد والحجامة ، والقيء وشرب المسهل ، ويؤكل فيه ما كان معتدلا لطيفاً ويشرب فيه الشرابات الحلوة ، ويحذر فيه من اكل البصل والثوم والكراث والسمك المالح

واللحم الغليظ والحوامض ، والله اعلم .

نيسان: هذا الفصل حار رطب تهيج فيه رياح الطبيعة وغاية الصحة ، وتغلب فيه السوداء ، وتهب فيه رياح المشرق ، ويحمد فيه اكل لحم الظباء والكباش والطيور والادهان الطيبة ، ويجتنب فيه الحار مثل الخلف والزنجبيل ، وتحمد فيه الحجامة والفصد وشرب المسهل ، ولبس اللباس النظيف ، والله اعلم .

ايار : هذا الفصل حار ورطب يهيج فيه الدم ، ويحمد فيه شرب الماء البارد على الريق ، ويؤكل فيه السمك مطلقاً وشرب اللبن فيه جيد ، وكذلك المسهل والفصد والحجامة ، وفيه يشتد الحر وتهيج المرة الصفراء والله اعلم .

حزيران : هذا الفصل حار يابس فيه تهيج الامراض الدموية ، وتكثر فيه الامراض المختلفة ، ويحمد فيه أكل الاجاص والرمان الحامض ، ويجتنب فيه اكل الثوم والكراث والبصل ، ويحمد فيه شرب العسل بالماء البارد العذب ، واكل العنب والتمر ، ويكره فيه الجماع ، ويحمد فيه الادهان الطيبة ، والله اعلم .

تموز : هذا الفصل حار يابس تهيج فيه الامراض الصفراوية ، وتهب فيه الرياح ويجتمع فيه السحاب ، وتكثر فيه الامطار ، ويكره فيه مايكره في الشهر الذي قبله ، ويحمد فيه ما يحمد في ذلك ، وفي اليوم الحادي والعشرين من هذا الشهر يطلع سهيل والقطب اليماني ، والله اعلم .

آب : هذا الفصل تهيج فيه امراض عديدة ، وتكثر فيه الجن ، وتكثر فيه الامطار ، ويستحب فيه اكل البارد والحار والحلو والحامض ، ويحمد فيه الفصد والحجامة ، وشرب المسهل والادهان الطيبه والقيء ويكره فيه النكاح إلا لضرورة والله اعلم .

ايلول : هذا الفصل حار رطب تهيج فيه الامراض الدموية والرياح ، ويشتد فيه البرد، ويحمد فيه قطع الخشب، وفيه يبتدىء هيجان المرة الصفراوية ويستحب فيه اكل كل رطب مسخن ، ويكره فيه اكل كل بارد يابس ، ويحمد فيه لبس

الصوف ، واكل لحم الطيور والضأن ، ويحذر فيه من لحم البقر والله اعلم .

حكى خادم المأمون قال : طلبني امير المؤمنين ليلة ، وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي : خذ معك فلاناً وفلاناً ، وسماهما فقال : هما علي بن محمد والآخر دينار الخادم ، واذهب سريعاً لما اقوله لك فان اصحاب الاخبار قد ذكروا في ان شيخاً يحضر ليلا إلى آثار البرامكة وينشد شعراً ويذكرهم ذكراً كثيراً ويندبهم ويبكي عليهم ، ثم ينصرف فامض الآن انت وعلي ودينار حتى تردوا الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر ، فاذا رأيتم الشيخ قد جاء وبكى وندب وانشد شيئاً فأتوني به قال : فاخذتهما ومضينا حتى وردنا الخرابات فاستترنا في بعضها ، وإذا نحن بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسي جديد ، وإذا بشيخ وسيم له جمال وعليه مهابة وصلف فجعل يبكي وينتحب ويقول شعراً :

ولما رأيت السيف جلل جعفراً ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وايقنت انه فصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا
أجعفر ان تهلك فرب عظيمة كشفت ونعمى قد وصلت بها نعمى
فقل للذي ابدى ليحيى وجعفر شماتته اذهب لشانيهما العقبي
لئن زال غصن الملك عن آل جعفر لما زال حتى امر الغصن واستعلى
وما هي إلا دولة بعد دولة تبدل ذا ملكا وتعقب ذا بلوى
على انها ليست تدوم لاهلها ولو انها دامت لكنتم بها اولى
بني برمك كنتم قواعد عزنا وكنتم يمين الجود ما اهتزت اليمنى
بنى برمك كنتم من القد هامة وكنت كنور العين في الهامة العظمى
بنى برمك كنتم نجوما مضيئة بها يهتدي في ظلمة الليل من اسرى
لأيكم ابكي أللفضل ذي الندى أم الشيخ موسى ام لمحبوسكم يحيى
ام الماجد العباس ام لمحمد ام اسحاق ام يعقوب ام احمد المحضى
ام الملك المصلوب من بعد عزة وابكى بكاء المعولات لها الثكلى

لكلكم أبكي بعين غزيرة وقلب مريض لايموت ولايحيا

قال فترا أيناله لما فرغ وقبضناه فجزع وفزع وقال من أنتم ؟ فقلت له أنا من خواص أمير المؤمنين وهذا فلان وفلان قال وما تريدون مني ؟ فأعلمته بما أمر به أمير المؤمنين من أخذه الى مجلسه فقال ذرني أوصي وصية فاني لا آمن العطب على نفسي ثم تقدم الى بعض الدكاكين فاستفتحه وأخرج خاتماً وأخذ ورقة فمهرها وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به فلما دخل الى المجلس ومثل بين يدي امير المؤمنين رزبه ، وقال له : من انت وبماذا استوجبت البرامكة منك ان تفعل مافعلت في خرائب دورهم قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال ياامير المؤمنين للبرامكة عندي ايادي خضرة أفتأذن لي ان احدثك حالي معهم ، قال : قل ، قال : انا يا امير المؤمنين ابن المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك ، زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال ، وركبتني الديون حتى احتجت إلى بيع مسقط رأسي فاشار علي رؤس اهلي بالخروج إلى البرامكة ، فخرجت من دمشق ومعي النساء والصبيان ، وليس معنا ما يباع ولا يرهن حتى دخلنا بغداد ، ونزلنا بباب الشام في بعض المساجد فدعوت بثوبيات لي كنت اعددتها لاستمنح بها الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ، ودخلت شوارع بغداد أسأل عن دور البرامكة فاذا أنا بمسجد من خزف ، وفيه مائة شيخ باحسن زي وزينة ، وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد ، فجلست بين ايديهم وانا اقدم واوخر ، والعرق يسيل مني ، لانها لم تكن صناعتي وإذا بخادم قد اقبل فحدث الخادمين فدخلوا وازعجوا القوم فقاموا وأنا معهم وادخلونا دار يحيى بن خالد البرمكي فاذا هو جالس على دكة له وسط البستان فلما سلمنا عليه وبين يديه عشرة من ولده وإذا غلام امرد حسن عذر خده قد اقبل من بعض المقاصير ، وبين يديه خدم مقرطون بالذهب ، وفي وسط كل واحد منهم منطقة من ذهب يبلغ وزنها الف مثقال ، ومع كل خادم مجمرة من ذهب ولها مرفع من ذهب ، وفي كل مجمرة قطعة من العود ، وقد قرن به مثله من العنبر

السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام إلى جنب يحيى .

ثم ان يحيى قال للقاضي تكلم وزوّج ابنتي عائشة من ابن عمي هذا فخطب القاضي وزوج وشهد اولئك القوم واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا امير المؤمنين ملء كمي ونظرت وإذا نحن وفي الدكة ما بين المشايخ ويحيى بن خالد واولاده والغلام مائة واثنا عشر رجلا ، فخرج مائة خادم واثنا عشر خادما مع كل خادم صينية فضة عليها الف دينار شامية فوضعوا بين يدي كل منا صينية فرأيت القاضي والمشايخ يصبون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت آباطهم ، ويقوم الاول فالاول ، حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا اجسر على اخذ الصينية والدنانير فغمزني الخادم فجسرت واخذتها ، وجعلت الذهب في كمي واخذت الصينية في يدي وقمت وسرت وجعلت التفت إلى ورائي مخافة ان امنع من الذهاب فبينا انا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني إذ قال للخادم ائتني بذلك الرجل ، فرددت اليه فامر بسلب الدنانير ووضع الصينية وما كان في كمي من العود والعنبر ثم امرني بالجلوس فجلست فقال لي: ممن الرجل؟ فقصصت عليه قصتي ، فقال للخادم احضر ابني موسى فحضر ، فقال يا بني هذا الرجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وحرمتك فقبض موسى على يدي واخذني إلى دار من دوره ، واكرمني وعاشرني يومي وليلتي اكلا وشربا وانساً .

فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال له : ان الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى ، وقد علمت اشتغالي في دار امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ، ففعل .

فلما كان من الغد تسلمني اخوه احمد ، ثم لم ازل في ايدي القوم يتداولوني عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني اهم في الاموات أم في الاحياء !

فلما كان في اليوم العاشر رفعت إلى الفضل ، فعطف علي وزادني في الكرامة فلما كان في اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا : قم واخرج إلى عيالك بسلام ، فقلت في نفسي: واويلاه سلبت الدنانير والصينية وقد

هلك اهلي واخرج اليهم على هذه الحالة ، انا لله وانا اليه راجعون ، فرفع لي الستر الأول ، ثم الثاني ، ثم الثالث ، ثم الرابع ، فلما رفعت الستر الآخر قال لي الخادم : مهما رأيت فهو لك ، ونحن مأمورون بجميع ما تأمرنا ! فلما رفع الستر السادس رأيت حجرة كالشمس حسناً ونوراً واستقبلني فيها رائحة العنبر والمسك والعود والند ، وإذا بصبيانى يتقلبون في الحرير والديباج ، وإذا قد حمل إلي الف الف درهم مبدرة وعشرة آلاف دينار وقبالتين بضيعتين ، وتلك الصينية التي خرج لنا فيها بنادق المسك والدنانير .

فبقيت يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أنا من البرامكة ام رجل غريب اصطنعوني ، فلما جاء القوم البلية ، ونزل بهم من امير المؤمنين هارون الرشيد ما نزل قصدني عمرو بن مسعدة وألزمني في هاتين الضيعتين ما لا بد بدخلهما ، فلما تحامل علي الدهر كنت في اواخر الدهر اقصد خرابات القوم فاندبهم ، واذكر حسن صنيعهم إلي وفاءاً لاحسانهم .

فقال المأمون : علي بعمرو بن مسعدة ، فلما اتى به قال له المأمون : يا عمرو أتعرف هذا الرجل ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين هو من بعض صنايع البرامكة ، قال : كم ألزمته في ضيعته ؟ قال : كذا وكذا ، قال : رد عليه كل ما اخذته في مدته وضيعته تكون له ولعقبه من بعد ، فعلا نحيب الرجل وبكاؤه ، فقال له المأمون : احسنت اليك فما يبكيك ؟ قال يا امير المؤمنين هذا ايضاً من صنايع البرامكة أرأيت يا امير المؤمنين لو لم آت خرائبهم فابكيهم واندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي ما فعل ، من اين كنت اصل إلى امير المؤمنين ؟

قال ابراهيم بن ميمون فوالله لقد رأيت المأمون وعيناه قد دمعت وظهر على وجهه حزنه على القوم ، وقال هذا لعمري من صنايع البرامكة :

فعليهم فابك وإياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر

انتهى . . .

﴿ ترجمة ابى الوليد معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن ﴾

(شريك بن الصلب - بضم الصاد المهملة وسكون اللام)

(آخره باء موحدة - واسمه عمرو بن قيس بن)

(شراحيل بن هلال بن مرة بن ذهل)

(ابن شيبان الشيبانى)

كان شجاعا جواداً جزيل العطاء ، كثير المعروف ممدوحا مقصوداً .

وكان مروان بن ابى حفصة الشاعر المشهور خصيصاً به واكثر مدائحه فيه وكان معن في ايام بنى امية متنقلا في الولايات والمناصب العلية الجليلة ، ومنقطعاً إلى يزيد ابن عمرو بن هبيرة الفزاري امير العراقين .

فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وجرى بين ابى جعفر المنصور العباسى وبين يزيد بن عمرو المذكور من محاصرته اياه بمدينة واسط مشاهد مشهورة وحروب مذكورة ابلى يومئذ معن مع يزيد المذكور بلاء حسناً ، واظهر شجاعته فلما قتل يزيد خاف معن من المنصور فاستتر عنه مدة وجرى له في مدته غرائب لا تحصى . فمن ذلك ما حكاه مروان بن ابى حفصة الشاعر المذكور قال : اخبرنى معن ابن زائدة وهو يومئذ والي اليمن ان المنصور جد في طلبي وجعل لمن يحملنى اليه مالا فاضطررت لشدة الطلب إلى ان تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي وخففت عارضى ، ولبست جبة من صوف ، وركبت جملا وخرجت متوجهاً إلى البادية لأقيم فيها ، فلما خرجت من باب حرب وهو احد ابواب بغداد تبعني عبد اسود متقلداً بسيف حتى إذا غبت عن الحراس قبض على خطام الجمل ، واناخه وقبض على يدي فقلت : ما لك؟ فقال انا انت طلبة امير المؤمنين ، قلت : ومن انا حتى اطلب ؟ قال : انت معن بن زائدة الشيبانى ، فقلت : يا هذا اتق الله ، وأين انا من معن ؟ فقال: يا هذا والله انى لاعرف بك منك ، فلما رأيت منه الحديث الجد ، قلت له : هذا

جوهر قد حملته معي باضعاف ما جعله لك المنصور فخذه ولا تكن سبباً في سفك دمي ، قال : فأريه ؟ فاخرجته اليه ، فنظر اليه ساعة وقال : صدقت في قيمته ولست قابله حتى اسألك عن شيء فان صدقتني اطلقتك ، فقلت له : قل ، فقال : ان الناس قد وصفوك بالكرم والجود ، فاخبرني هل وهبت مالك كله ، فقلت : لا ، قال : فنصفه ، قلت : لا ، قال : فثلثه ، قلت : لا حتى بلغ العشر ، فاستحييت ، فقلت : أظن اني قد فعلت هذا فقال : وما ذاك بعظيم ، ثم قال : انا والله رجل ضعيف ورزقي من المنصور كل شهر عشرون درهما ، وهذا الجوهر قيمته الوف دنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك وكرمك المشهور بين الناس ، ولكن تعلم ان في الدنيا من هو اجود واكرم منك ، فلاتعجب بنفسك واحتقر بعد هذا كل شيء تفعله ، ولا تتوقف عن الكرم والجود ، ثم رمى الجوهر في حجري وترك خطام البعير وولى منصرفا ، فقلت له : يا هذا والله لقد اخجلتني ولسفك دمي اهون علي مما صنعت بي ، فخذ هذا الجوهر فاني غني عنه فضحك وقال : اردت ان تكذبني في مقالي هذا والله لا اخذته ولا اخذت لمعروفي منا ابداً ومضى لسبيله ، فو الله لقد طلبته بعد ان امنت وبذلت جهدي لمن يجيء به لأجازيه على احسانه ، فما عرفت له خبراً ، وكأن الارض ابتلعته .

ولم يزل معن مستتراً حتى كان يوم الهاشمية ، وهو يوم مشهور ثارت فيه جماعة من اهل خراسان على المنصور ، فوثبوا عليه ، وجرت مقتلة عظيمة بينهم وبين اصحاب المنصور بالهاشمية المذكورة ـ وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة وذلك في ذي القعدة سنة اربع وثلاثين ومائة ـ .

وكان معن بن زائدة المذكور متواريا بالقرب منهم ، فخرج متنكراً ممتطيا متلثما ، فتقدم إلى القوم وقاتل قدام المنصور قتالا شديداً اظهر فيه نجدته وشجاعته وشهامته ، وفرقهم عن المنصور يميناً وشمالا ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فلما افرج القوم عن المنصور ، اقبل على المنصور ، وقبل ركابه ، فقال : ويحك من انت الذي

كشفت هـذه الشدة ، فـكشف لثامه وقال : انا طلبتك يا امير المؤمنين ، انا عبدك معن بن زائدة فآمنه المنصور واكرمه وحباه وكساه وصلّه من خواصه ، ثم دخل بعد هذه الوقعة بايام قلائل على المنصور المذكور ، فلما نظر اليه قال له : هبه يا معن تعطى مروان بن ابي حفصة مائة الف درهم على قوله فيك :

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان

فقال : لا يا امير المؤمنين انما اعطيته على قوله في هذه القصيدة :

ما زالت يوم الهاشمية معلماً بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته وكنت وفاءه من وقع كل مهند وسنان

فقال له : احسنت يا معن ما اكثر وقوع الناس في قومك ؟ فقال يا امير المؤمنين :

ان المرانين تلقاها محسدة ولاترى للئام الناس حسادا

ودخل عليه يوما وقـــد اسن فقال له : كبرت يا معن ! فقال : في طاعة امير المؤمنين ، فقال له : وفيك بقية ، فقال : هي لأمير المؤمنين ، فقال له : وانك لجلد ، فقال على اعداء امير المؤمنين ، وعرض هذا الكلام على عبد الرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة ، فقال : ويح هذا ما ترك لربه شيئاً .

واشتهرت قصائد مروان بن ابي حفصة الشاعر في معن بن زائدة واحسنها القصيدة اللامية التي ذكر بعضها ابن خلكان في ترجمة مروان وأولها :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم اسود لها في بطن خفان اشبل

هم يمنعون الجار حتى كأنهم لجارهم بين السماكين منزل

بها ليل في الاسلام سادوا ولم يكن كاولهم في الجاهلية اول

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا اجابوا وان اعطوا اطالوا واجزلوا

وما يستطيع الفاعلون فعالهم وان احسنوا في النائبات واجملوا

وهي طويلة تناهز الستين بيتاً ، ولولا خوف الاطالة لذكرتها .

ولمعن المذكور اشعار جيدة ، واكثرها في الشجاعة ، فمن ذلك قوله في

خطاب بن اخي عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وقد رآه يتبختر بين السماطين ، وكان قبل ذلك قد لقي الخوارج ففر منهم :

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم وصبرت عند الموت يا خطاب
نجاك جرار العنان كأنه تحت المجاج اذا سبحت عقاب
وتركت صحبك والرماح تنوشهم وكذاك من قعدت به الانساب

وقال ابو عثمان المازني النحوي حدثني صاحب شرطة معن قال : بينما انا راجل على رأس معن إذ هو براكب يوضع ، فقال : اظن الرجل لا يريد غيري ثم قال لحاجبه : لا تحجبه ، قال : فجاء حتى مثل بين يديه وأنشد :

اصلحك الله قل ما بيدي فما اطيق العيال إذ كثروا
اناخ دهري رحى بكلكله فارسلوني اليك وانتظروا

فقال له معن وقد اخذته الأريحية : إذن والله لأعجلن رجوعك اليهم ، ثم قال : يا غلام ناقتي الفلانية والف دينار فدفعهما اليه ، وهو لا يعرفه ، واخبار كرمه كثيرة ، وقد قدمنا في هذا الكتاب بعض اخباره .

وكان ولي سجستان في اواخر امره ، وانتقل اليها وله فيها مآثر مشهورة وقصده الشعراء بها .

فلما كان سنة احدى وخمسين ، وقيل اثنتين وخمسين ، وقيل ثمانية وخمسين ومائة ، كان في داره صناع يعملون له شغلا فأندس بينهم قوم من الخوارج فقتلوه ، وهو يحتجم ، ثم تبعهم ابن اخيه يزيد بن مزيد بن زائدة فقتلهم باسرهم .

وكان قتله بمدينة بست ، ولما قتل رثاه الشعراء باحسن المراثي ، فمن ذلك قول مروان بن ابي حفصة المختص به المذكور ، وهي قصيدة من افخر الشعر واحسنه واولها :

مضى لسبيله معن وابقى مكارم لن تبيد ولن تزالا
كأن الشمس يوم اصيب معن من الاحزان ملبسة جلالا

هو الجبل الذي كانت نزار تهد من العدو به الجبالا
وعطلت الثغور لفقد معن وقد يروي به الاسد النهالا
واظلمت العراق واورثتها مصيبته المجللة اختلالا
وظل الشام يرجف جانباه لركن العز حين وهى ومالا
وكادت من تهامة كل ارض ومن نجد تزول غداة زالا
فان يعلو البلاد له خشوع فقد كانت تطول به اختيالا
اصاب الموت يوم اصاب معنا من الاحياء اكرمهم فمالا
وكان الناس كلهم لمعن إلى ان زار حفرته عيالا
ولم يك طالب المعروف ينوى إلى غير ابن زائدة ارتحالا
مضى من كان يحمل كل ثقل ويسبق فيض نائله السؤالا
وما عهد الوفود بمثل معن ولا حطوا بساحته الرحالا
ولا بلغت اكف ذوي العطايا يميناً من يديه ولا شمالا
وما كانت تجف له حياض من المعروف منزعة سجالا
لابيض لا يعد المال حتى يعم به بغاة الخير مالا
فليت الشامتين به فدوه وليت العمر مد له فطالا
ولم يك كنزه ذهباً ولكن سيوف الهند والحلق المذالا
ومارية من الخطى سمرا يرى فيهن لينا واعتدالا
وذخرا من محامد باقيات وفضل تقى به التفضيل نالا
مضى لسبيله من كنت ترجو به عثرات دهرك ان تقالا
فلست بمالك عبرات عين ابت بدموعها إلا انهمالا
وفي الاحشاء منك غليل حزن كحر النار يشتمل اشتعالا
وقائلة رأت جسمي ولوني معاً عن عهدها قلبا نحالا
ارى مروان عاد كدى نحول من الهندي قد فقد الصقالا

رأت رجلا يراه الحزن حتى اضربه واورثه خبالا
فقلت لها الذي انكرت مني لفجع مصيبة ابكى وغالا
وايام المنون لها صروف تقلب بالفتى حالا فحالا
كأن الليل واصل بعد معن ليالي قد قرن به فطالا
فلهف ابى عليك إذا العطايا جعلن منى كواذب واعتلالا
ولهف ابي عليك إذا اليتامى غدوا سغباً كان بهم شلالا
ولهف ابى عليك إذا القوافي لممدوح بها ذهبت طلالا
ولهف ابى عليك لكل هيجا لها تلقى حواملها السجالا
اقمنا باليمامة إذ بنينا مقاما لا نريد له زيالا
وقلنا اين نرحل بعد معن وقد ذهب النوال فلا نوالا
وما شهد الوقائع منك امضى واكرم مقدماً واشد بالا
سيذكرك الخليفة غير قال إذا هو في الامور بلى الرجالا
وما تفنى وقائعك اللواتى على اعدائه جعلت وبالا
وممتركا شهدت به حفاظاً وقد كرهت فوارسه النزالا
حباك ابو امية بالمراثي مع المدح الذي قد كان قالا
اقام وكان نحوك كل عام يطيل بواسط الرحل اعتقالا
والقى رحله اسفا وآلى يميناً لا يشد له الرحالا

وهذه المرثية من احسن المراثى .

ودخل مروان بن ابى حفصة هذا على جعفر البرمكي ، فقال له ويحك انشدنى مرثيتك في معن فأنشأ يقول :

وكان الناس كلهم لمعن إلى ان زار حفرته عيالا

حتى فرغ من القصيدة وجعل جعفر يرسل دموعه على خديه ، فلما فرغ قال له جعفر : هل اثابك على هذه المرثية احد من ولده واهله شيئاً ؟ قال لا ، فقال جعفر

فلو كان معن حياً مريضاً ، ثم سمعها منك كم كان يثيبك عليها ؟ قال اصلح الله الوزير اربعمائة دينار . قال . فانا نظن انه كان لا يرضى بذلك ، فانا قد امرنا لك عن معن رحمه الله بالضعف مما ظننت وزدناك نحن مثل ذلك ، فأقبض من الخازن الفاً وستمائة دينار قبل ان تنصرف إلى رحلك ، فقال مروان يذكر جعفراً وما سمح به عن معن :

نفحت مكافياً عن قبر معن لنا مما تجود به سجالا
فعجلت العطية يا ابن يحيى لنادية ولم ترد المطالا
وكافأ عن صدى معن جواد باجود راحة بدل النوالا
بنى لك خالد وابوك يحيى بناء في المكارم لن ينالا
كان البرمكي بكل مال تجود به يداه يفيد مالا

ثم قبض المال وانصرف .

ومن المراثى النادرة ايضاً ابيات الحسين بن مطير الاسدى يرثي معن بن زائدة ايضاً وهى :

ألما على معن وقولا لقبره سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
فيا قبر معن كنت اول حفرة من الارض خطت للمكارم مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
فتى عاش في معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مترعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى واصبح عرنين المكارم اجدعا

واحاديث معن كثيرة ، ومكارمه شهيرة ، والله ولي التوفيق ، وبالله المستعان .

فلما كان خامس عشر شعبان المعظم عام الف ومائة واربعين من هجرة النبي المكرم رحلنا من المدينة المنورة على ساكنها افضل الصلاة واز كى السلام وسرنا إلى بيت الله الحرام صحبة الجناب الرئيس التاجر نجل الاعاظم الاكابر الخواجا احمد خوج

ومعنا الجناب الغني عن الالقاب الخطيب عبد الله البري ، فقيلنا في آبار علي ، ثم سرنا فاتينا الفريش ـ وقد سبق ذكر هـذه المنازل ـ . ثم رحلنا فاتينا النازية ، ثم شعب الحاج ، ثم الصفراء ، ثم بدرا ، ثم خبت البزوا ، ثم مستورة ، ثم رابغ ، ثم سبيل كلية ـ وهو سبيل مبنى للماء في بر أقفر ـ والآن هدم ذلك السبيل ، ثم خليص ـ وهو وادبه بعض النخيل وبه عين ماء ضعيفة وبركة عظيمة وهواؤه وخيم ـ ثم القمرا وهو واد اقفر .

ثم رحلنا في وقت ازهر فاتينا وادي مر وهو المشهور في زماننا هذا بوادي فاطمة ، به النخيل المتراكمة والمياه المتلاطمة والاشجار المؤتلفة والاطيار المختلفة .

شعر :

لله ايام بوادي فاطمة فكم قضينا فيه من منادمه
بمجمع به التهانى داعه واعين الحساد عنا نائمه

فلما اسفر صبح ثامن وعشرين من شعبان دخلنا مكة وفزنا بزيارة بيت الله ذي الاركان ونحن في فرح وأمان وارخت دخولي بقولي :

قد سحت عشر سنين مع اثنين يا صحبي وجلت
ومشيت في ارض المهيمن ذي العطاء كما امرت
ورزقت وافر رزقه ولفضله الوافي شكرت
ورأيت خلق الله شرقا ثم غربا واعترفت
ورجعت ابغي طيبة وضريح خير الخلق زرت
وغدوت قاصد مكة وبيت مولاي وفدت
وقضيت كل مناسكي وسعيت فيها ثم طفت
فالحمد لله الذي بجميع ما ارجو ظفرت
ولقد اتى التاريخ في ام القرى بهنا وردت

ونزلت بدار ابن عمي السيد الجليل الكريم النبيل الامجد الانجد السيد نورالدين

ابن احمد ، وقد كان فريد عصره في الكرم والاخلاق الرضية والهمم .

توفى سنة الف ومائة وخمس وثلاثين ، ودفن بالمعلات بمقبرة جدي السيد نورالدين ، مقابل ضريح خديجة الكبرى ام المؤمنين عليه رحمة رب العالمين وكنت اولا قد نزلت بدار السيد الجليل اللوذعي الفاضل النبيل ابن عمي السيد رضي الدين ابن العلامة الفهامة السيد محمد حيدر قدس الله روحه .

واجتمعت بمفتي مكة المشرفة العالم العامل المصقع الفاضل الرئيس العظيم الماجد الشهم الكريم مولانا الشيخ تاج الدين بن الشيخ عبد المحسن القلعي وبابنه العالم العلامة ذي المجد والشهامة ، الشيخ عبد المنعم القلعي .

واجتمعت بالامام العالم الهمام ذي المكارم ، صاحب الولاية والفضيلة مولانا الشيخ محمد بن احمد عقيلة ، وباخيه الشيخ عمر عقيلة .

واجتمعت بالسيد العالم الرئيس نجل الاعاظم مولانا السيد عمر بن السيد احمد العلوي . واجتمعت بشيخي واستاذي ، وكهفي وملاذي العالم الورع الزاهد الصالح الناسك العابد ، الذي لسائر العلوم مشهور ، مولانا السيد عبد الله باعلوي نجل السيد جعفر الملقب بمدهر .

واجتمعت بالامام العالم الشهير ، الزاهد الناسك الكبير من هو من كل عيب بري ، امام المقام الابراهيمي ، مولانا السيد محمد بن الامام السيد علي الطبري ، وباخيه الامام السيد عبد الوهاب الطبري .

واجتمعت بالالمعي اللبيب اللوذعي الاديب ، شاعر الحجاز بالاجماع الشيخ سالم الصفدي الشماع . وباخيه الشيخ عبد الكريم الشماع .

واجتمعت بالجناب الرئيس ، الشاعر الماهر النفيس ، اليلمعي الخبير الشيخ عبد الرحمن بن علي الوزير .

واجتمعت برئيس مكة على الاطلاق الذي انعقد على رأسه الوفاق ، عزيزي وسندي وذخري مولانا الشيخ سالم بن المجتهد العلامة الشيخ عبد الله البصري .

واجتمعت بالسيد الشريف الهزبر الغطريف السيد بشير بن مبارك بن فضل الحسني ، وقد كان فريد عصره رحمه الله تعالى .

توفى سابع شهر رمضان سنة الف ومائة واربعين ، وخطب عليه الرئيس من اعلى المقام ، على سالف اجداده الكرام ، ودفن بالمعلاة بمقبرة جدى السيد نور الدين مقابل ضريح السيدة خديجة الكبرى ام المؤمنين عليه رحمة رب العالمين

واجتمعت بالجناب ذي الفضل والاحسان ، مولانا علي جلبي بن المرحوم ابراهيم جلبي حميدان ، وبالجناب الرئيس عين الاعيان ، مولانا زين العابدين جلبي ابن المرحوم مصطفى حميدان . وبابن عمه ابى بكر بن المرحوم سليمان حميدان .

واجتمعت بكثير من اعزاء مكة الكرام ، عليهم منى افضل التحية وازكى السلام .

سلامي على سكان مكة والحمى ومن حل في تلك الديار وحيا
فكم لي فيها من صديق الفته وخل كريم بعده القلب كلما
عسى من قضى بالبعد بيني وبينهم يمن علينا بالتلاقى تكرما

﴿ ترجمة أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى ﴾

قال ابن خلكان ، وقيل يزيد بن كثير بن غالب صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير : كان اماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه ، وغزارة فضله وكان من الأئمة المجتهدين لم يقلد احداً .

وكان ابو الفرج المعافى زكريا النهرواني المعروف بابن طراز على مذهبه .

قال ابن خلكان : ورأيت في بعض المجاميع هذه الابيات منسوبة اليه :

إذا اعسرت لم يعلم شقيقي واستغنى فيستغنى شقيقي
حيائي حافظ لي ماء وجهي ورفقي في مطالبتي رفيقي

ولو انى سمحت ببذل وجهي لكنت إلى الغنى سهل الطريق

وكانت ولادته سنة اربع وعشرين ومائتين بآمل طبرستان. وتوفى يوم السبت آخر النهار ، ودفن يوم الاحد في داره ، في الثالث والعشرين من شوال سنة عشر وثلاثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى .

قال ابن خلكان : ورأيت بمصر في القرافة الصغرى عند سفح المقطم قبراً يزار ، وعند رأسه حجر مكتوب عليه : هذا قبر ابن جرير الطبرى والناس يقولون هو صاحب التاريخ ، وليس بصحيح ، بل الصحيح انه ببغداد .

وكذلك قال ابن يونس في تاريخ مصر المختص بالغرباء : انه توفى ببغداد . وابو بكر الخوارزمى الشاعر المشهور هو ابن اخيه ، والله ولي التوفيق وهو نعم الرفيق .

قيل ان عمرو بن هند عم النعمان بن المنذر ملك الحيرة في زمن كسرى كان له اخ مسترضع في بنى تميم فخرج يوما متصيداً ، فمر بأبل من بني تميم فعقر منها ناقة ، فجاء صاحبها فوثب عليه فقتله ، فنذر عمرو ـ وكان شديد البأس ـ ان يقتل من بنى تميم مائة من خيارهم بدل ذلك المقتول ، فغزاهم يوماً في اورات فسبى من اصاب من بلادهم ، واقبل يقتلهم وآلى ليقتلنهم حتى يبلغ الارض الدم ، وليحرقنهم فقيل له : ايها الملك لترفعن او فقد افنيتهم ، فقال : والله لا تركتهم او يأتونى بمائة رجل من خيارهم ، فطلبوا فلم يوجد منهم إلا تسعة وتسعون رجلا ، فلما جيء بهم امر فاحتفرت لهم حفرة واضرم فيها ناراً والقوا فيها رجلا رجلا ، وبقى واحداً إذ اقبل رجلا منهم من البراجم كان ابصر الدخان ، ووجد قتار لحومهم على بعد فظن انه طعام يصطنع للناس ، فلما رأى ما رأى جزع ، فقال عمرو : انظروا ممن الرجل ؟ فأتى به اليه فقال له : ممن انت ؟ فقال : من البراجم ! فقال عمرو : ان الشقى وافد البراجم ، القوه في النار ليتم نذرى ، فتم نذره وارسلها مثلا ، والبراجم من بني تميم ، انتهى .

﴿ فائدة ـ ما في القرآن المجيد ﴾

الكلمات : ٧٦٤٤٠ ، الحروف : ٣٢٣٣٧٢ ، الالفات : ٤٠٧٩٢ ، الباآت : ١٠١٤٠ ، التاآت : ٢١٩٩ ، الثاآت : ١٢٥١ ، الجيمات : ٣٤٩٣ ، الحاآت : ٩٥٦٠ ، الخاآت : ٢٤١٥ ، الدالات : ٤٣٩٨ ، الذالات : ٤٨٤٠ ، الراآت : ١٠٩٠٢ ، الزايات : ٩٠٨٣ ، السينات : ٤٠٩١ ، الشينات : ٢٠١٣٣ ، الصادات ١٢٧٤ ، الضادات : ١٢٠٠ ، الطاآت : ٨٤٠٠ ، الظاآت : ٩٢٢٠ ، العينات : ٧٤٩٩ ، الغينات : ١٥٢٠ ، الفاآت : ٩٥٠٠ ، القافات : ٥٢٤٠ ، الكافات : ٢٦٠٠ ، اللامات : ٢٦٠٩١ ، الميمات : ٢٥٢٠ ، النونات : ١٣٧٠٠ ، الواوات ١٣٧٠٠ ، الهاآت : ٧٠٠٠ ، الياآت : ٥٠٦٢ .

قال الشيخ الامام الخليل بن احمد : قد جمعت الحروف كلها مع معانيها التي وردت عن العرب ، وقد الفتها على حسب ماسنح لي ، وأسأل الله التوفيق في جميع الامور والاحوال ، والنية والآمال ، انه ولي الاجابة والقادر عليها .

﴿ فائدة ـ ذكر معاني اسماء حروف الهجاء من لغة العرب ﴾

الالف : الرجل الفريد في الفضائل ، قال اويس : هنالك انت الالف المهبا .

الباء : الرجل الكثير الجماع ، قال المؤمل :

انبئت انك باء حين تلقاها وفي المعارك لاتستعمل الباها

التاء : البقرة التي تحلب دائماً ، قال المهلل :

وانى في الهيجاء فارس حومة وجدك عبد يحلب التاء دائما

اقول : والتاء الناقة التي تحلب دائماً ، قال الشاعر :

وإذا الفتى اضحى كتاء ناقياً فلنفسه بنيان مجد شيدا

الثاء : هي العين من كل شيء ، قال ابو زيد :

إذا ما اتى ضيف وقد حلل الدجى اجيب بثاء اللحم والخبز والسكر

أقول : والثاء اللين من كل شيء ، قال الشاعر :

فارفق ولن واخفض جناحك المورى كالثاء ان من اللبان تمجدا

الجيم : الجمل القوى ، قال عمرو :

تجدنى جيما في الوغى ذا شكيمة تري البر فيها راتعات هواربا

الحاء : المرأة السليطة ، قال ابو الرويداء :

تمشى بنو العنقاء وابن مخرق وانت ابن حاء اخرها مثل منجل

الخاء : شعر الاست ، قال المنقرى :

ولاستك خاء في التواء كأنه حبال بايدى الساقيات الموانح

الدال : المرأة السمينة ، قال ابن الزعبرى :

خوداء عطبولة برهرهة دال كأن الدلال خص بها

الذال : عرف الديك ، قال الحارث اليشكرى : كذاك الذال يأتلف ائتلافا .

اقول : ولم يبين الخليل معنى الراء ، وهو القراد الصغير ، قال الشاعر :

لا تغبن عن كاشحيك حقارة فالراء اضحى للفيول مهددا

الزاى : الرجل الكثير الاكل ، قال اويس :

إذا اختلف الشواء يكون زاء وعند الناس رأيا جعفريا

السين : الرجل الكثير اللحم والشحم .

أقول : والسين الغنى البخيل ، قال العتابى :

يجود على العفاة بكل من إذا ما السين شح بما يراد

الشين : الرجل الكثير الجماع ، قال ابن الزعبرى :

إذا ما القلب تاه بحاجبيه فانت الشين تفخر بالجماع

الصاد : الديك المتمرغ في التراب ، قال عدى :

فأني إذا ما غبت عني مبعداً كأنى صاد في الثرى يتململ

أقول : والصاد الصفر والنحاس .

قال محمد :

لا تسألن الرفد من ذى ضنة قد ذاب مثل الصاد إذ ما استرفدا

الضاد : الهدهد ، قال عدى :

كأنى ضاد يوم فارقت مالكا انوء إذا رمت القيام واكسل

الطاء : الشيخ الذى لا يصبر عن الجماع ، قال ابن ابى سلمى :

اني وان قل في الهوى طمعي طاء الجماع قوي غير ذي عنف

الظاء : المرأة الغليظة الثديين ، قال لبيد :

انكحت من حي عجوزاً هرمة ظاء الثدي كالجبال هدرمة

العين : سنام الابل ، قال معن بن زائدة :

ألا رب عين قد نحرت لطارق فاطعمته من عينه واطايبه

أقول : والعين الذهب العسجدى ، قال الشاعر :

العين للانسان قرة عينه فاجمع هديت إذا استطعت العسجدا

الغين : الابل الواردة ، قال ابو المؤيدى :

تراءت لعين المدلجين نويرة وقد وردت غين صويب المنائحا

أقول : والغين السحاب ، قال محمد :

وانثر بمثل الغين مالك ان ترد تقى الناس عزاً او تؤمل سوددا

الفاء : زبد البحر ، قال الطائي :

وما مزبد طاء يجيش بفائه باجود منه يوم يأتيه سائله

أقول : ولم يبين الخليل معنى القاف ، وهو الرجل العاقل المدبر ، قال الشاعر :

كن عاقلا قافاً برأيك حازماً وخض الامور لكي تصير منجدا

الكاف : الرجل المصلح والعفيف ايضاً قال كثير :

جواد إذا ما جئت تبغي نواله وكاف إذا ما الحرب شب شبابه

اللام ؟ الشجر المثمر ، قال الثقفي :

اصبحت في روضة زهراء مونقة ولامها من رياح الري يرتعد

الميم : الخمر ، قال العبد الرماني :

هذا البديع قد بدا للنظر فامزج الميم بماء المطر

النون : الحوت ، قال الله تعالى: (وذا النون) أي صاحب الحوت ـ يعني يونس عليه السلام ـ .

والنون ايضاً الدواة ، قال الله تعالى (نون والقلم) وذلك رواية ابن عباس وفي ذلك انشد ابن ذهيل :

نونان نونان لم يخططهما قلم في كل نون من النونين عينان

الواو : البعير ذو السنام ، قال ابو ذؤيب الهذلي :

وكم مجهد اغنيته بعد فقره فآب بواو محتد وسوام

الهاء : اللطمة في خد الصبي ، قال ابو ميسره :

كأن خديه وقد لثمته هاء غزال يافع لطمته

اللام الف :شمع النمل ، قال الاخطل :

امش الهوينا على رسل لتلحقه وان عجلت فقد تلحق بلام الف

الياء : الناحية ، قال عمرو :

تيممتها بالياء صيفاً رأيتها كبدر منير طالع ليلة القدر

قال ابن حزم في مراتب الاجماع : واجمعوا على ان ليلة القدر حق ، وهي في السنة ليلة واحدة ، انتهى .

ومنهم من قال : هي في مجموع شهر رمضان .

ومنهم من قال : هي في افراد العشر الأواخر ، ومنهم من قال : هي في السابع والعشرين ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو مأخوذ من عدد حروف ليلة القدر تسعة احرف ، وهي مذكورة ثلاث مرات ، فيكون سبعة وعشرين .

ومنهم من قال : هي في مجموع السنة لا يختص بها رمضان ولا غيره ، وروي ذلك عن ابن مسعود ، وقال : من يقم الليل يصبها .

ومنهم من قال : رفعت بعد النبي ﷺ إذ كان فضلها انزول القرآن .

والذين قالوا انها في مجموع رمضان اختلفوا في تعيينها على ثمانية اقوال :

قال ابن رزين : هي الليلة الاولى . وقال الحسن البصري : في السابعة عشرة وقال انس : في التاسعة عشرة ، وقال محمد بن اسحاق : في الحادية والعشرين ، وقال ابن عباس : في السابعة والعشرين ، وقال ابن مسعود : في الرابعة والعشرين ، وقال ابو ذر : في الخامسة والعشرين .

ومن قال انها لا تختص برمضان يلزمه اذن لو قال لزوجته انت طالق ليلة القدر انها لا تطلق حتى يحول عليه الحول لانها قد تكون مرت بيقين لان النكاح امر متيقن لا يزال إلا بمثله ، وكونها في رمضان امر مظنون .

وفي هذا التفقه نظر ، لان الاحاديث الصحيحة التي تثبت بخبر الآحاد توجب العمل ولا تفيد العلم .

وقيل في تسميتها بليلة القدر وجوه احدها : انها ليلة تقدير الامور والاحكام قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : ان الله تعالى قدر ما يكون في تلك السنة فيها من رزق واحياء واماتة ، إلى مثل هذه الليلة .

وقيل : القدر الضيق لان الارض تضيق على الملائكة تلك الليلة .

وقيل : القدر للفاعل متى اتى فيها بالطاعة ، كان ذا قدر وشرف .

وقيل : نزل فيها كتاب ذو قدر وشرف عظيم . وقيل : غير ذلك .

واعلم ان الله تعالى لا يحدث تقديره في هذه الليلة لانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض في الازل (وكل شيء احصيناه في كتاب مبين) وهو ارحم الراحمين .

كان الشيخ عزالدين إذا قرأ القارىء عليه من كتاب وانتهى إلى آخر أي باب

من ابوابه لا يقف عليه ابداً ، بل يأمر القارىء ان يقرأ من الباب الذي بعده ولو سطراً واحداً ، او يقول ما اشتهى ان تكون ممن يقف على الابواب .

قال الصفدي رحمه الله : رأيت لابي القاسم الجرجاني مصنفاً قد قسم فيه اللام إلى احدى وثلاثين قسما وهي : لام التعريف ، ولام كي ، ولام الاستحقاق ، ولام الملك ، ولام الجحود، ولام ان ، ولام الابتداء ، ولام التعجب ، ولام تدخل على المقسم به ، ولام جواب القسم ، ولام المستعان به ، ولام المستعان من اجله ، ولام الامر ، ولام المضمر ، ولام تدخل في النفي بين المضاف والمضاف اليه ، ولام تدخل على الفعل المستقبل ، ولام لازمة في القسم لا يجوز حذفها ، ولام تلزمه ولام ان المكسورة إذا خففت من المثقلة ، ولام العاقبة ، ولام الصيرورة عند الكوفيين ، ولام التبيين ، ولام لولا ، ولام التكبير ، ولام تزاد في عندك وما اشبهه ولام تزاد في لعل ، ولام ايضاح المفعول من اجله ، ولام تعاقب حروفها ، ولام تكون بمعنى إلى ، ولام توصل الافعال إلى مفعولين .

كتب بعض الافاضل مع كرسي اهداه لبعض الافاضل شعراً :

اهديت شيئاً يقل لولا احدوثة الفال والتبرك
كرسي تفاءلت فيه لما رأيت مقلوبه يسرك

﴿ ترجمة الملك عضد الدولة أبي شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة ﴾

قال الثعالبي في يتيمة الدهر : كان على ما مكن له في الارض ، وجعل له من ازمة البسط والقبض ، وخص من رفعة الشأن واولى من سعة السلطان ، يتفرغ للادب ويتشاغل بالكتب ، ويؤثر مجالسة الادباء على منادمة الامراء ، ويقول شعراً كثيراً ، نخرج منه ما هو من شروط هذا الكتاب من الملح والنكت ، وما ادري كم فصل بارع ووصف رائع قرأته للصاحب في وصف شعر عضد الدولة وطلب امد الابلاغ في مدحه .

(فمن ذلك) وأما قصيدة مولانا فقد جاءت ومعها عزة الملك وعليها رداء الصدق ، وفيها سيما العلم ، وعندها لسان المجد ، ولها مثال الحق .

ومنه شعر قد حبس خدمته على فكره ، ووقف كيف شاء على امره ، فهو يكتب في غرة الدهر ، ويشدخ في جبهتي الشمس والبدر .

ومنه لا غرو إذا فاض بحر العلم على لسان الشعرا ، ان ينتج ما لاعين وقعت على مثله ، ولا اذن سمعت شبهه .

ومنه لو استحق شعر لمدوبة مناهله وجلالة قائله ان يعبد لكانت قصيدته هي إلا انى اتخذتها عند امتناع ذلك قبلة اوجه اليها صلوات التعظيم ، واقف عليها طواف الاجلال والتقديم ، ومن اراد ان يقف وينظر في اخبار عضد الدولة ويقف على محاسن آثاره ، فليتأمل الكتاب التاجي من تأليف ابى اسحاق الصابى ليجتمع له مع الاحاطة بها بلاغة من قد سهل له حزونها ولانت له متونها ، واطاعته عيونها.

حدث ابوبكر الخوارزمي قال : كان ينادم عضد الدولة بعض الادباء الظرفاء ويحاضر بالاوصاف والتشبيهات ، ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرهما إلا انشد فيه لنفسه او لغيره شعراً حسناً ، فبينما هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته إذ قدمت بهطة ، وهى الارز المطبوخ باللبن والسكر ، فنظر اليه عضد الدولة كالآمر اياه بأن يصفها ، فأرتج عليه وغلبه سكوت معه خجل فارتجل عضد الدولة وقال :

بهطة تعجز عن وصفها يا مدعي الاوصاف بالزور
كأنها في الجام مملوة لآلىء في ماء كافور

قال الثعالبي: وانشدنى محمد بن عمر الزاهي قال انشدني ابو القاسم عبد العزيز ابن يوسف قال : انشدنى عضد الدولة لنفسه في ابي تغلب عند اعتذاره اليه من معاودة بختيار عليه ، والتماسه كتاب الامان من لديه :

أأفاق حين وطئت ضيق خيامه يبغي الامان وكان يبغي صارما

فلأركبن عزمة عضدية تاجية تدع الانوف رواغما

ومما ينسب اليه ، وأنا اشك فيه ابيات يتداولها القوالون وهي :

طربت إلى الصبوح مع الصباح وشرب الكأس والغرر الملاح
فكان الثلج كالكافور نثرا ونار عند نارنج وراح
فمشموم ومشروب ونار وصبح والصبوح مع الصباح
لهيب في لهيب في لهيب صباح في صباح في صباح

قال الثعالبي : وانشد ابو سعد نصر بن يعقوب ابياتاً لعضد الدولة اخترت منها قوله في الخيري .

يا طيب رائحة من نفحة الخيري إذا تمزق جلباب الدياجير
كأنما رش بالماورد واعتبقت فيه دواخن ند عند تبخير
كأن اوراقه في القد اجنحة صفر وحمر وبيض من دنانير

وله من قصيدته التي اولها ـ وفيها البيت الذي لم يفلح بعده ابداً ـ قوله :

ليس شرب الكاس إلا في المطر وغناء من جوار في السحر
غانيات سالبات للنهى ناعمات في تضاعيف الوتر
مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابني ركنها ملك الاملاك غلاب القدر
سهل الله له بغيته في ملوك الارض ما دار القمر
واراه الخير في اولاده ليساس الملك منه بالغرر

فيحكى انه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى (ما اغنى عني مالية هلك عني سلطانية) .

للشيخ ابي الفتح البستي رحمه الله تعالى :

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير فعل الخير خسران
وكل وجدان حظ لاثبات له فان معناه في التحقيق فقدان

يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً ... تالله ما لخراب الدهر عمران
ويا حريصاً على الاموال تجمعها ... أنسيت ان سرور المال احزان
دع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر والوصل هجران
واوع سمعك امثالا افصلها ... كما يفصل ياقوت ومرجان
احسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الانسان احسان
وان اساء مسيء فليكن لك في ... عروض زلته صفح وغفران
وكن على الدهر معواناً لذي امل ... يرجو نداك فان الحر معوان
واشدد يديك بحبل الله معتصما ... فانه الركن ان خانتك اركان
من يتق الله يحمد في عواقبه ... ويكفه شر من عزوا ومن هانوا
من استعان بغير الله في طلب ... فان ناصره عجز وخذلان
من كان للخير مناعاً فليس له ... على الحقيقة اخوان واخدان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... اليه والمال للانسان فتان
من عاشر الناس لاقى منهم نصباً ... لان اخلاقهم بغي وعدوان
من استشار صروف العقل قام له ... على حقيقة طبع الدهر برهان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه ... ندامة ولحصد الشر ابان
من استضاف إلى الأشرار قام وفي ... قميصه منهم صل وثعبان
ورافق الرفق في كل الامور فلم ... يذمم رفيق ولم يذمه انسان
احسن إذا لك امكان ومقدرة ... فلن يدوم على الانسان امكان
دع التكسل فى الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان
الظل للمرء احرى من تقى ونقى ... وان اظلته اوراق واغصان
والناس اخوان من والاه دولته ... وهم عليه إذا عادته اعوان
سحبان من غير مال باقل حصر ... وباقل في ثراء المال سحبان
لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم ... غرائز لست تحصيها واكنان

ما كل ماء كصداء لوارده نعم ولا كل نبت فهو سعدان
وللامور مواقيت مقدرة وكل امر له حد وميزان
فلا تكن عجلا في الامر تطلبه فليس يحمد قبل النضج بحران
حسب الفتى عقله خلا يعاشره إذا تحاماه اخوان وخلان
هما رضاعا لبان حكمة وتقى وساكنا وطن مال وطغيان
إذا نبا بكريم موطن فله وراءه في بسيط الارض اوطان
يا ظالماً مرحا بالعز ساعده ان كنت في سنة فالدهر يقظان
يا ايها العالم المرضى سيرته أبشر فانت بغير الماء ريان
ويا اخا الجهل لو اصبحت في لجج فانت ما بينها لا شك ظمآن
لا تحسبن سروراً دائماً ابداً من سر في زمن ساءته ازمان
إذا جفاك حبيب كنت تألفه فاطلب سواه فكل الناس اخوان
وان نبت بك اوطان نشأت بها فارحل فكل بلاد الله اوطان
خذها شوارد امثال مهذبة فيها لمن يبتغي التبيين تبيان
ما ضر حسانها والطبع صائغها ان لم يصغها قريع الشعر حسان

﴿ فائدة ـ من بغية المستفيد في اخبار زبيد ﴾

ان في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، نزلت بردة من السماء بزبيد طولها مائة وستون ذراعاً ، وعرضها عشرة اذرع ، وسمكها باعان ، فلما ذابت سقى ماؤها اربع قطع من الارض هنالك !

وفي كتاب السكردان لابن ابى حجلة : في سنة احدى واربعين وسبعمائة ورد كتاب من حماه يخبر انه وقع في هـذه الايام بماردين من اعمال حماه برد على صور حيوانات مختلفة ، فيها سباع وحيات وطيور ورجال ونساء وغير ذلك ، وان ذلك ثبت بمحضر شرعي عند قاضي الناحية ، ثم نقل ثبوته إلى قاضي حماه .

وفي أواخر شهر رمضان المكرم وردت على اعمال دمشق من اعمال الكرك مكاتيب فيها انه وقع بتلك القرى برد على صور حيوانات مختلفة .

﴿ لطيفة ﴾

كتب المولى جمال الدين العصامي إلى الشيخ قطب الدين المكي يهنيه بشهر رمضان الكريم :

يا قطب اهل العلم في ام القرى رمضان هلّ ببهجة لم توصف
فتهن وحدك ان ذاتك اصبحت هي اشرف في اشرف في اشرف

فكتب اليه الجواب وجعل في القرطاس اشرفياً :

يا الطف الفضلاء انت جمالنا فتهن بالشرف الشريف الاشرف
شعر بشعر ليس فيه ربا وقد زاد العيار بوزن هذا الاشرفي

وحكى النواجي في طلب الكميت ان اعرابياً قصد المأمون ، وقال له : قلت فيك شعراً ، قال : انشده ، فقال :

حياك رب العرش حياكا إذ بجمال الوجه وقاكا
بغداد من نورك قد اشرقت واورق المجد بجدواكا

فقال المأمون : وأنا قلت فيك :

حياك رب العرش حياكا ان الذي املت اخطاكا
اتيت شخصاً قد خلا كيسه ولو حوى شيئاً لاعطاكا

فقال الاعرابي : يا امير المؤمنين ان بيع الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما شيئاً فضحك المأمون وأمر له بصلة ، وما اصدق من قال :

لا تحسبن الشعر فضلا بارعا ما الشعر إلا محنة وخبال
الهجو قذف والرثاء نياحة والعتب ضغن والمديح سؤال

للشهاب الفاضل :

وما الشعر فخر للفتى ومزية إذا لم يكن في كل فضل يترجم

ولـكنه عنوان ذوق وفطنة ورقة طبع وهو للفضل اسلم

﴿ ترجمة أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن ﴾
(الضحاك السلمي الضرير البوغي الترمذي الحافظ المشهور)

أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث ، صنف كتاب الجامع والعلل تصنيف رجل متقن ، وبه كان يضرب المثل وهو تلميذ ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ـ المتقدم ذكره ـ وشاركه في بعض شيوخه مثل قتيبة بن سعد ، وعلي بن حجر ، وابن يسار وغيرهم .

وتوفى لثلاث عشرة خلت من رجب سنة سبع وسبعين ومائتين .

ذكره في كتاب الانساب في نسبة البوغي رحمه الله تعالى ، وبوغ ـ بضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها غين معجمة ـ وهي قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قال السمعاني : والترمذي نسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له جيحون ، والناس مختلفون في كيفية هذه النسبة ، فبعضهم يقول : ـ بفتح التاء والميم ـ وبعضهم يقول ـ بضمها ـ وبعضهم يقول ـ بكسرها ـ والمتداول على لسان اهل تلك المدينة ـ بفتح التاء وكسر الميم ـ والذي كنا نعرفه قديماً فيه كسر التاء والميم جميعاً ، والذي يقوله أهل المعرفة بضم التاء والميم ، وكل واحد يقول معنى لما يدعيه .

هذا كله كلام السمعاني ، ذكره ابن خلكان ، وبالله المستعان .

﴿ فائدة ﴾

الرياح اربعة كما اشار اليه الرئيس بقوله : درست بتكرار الرياح الاربع :
الشمال : ومبدأها من نقطة الشمال إلى نقطة الغروب .

والدبور : ـ بفتح الدال ـ ويقال لها الغربية منها إلى نقطة الجنوب .

والجنوب : ـ بفتح الجيم ـ وتسمى القبلية ، كما تسمى الشمال الشامية ، منها إلى نقطة المشرق .

والصبا: ويقال لها القبول ، والشرقية منها إلى نقطة الشمال ، وقد دار الدور وكل الدائر ، وقيل في ذلك :

وبى ظبية تحكي النسيم لطافة ولـكن حظي من محاسنها الهجر
إذا رمت ان اسلوهواها يهيجني نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

واسماؤها كثيرة ، ولا تدخل ريح على اخرى في حـدها ، واشرفها الصبا ولما اشتملت عليه من اللطف والطيب اتخذها من اهل المحبة رسولا إلى الاحباب .

ومن محاسن ما كتبه ابن عبد الظاهر إلى والده ، وكان قد حصل له ضعف وذلك قوله :

ان شئت تبصرنى وتبصر حالتى قابل اذا هب النسيم قبولا
تلقاه مثلي رقـــة وتحافة ولأجل قلبك لا اقول عليلا
فهو الرسول اليك منى ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

قال ابن حجة : قوله (ولأجل قلبك) فيه ما يفتت الاكباد ، ويحرك الجماد وان من البيان لسحرا ، وللصفدي :

روت الصبا عنـكم حديثاً طيباً فلذاك اصبحت الصبا تستنشق
وتعطرت نفحاتها من نشركم فلذاك اضحى الكون منها يعبق

لأبن ابى حجلة :

يا طيب ريح سرى من نحوكم سحرا لو لا تلافيه قلبي في الهوى تلفا
كم ذا اعلل قلبي بالنسيم وما ارى لداء غرامى في الهواء شفا

﴿ لطيفة ﴾

حكى العلامة الزمخشري في الكشاف: ان ريح الصبا هى التي تبلغ الانباء للانبياء عليهم السلام .

وذكر الواحدي في تفسيره الوسيط : ان ريح الصبا هى التي اوصلت ريح يوسف إلى يعقوب عليهما السلام ، قاله عند قوله اني لاجد ريح يوسف .

ولذلك تجد العشاق يستخدمون هذه الريح في حمل السلام .

قال البها زهير المصري من قصيدة :

فيا نسيم الصبا انت الرسول له ... والله يعلم انى منك غيران
بلغ سلامي إلى من لا اكلمه ... انى على ذلك الغضبان غضبان
لا يا رسولي لا تذكر له خبري ... فذاك مني تمويه وبهتان
وكيف اغضب لاوالله لاغضب ... انى لما رام من قتلي لفرحان
في كل يوم لنا رسل مرددة ... وكل يوم لنا في العتب الوان
استخدم الريح في حمل السلام لكم ... كانما انا في عصري سليمان
كأن يعقون انبانى بقصته ... فللصبا عند قلب الصب اشجان

وما الطف قول من قال :

ان كانت العشاق من اشواقهم ... جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا
فانا الذي اتلو عليهم ليتنى ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

أقول : والصبا يليها الشمال في الفضيلة ، ولها ذكر في الاشعار ، فمن ذلك لابي نؤاس :

هبت لنا ريح شمالية ... اتت إلى القلب بأسباب
ادت رسالات الهوى بيننا ... عرفتها من بين اصحابي

قال الفخر الرازي في تفسيره : الرياح عان ، اربع منها عذاب وهى: القاصف والعاصف ، والصرصر ، والعقيم ، واربع منها رحمة وهي : الناشرات ، والمبشرات ،

والمرسلات ، والذاريات ، ومن مأثور الدعاء عندها : اللهم انى اسألك خيرها وخير ما فيها ، وخير ما ارسلت به ، واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به

من خطبة النبي المكرم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : (ايها الناس انه والله الجد لا اللعب ، والصدق لا الكذب ، وما هو إلا الموت اسمع داعيه عجل فاعجل حاديه ، فلا يغرنكم سواد الناس من نفسكم ، وقد رأيتم من كان قبلكم ، ممن جمع المال ، وحذر الاقلال ، وأمن العواقب لطول الامل ، واستبعاد الاجل ، كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه ، واخذه من مأمنه محمولا على اعواد المنايا ، يتعاقب به الرجال ، حملا على المناكب ، وامسا كا بالانامل ، أما رأيتم الذين كانوا يؤملون بعيداً ، ويبنون مشيدا ، ويجمعون كثيراً ، كيف اصبحت بيوتهم قبوراً ، وما جمعوا بورا ، وصارت اموالهم للوارثين ، وازواجهم لقوم آخرين ، لا في حسنة يزيدون ، ولا من سيئة ينقصون ، فمن اشعر بالتقوى قلبه ، برز مهله ، وفاز عمله فاهتبلوا هبلها ، واعملوا للجنة عملها ، فان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام ، بل خلقت لكم دار مجاز) .

قيل قديماً : انه لا يستطيع احد ان يأتى لهذا البيت بثان ، وهو :

يا فارهاً من تحته فاره انى لما تكرهه كاره

قال ابو عبد الله بن خالويه : قد استخرجت من كتب اللغة على فاره وكاره عشرين حرفا :

الفاره : الجلد اليابس ، والفاره ايضاً الفارح ابدلت الحاء هاء ، كما قالوا : الماده في المادح .

وماره : بمعنى مارح ، والكاره : فاعل من كرهت ، والكاره ايضاً اللاطم ، الكرهاء بمعنى الوجه .

والفاره : فاعل من فره ، وليس في العربية فعل فهو فاعل بغير خلاف إلا ذلك ، وقد يجيء عقر فهو عاقر وحمض فهو حامض وكمل فهو كامل ومثل فهو ماثل .

والجاره : المعلن فاعل من الجراهة كالكاره من الكراهة يقول : سمعت جراهية القوم ، أي علانيتهم دون سرهم .

والماره: الرجل الذي لا كحل في عينيه ويقال ايضاً رجل امره وامرأة مرهاء

والشاره : من قولهم شرهت نفسه ، والرجل شاره بعد قليل وشره في الحال

والواره : الاحمق ، ومن هو اوره وهي ورهاء .

والطاره : بمعنى الطارح ابدلوا من الحاء هاء .

والباره : المترجرج من النعمة ، ومنه البرهرهة ، أي الناعمة .

والداره : السيد وهو المدره والداره ايضاً البواق والداره ايضاً السكير وينشد :

ألا اسقيا الداره خمساً بالقدح ليلحق الداره من كان اصطبح

والباره والتاره : بمعنى البارح والتارح . ثم قال : والهاره هو الآره واصله الآرح ، وزعم انه من هرهت بمعنى ارحت ، ولا يجيء فاعل من ارحت .

قال ابن خالويه : ونظمها الكندي فقال :

ان الذي يسمو إلى مثل ما شيدت من اكرومة واره
يا سيف دين الله عش سالماً فالدين ما عشت به باره
ودم لاهل العلم ما دامت الدنيا فانت العالم الداره
كم عند اهل الروم من وقعة ذكرك في الدنيا بها جاره
عففت إلا عن نفوس لهم انت اليهم ابداً شاره
وكم لهم من مقلة طرفها ما زال من ادمعها ماره
انت لأذلال العدا حيث ما كانوا واعزاز الهدى عاره
كم تشتكى الخيل اليك السرى هل انت بالرفق لها آره
انحلتها بالغزو حتى استوى في الاين منها الجذع والفاره
هذي توافى الخالويهي لا يطرح منها لفظة طاره
الفها الكندي طوعا لكم لا يستوي الطائع والكاره

والخلعة الحسناء حق على ما قلته والمركب الفاره

ما احسن قول القاضي ناصر الدين :

في ليلة حسدت مصابيح الدجى كلمي وقد كانت لها هي ازينا

قلي بها حتى الصباح وشمتي بتنا ثلاثتنا ومدحك شغلنا

ابو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس المغربي ـ هو بالحاء المهملة والباء الموحدة وبعد الواو سين مهملة ـ قال من ابيات :

وتركتهم صرعى كأن دماءهم خمر وانصاف الرؤس كؤس

الطير تحجل بينهم فكأنهم آباء قتلى حولهن جلوس

ابو فراس بن حمدان :

اشفقت من هجري فغلبت الظنون على اليقين

وضننت بي فظننت بي والظن من شيم الضنين

﴿ من كلام بعض الحكماء ﴾

من ليس له علم فليس له عز في الدنيا والآخرة ، ومن ليس له صبر فليس له سلامة في دينه ، ومن كان جاهلا لم ينتفع به ، ومن ليس له تقوى فليس له عند الله كرامة ، ومن لا سخاء له فما له في العز والشرف من نصيب ، ومن لا نصيحة له لا ايمان له .

قال جالينوس: سبعة اشياء تجلب النسيان استماع الكلام الخشن ، والحجامة على خرز العنق ، والبول في الماء الراكد ، واكل الحوامض ، والنظر في وجه الميت ، والنوم الكثير ، وطول النظر في الاماكن الخراب .

وقال ايضاً في كتاب الادوية : ان النسيان يحدث من سبعة اشياء ، وهي : البلغم ، وضحك القهقهة ، واكل المالح ، واللحم السمين ، وكثرة الجماع ، والسهر مع التعب ، وسائر البرودات .

﴿ من أمثال العرب ﴾

إذا كنت مناطحاً فناطح بذات القرون ، رب اكلة تمنع اكلات ، رب صدفة خير من ميعاد ، رب رمية من غير رامى ، رب عين انم من لسان ، ركوب الخنافس ولا المشى على الطنافس ، عند الصباح يحمد القوم السرى ، عند الامتحان يكرم المرء او يهان ، كل كلب ببابه نباح ، كل ما تزرع تحصد ، لكل ساقطة لاقطة ، لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة ، لسان من رطب ويد من حطب ، ما حك جلدك مثل ظفرك ، الامارة ولو على الحجارة ، يكسو الناس واسته عارية .

﴿ من أمثال المولدين ﴾

الحاوي لا ينجو من الحيات ، الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ ، اطلع القرد في الكنيف ، وقال هذه المرآة للوجه الظريف ، الغائب حجته معه العمل للزرنيخ والاسم للنورة ، شهر ليس لك فيه رزق لا تعد ايامه ، فم يسبح وقلب يذبح . المجول مخطىء وان ملك ، والصبور مصيب وان هلك .

﴿ من أمثال نساء العامة ﴾

بعد ما ضرطت ضبطت ، بعد خراب البصرة ، ما حك شفرى مثل ظفرى ، عميا تحفف مجنونة وتقول لها حواجبك مقرونة ، لو كان في الرخمة خير ما فاتها الصياد تيتي تيتي مثل ما رحتي جيتي ، رجعت حليمة لعادتها القديمة ، حبلى وزادوها نيك التف السير على القبقاب وقال له مرحباً كرداش ، اردب ما لك فيه حصة ، لا تحضر كيله تتغبر ذقنك وتتعب فى شيله ، شرد من الموت وقع في حضرموت ، من لم يعتد البخور تنحرق طيزه ، الديك الفصيح من البيضة يصيح ، كيف حال امك؟ قال هذه على الجمل ، سئل الجمل من اين جئت ؟ قال : من الحمام ، قالوا ظاهر على خفك ،

الغريق لا يبالي من الرش ، الركوب على الاحليل ولا المشى القليل ، تشتهي النيك وتخاف من الحبل ، المليح مليح ولو قام من النوم . واللاش لاش ولو زوقته كل يوم جوع القملة في رأس الاقرع ، يا ابى شرفني قال حتى يموت من يعرفنى ، تحتار الماشطة في الوجه العفش .

فلما كان عصر سادس شوال عام الف ومائة واربعين من هجرة النبي ذي الجلال توكلنا على ملجأ الضعيف الخائف ، وسرنا من مكة إلى بلدة الطائف ، فأتينا بعون الملك الستار ، في نصف الليل قهوة الكسار ـ وهو موضع بعرفة ـ وبتنا به إلى الفجر ، ثم رحلنا منه وسرنا في طريقنا بارض نعمان ، وهى ارض انيسة ، نزيهة نفيسة ، وبها مزارع وآبار :

عليكم سلام الله يا اهل نعمان فذكركم يحيي به المغرم العانى

وعند الزوال اتينا شداد ، وهو موضع به مزارع ومقاهى ويحصل به سموم عظيم ، فقيلنا هناك إلى العصر ، ثم سرنا فاتينا الكر بعد المغرب ـ والكر ـ هذا اسفل جبل كرا ، به بئر ماء ومقاهى ، ويجلب منه العسل اللطيف ، فبتنا إلى الفجر ثم صلينا الصبح وصعدنا جبل كرا ، وطوله نفى عن اعيننا الكرى .

الكرى : وهو جبل عظيم قد تجاوز السماك ، ورقى إلى الافلاك ، قيل انه متصل إلى صنعا ، فلم نزل في نزول وصعود ، وقيام وقعود إلى قريب الضحى ، فصعدنا إلى اعلاه ، وقد ذهب من كل منا قواه .

ثم سرنا فأتينا الهدا ، وطالع الفرح والسرور علينا بدا ، وهي ارض يقصر عن وصف محاسنها اللسان كانها من رياض الجنان ، بها الاشجار والازهار ، والمياه العذبة ، وصنوف الاطيار والفواكه المختلفة الالوان ، والبدور الساطعة الحسان وأهلها اصحاب كرم وسخا ، خيرهم مبذول في الشدة والرخا :

لقد زاد شوقى يا اخلاي للهدا بلاد بها الاحسان والجود والهدى

حكت جنة الفردوس في الحسن والبها حماها إله العرش من طارق العدا

بهاالانس والافراح والسعد والهنا بها طالع الاقبال والعز قد بدا
فواكهها جلت عن الحصر يا فتى وفي روضها المنثور اضحى منضدا
وأطيارها غنت لنا وترنمت كذا بلبل الاسحار في الروض غردا
وشحرورهاياصاح قدصاح وانثنى يجاوبه القمري في الدوح منشدا
واقمارها قد اسفرت وتبلجت محاسنها والسعد فينا تجددا
وسكانها الأجواد لله درهم بهم يقتدي في القول والفعل والندا
عليهم سلام الله ما هبت الصبا وما ناح طير في الغصون ورددا

فقيلنا في الهدى إلى العصر ورحلنا ، فلم نزل نسير بين المياه والبساتين والزهور والرياحين على شمالنا واليمين .

فلما كان ثامن شوال عند الغروب ، وردنا ارض الطائف المحفوفة باللطائف

﴿ فائدة ﴾

الطائف اكبر مدن الحجاز وأهلها كانوا سابقاً في ثروة من الغنا والمال ويجلب منها إلى مكة الفواكه النفيسة وغير ذلك من الحب والشعير والسمن والعسل واللوز وغيره ، وبالطائف اخلاط كثيرة من العرب والهنود ، وهي منازل ثقيف وبها مياه عذبة ، وفواكه مختلفة وثمار شتى ، وبها ديار بني سعد التي يضرب بهم المثل في الكثرة ، وبها اقوام من قريش وهذيل وثمالة وبني محمد وناصرة وبجيلة ، وليس في الحجاز اطرى من الطائف ، ولا اصح من هوائها ومائها ، وهي في الحقيقة دمياط الحجاز ويجلب منها الجلود الطائفية وغير ذلك من الاصناف وهي على طرف واد وبينها وبين مكة اربعة منازل ، وهي طيبة الهواء جداً والماء والفواكه .

قال صاحب القاموس : الطائف بلاد ثقيف في واد أول قراها لقيم وآخرها الوهط ، سميت بالطائف لانها طافت على الماء في الطوفان ، او لان جبرئيل عليه السلام طاف بها على البيت ، او لأنها كانت بالشام فنقلها الله تعالى إلى الحجاز بدعوة

ابراهيم عليه السلام ، او لأن رجلا من الصدف اصاب دما بحضرموت ففر إلى وج وحالف مسعود بن معتب ، وكان له مال عظيم ، فقال: هل لكم ان ابنى طوفا عليكم يكون لكم رد أمن العرب ، فقالوا : نعم ، فبناه وهو الحائط المطيف به ، انتهى كلامه رقم مقامه .

وقال العلامة المحقق محمد جار الله بن عبد العزيز ـ نسبه راجع إلى محمد بن الحنفية بن علي بن ابى طالب الهاشمي العلوي الشافعي ـ فى تاريخه تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج الطائف ما هذا لفظه : اورد في بعض الآثار ان نبي الله ابراهيم عليه السلام لما قال : وارزق اهله من الثمرات ، رفع الله قرية من الشام فوضعها في الطائف ، اجابة لدعوة ابراهيم عليه السلام .

وروى الامام العمدة ابو الوليد محمد بن عبد الله الازرقى في تاريخ مكة المشرفة ان ابراهيم الخليل عليه السلام لما قال : ربنا انى اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) بعث الله لدعوة ابراهيم جبرئيل عليه السلام من ليلته ، واقتلع الطائف من الشام من نخوم الثرى بعيونها وثمارها ومزارعها ، وامره ان يغرس الطائف ، فكان اسمها غير الطائف فطاف بها بالبيت سبعاً ووضعها مكانها اليوم ، فسميت الطائف لانها طيف بها بالبيت .

ونقل العلامة ابو العباس احمد بن محمد القسطلانى القاهري الشافعي في كتابه المواهب اللدنية في المنح المحمدية : ان جبرئيل عليه السلام اقتلع الجنة التي كانت لاصحاب الصريم ، فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث الطائف فسمي الموضع بها ، وكانت اولا بنواحي صنعاء ، واسم الارض وج ، وهى في بلدة كبيرة على اربع مراحل من مكة المشرفة ، ومرحلتين من جبل طريق كرا ، وهي كثيرة الاعناب والفواكه .

وورد في الاحاديث ان النبي صلى الله عليه وسلم حرم للطائف حرما والحقها بمكة والمدينة

في الحرمة والشرف ، وكفى الطائف بهذا شرفا ، وفي ذلك احاديث كثيرة .

وروى صاحب المصابيح : ان رسول الله ﷺ قال : وج حرم الله عزوجل

وروى عنه ﷺ انه قال : ان الله عز وجل امرني ان اقدس وجا فقد سوها ألا لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ، ولا ينفر صيدها .

قال الامام الرافعي في شرح الكبير : ورد النهي عن صيد وج ، وهو واد بصحراء الطائف ، وليس المراد منه نفس البلدة .

قال الامام الشافعي رضى الله عنه : اكره صيده !

وعن الشيخ ابي علي حكاية تردد في انه تحريم او مجرد كراهة ، ولفظ الكتاب كالصريح في الثانى ، لكن الصحيح عند عامة الاصحاب الاول ، لما روى انه صلى الله عليه وآله وسلم قال : صيد وج محرم لله تعالى ، فعلى هذا فهل يتعلق به ضمان منهم من قال نعم ، وحكمه كحكم حرم المدينة .

وقال صاحب التلخيص : والاكثرون لا ضمان إذ لم يرد في الضمان نقل ولكن يؤدب .

وقال شيخ الاسلام ابو زكريا النووي في الروضة: وج واد بصحراء الطائف وصيده حرام على المذهب . وقيل في تحريمه وكراهته خلاف ، فعلى التحريم قيل حكمه في الضمان كحرم المدينة والصحيح الذي قطع به صاحب التلخيص والاكثرون انه لا ضمان فيه قطعاً .

وروى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن احمد الحسينى الفاسى المالكي في الباب السادس من كتابه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام مسنداً إلى الزبير بن العوام قال : اقبلنا مع رسول الله (ص) من لية مكان بالطائف ـ يأتى ذكره ـ حتى إذا كنا عند السدرة وقف رسول الله (ص) عند طرف القرن الاسود حذوها فاستقبل نخبا ثم وقف حتى اتفق الناس ، ثم قال ان صيد وج وعضاهه ، أى شجره حرام محرم لله عز وجل ، وذلك قبل نزوله الطائف وحصاره ثقيفا .

ونخب ـ بفتح النون وكسر الخاء المعجمة ـ واد بالطائف بأرض هذيل والقرن جبل صغير ورأسه مشرف على وهدة .

ووج ـ بفتح الواو وتشديد الجيم ـ قيل هو ارض الطائف نفسه ، ويسمى بوج ابن عبد الحق من العمالقة .

وقال الحازمي : وج اسم لحصون الطائف ، وقيل لواحد منها .

وقال في المهذب : هو واد بالطائف .

قال المحب الطبري : وقد جاء في الحديث ان وجا مقدس ، وأما الطائف فكان خطر عظيم عند الخلفاء فيما مضى ، وكان الخليفة يوليها رجلا من عنده ، ولا يجعل ولايتها إلى صاحب مكة .

وورد في السير : ان النبي سيد البشر خرج إلى الطائف بعد موت زوجته خديجة بثلاثة اشهر ، في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة ومعه زين بن حارثة ، فاقام به شهراً يدعوهم إلى الله تعالى ، فلم يجيبوه واغروا به سفهاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة ، حتى دميت رجله صلى الله عليه وآله وسلم ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه ، ثم رجع في جوار مطعم بن عدي ولم يجب له انسان ، ثم غزا الطائف بعد فتح مكة في شوال ، ومر في طريقه بقبر ابى رغال وهو ابو ثقيف فيما يقال فاستخرج منه غصناً من ذهب .

﴿ تنبيه ﴾

قال صاحب القاموس في باب اللام فصل الراء : وابو رغال ككتاب في سنن ابى داود ، ودلائل النبوة وغيرها .

عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله (ص) حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر ، فقال : هـذا قبر ابى رغال ، وهو ابو ثقيف ، وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج اصابته النقمة التي اصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه ، الحديث .

وقول الجوهري: كان دليلا للحبشة حين توجهوا إلى مكة ، فمات في الطريق غير جيد .

وكذا قول ابن سيده كان عبداً لشعيب ، وكان عشاراً جائراً .

قلت : بل الذي اجتمع عليه أهل السير أن ابا ثقيف اسمه قيس بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، هذا المجمع عليه ، وامه اميمة بنت سويد بن هذيل ابن عكرمة .

وكان الحجاج بن يوسف الثقفي إذا سمع من يقول انهم من بقايا ثمود قال كذبوا فقد قال الله تبارك وتعالى (وثمود فما ابقى) أي اهلكهم الله ولم يبق منهم احداً . وثقيف فى اللغة هو الحاذق ، ومنه قيل خل ثقيف ، أي شديد الحموضة .

قال ابو عبيدة : وكان لثقيف من الولد ، جشم وناصرة .

وقال عمي: قدست روحه في حاشيته على القاموس ما هذا لفظه : قال الثعالبي فى ثمار القلوب : ابو رغال هو الذى يرجم الناس قبره إذا اتوا مكة ، وكان وجهه صالح النبي ﷺ على صدقات الاموال ، فخالف امره واساء السيرة فوثبت عليه ثقيف فقتلوه قتلا شنيعاً وانما فعل ذلك به لسوء سيرته فى اهل الحرم انتهى كلامه.

فيصير فى ابى رغال اربعة أقوال ، وقول الثعالبي ارجح من قول ابن سيدة لان صالحاً عليه السلام نبي ثمود لا شعيب عليه السلام ، واشهر هذه الاقول الذى فى الصحاح .

وأما الحديث فمشكل فانه صريح فى ان ابا رغال ابو ثقيف فيكون ذلك خلاف قوله تعالى (وثمود فما ابقى) وما فى الحديث انما دفع عنه كونه فى الحرم فلما خرج هلك ، فاذا كان هذا حال ثمود ، فكيف يبقى ثقيف بن ابى رغال ؟ وتبقى منه قبيلة كبيرة ؟

هذا والمعروف في كتب النسب ان ثقيفاً ابن بكر بن هوازن وهو المذكور

فى القاموس ، فكيف يكون من ثمود ؟ ثم من المستبعد ان يبقى رجم قبر ابى رغال من عهد ثمود عليه السلام إلى الاسلام ، ويعتنى برجمه فى الاسلام ، وهذا مما يرجح المذكور فى الصحاح والحاصل ينبغى النظر فى سند هـذا الحديث ، وفيما حكم به صاحب القاموس ويعتمد على ما فى الصحاح لانه المنقول فى الكتب الادبية والسير النبوية والله اعلم بالطوية . رجع . . .

وحاصر النبي (ص) أهل الطائف ثمانية عشر يوما ، وقيل : خمسة عشر ، وقيل : عشرين ، وصحح ابن حزم اقامته صلى الله عليه وآله وسلم بالطائف بضع عشر يوما .

وفى الصحيح عن انس بن مالك ، قال : فحصرناهم اربعين يوماً يعنى ثقيفاً فكان فى اقامته يصلى ركعتين بين قبتين ضربتا لزوجتيه ام سلمة ، وزينب رضى الله عنهما ، فلما اسلمت ثقيف بنى عمرو بن امية بن وهب بن معتب بن مالك على مصلى رسول الله صلى عليه وآله وسلم مسجداً ، وكان فيه سارية لا تطلع الشمس عليها من الدهر ، إلاويسمع لها نقير اكثر من عشر مرات ، فكانوا يرون ذلك تسبيحاً ونصب صلى الله عليه وآله المنجنيق على حصن الطائف وقد اشار به سلمان الفارسى وعمله بيده ، وقيل : قدم به الطفيل بن عمرو ، وقيل يزيد بن زمعة ومعه ذبالتان وقيل قدم به وبالذبالتين خالد بن سعد بن حرش .

قال الحافظ: مغلطاى وهو اول منجنيق رمي به فى الاسلام ونثر صلى الله عليه وآله وسلم الحسك تحت حول الحصن ، ودخـل صلى الله عليه وآله وسلم تحت الذبالتين ، ثم رجعوا بهما إلى جدار الحصن ليخرقوه ، فارسلت عليهم ثقيف سككا الحديد محماة بالنار ، فخرقت الذبالتين وكانتا من جلود البقر ، فاصيب من المسلمين جماعة ، وخرج من بقي من تحتها فقتلوا بالنبل ، وقاتل صلى الله عليـه وآله وسلم بنفسه ، وقال من بلغ سهما فله درجة في الجنة .

وأمر صلى الله عليه وآله بقطع اعنابهم وحرقها ، فقطعها المسلمون قطعاً

ذريعاً ، فنادى سفيان بن عبد الله الثقفي يا محمد لم تقطع اموالنا ، أما ان تأخذها إذا ظهرت علينا ، وأما ان تدعها لله وللرحم كما زعمت لانك ان قطعتها لم تعمر ابداً ، فقال عليه الصلاة والسلام فأني ادعها لله وللرحم وكف عنها .

ونادى منادي رسول الله (ص) ايما عبد نزل من الحصن ويخرج الينا فهو حر ، فخرج بضعة عشر رجلا منهم ابوبكرة المنبعث والازرق ابوعقبة بن الأزرق ومحش النبال وابراهيم بن جابر وسيار ونافع ابوالسائب ومرزوق فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : هؤلاء عتقاء الله عز وجل ، ودفع كل واحد منهم إلى رجل من المسلمين يمونه ويحمله ، وامرهم ان يقرؤهم القرآن ، ويعلمونهم السنن فشق ذلك على اهل الطائف ، ثم اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه لم يؤذن له في ثقيف ، فاذن للناس بالرحيل ، واقام اهل الطائف على منزلتهم وانتفاعهم في طائفهم ، ثم أسلموا بعد ذلك .

وجاء في بعض الاخبار ان اصحاب رسول الله (ص) قالوا له وهم يقاتلون ثقيفاً بالطائف يا رسول الله : احرقتنا نبال ثقيف فادع عليهم ، فقال : اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم ، فكان . . . كذلك اتى الله بهم في اقرب زمان من الدعوة .

وتوفي رسول الله (ص) فارتدت العرب وثبتت ثقيف على دينها ، وأول من ارتد منهم قتلوه ، وقالوا : ما دخلنا آخر الناس إلا لما تبين لنا من الحق ، فمن ارتد منا قتلناه .

فكانت بنو سليم تعير بثقيف ، ويقال لهم : لا رأى إلا لثقيف تثبتوا اولا في امرهم ، فلما تحققوا الاسلام دخلوا فيه آخراً وتثبتوا عند موته صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن ارتد منهم قتلوه احتسابا لله ، ومعجزة لدعوته صلى الله عليه وآله

وروي : ان رسول الله (ص) قال : لا يحب ثقيفاً إلا مؤمن ، ولا تقوم الساعة إلا على اشرار الخلق ، ولا تقوم الساعة وعلى وجه الارض منهم احد ـ أي من ثقيف ـ تكرمة لهم انتهى .

ونزلت بدار السيد الهمام الهزبر القمقام ، خلاصة السادة ، من بني الحسن نجل الاماجد ، ذوي البلاغـة واللسن ، الشريف الشهيم ، الماجد المظيم ، صاحب الهمة والـكرم ، حقيقة لا مجاز ، مولانا السيد الشريف باز نجل الشريف الغطريف الـكريم العفيف ، معدن السخاء والاريحية ، ورب المـكارم الحاتمية ، تاج السادة الاشراف ، وواسطة العقد من آل عبد مناف :

الضيغم البطل ابن الضيغم البطل ابن الضيغم البطل ابن الضيغم البطل

صاحب الاحسان والفضل والجود وملجأ الفصاد والوفود ، المرحوم المبرور مولانا السيد الشريف شبير بن مبارك بن فضل بن مسعود ـ وقد تقدمت ترجمته رحمه الله تعالى ـ وافاض وابل غفرانه عليه ووالى فاكرمني غاية الاكرام ، وانزلني بداره احسن مقام ، ولاغرو فهذا الشبل من ذلك الاسد والباز لاينكر شرفه احد:

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه ابه فما ظلم

وقلت : بامره هذا الموشح الحميني ، وهذا النوع يسمى بالشبشرة ، والاسم يظهر من فوق ومن تحت ، وهو هذا :

سلبت عقلي يا غزالـ رامه يا سمهرى القـوام
عذبتني هذا الجفا علامه اسمح برد السلام
دامت لك الافراح والسلامه يا سيد كل الانام
يامن حوى فوق الخد يد شامه قلبي بها مستهام
هذى دموعي يارشا علامه تجرى كفيض الغمام
هات اسقنى يا فاتني مدامه تطفي لهيب الضرام
يا لائمي لا تكثر الملامه لم استمع لك كلام
دعني فاني عشقتي مدامه في الريم حالي الوشام
عسى عسى ياجيرة السلامه تهدوا الينا سلام

سرتم وسارت عيسكم تهامه ولا وفيتم ذمام
ولم ينل قلبي بكم مرامه ولا شفى من سقام
اشكو إلى من هذه الظلامه إلله يا اهل الغرام
لكن عسى يأتوني بالسلامه ونلتقي في الخيام
واختم بمدحي صاحب العلامه شفيع يوم الزحام
والآل أهل الفضل والكرامه ما فاح نشر الخزام
والصحب أهل الجود والشهامه ما ناح طير الحمام
وما تغنى قمرى البشامه وما شدا مستهام
سلبت عقلي يا غزال رامه يا سمهرى القوام

ونظمت بامره ايضاً هذا المشجر الحسيني ، والاسم يظهر من الاوائل من فوق ومن اوائل الاواخر من تحت ، وهو هذا :

رفقاً بمن امسى حليف السهر هايم معنى فيك يا اصفر
حليت في وسط الحشا يا قمر من حل لك قتلي واهدر
ما حيلتي يا اخوان فيمن هجر حلو اللمى عذب الموشر
هذا قلبي من هواه انفطر ربى بذا ادرى واخبر
ما تنظروا المحبوب لما سفر كالبدر بل يا ناس انور
ناديته لما قبالي خطر جل الذي انشا وصور
من بلغك يا ظبي عني خبر يبلى بهذا العشق واكثر
والله ما لي نحو غيرك نظر في اللوح عشقى قد تسطر
هذي شهور الهجر ثامن عشر نظمتها في ذا المشجر
قاسيت يا محبوب منها الخطر ما حيلتى هذا مقدر
عساك يا من في الملاح اشتهر بالحسن والاحسان يذكر
تسمح لنا في الوصل نقضى وطر لعل كسر القلب يجبر

ان كنت تخشى اللوم صل في السحر فالليل يا معشوق استتر
ونجتمع بك في رياض الزهر ما بين نايات ومزهر
واختم بمدحى الطهر خير البشر من بالهنا والسعد بشر
والآل والصحب الكرام الغرر ما زمزم الحادي وشعر
وما شدا مضنى اسير الفكر من عشق ذا الريم المخدر
رفقاً بمن امسى حليف السهر هائم معنى فيك يا اصفر

واجتمعت باخيه السيد الجليل ، الهمام النبيل ، المقدام إذا حمى الوطيس واستعر السعير الشريف عبد المحسن بن الشريف شبير وباخيه السيد الشريف اللطيف الظريف نجل الماجد الشهير الشريف سمد بن الشريف شبير ، وببقية اخوته الصغار اسبل عليهم ستره الستار .

واجتمعت بابن عمه السيد المقدام ، الاسد الضرغام مجندل الاقران ، في حلبة الطعان ، مبيد الفرسان ، بالبتار والسنان ، من اليه المعالى بالاكف تشير ، مولانا الشريف مبارك بن المرحوم المقدس الشريف بشير :

الطاهر النسب بن الطاهر النسب بن الطاهر النسب بن الطاهر النسب

واجتمعت بالسيد الشريف النسيب ، الجليل العفيف الحسيب ، الفاضل المجيد المجيد ، مولانا الشريف ابراهيم بن محمد بن الشريف احمد بن سعيد .

واجتمعت بالعالم العلامة المفلق الفهامة ، الشهم الهمام السرى ، مولانا الشيخ باقر بن الملا حسين الجوهري ، وقد كان عالماً زاهداً ، صالحاً عابداً ، دعاه إلى قربه صاحب البر واللطائف ، فنقله الى الجنة من الطائف عام ألف ومائة وثلاث واربعين رحمه الله تعالى .

واجتمعت بصهره العزيز الافخر ، الشيخ جعفر ، وبصهره الحكيم الشيخ حسين ، وقد كان كريماً سخياً ، لطيفاً وفياً ، توفى بالطائف عام الف ومائة وثلاثة واربعين ، رحمه الله تعالى .

واجتمعت بصهره صادق الظن واليقين ، السيد الصالح الزاهد نصير الدين ، وبالجناب العزيز مرتضى چلبي بن الحاج فياض البغدادي وبالجناب عزيز المقدار الشيخ حسين بن احمد العطار ، وقد كان ذا حياء وصلاح تام ، ونفس طيبة يعرفها الخاص والعام ، توفي بالطائف عام الف ومائة وثلاثة واربعين ، رحمه الله تعالى .

واجتمعت بالجناب العزيز المعان ، الجلبي زين العابدين حميدان ، وبالجناب العزيز العلامة الشيخ محمد العجيمي ، وبالجناب العزيز الشيخ عبد الرحمن النخلي والجناب العزيز الخطيب عبد الله شغثة ، وبالجناب العزيز الشيخ عبد الله البردينى والجناب العزيز الشيخ سالم الدهان ، وقد كان ماجناً لطيفاً ، انيساً ظريفاً ، تشتاقه القلوب ، شوق المحب إلى المحبوب ، توفى بالطائف عام الف ومائة واحد واربعين رحمه الله تعالى .

واجتمعت بالجناب العزيز جابر الفته ومصلح الفته وعمر الفته وسعد الفته والجناب العزيز مصطفى كبيبة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

واجتمعت بحاكم الطائف ، ملجا الضعيف الخائف ، ومعدن الجود والكرم واللطائف ، علي اغا ابن عسكر اغا اليافعي .

واجتمعت بالجناب الولى الكبير ، الشيخ سعيد العرابي ، والشيخ الكامل الجليل الكريم الرئيس المثيل ، بحر الكرم الرابى ، الشيخ سليمان بن احمد العرابى والشيخ عبد الهادي العرابى ، والشيخ ابى بكر العرابي .

وزرت ضريح سيدى حبر الامة ، كاشف كل هم وغمة ، ابن عم الرسول ، زاكي الفروع والاصول ، طيب الانفاس سيدى عفيف الدين حبر الامة عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن كعب بن مرة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

إلى هنا اجماع علماء الامة ، وفيما بين عدنان واسماعيل خلاف كثير ، وإلى

فهر اجماع قريش ، ومن فوقه كنانى لا قرشي ، على اصح الاقوال في النسبة لا في المعنى الذى من اجله سميت قريش قريشاً .

قال ابو عمرو بن عبد البر : والدليل على صحته انه لا يعلم اليوم قرشي في شيء من كتب النسب ، ينسب إلى اب فوق فهر .

والمقدم من قريش بنو هاشم وهم فصيلة رسول الله ﷺ وعترته الاقربون وانهم والذين تحرم عليهم الصدقة .

وامه ام الفضل لبابة الكبرى ، ابنة الحارث بن حرب الهلالية ، وكانت قديمة الاسلام بمكة ، بل قال ابن سعد : انها اول امرأة آمنت بعد خديجة رضى الله عنهما . وكذا قاله ابن خالويه .

وهى شقيقة ام المؤمنين ميمونة ، وقيل لها الكبرى للاحتراز عن اخت لها شاركتها في اسمها وكنيتها ، وهذه تكنت بام الفضل لاكبر بنيها ، فانها ولدت لسيدنا العباس ستة من الذكور وبنتاً وهم : الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم وكان يشبه بالنبي (ص) وعبد الرحمن ومعبد ، وام حبيب وفيها يقول الشاعر :

ما ولدت نجيبة من فحل ... كستة من بطن ام الفضل

اكرم بها من كهلة وكهل ... عم النبي المصطفى ذى الفضل

وقد ذكر هذا الشاعر ستة اولاد ولم يسمهم .

وقال غيره : خمسة من الذكور وبينهم في قوله ولم يذكر عبد الرحمن . ولعله مات صغيراً وهو :

فنحن ولدنا الفضل والحبر بعده ... عنيت ابا العباس ذا الدين والندى

وعبد عبيد الله ثم ابن امه ... إلى قثم اعني وذا الباع معبدا

غيوث لدى العافين خرس عن الخنا ... اسود إذا ماموقد الحرب اوقدا

إذا افتخرت يوما قريش فاننا ... نفوقهم حلماً ومجداً وسوددا

فهؤلاء الاولاد من ام الفضل .

وأما عدة اولاد العباس فعشرة اصغرهم تمام وفيه يقول العباس رضى الله عنه :

تموا بتمام فصاروا عشرة يا رب فاجعلهم كراما برة
واجعل لهم ذكراً وانم الثمرة

وقال الحافظ ابن حجر الكنانى في كتابه الاصابة في تمييز الصحابة: ان سيدنا الحبر عبد الله بن العباس ولد وبنو هاشم بالشعب ، قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل : بخمس ، والاول اثبت .

وقال الواقدى : لاخلاف عند أمتنا انه ولد بالشعب حين حصرت قريش بني هاشم.

وكان له عند موت رسول الله (ص) ثلاثة عشرة سنة ، وهو يقارب ما في الصحيحين عنه .

قال : اقبلت وانا راكب على حمار او اتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بمنى إلى غير جدار ، الحديث .

وفي الصحيح عنه قال : قبض النبي (ص) وأنا ختين . وفي رواية : وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك .

قال الحافظ تقي الدين الفاسى في كتابه العقد الثمين : وكان ابن عباس يلقب بالامام الحبر البحر ، ترجمان القرآن لكثرة علمه ، ودعا له النبي (ص) بان يعلمه الله تعالى الكتاب والحكمة وتأويل القرآن ، وان يفقهه في الدين ، وان يزيده فهما وعلما ، ويبارك فيه ، وينشر منه ، ويجعله من عباده الصالحين ، كل ذلك جاء في احاديث صحيحة متفرقة .

وروى عن النبي (ص) الف حديث وستمائة حديث وستين حديثاً .

وقد روى عن جماعة من الصحابة . وروي عنه جماعة منهم انس بن مالك وابو أمامة بن سهل ، وخلق من التابعين .

وذكر عن ابويه واخيه الفضل وخالته ميمونة وابى بكر وعمر وعثمان وخلق من الصحابة رضي الله عنه .

وروى عنه ابناه علي ومحمد ، وحفيده محمد بن علي ، واخوه كثير بن العباس وابن اخيه عبيد الله بن العباس ، وابن اخيه الآخر عبد الله بن معبد بن العباس في خلق من الصحابة فمن بعدهم .

ودعا له النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحكمة مرتين .

وذكر الحافظ ابن عبد البر : انه شهد مع علي عليه السلام وقعة الجمل وصفين والنهروان . وذكر الامام النووي : ان علياً امره على البصرة ، ثم فارقها بعد قتله وعاد إلى الحجاز .

وذكر غيره انه تحول إلى مكة وأقام بها إلى ان اخرجه ابن الزبير منها لتوقفه عن مبايعته ، فسكن الطائف حتى مات به في سنة ثمان وستين ، عن سبعين سنة ، وهذا هو الصحيح في وفاته وسنه .

وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال : مات اليوم رباني هذه الامة ، ولما وضع ليصلي عليه جاء طائر ابيض فوقع على اكفانه ، فدخل فيها فالتمس فلم يوجد ، فلما سوى عليه التراب سمعوا صوت قارىء لا يرون شخصه يقرأ (يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى وادخلي جنتي) وقبره مشهور بالطائف ، واخبر غير واحد انه شم من قبره رائحة المسك ، انتهى .

﴿ ترجمة محمد بن الحنفية ﴾

وزرت ضريح الهزبر السالب نجل علي بن ابى طالب صاحب الاسرار الخفية والكرامات الجلية ، سيدي محمد بن الحنفية رضي الله عنه ، وهو ابو القاسم محمد ابن امير المؤمنين علي بن ابى طالب ، المعروف بابن الحنفية ، وهى خولة بنت جعفر ابن قيس بن مسلمة بن ثعلبة بن الدول بن الحنفية بن نجيم .

ويقال : بل كانت من سبي اليمامة ، وصارت إلى علي عليه السلام .

وقال السخاوي في تاريخ المدينة : ان اسماء بنت ابي بكر قالت : رأيتها وكانت سندية سوداء أمة لبنى حنيفة ، ولم تكن منهم وانما صالحهم خالد بن الوليد على الرقيق ، ولم يصالحهم على انفسهم .

ثم قال : وجمعه بين اسم النبي (ص) وكنيته رخصة لعلي «ع» من الشارع كما جاء في الحديث .

وروى ليث بن ابى سليم عن محمد بن بشر عن محمد بن الحنفية عن علي «ع» قال : قلت يا رسول الله ان ولد لي مولود بعدك اسميه باسمك واكنيه بكنيتك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : نعم .

وكانت ولادته لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وقيل : لثلاث كما يروى عنه .

وقال الواقدي : في خلافة ابى بكر ورأي عمر .

وروى عن ابيه علي عليه السلام وعثمان بن عفان ، وعمار بن ياسر وابن عباس وآخرين من الصحابة .

وروى عنه بنوه الحسن وعبد الله وعمرو بن ابهيم وعون وعبد الله بن محمد ابن عقيل وسالم بن ابي الجعد ومنذر الثوري وعمرو بن دينار وابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابى طالب وابن اخيه محمد بن عمر بن علي بن ابى طالب ومحمد بن قيس بن مخرمة ومحمد بن بشر الهمدانى ، وكان مؤذنه وغير ذلك ، وكان رجلا صالحاً تابعياً تقياً مدنياً .

قال ابن الجنيد: لا يعلم احد أسند عن علي عن النبي (ص) اكثر ولا اوضح ولا اصح مما اسند محمد بن الحنفية .

وقيل لمحمد بن الحنفية : لم كان ابوك يقحمك للمهالك ويولجك المضايق دون اخويك الحسن والحسين ، فقال : لانهما كانا عينيه وكنت يده وكان يقي عينيه بيده .

ولما دعا ابن الزبير لنفسه وبايعه اهل الحجاز بالخلافة ، دعا عبد الله بن العباس

ومحمد بن الحنفية إلى البيعة ، فابيا ذلك وقالا : لا نبايعك حتى تجتمع لك البلاد وتتفق الناس ، فاساء جوارهم وحصرهم وآذاهم . وقال لهما : والله ان لم تبايعاني احرقتكما بالنار .

وقال الامام البخاري في تاريخه : حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا ابو عوانة عن ابي جمرة قال : قضينا نسكنا حين قتل ابن الزبير ، ثم رجعنا إلى المدينة مع محمد ابن الحنفية ، فمكث ثلاثة ايام ، ثم توفي رحمه الله تعالى . وقد دخل على عمر وهو غلام .

وكانت وفاته في اول سنة احدى وثمانين من الهجرة ، وقيل : سنة ثلاث وثمانين ، وقيل : سنة ثمانين ، وقيل : سنة اثنتين او ثلاث وتسعين ، وقبض بالمدينة وصلى عليه ابان بن عثمان ، وكان والي المدينة يومئذ ، ودفن بالبقيع .

وقيل : انه خرج إلى الطائف هاربا ، وقيل : انه مات ببلاد ايلة .

قلت : والفرق الكيسانية يعتقدون إمامته ، ويقولون : انه مقيم بجبل رضوى ، وإلى هذا اشار كثير عزة بقوله :

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء
يغيب ولا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء

قال ابن فهد في كتابه نهاية التقريب : انه مات برضوى ، ودفن بالبقيع سنة احدى وثمانين ، وقيل : سنة اثنتين وثمانين ، وقيل : ثلاث وتسعين ، وقبض وهو ابن خمس وستين ، وقيل : غير ذلك .

قال الحافظ المنذري : والصحيح في محمد ابن الحنفية انه مع عبد الله بن العباس في الطائف خلف الضريح على يمين الداخل باب الحجرة وإلى جانبه قبر بعض قضاة الطائف ، وهو ابن المرجل على ما قيل .

وعند الشباك قدام الضريح قبر زبيدة واخيها عبد المنعم بن عبد العزيز . وقدامه ايضاً قبر علي بن احمد بن محمد العباسي .

وقال : ان الدعاء يستجاب عند السارية التي عند رأس الضريح إلى خلفه وكذلك عند الشباك الحديد من خارج المسجد .

وهذا المسجد الذي فيه قبر عبد الله بن العباس والضريح عمرها المستضيء بامر الله العباسي سنة خمسمائة واثنتين وتسعين ، واسمه في المنبر الذي بهذا المسجد .

والقبة عمرها الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن سنة ستمائة وخمس وسبعين ، واسمه مكتوب فيها .

وبداخل القبة سقط لرسول الله (ص) وليس من اولاده المشهورين .

وبالطائف مزارات تنسب للنبي (ص) منها : السدرة التي انفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين ، وذلك لما اعترضه في طريقه وهو سائر وسنان ليلا في غزوة الطائف ، وبعض هذه السدرة باق إلى الآن والناس يتبركون بها .

قلت : والبخور بخشبها يذهب الحمى قطعاً .

ومنها : مسجد ينسب إلى النبي (ص) في مؤخر المسجد الذي فيه قبر سيدنا عبدالله بن العباس لان في جداره القبلي من خارجه حجراً مكتوبا عليه امرت السيدة ام جعفر زبيدة بنت ابي جعفر أم ولاة عهد المسلمين اطال الله بقاءها بعمارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطائف سنة مائة واثنتين وتسعين .

وفي خارج المسجد قبور الشهداء رضى الله عنهم ، وهم ثلاثة عشر نفراً وهم مذكورون في السيرة النبوية .

وفي خارج المسجد في الجبانة قبر زيد بن ثابت رضى الله عنه في فسقية من غير شك عندهم في ذلك .

وبالقرب من الجبانة شجرة سدر تسمى الحدباء يقال ان قريشاً كانوا يعقدون الرأي عندها .

وإلى جانبها مسجد الراية ، وهو موضع خرب ، يقال انه موضع راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلى جانب ذلك بالقرب من ناحية الطائف حظيرة يقال

انها وضعت علامة لخيمة من ادم ضربت للنبي (ص) في ذلك الموضع .

ثم بعد الطائف إلى ناحية لية بئر يقال ان النبي (ص) شرب من مائها وإلى جانب البئر موقف يقال انه وقف عنده صلى الله عليه وآله وسلم اول مجيئه لحصار اهل الطائف فلم يؤذن له .

وإلى جانب الموقف حظيرة يقال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم صلى بها

ومن المزارات : موقف بجبل ابى زبيدة يقال له ابو الاخيلة معبد العداس وهو في مسجد ، وفي داخله صخرة عليها اثر موقف النبي صلى الله عليه وآله .

ومن المزارات ايضاً موقف آخر عند وج ، يقال انه وقف عنده صلى الله عليه وآله وسلم وعنده شجرة سدر ، وشجرة ذكار حماط .

ومن المزارات ايضاً المسجد الذي عند بابه آثار حصن ساقط على بئر يقال ان البئر شرب منها صلى الله عليه وآله وسلم .

وبالقرب من العقيق السدرة التي انفرجت للنبي (ص) ولم يبق منها الآن سوى ساق واحد ، وبها . . . وبها . . .

واقمت في الطائف باهناً حاله ، وراحة وجماله :

عليكم سلام الله يا جيرة الطائف فانتم وحق المصطفى ملجأ الخائف
وحياكم رب الانام بلطفه وطاف عليكم بالرضى والهنا طائف

﴿ ترجمة أبي بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب بن ﴾
(الحارث بن زهو الزهرى)

أحد الفقهاء المحدثين ، والاعلام التابعين ، رأى بالمدينة عشرة من الصحابة رضى الله عنهم .

وروى عن جماعة من الأئمة منهم مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري .

وروى عن عمرو بن دينار انه قال : أي شيء عند الزهري انا لقيت ابن عمر ولم يلقه وأنا لقيت ابن عباس ولم يلقه ، فقدم الزهري مكة ، فقال عمرو: احملوني اليه وكان قد اقعد ، فحمل اليه فلم يأت إلى اصحابه الا آخر الليل ، فقالوا له : كيف رأيته ؟ فقال : والله مارأيت مثل هذا القرشي قط .

وقيل لمكحول : من أعلم من رأيت ؟ قال : ابن شهاب ، قيل له : ثم من قال ابن شهاب وكان قد حفظ علم الفقهاء السبعة .

وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى الآفاق : عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون احداً اعلم بالسنة الماضية منه .

وحضر الزهري يوما مجلس هشام بن عبد الملك ، فقال له هشام : أي شهر كان يخرج فيه العطاء لاهل المدينة ؟ فقال الزهرى : لا ادري فسأل أبا زياد فقال: في المحرم ، فقال هشام للزهري : يا ابا بكر هذا علم استفدته اليوم ، فقال : مجلس امير المؤمنين اهل ان يستفاد منه العلم .

وكان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله ، فيشتغل بها عن كل شيء من امور الدنيا ، فقالت امرأته يوما : والله لهذه الكتب اشد علي من ثلاث ضرائر .

وكان ابو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدراً ، وكان احد النفر الذين تعاقدوا يوم احد لئن رأوا رسول الله (ص) ليقتلنه او ليقتلن دونه.

وروي انه قيل الزهري : هل شهد جدك بدراً ؟ فقال : نعم ، ولكن مع عبد الملك ، ثم مع هشام بن عبد الملك .

وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه .

وتوفى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة اربع وعشرين ومائة . وقيل : خمس ومائة ، وهو ابن اثنتين ، وقيل : ثلاث وسبعين سنة . ودفن في ضيعة أداما ـ بفتح الهمزة والدال المهملة وبعد الالف ميم مفتوحة ايضاً ـ .

وقيل: ادمى مثل الاول لكنها بغير الف وهي خلف شغب، وبدا، وهما واديان.

وقيل : قريتان بين الحجاز والشام ، في موضع هو آخر الحجاز ، وأول عمل فلسطين ، وقبره على الطريق ليدعو له كل من يمر به ويترحم عليه .

والزهري ـ بضم الزاي وسكون الهاء وبعدها راء ـ هذه النسبة إلى زهرة ابن كلاب بن مرة ، وهي قبيلة كبيرة من قريش ، ومنها آمنة ام رسول الله (ص) وخلق كثير من الصحابة وغيرهم .

وشغب ـ بفتح الشين المعجمة وسكون الغين المعجمة وبعدها باء موحدة ـ .

وبدا بفتح الباء الموحدة والدال المهملة وبعدها الف وفيهما يقول كثير عزة:

وانت الذي حببت شغباً إلى بدا إلي واوطاني بلاد سواهما

إذا ذرفت عيناي اعتل بالقذا وعزة لو تدري الطبيب قذاهما

قال ابن خلكان : وهذا الشعر يدل على انهما واديان ، والله اعلم بما يكون وما كان .

﴿ مسالة ﴾

تقول : اكلت السمكة حتى رأسها ، برفع الرأس ونصبه وجره ، فالرفع على ان تجعل حتى حرف ابتداء والخبر محذوف دل عليه اكلت تقديره رأسها مأكول والنصب على ان تكون حتى عاطفة ، فالرأس مأكول ايضاً ، وذكر لحقارته والجر على ان حتى جارة ، فالرأس غير مأكول ، ومثل ذلك قول الشاعر

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعله القاها

وكان الفراء يقول : اموت وفي نفسي شيء من حتى لانها ترفع وتنصب وتجر.

وقال الشيخ بدر الدين بن مالك : دلالة حتى وإلى ، على انتهاء الغاية كثير بخلاف اللام ، إلا ان إلى امكن في ذلك انتهى .

﴿ سؤال ﴾

يا كاسرا قلبي المعنى وليس فيه سواه ثاني

لأي شيء كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان

﴿ جواب ﴾

كسرته حين قلت قلبي ولم تضفه إلى فلان

قال بعض الحكماء : ينبغي للعاقل ان يتخذ صديقاً ينبهه على عثرته وعيوبه فان الانسان لا يرى عيب نفسه .

أقول : رأيت في بعض المجاميع الادبية ان السلطان صلاح الدين يوسف قال : يوما للقاضي الفاضل لنا مدة ما رأينا فيها العماد الكاتب ، فلعله ضعيف فامض اليه وتفقد احواله ، فلما دخل الفاضل إلى دار العماد وجد اشياء انكرها في نفسه مثل آثار مجلس انس وطيب من رائحة خمر وآلات طرب ، فانشد :

ما ناصحتك خبايا الود من رجل ما لم ينلك بمكروه من العذل

محبتي فيك تأبى ان تطاوعني بأن اراك على شيء من الزلل

وأقول : واقل الاصدقاء حالة من إذا شكوت اليه سمع الشكوى واصغى لها لان سماع الشكوى وبثها فيه تخفيف عن المكروب والنفس تتروح اليه ، ولهذا قال الشاعر :

ولا بد من شكوى إلى ذي مروة يواسيك او يسليك او يتوجع

لانك ان شكوت أما يواسيك في غمك ، وهذه الرتبة العليا وهو الصديق الحميم ، ذو المروة ، وأما ان يسليك وهي الرتبة الوسطى وهو الصديق الحميم المهذب ذو التجارب الذي جرب صروف الدهر ، وأما ان يتوجع وهذه الرتبة السفلى وهو الصديق العاجز ، فان خلا الصديق من هذه الثلاث كان عدمه ووجوده سواء .

أقول : بل عدمه خير من وجوده البتة :

إذا كنت لا علم لديك تفيدنا ولا انت ذو دين فنرجوك للدين

ولا انت ممن يرتجى لكريهة عملنا مثالا مثل شخصك من طين

قال الصلاح الصفدى : لو ان لي في هذين البيتين حكما لاهتدمت القافية وجعلت عوض قوله للدين قولي للقرا ، وبدل قوله من طـين ، خرا ، فانى لا ارى ان يضيع الطين في تمثاله .

﴿ فائدة ﴾

النار عند العرب اربعة عشر ناراً ، نار مزدلفة توقد حتى يراها من رجع من عرفة ، واول من اوقدها قصى بن كلاب .

ونار الاستسقاء كانوا في الجاهلية إذا تتابع عليهم السنوات جمعوا ما قدروا عليه من البقر ، وعلقوا في عراقبها واذنابها العشر والسلع ويصعدون بها على جبل وعر ويضرمون فيها النار ويعجون في الدعاء فيمطرون بذلك .

ونار التحالف : لايعقدون الحلف إلا عليها ويطرحون فيها الملح والكبريت فاذا اشتاطت قالوا هذه النار قد تهددك .

ونار الغدر : كانوا إذا غدر الرجل بجاره اوقدوا ناراً بمنى ايام الحج ، ثم قالوا هذا غدر فلان .

ونار السلامة : توقد للقادم من سفره سالماً غانماً .

ونار الزائر والمسافر : وذلك إذا أراد ان الزائر او المسافر لا يرجعان اوقدوا خلفه ناراً وقالوا : أبعده الله واسحقه .

ونار الحرب ، وتسمى نار اللاهبة : يوقدونها اعلاما لمن بعد عنهم .

ونار الصيد : يوقدونها للظباء فتغشى ابصارهم .

ونار الاسد : يوقدونها إذا خافوه لانه إذا رآها حدق اليها وتأملها وهرب

ونار السليم : توقد للملسوع إذا سهر ، والمجروح إذا نزف ، ومن عضة الكلب ، فيوقدونها حتى لا يناموا .

ونار الفدا : كانت ملوك العرب إذا سبوا قبيلة وطلبوا منهم الفداء كرهوا

ان يعرضوا النساء نهاراً لئلا يفتضحن .

ونار الوسم : التي يسمون بها الابل لتعرف ابل الملوك ، فترد الماء اولا .

ونار القرى والضيف : وهو اعظم النيران .

ونار الحرتين : وهي التي اطفأها الله لخالد بن سنان العبسي ، احتفر لها بئر وادخلها ، والناس يرون ، ثم اقتحم فيها حتى غيبها وخرج منها .

الانسان أما ان يكون ناقصاً وهو ادنى الدرجات ، وأما ان يكون كاملا فى ذاته ، وهم الاولياء . وأما ان يكون كاملا في ذاته قادراً على تكميل غيره ، وهم الانبياء وهم في الدرجة العالية . ثم ان هذا الكمال والتكميل انما يعتبر في القوة الفطرية ، والقوة العملية . ورئيس الكمالات المعتبرة في القوة الفطرية معرفة الله تعالى ، ورئيس الكمالات المعتبرة في القوة العملية طاعة الله تعالى . وكل من كانت درجاته في كمالات هاتين المرتبتين اعلى كانت درجات ولايته اكمل ، وكل من كانت درجاته في تكميل الغير في هاتين المرتبتين اعلى كانت درجات نبوته اكمل .

فاذا عرفت هذا فنقول انه عند مقدم محمد صلى الله عليه وآله كان العالم مملوأ من الكفر والشرك والفسق .

أما اليهود فكانوا من المذاهب الباطلة في التشبيه والافتراء على الانبياء وتحريف التوراة ، وقد بلغوا الغاية .

وأما النصارى فقد كانوا في اثبات الاٰلهين وقوع المحاربة بينهما في تحليل نكاح الامهات والبنات ، وقد بلغوا الغاية .

وأما العرب فقد كانوا في عبادة الاصنام وفي النهب والغارة ، وقد بلغت النهاية ، وكانت الدنيا مملوءة من هذه الاباطيل ، فلما بعث الله محمداً ﷺ وقام بدعوة الخلق ، انقلبت الدنيا من الباطل إلى الحق ، ومن الكذب إلى الصدق ومن الظلام إلى النور ، وبطلت هذه الكفريات ، وزالت هذه الجهالات ، في اكثر بلاد العالم ، وفي وسط المعمور وانطلقت الالسن بتوحيد الله تعالى ، واستنارت العقول

بمعرفة الله تعالى ، ورجع الخلق من حب الدنيا إلى حب المولى بقدر الامكان .

وإذا كان لا معنى للنبوة إلا تكميل الناقصين في القوة الفطرية والقوة العملية ورأينا ان هذا الاثر حصل بمقدم محمـــد ﷺ اكمل واكثر مما ظهر بسبب مقدم موسى وعيسى عليهم السلام .

علمنا ان محمداً سيد الانبياء وقدوة الاصفياء .

اللهم احشرنا وامة محمد في زمرة محمد وآل محمد .

فلما كان عصر خامس ذي الحجة الحرام سنة الف ومائة واربعين من هجرة خير الانام عليه وعلى آله وصحبه افضل الصلاة وازكى السلام توكلنا على الله وسرنا من الطائف قاصدين حج بيت الله صحبة السيد الشريف بازبن المرحوم الشريف شبير واخيه عبد المحسن وسعد وابن عمه الشريف مبارك بن بشير والشريف ابراهيم ابن محمد الشنبري ، وجمع كثير من اهل الطائف ، فاتينا بعد المغرب ارض الهـدا وبتنا هناك ، وفي الصبح نزلنا من جبل كرا ، وقيلنا في الكرا إلى بعد الظهر .

فلما اضاء فجر سابع ذى الحجة وردنا مكة المشرفة ، فطفنا وسعينا ودعونا الله وصلينا ومناسكنا قضينا .

فلما كان عصر ثامن ذي الحجة صعدنا عرفة ، في ساعة مشرفة ، وفي تاسع الشهر وقفنا مع الناس واتينا مزدلفة وبتنا بها ، ثم سرنا إلى منى ، وقد بلغنا المنى وأقمنا بها ايام التشريق ، ثم اتينا مكة وقد قضينا جميع المناسك .

فلما كان ثامن عشر محرم الحرام عام الف ومائة واحدى واربعين من هجرة الشفيع يوم الزحام رحلنا من مكة المشرفة إلى الطائف صحبة الجناب الاجل الملاذ الامثل مولانا السيد محمد بن السيد طه القادري من طريق اليمانية ، فاتينا البرود وهي ارض قفراء وبها بئر ماؤها عذب لطيف جداً .

ثم رحلنا فاتينا الزيما وهى ارض لطيفة انيسة شريفة ، للشريفة عنبرة ابنة ملك مكة المعظمة الشريف المرحوم سعيد بن سعد ، بها الاشجار الفائحة ، والمياه

السائحة ، وبها الموز والليمون الحلو والحامض ، والنارنج والاترج ، وهي في غاية الشراحة جداً .

ثم رحلنا فاتينا ارض السيل ، وقد مضى الثلث من الليل ، وهي ارض يسكن اطرافها اعراب عتيبة ، وهم لصوص اسرق خلق الله واشرهم ، وبها واد عظيم .

ثم رحلنا فاتينا القديرة وهي بلاد عظيمة ، اغلبها للوالد المرحوم مبارك بن شربي ، وهي ارض يعجز عن وصفها الواصفون بها المياه العذبة والاشجار والفواكه المختلفة ، والاطيار والازهار والشموس والاقمار .

فلما كان عصر سادس محرم دخلنا الطائف في يوم شديد البرد غزير المطر ونزلنا بدار الشريف ذي المكارم السيد احمد بن حازم ، وأقمنا في الطائف إلى رابع ربيع الاول . ثم رحلنا إلى مكة المشرفة وأقمنا بها إلى العيد ، ثم سرنا إلى بندر جدة في وقت سعيد ، لقضاء بعض الاغراض . وأقمت إلى غرة ربيع الثاني ثم توجهت إلى زيارة الحبيب المخصوص بالمثاني .

فلما وصلنا إلى بدر مأوى الشهداء ذوى القدر ذهب مني ما كان من الدراهم فاحتجت إلى السفر إلى ينبع البحر قاصداً عمدة آل هاشم الكريم ، نجل الاكارم مولانا الشريف الهمام ، الغطريف السيد عبد المعين بن مبارك الهجاري الحسني فقصدته في ارض حبي وهي ارض على مسيرة يوم من ينبع البحر ، فحباني بافضاله وعمني بنواله . حتى خلت أنني من آله وامتدحته بقولي :

نسيم الصبا ربع الاحبة يمما ... وحي به صحبي الكرام وسلما
سلاما زكياً طيباً متعطراً ... تمسك بالبيت العتيق وسلما
ولاذ باكناف المقام وبالصفا ... وبالحجر السر المصون تذمما
تصاعد من تلقاء طيبة نشره ... وقبّل اعتاب البقيع وعظما
وخبر أهيل الود عن ذي صبابة ... سقاه الهوى من اكؤس البين علقما
وبث لهم شكوى غريب فؤاده ... أقام به الهم الشديد وخيما

وقل لاخلاء الوفا بعـد بعدكم ... على ناظري اضحى الرقاد محرما
اخلاي جفني لا يمل من البكا ... ونارى لا تزداد إلا تضرما
بمكة نصف القلب والنصف عندكم ... فما حال صب قلبه قد تقسما
رعى الله اياما تقضت بلعلع ... فما كان احلاها لدي وانعما
وحيا الحيا تلك المعاهد والربى ... وجاد ثراها صوب غادية هما
فكم لي فيها من اخ وابن والد ... وخل صديق بعده القلب كلما
وصحب كرام ماتناسيت ودهم ... وجيران انس فضلهم قد تقدما
فلله كم يوم قضيت بقربهم ... بكرم وبستان به الطير نغما
وكم قد حللنا روضة سندسية ... بها زهر المنثور اضحى منظما
بكى في نواحيها السحاب عشية ... فاصبح يزهو زهرها متبسما
عسى من قضى بالبعد ياهل لعلع ... يمن لنا بالقرب منكم تكرما
كما من لي حتى انخت مطيتي ... برحب الشريف الشهم من قدره سما
حليف الندى عبد المعين ابي السخا ... سهام العدا موقى الردى حامي الحما
جواد علا درآ غلا مفرد الملا ... حسام سطا بحر العطا عارض هما
حوى كل وصف ليس يحويه غيره ... ومن شك في هذا الحديث له العمى
ذكاء اياس في شجاعة حيدر ... وفي الرأى قيس الرأي ماقط اخطا
ومجد ابن كلثوم وحلم ابن عاصم ... وحاتم منه المكرمات تعلما
كذا عدل كسرى وافتخارا بن منذر
وغيرة جساس بن شيبان في الحمى
شريف له يومان يوم لباسه ... فيسقى الاعادي فيه كاسا من الدما
ويوم الرضى يعطى ويكرم كل من ... اتاه فيمسي في حماه منعما
حماه إله العرش من كل طارق ... ولا عاش شانيه البغيض ولا نعما
أياقلب صرح بالمديح بحب من ... رقى ذكره حتى تجاوز للسما

أيا قلب لذ بالهاشمي فمن يلذ بهذا الهمام الندب نال التكرما
ايا نسل طه يا اخا الفضل والوفا ويا ذا المرجى للخطوب وكلما
قصدتك من ام القرى يا اباالقرى ويا خير من اعطى وجاد وانعما
وقصدي ازور الطهر نور الهدى ومن عليه إله الناس صلى وسلما
وما قل جودي يا شريف وهمتي نعم قل موجودي وصبحي اظلما
ألا فانظرونا نقتبس نور جودكم فانت كبير القوم ادرى بكل ما
أأقنع بالمر النقيع وارتوى وبحرك عذب بالمواهب قد طما
أأصبر تحت الذل بين عشيرتى وارشق من ايدى النوائب اسهما
وقد سمعت اذنى سرارا كثيرة بجودك يا من بالعطايا تكرما
اليك عقيد الخيل وجهت حاجتي وما خاب من زار الكريم ويمما
ولا شك من أم الكرام فانه تلاحظه عين العناية حيثما
ودم آمناً من طارق وملمة مليكا عزيزاً في الانام معظما
مدى الدهر ماسح الغمام بطيبة وما زمزم الحادي بسلع ونغما
وماانشد المشتاق من فرط شوقه نسيم الصبا ربع الاحبة يمما

واقمت عند الشريف يحيي ثلاثة ايام ، وحيانى بالعز والانعام .

﴿ فائدة ﴾

ينبع البحر : مدينة صغيرة ، وهى بندر المكاسب ، وبها امير مثل مكة وهو ممدوحي هذا ، ولها وزير من طرف شريف مكة ، وبها دور وحواصل وحوانيت وسرحات واهلها معيانون ، وفيهم البخل الزائد . حتى قال فيهم القائل :

يا اهل ينبع انتم اخس من في البريه
لاضيف يقرى ومع ذا لكم عيون قويه

ثم توجهت منها إلى ينبع النخل .

﴿ فائدة ﴾

ينبع النخل على سبع مراحل من المدينة المنورة ، وهي تحت جبل رضوى وفيها شعاب واودية ونخيل كثيرة ، ومياه غزيرة وثمار واشجار واهلها بخلاء اشرار ، ثم سرت منها إلى المدينة ، مأوى صاحب السكينة ، وأقمت بها في نعمة ابدية وسعادة سرمدية ، وعيشة مرضية إلى ان زرت زيارة الرجبية ، ثم سرت من مدينة خير الانام إلى بيت الله الحرام ، وأقمت هناك بعض ايام ثم سرت إلى الطائف صحبة الجناب ذي الاحسان الجلبي جعفر بن محمد حميدان ، وصمت هناك شهر رمضان . وفي سادس عيد الفطر قيلنا في الواسطة صحبة الجناب عين الاعيان الجلبي زين العابدين بن المرحوم مصطفى حميدان ، وبعض الاخوان اهل الفضل والاحسان والواسطة بستان ، للجناب العزيز الركن الحريز ، رئيس الزمان ، ووحيد الاقران ، بحر الكرم الرابي ، مولانا الشيخ سليمان بن احمد العرابي ، وسمي هذا البستان بالواسطة ، لانه بين ارض المثناة والسلامة . وارخته بقولي :

صاح شاهد مقعد العز الذي قد حوى الافراح حقاً والتصابي
وسط بستان انيس زاهر كامل الاوصاف من غير تغابي
وبه الاشجار قد شبهتها غادة ماست بالوان الثياب
وطيور السمد تشدو فوقها بالزهاوي والحسيني والحرابي
وعيون الخير تجري تحتها والهنا حف بها من كل باب
كيف لا وهي لمن حاز العلى وتردى بالتقى عالي الجناب
ولسان الحال قد ارخه بيت شعر فاق لطفاً يا صحابي
مجلس الانس وقد اسسه كيمياء الجود سليمان العرابي

﴿ ترجمة أبي السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن ﴾
(عبد الكريم بن الواحد الشيباني ، المعروف بابن)
(الاثير الجزرى الملقب ، نجم الدين)

قال ابن خلكان : قال ابو البركات المستوفى في تاريخ اربل في حقه: اشهر العلماء ذكراً ، واكبر النبلاء قدراً ، واحد الافاضل المشار اليهم ، وافضل الاماثل ، المعتمد في الامور عليهم ، أخذ النحو عن شيخه ابي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان ، وسمع الحديث متأخراً ، ولم تتقدم روايته .

وله المصنفات البديعة ، والرسائل الوسيعة ، منها جامع الاصول في احاديث الرسول ﷺ جمع فيه بين الصحاح الستة ، وهو على وضع كتاب ابن رزين ، إلا ان فيه زيادة كثيرة عليه ، ومنها كتاب النهاية في غريب الحديث في خمس مجلدات وكتاب الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في تفسير القرآن الكريم ، اخذه من تفسير الثعلبي والزمخشري ، وله كتاب المصطفى والمختار في الادعية والاذكار ، وله كتاب لطيف في صنعة الكتابة ، وكتاب البديع في شرح مسند الامام الشافعي رضى الله عنه ، وغير ذلك من التصانيف .

وكانت ولادته بجزيرة ابن عمر في احد الربيعين سنة اربع واربعين وخمسمائة ونشأ بها ثم انتقل إلى الموصل واتصل بخدمة الامير مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الخادم الزيني ، وكان نائب المملكة فكتب بين يديه منشئاً إلى ان قبض على الامير المذكور ، فاتصل بخدمة عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل ، وتولى ديوان رسائله ، وكتب له إلى ان توفى .

ثم اتصل بولده نور الدين ارسلان شاه فحظى عنده وتوفرت حرمته لديه وكتب له مدة ، ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقاً واقام في داره تغشاه الاكابر والعلماء ، وانشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل ، سمي

قصر حرب وقف املاكه عليه وعلى داره التي كان يسكنها بالموصل .

قال ابن خلكان : وبلغني انه صنف هذه الكتب كلها في مدة المطلة ، فانه تفرغ لها ، وكان عنده جماعة يعينونه عليها في الاختيار والكتابة .

وله شعر يسير ، فمن جملة ما انشده لاتابيك صاحب الموصل ، وقد زلت به بغلته :

ان زلت البغلة من تحته فان في زلتها عذرا
حملها من حمله شاهقاً ومن ندى راحته بحرا

وهذا المعنى مطروق وقد جاء في الشعر كثيراً .

وحكى اخوه عز الدين ابو الحسن على انه لما اقعد جاءهم رجل مغربى والتزم انه يداويه ، ويبريه مما هو فيه ، ولا يأخذ اجراً إلا بعد برئه ، قال : فملنا إلى قوله واخذ في معالجته بدهن صنعه ، وظهرت ثمرة صنعته ، ولانت رجلاه وصار يتمكن من مدها واشرف على كمال البرء ، فقال لي : اعط هذا المغربى شيئاً يرضيه واصرفه فقلت له : لماذا وقد ظهر نجح معالجته ، فقال : الامر كما تقول ولكنى في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء والالتزام باحضارهم ، وقد سكنت روحي إلى الانقطاع والدعة ، وقد كنت بالامس وانا معافي اذل في نفسي بالسعي اليهم وها انا اليوم قاعد في منزلي وإذا طرأت لهم امور ضرورية جاؤني بانفسهم رفقاً بى وبين هذا وذلك فرق كثير ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض ، فما ارى زواله ولا معالجته ، ولم يبق من العمر إلاالقليل ، فدعني اعيش باقيه حراً سليما من الذل ، فقد اخذت منه اوفر حظ .

قال عز الدين : فقبلت قوله وصرفت الرجل باحسان .

وكانت وفاة مجد الدين المذكور بالموصل يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ستمائة ودفن برباطه بدرب دراج داخل الموصل رحمه الله تعالى والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب .

قال بعض الحكماء : اربعة لا طمع لعاقل فيها ، غلبة القضاء ، ونصيحة الاعداء ، وتغير الخلق ، ورضى الخلق .

وقال فيلسوف : اربعة لا يخلو منها جاهل قول بلا معنى ، وفعل بلا جدوى وخصومة على غير طائل ، ومناظرة بغير حاصل .

وقال سقراط : اربعة لامرد لها ، القول المحكى ، والسهم الوفاق المرمي ، والقدر الجاري ، والزمن الماضى .

واربعة توجب المحبة : حسن البشر ، وبذل البر ، وقصد الوفاق . وترك النفاق

واربعة من علامات الكرم : بذل الندى ، وكف الأذى ، وتعجيل المثوبة وتأخير العقوبة .

واربعة من علامات الايمان : حسن العفاف ، والرضى بالكفاف ، وحفظ اللسان ، واعتقاد الاحسان .

واربعة من علامات النفاق : قلة الديانة ، وعدم الامانة ، وغش الصديق ونقض المواثيق .

واربعة يستدل بها على اربعة : العفة على الديانة ، والنصيحة على الامانة ، والصمت على العقل ، والعدل على الفضل .

واربعة لا تخلو من اربعة : المجهول من السقط ، والقؤول من الغلط ، والعجول من الزلل ، والملول من الملل .

واربعة تزري بأربعة : النعمة بالكفران ، والقدرة بالعدوان ، والدولة بالاغفال ، والحظوة بالاذلال .

واربعة تتولد من اربعة : الشر من الممازحة ، والبغض من المكادحة ، والوحشة من الخلاف ، والنبوة من الاستخفاف .

واربعة ترقى بها إلى اربعة : بالعقل إلى الرياسة ، وبالرأي إلى السياسة . وبالعلم إلى التقدير ، وبالحلم إلى التوقير .

واربعة تؤدي إلي اربعة : الصمت إلى السلامة ، والبر إلى الكرامة، والجود إلى السيادة ، والشكر إلى الزيادة .

واربعة تعرف باربعة : الكاتب بكتابه ، والعالم بجوابه ، والحكيم بافعاله والحليم باحتماله .

واربعة تدل على الجهل : صحبة الجهول ، وكثرة الفضول ، وطاعة الهوى ومصاحبة الحمق .

واربعة تدل على السعادة : حب العلم ، وحسن العمل ، وصحة الجواب . والقول الصواب .

واربعة توصل إلى اربعة : الصبر إلى لقاء المحبوب ، والجد إلى نيل المطلوب والزهد إلى التقى ، والقناعة إلى الغنى .

واربعة تحفظك من اربعة : العفة من الحرام ، والمعرفة من الآثام ، والمروءة من الغدر ، والديانة من الشر . انتهى .

قال صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى: وللتراجمة في النقل طريقان احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصي وغيرهما ، وهو ان ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية ، وما تدل عليه من المعنى فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها من الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الاخرى كذلك حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه .

وهذه الطريقة رديئة بوجهين ، احدهما : انه لا يوجد في الكلمات العربية ما يقابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الالفاظ اليونانية على حالها .

الثانى في التعريب طريق حنين بن اسحاق ، والجوهرى وغيرهما ، وهو ان يأتى الجملة فيحصل معناها في ذهنه ، ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ ام خالفتها . وهذا الطريق اجود ولهذا لم تحتج .

كتب حنين بن اسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لانه لم يكن فهيماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والالهي فان الذي عربه لم يحتج إلى اصلاح.

وأما كتاب اقليدس فقد هذبه ثابت بن قرة الحراني وكذلك المجسطي والمتوسطات بينهما .

يعجبني قول من قال :

ان الامير هو الذي اضحى اميراً يوم عزله
ان زال سلطان الولاية لم يزل سلطان فضله

ولله در من قال :

قالوا احب حبيباً ما تأمله فكيف حل به للسقم تأثير
فقلت قد يعمل المعنى بقوته في ظاهر اللفظ رفعاً وهو مستور

﴿ ترجمة الإمام عبد القادر محي الدين بن محمد يحي ﴾
(الطبرى الحسينى الشافعى)

قال صاحب السلافة : امام تصدر في محراب العلم والامامة وهام تسنم صهوة جموح الفضل فملك زمامه ، رفع للعلوم ارفع رايه ، وجمع بين الرواية والدرايه فاصبح وهو كاسر الوسادة ، بين الأئمة والسادة ، يشنف المسامع بفرائد كلامه ، ويبهج النواظر بما تدبجه انامل اقلامه ، إذا انفهقت بشقاشق قاله لهاته ، ثبت حق افصاح النطق وبطلت ترهاته ، إلى نسب في صميم الشرف عريق ، وحسب غصن مجده بالمعالي وريق ، وبيت علم ليس منه إلا امام او خطيب واديب فتى ، فضله في رياض الادب رطيب . والطبريون سادة من غير الفضل يربون ، وهذا الامام واسطة عقدهم ، ورابطة عقدهم ، ومحي آثارهم ، والآخذ من الدهر بثارهم ، صنف والف ، وسبق وما تخلف .

وأما الأدب فروضه الممطور وحوضه الراوية منه الطروس والسطور، وكانت له الهمة العليا التي تضيق عن اذهان الدنيا ، وانفة نفسه كان سبب ذهابها وانتزاع لطيفة روحه من اهابها .

ومن خبره انه انتابت خطبة الفطر احد ولديه ، وكانت اول خطبة حصلت بها للنوبة لديه ، فتهيأ للقيام بادائها ، وارهف عضب لسانه لابدائها ، فمنعه بعض امراء الاروام ، الواردين إلى مكة المشرفة في تلك الاعوام ، ورغب في ان يكون الخطيب حنفي المذهب ، واخاف من تعرض لرد امره وارهب ، فضاق بالامام لذلك نجده ووهده ، وجهد في ازالة هذا المانع فلم يجده جهده ، ولما لم يحصل إلا على الياس ، ولم يلف لضنى دائه من آس صعد كرسيه ، وتنفس الصعدا ، ففاضت نفسه لوقته كمدا وألقى على كرسيه جسدا .

ومن العجيب ان قدمت جنازته ذلك اليوم للصلاة عليه ، والخطيب يخطب على المنبر ناظراً اليه ، وذلك عام ثلاثين والف .

قلت : لم يذكر صاحب السلافة رحمه الله تعالى اسم هذا الامير المعتدي على هذا الامام الكبير ، والفاضل الشهير ، والمحقق النحرير .

وقد ذكر هذه الواقعة العلامة المؤرخ السيد محمد الشبلي في تاريخه عقد الجواهر والدرر في اخبار القرن الحادي عشر ، ونسبها إلى حيدر باشا متولي اليمن الذى طرده من اليمن الامام الامجد القاسم بن محمد .

﴿ وهذا اثبات شيء من نثره الفائق ونظمه الشائق الرائق ﴾

فمن انشائه ما كتبه إلى الشيخ عبد الرحمن المرشدي المتقدم :

من الطائف المحفوف باللطائف ، قبلت ارضاً نيطت بها تمائمي ، وحنت لها إذا أنت لفراقها حمائمي ، اول ارض مس جلدي ترابها ، وغذاني بلبان الادب اترابها ، وقوم لحن الحاني اعرابها ، وكفلني قبل ما كلفني اعرابها ، ونعق بسعادتي

مذ ولدت غرابها ، هي الحرم الآمن من كل خيفة ومخافة ، والمعقل الذي ينتقم الله ممن اذعر حاله واخافه ، والعصمة التي كحل طرف النائم بها أثمد الرحمة ، والمأمن الذي اتسع بالرحمة اتساع الرحم ، فلاضيق بنازليه وان كثروا ، ولا زحمة لايضار بحره وقلة مائه ، ولا يعاب بانقطاع سفائف الارزاق بمخائه وخليصائه ، فهو جنة من شأنها ان تحف بالمكاره ، ومن الناس من يقاد إلى الجنة وهو كاره ، بينا هي كذلك اذ غشيتها من الله الكريم نظره ، وانكشف عنها ما يخشى ويكره ، ولكل بكرة اصيل ، ولكل اصيل بكره ، فاسأل الله الذي بيده المن والمنون ، وامره مقدر بين الكاف والنون ، ان يقر العيون باجراء العيون ، وهذا عندى من نوع الاستخدام ، ويمتع النواظر بوجوه احبابنا النواضر ويحرسهم في الانفس والاهل والاخدام ، سيما الخدن الصديق والخل الشفيق المقدم في حقوق الاخاء على الاخ الشقيق ، مظهر القول بالوحده ، حيث لا اثينية بيني وبينه ، مصداق القول بالحلول إذ كان لساني وعيني ، وكنت لسانه وعينه ، شيخ الاسلام ناشر علوم الفتوى والفتوة على مفارق الانام ، نائل كنانة الفرائد في قبائل المستفيدين بما يبلغ قصي المطالب لمن سام وحام ، الامام المقتدى به في الصلاة والصلات ، المفزوع اليه إذا نزلت المشكلات وحلت المعضلات ، القائم بالحجه ، والدال على المحجة الثابت تفرده في علمي المعقول والمنقول بأصدق ثبت واصح حجه العالم النحرير العامل بالاحتياط والتحرير ، خطيب المسلمين المدره المفوه ، المؤيد بحول الله والقوه ، مولانا الشيخ عبد الرحمن بن عيسى لا زال عباب فضله قاموسا ، ولا برح علمه في دياجي المشكلات قابوسا ، وانهيت إلى حضرته التي تفقأت علماً ، وامتلأت ذكاء وفهما وتعبيرى عن المضارع بالماضى مجاز مرسل لما تقدم من الاتحاد والحلول والاستطراد نوع بديعى ، وحديثه مسلسل شوقا ، أذهل العبد عن المكاتبة واشغله ، عمن لم يكاتبه وعمن كاتبه ، فان البعد عن مولانا بالجسد ، من اعظم موجبات الكمد ومقتضيات النكد ، فالله تعالى يقرب سويعات الاجتماع بخير البقاع ، وقد كتبت

بغاية العجلة عند توجه السفاره ، وتوجههم مما هو اشق من نقب سماره ، فليعذر مولانا عما بها من التقصير ، وليتفضل بابلاغ السلام للصديق الكبير والعالم الشهير العالم العلامة الحجة الفهامه ، مولانا الصنو الشيخ احمد لا زال في معارج المعالي يصعد ، والسلام .

أقول : تأمل في اوائل هذا الانشاء عند قوله اول ارض مس جلدي ترابها إلى قوله : ونعق بسعادتي مذ ولدت غرابها ، هكذا نقلته بالعين المهملة من سلافة العصر من نسخة صحيحة مضبوطة للمرحوم الاديب الشيخ محمد صالح بن المرحوم الشيخ محمد علي القاضي الحكيم رحمه الله تعالى .

واغلب ظني ان هذا تحريف من الكاتب والله اعلم . لان نعق بالمهملة لغة نادرة ، كيف والامام المشار اليه امام اللغة والعربية .

يقال نغق الغراب بالمعجمة ، أي قال غاق غاق وينغق بالكسر نغيقاً بغين معجمة وحكى ابن كيسان : نعق الغراب بالمهملة إلا انه نادر .

وقال الامام العلامة الزمخشري في مستقصاه : وزعموا ان نغيبه يتطير منه وهو أن يقول غيق غيق ونغيقه يتفاءل به وهو ان يقول غاق غاق يقال نغق بخير واوردوا شواهد على ذلك ، ولا يقال نغق ببين جريا على ما قرره امام العربية الزمخشري بل لا يقال إلا نغق بفرح او بسرور ونغب بفرقة او بكدر ، انتهى .

فكتب اليه الشيخ عبد الرحمن مراجعاً بما صورته ان ارضا نيطت بها تمائمك لجديرة بالتقبيل ، ورياضاً تغنت بها حمائمك ، لحقيقة بالتعظيم والتبجيل ، كيف وقد انبتت دوحتك التي تفرعت منها فتأصلت ، واثبتت سرحتك التي اثمرت مثلك فوجدت بهذا الوجود وتحصلت ، وهي دوحة النبوة التي بها فضلت مكة على المدينة على ما اخترته وبينت دلائله ، وشرحت الرسالة التي طالما ملأ المولى عند الاملاء على الملأ بتفضيلها ، تصانيفه ورسائله ، ارضاً صدح بها طائر سعدك ، وما نعق إلا ببين ضدك الغراب ، وكفلك بها اوانس مهدك ، مبعديك عن جفا طبائع

الاعراب ، واجير الحانك عن لحن يفتقر إلى تقويمه بالاعراب ، اللهم إلا ان يكون هذا في قوة السالبة وعدم اقتضائها وجود الموضوع مقرر عند اولى الباب .

فيا ايها المشوق إلى معاهده ومسقط رأسه والمعوق عنه لقلة موارده وحرارة انفاسه ، المتعطش إلى لقاء خدنه المتطلع إلى الاجتماع بقرمه وقرنه ، لعمرك انه اليك لاشوق ، وبقول المتقدم اجدر وأليق :

يا من له بين الضلوع مراتع اناشيق اناشيق اناشيق

فاسأل الله ان يطوى شقة البين ، ويكحل بأثمد الاجتماع منا العين ، لتقر برؤية هذا الامام الجهبذ ، والهمام الذى تتشنف المسامع بفرائده وتلتذ ، المفوه الذى إذا قال لم يترك مقالا لقائل ، والمدره الذى اذا أطال لم يأت غيره بطائل ذى التآليف التي طبق الارض صيتها ، والتصانيف التي وقع الاتفاق على انها للواهيت التحقيق نواسيتها ، والفتاوى التي على اساليب اولى الاجتهاد في النص والاستدلال والتقارير التي يوضح بها ما في مغلق العبارات من التعقيد والاشكال شيخ الاسلام بل شيخ مشايخه الاجله ، مقتدى الانام في كل عصر ومدينة وقرية وحله ، الامام المتصدر في مقام ابراهيم ، الخطيب الذى تكاد القلوب من مواعظه تتصدع والعقول بها تهيم ، مالك زمام البلاغة والفصاحة ، الناظم الناثر الذى لا يدرك البليغ شأوه ولا يجترى البديع ان يحل له بساحه ، المدره المصقع اللسن السرى ، مولانا الامام محي الدين عبد القادر بن محمد الطبرى ، جعل الله باخمصه هامات المنابر ، وكحل به صدور المحاريب الشريفة المآثر واعاده الى معاد ، واعاذه من غائلة كل معاد ، ويهدى اليه سلاما يهزأ عرفه بالعنبر الاشهب ، ويسخر وصفه بالعبهر اذاهب ، مكتسباً الطيب من شمائله ، منتسباً في اللطف الى خلاله الشريفة وخصائله .

وينهى اليه شوقا يكاد ان يأخذ القلب بشغافه ، ويبدل العقل بشعافه ، فلولا ان الرحمن لطف بعبده ، ودار كه من بعد بعد صديقه وصده ، بوصول كتابه الذى نسخ مذ نسخ كتب الفصاحه والبلاغة ، وفسخ عقود عقودها لما تحلى من شذورها

بالوجد في الصناعة والصياغة ، فيا له من كتاب تفصلت آيات فرقانه ، وخطاب لو اوحى إلى المتنبي لتحدى به والفى سفاسف قرآنه ، ورد من بحر يلفظ الجواهر إلى ساحله ، وحبر يحفظ الجواهر لاإلزام مساجله فدهشت عند وروده .

وقلت : ما هذا قول البشر ، ونفث في روعي ان هذا إلا سحر يؤثر فلو لا اساءة الظن بي ما نبست في جوابه ببنت شفه ، ولقضيت بالحجر على نفسي ، وقلت ان معارضة مثله سخف وسفه ، لكن بحكم ما لايدرك لا يترك .

بعثت هذه البطاقة التي تلطفت وعلى فضلك تطفلت ، وتكافت لما سئمت اجابة رسالتك وبها تكفلت وانى لها بمعارضتها ، وكيف لها بمساجلتها ومقارضتها وقد انشئت تلك بين رياض وغياض ، وانتشت من انهار مدفقة في حياض وانتشقت نوافح ازهار تفوح من رياض تلك الخمائل ، وانتسقت في مسامعها صوادح تهيج بلابلها البلابل ، ويحيي النفوس نفس نسيمها الرطب السجسج ، ويملأ الكؤس اسفنط تسنيمها الذي يحاكي زردها الفضي بيد الريح فلا يحاكى اذ ينسج، إلى غير ذلك من تنعم بفاكهة جنية شهية ، ومفاكهة عذبة عدية ، ومجيبها ينتقلى ما بين طحر وسموم ، وماء بحر كانه اليحموم في قطر فقد منه نصف العناصر ، وصقع هب فيه من العناصر قد ابدل عن نغمات الصوادح ببغام الصوادي ، وعن نسمات البوارح بسمائم الوادي ، واشد من ذلك كله واشق بما هوبالتشكي منه اجدر واحق ، وهو فقد انيس بمجاورته يتسلى ، وعدم جليس بمحاورته تذهب الهموم وتتجلى ، قد اصبح غريباً ، وان كان في الوطن مقيم ، وكئيباً حيث لم يلق صديقاً وحميم ، فهو يشغل طرفي نهاره بالافتاء والتدريس ، ويأوي ما بينهما إلى غير انيس ، ينتابه جماعة هم من اللطف مفاليس ، ويرتاده اناس لا يلاحظون سوى وضع اليد في الكيس ، إلى غير ذلك من سماع اخبار مقسية ، وحوادث مذهلة للعقل ومنسيه فتارة يسمع خبر سفينة اغرقها اليم وآونة ان اخرى ادخلت المخا قهراً وانقضى امرها وتم ، وافظع من ذلك امر الماء الذي احرق الاكباد واعطش ، واوقع امره في

الحيرة وادهش ، بلغ ثمن الوعل منه خمسة وستة وسبعة وثمانية ، وبهذه الغاية تباع في بعض الاحيان بخمسة قربة الجارية .

﴿ تنبيه ﴾

قوله : وستة وسبعة وثمانية ، هذا هو المذهب القوي ولم يلتفت إلى قول من زعم ان العرب إذا عدوا وقالوا ستة سبعة وثمانية ، ويسمونها واو الثمانية . وهو ضعيف كما نبه عنه عمي العلامـــة السيد محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه الطاهرة في حاشيته على القاموس في باب الالف اللينـة عند قول صاحب القاموس ، الواو المفردة أقسام ، الاول : العاطفة لمطلق الجمع ، الى ان قال : التاسع واو الثمانية ، يقال ستة سبعة وثمانية ، ومنه (سبعة وثامنهم كلبهم) ما هذا لفظه .

أقول : قال ابن هشام في المغني : واو الثمانية ذكرها جماعة من الادباء كالحريري ، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه ، وزعموا ان العرب إذا عدوا قالوا ستة سبعة وثمانية أيذاناً بان السبعة عدد تام وان ما بعده عدد مستأنف واستدلوا على ذلك بآيات ، وذكروا ، اولها : الآية المذكورة في القاموس ، وذكر وجوه هذه الآية القوية ، إلى ان قال : وذهب ابو البقا على امامته في هذه الآية مذهب الضعفاء إلى آخر كلامه .

فاقول : ليس العجب من مثل الحريري في درة الغواص ان يعتمد مـذهب الضعفاء ، اعني واو الثمانية ، ولـكن العجب من صاحب القاموس على امامته وبراعته في اللغة وتأخره عن ابن هشام ، وعن الزمخشري المضرب في الـكشاف عن ذكر واو الثمانية ، وعدوله في الآية عنها إلى الوجه القوى الذي ذكره .

ثم ان صاحب القاموس لم يرد فيما ذكره على ما نقله ابن هشام عن الضعفاء ، ثم هو نقل غير تام كما ظهر لك بعد الوقوف على عبارة ابن هشام والله اعلم .

عود . . .

فلاتسل عما الناس فيه من الشدة والكربة ، وقد لحقهم من ذلك عرق القربة وقد وزعت منافذ الماء ما بين اهل الشوكة والجاهات ، وقررت الوعول لذوى المنايات والوجاهات واغتنى من في بيته حاصل من تحصيل الثمن الزائد ، وسر بذلك فان مصائب قوم عند قوم فوائد ، فلو ترى الحلائل المخدرات ، وقد ابرزهن الحال في جنح الليالي الحالك ، والعذارى المحررات يتهادين بالدوارق هنالك لرأيت ما يهول، ويرمى العقول بالذهول ، فكم من حرة هتكت وعذراء ثقبت درتها وسلكت وعزيز قوم في تلك المواقف ذل ، وجليل قدر لايلتفت اليه ، وان عظم قدراً وجل فهذه نازلة اشد من احتباس قطر الغمام .

فيتعين على الشافعية القنوت لها ولو فرادى ان لم يتهيأ ذلك مع امام ، هذا والامر افظع واهول والخطب اعظم من ان يعبر عنه مقول ، فاياكم والمبادرة بالقفول إلى هذه البلاد ، وعليكم بالاقامة حيث انتم ريثما تجري الطاف الله في العباد فالعارف لا يصل إلا الى ما عرفه ، والمبادر ينسب الى غفلة وعدم معرفة ، ولكون الدين النصيحة ابديت ذلك مع انه خلاف هواي ، اذ الغرض الأهم اجتماعي باهل خالصتي وأوادى ، فها انا قد بذلت النصح ، وان كان خلاف الهوى ، فلاتذرنى انشد (بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى) ومما قضى الله على شمس الامل بالافول ما وقع من غرق مركب الفول ، وفيه من حب الجراية الف ومائتا اردب .

ومن حب سليم وصراد الف وثمانمائة ، هذا نوع الحب ، وفيه من الفول الفان ، غير الحمل المحزوم من سائر ما يتقوت به الانسان ، وقد وصل ركبته وليس معهم سوى ما عليهم من الثياب ، ووردوا على جمال خالية عما سوى الاقتاب .

هذا بعد ان هلك منهم من هلك ، وادرك الغرق من انتهى اجله ، اطال الله اجلك ، فالله يلطف بالناس ، ويزيل عنهم البؤس والباس ، وتفضلوا بتبليغ سلامنا للنجلين السعيدين والشبلين السديدين، اقر الله بهما العين ، وكفاهما شرها ، واجرى لهما عذبها، واكثر لديهما تبرها، وعلى من شئتم من المخاديم شرائف التحية والتسليم

أقول : قد استخدم العين هنا لأربعة اشياء ، فانه قال : اقر بهما العين ، وهو من القرة لعين الانسان التي في الوجـه ، ثم قال : وكفاهما شرها والناس المعيانون مشهورون . ثم قال : واجرى لهما عذبها ، أي عين الماء الجارية ، ثم قال : واكثر لديهما تبرها ، فان الذهب وكذلك الفضة يسميان عيناً . والاستخدام هذا نوع جليل من اجل انواع البديع .

قال الصفي الحلي في شرح بديعيته : الاستخدام نوع عزيز الوقوع صعب على الناظم شديد الالتباس بالتورية ، فلما تكلفه بليغ وصح معه شروطه لصعوبته وقلة انقياده ولعمري انه كما ذكر هو عبارة عن ان يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين او اكثر اشتراكا اصلياً ، وتكون هنا قرينتان يستخدم كل قرينة منها بتلك اللفظة لمعنى يناسبها ، واصحه واتمه ما كان في القرينة الاخيرة ضمير يعود إلى تلك اللفظة ، كقول البحتري :

فسقى الغضا والساكنيه وان هم شبوه بين جوانحي وضلوعي

وقال الامام الجهبذ شرف الدين اسماعيل بن رضى الدين بن ابى بكر بن عبد الله المقري الشافعي من بديعيته في مدح سيد الانام عند ذكر الاستخدام :

أقر عيناً واجراها ندى واباها عسجداً وحكاها في دجى الظلم

فاستخدم لفظة العين لاربعة اشياء ، قوله : اقر عيناً ، اراد العين المعروفة في الوجه ، ثم قال : واجراها ندى . فاستخدمها للعين الجارية ، لانه اراد ان يقول : واجرى عيناً من الندى فاكتفى بالاولى واعاد الضمير اليها مستخدما لها ، ثم قال : واباها عسجداً ، فان الذهب والفضة يسميان عيناً ، والنبي ﷺ عرضت عليه جبال تهامة ذهباً فاباها ، وكذلك قوله : وحكاها في دجى الظلم ، اراد الشمس فانها تسمى عيناً فاستخدم اللفظة للاربعة المعاني ، وهذا غاية من فضل ابن المقري رحمه الله تعالى

عدنا إلى ترجمة الامام عبد القادر رحمه الله . . .

ومن شعره قوله مادحا الشريف محسن بن الحسين بن الحسن سلطان الحرمين :

لا والنواعم من خدود العين ما احتجت في حمل الهوى لمعين
وبما لهن علي من خلع العذار إذا سفرن بطرة وجبين
يلعبن بالالباب عند تمايس بمعاطف تزري الغصون بلين
أنا ذلك الصب الذي قد ماصبا بصبا الصبا وإلى الغرام حنيني
غيث السحائب مدمعي وهوى لظى نفسي ورعد الصاعقات انيني
يبريني التجدي من ألم النوى وتذيبني وجداً ظباً يبريني
لا يعذل المشتاق إلا جاهل هيهات ذلك فهو بئس قرين
ما مر بي في العشق إلا ما حلا لفؤاد كل موله وحزين
شرع الهوى فرضي وحسن تهتكي نفلي ومدحي محسناً من ديني

ما احلى هذا التخلص العجيب الذي لا يأتي إلا من مثل ذلك الفاضل الحسيب الشريف الاديب :

ابن الحسين ابو الحسين اخو التقى من ليس يرضى في العلى بالدون
عالي الجناب إذا انتخى وإذا انتحى سهل الحجاب بغاب ليث عرين
ذو هيبة حلت قلوب عدائه لو انهم حلوا أقاصي الصين
من عزمه ساح الحديد وسالـ ذا سلت فحاكى السيح من سيحون
يروي الاسنة والشوازب من دم الاعداء لا يرضى لها بمعين
ويرى المنى نزع النفوس بما بها من كل غل في الصدور دفين
الله ما اعلى مرامي ظنه طبق القضا في شأن كل ظنين
وأأمه في الامر قبل وقوعه وخطوره في عالم التكوين
يرضيك ان هز القنا بشماله وإذا انتضى سيف القنا بيمين
فيريك لمع البرق في ظلم الحشا سيل العقيق ومدهق الزرجون
تملت به عللا رؤس رماحه فبدت معربدة بقطع وتين

وصحت فانهلها الظهور فحطمت اضلاع كل مجدل وطعين
وبها حمى ام القرى فدع القرى متسفلا في الاتقا بمتين
من ذا يقاومه إذا اشتد الوغى إلا فتى يرجو لقاء منون
هذا التقي الطاهر الذيل الذي يسمو بعرض في الانام مصون
مولى الجميل وباذل الفضل الجزيل وكاشف الخطب الجليل لحين
حكت السحائب كفه فبكت على ما فاتها من سحه بهتون
قسما به لم يحكه في جوده إلا الذى اضمرت طي يميني
فهم هم بيت النبوة والحجى والبر أرباب التقى والدين
إضمنهم لم تلق إلا محسناً من محسن من محسن لضمين
واعقد يمينك انه من عقدهم عين القلادة فصلت بثمين
من رام عزاً فلينخ برحابه امـلا فيذهب عند ذل الهون
ما سام مرعى خصبه متضائل إلا تبدل غثـه بسمين
يا ابن النبي اليكها من مخلص بالـكاف قدرها القضا والنون
خذ فالها الحسن الجميل وقولها كن كيف شئت بغاية التمـكين
وافتك كالطاووس تزهو عزة مذ ديجت بغلائل التلوين
فالطرس منها اخضر والسطر فيه اسود يستل بيض جفون

ما احسن هذا التدبيج :

اثنت عليك ببعض حقك فاغتفر تقصيرها في المدح لا التحسين
لا زلت في اوج السعادة راقيا بدوام عز في الفخار مكين

وقوله مشجراً في احمد :

استودع الله ظبياً في مدينتكم سلامه كان لي في الحال توديعا
حلو المراشف إلا ان مبسمه قد رصعته لآلى الثغر ترصيعا
مهفهف القد إلا ان عاشقه على الوداد له ما زال مطبوعا

دنوت منه فحاباني بمنطقه فانتج الفكر تأصيلا وتفريعا

وقوله في بعض المدايح :

فتى يروى المكارم عن يديه زكى عن زكي عن زكي
سيول عن حياء عن بحور عن الافضال عن كف ملي

وهذا من قول ابن رشيق في الامير تميم :

اصح واقوى ماروياه في الندى عن الخبر المأثور منذ قديم
احاديث ترويها السيول عن الحيا عن البحر عن كف الامير تميم

ولكن ابن الثريا وابن الثرى ولما خدم الامام المذكور الشريف حسن سلطان الحرمين الشريفين بشرح الدريدية التي سماها الآيات المقصورة على الابيات المقصورة قال في ديباجته مادحاً له :

سليل النبي المصطفى خير صفوة مهذبة قد انتجتها العناصر
هو الحسن الممدود في الناس اولا لذا عقدت حقاً عليه الخناصر
فلا زال منصور اللواء مؤيدا وانت له يا مالك الملك ناصر

اتفق ان حكم له تاريخ تأليفه في بيتين كتبهما على ظهره وهما :

ارخني مؤلفي ببيت شعر ما ذهب
احمد جود ماجد اجازني الف ذهب

فانعم له بما طلب واجازه الف ذهب .

ومن غريب ما يحكى من بديهته انه ام ذات يوم بالمسجد الحرام ، فلما خرج من المقام اعترضه رجل من زهاد الغربا ، وقال له : يا مولانا أئمة مكة لا يجيدون مخرج الذال المعجمة ، فقال له : نحن ، قال : نعم ، قال : تكذب تكذب تكذب . وبالغ في ابانة الذال ، وقال : اسمع الآن هل نجيد مخرجها ام لا ، فانقطع الرجل خجلا والله اعلم .

قدم رجل من سفر فلقى غلاما له فقال له : ما فعل ابى ؟ قال : مات ، قال : ملكت امري ، قال : فما فعلت امي ؟ قال : ماتت ، قال : سترت عورتي ، قال : فما فعلت امرأتى ؟ قال : ماتت ، قال : جددت فراشى ، قال : فما فعل اخي ؟ قال: مات قال : آه انقطع ظهري .

﴿ نظم للجمل التي لها محل من الاعراب ،والتى لا لها محل من الاعراب ﴾

وخذ جملا عشراً وستاً ونصفها لها موضع الاعراب جاء مبيناً
فوصفيـة حاليـة خبريـة مضاف اليها واحك بالقول فاعلنا
كذلك في التعليق والشرط والجزا إذا عامل يأتى بلا عمل هنا
وفي غير هذا لا محل لها كما اتت صلة مبدوأة تترك المنى
وفي الشرط لاتعمل كذاك جوابه جواب يمين قادره فاتك المنا
مفسرة ايضاً وحشو كذا اتت كذلك في التخصيص نلت به الغنى

الوصفية نحو : مررت برجل ابوه قائم ، والحالية نحو : جاء زيد يضحك ، والخبرية نحو : زيد ابوه منطلق ، والمضاف اليها نحو : هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ، والمحكية بالقول نحو : قلت زيد قائم ، والمعلق منها العامل نحو : علمت ما زيد منطلق ، وعلمت لزيد منطلق ، والشرط والجزاء نحو : ان قام زيد قام عمرو والصلة نحو: جاء الذى هو قائم والمبدأة نحو: زيد قائم ، والتي في الشرط والجواب نحو : إذا قام زيد قام عمرو ، والتي في اليمين نحو : والله ان زيداً قائم ، والمفسرة نحو : زيداً ضربته ، والتى في الحشو نحو قول الشاعر :

ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي إلى ترجمان

والتي في التخصيص نحو : هذا زيد ضربته .

﴿ فائدة مجربة لطرد الفار ﴾

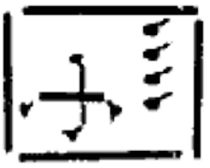

تكتب هذه الاحرف في شقفة طاهرة ، وتدفنها في الموضع الذي تريد طرد الفيران عنه فانها تهرب منه ولا تقربه ابداً .

وهذه الاحرف : همر لا طام لامه ط

﴿ فائدة لبكاء الطفل مجربة ﴾

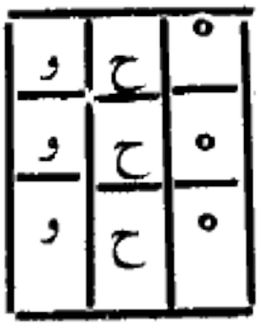

تكتب هـذا الوفق في قرطاس وتعلقه في عنق الطفل وهو نافع مجرب .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

﴿ فائدة مجربة للملسوع من الحنش ﴾

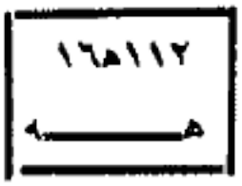

تكتب هذا الاسم ويمحى ويشربه الملسوع ، وان كان الملسوع بعيداً يشربه رسوله ، وهذا ما تكتبه :

﴿ فائدة للعرق المدنى مجربة ﴾

يكتب لصاحبه اربعة عشرة ورقة ، ويبلع كل يوم ورقة وقت الصبح ، فهو نافع ان شاء الله تعالى . وهـذا الذى يكتب في الورقة :

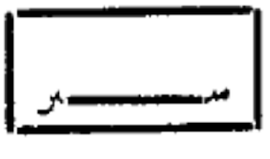

﴿ ترجمة أبي الحسين محمد بن أحمد بن ايوب بن الصلت بن شنبوذ ﴾
(المقرى البغدادى)

كان من مشاهير القراء واعيانهم ، وتفرد بقراءة من الشواذ ، وكان يقرأ بها في المحراب فانكرت عليه ، وبلغ ذلك الوزير ابا علي محمد بن مقلة الكاتب المشهور .

وقيل انه يغير حروفا من القرآن ، ويقرأ بخلاف ما انزل ، فاستحضره الوزير في اول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، واعتقله في داره اياما .

ولما وكان يوم الاحد لسبع خلون من الشهر المذكور استحضر الوزير المذكور القاضى ابا الحسين عمر بن محمد وابا بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرى ، وجماعة من اهل القرآن واحضر ابن شنبوذ المذكور ونوظر بحضرة الوزير واغلظ في الجواب للوزير والقاضى وابى بكر بن مجاهد ونسبهم إلى قلة المعرفة ، وعيرهم بانهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر .

واستصبي ابا الحسين المذكور فامر الوزير ابو علي بضربه فأقيم وضرب سبع درر فدعا على الوزير ابن مقلة وهو يضرب بقوله : ان الله يقطع يده ويشتت شمله ، فكان الامر كذلك ـ وسيأتى خبر ابن مقلة في ترجمته ان شاء الله تعالى .

ثم انهم اوقفوه على الحروف التي قيل انه يقرأ بها فانكر ما كان شنيعاً ، وقال فيما سواه انه قرأ به قوم فاستتابوه ، فتاب . فقالوا للوزير: انه قد رجع عما كان يقرأه وانه لا يقرأ إلا بمصحف عثمان رضى الله عنه ، وبالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس ، وكتب عليه الوزير محضراً بما قاله وامره ان يكتب خطه فى آخره ، فكتب ما يدل على توبته ، وهذه نسخة المحضر .

سئل محمد بن احمد المعروف بابن شنبوذ عما حكي عنه انه يقرأه وهو (يا ايها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله) فأعترف به . وعن (افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون شكركم انكم تكذبون) فاعترف به.

وعن (تبت يدا ابي لهب وقد تب) فأعترف به ، وعن (وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) فأعترف به .

وعن (وتكون الجبال كالصوف المنفوش) فأعترف به وعن (فاليوم ننجيك ببدنك) فاعترف به .

وعن (فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا كاملا في العذاب المهين) فاعترف به .

وعن (فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما) فاعترف به .

وعن (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والانثى) فأعترف به .

وعن (ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما اصابهم اولئك هم المفلحون) فاعترف به .

وعن (ان لا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد عريض) فأعترف به .

وكتب الشهود الحاضرون شهاداتهم في المحضر حسبما سمعوه من لفظه .

وكتب ابن شنبوذ بخطه ماصورته : يقول محمد بن احمد بن ايوب المعروف بابن شنبوذ ما في هـذا الرقعة صحيح وهو قولي واعتقادي واشهد الله عز وجل وسائر من حضر على نفسي بذلك .

وكتب بخطه : فمتى خالفت ذلك او بان مني غيره فأمير المؤمنين في حل من دمي وسعة ، وذلك يوم الاحـد لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة في مجلس الوزير ابي علي محمد بن علي بن محمد بن مقلة وكلم ابو ايوب السمار الوزير ابا علي في امره وسأله اطلاقه وعرفه انه ان ظهر نهاراً قتلته العامة ، وسأله ان ينفذه ليلا سراً إلى المدائن ليقيم بها ايام ، ثم يدخل إلى منزله ببغداد مستخفياً ولا يظهر بها اياماً فاجابه الوزير إلى ذلك وانفذه إلى المدائن .

وتوفى يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر سنة اربع وعشرين وثلثمائة ببغداد وقيل : انه توفي في محبسه بدار السلطان .

وشنبوذ ـ بفتح الشين المعجمة والنون وضم الباء الموحدة وسكون الواو وبعدها ذال معجمة ـ لقب له ، والله الهادى ، انتهى .

مما قيل في الاهاجي والمجون والهزل وما اشبه ذلك، ابوالحسن اللحامي الحراني:

انى اعتللت علة سقطت منها في يدي
وكان في الاخوان من لم ارهم في العوّد
فقلت فيهم كلهم قول امرىء مقتصد
.. الذي قد عادنا في است الذي لم يعد

الصاحب ابن عباد الآتى ذكر ترجمته يهجو ابن متويه :

سبط متويه رقيع سفله ابداً يبذل فينا اسفله
اعتزلنا .. في دبره فلهذا يلعن المعتزله

وله فيه :

هـذا ابن متويه له فتحة تبتلع .. واقصى الخصا
يكفر بالرسل جميعاً سوى موسى بن عمران لاجل العصا

وله غيره :

ابوالعباس قد اضحى فقيها يتيه بفقهه في الناس تيها
وذلك ان لحيته اتتنى تناظر فقحتي فخريت فيها

وله فيه :

ابو العباس تحضره جموع من الفقهاء لجوا في الغواء
كأنهم إذا اجتمعوا لديه ذباب قد جمعن على خراء

ابو القاسم يهجو القويضى :

رجلي .. وبيضى في است ام القويضى
لما اراد هجائي وفيضه دون فيضى
ورام تدنيس عرضى فصار خرقة حيض

﴿ ترجمة ابى بكر محمد بن سيرين البصرى ﴾

كان ابوه عبداً لأنس بن مالك رضي الله عنه كاتبه على اربعين درهما ، وقيل عشرين الف درهم ، وادى المكاتبة ، وكان من سبى ميسان . ويقال من سبى عين التمر . وقيل كان ابوه سيرين من اهل جن جرايا .

وكنيته ابو عمرو ، وكان يعمل قدور النحاس ، فجاء إلى عين التمر ليعمل بها ، فسباه خالد بن الوليد في اربعين غلاما مختتنين فانكرهم ، فقالوا انا كنا من اهل مملكة ، ففرقهم بين الناس .

وكانت امه صفية مولاة ابى بكر الصديق رضى الله عنه طيبها ثلاث من أزواج رسول الله ﷺ ودعون لها وحضرا ملاكها ثمانية عشر بدريا فيهم أبي بن كعب يدعو وهم يؤمنون .

وروى محمد المذكور عن ابى هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصين وانس بن مالك رضى الله عنهم ، وغيرهم من الأئمة ، وهو احد الفقهاء السبعة من اهل البصرة والمذكور بالورع في وقته ، وقدم المدائن على عبيدة السلماني ، وقال : صليت معه ، فلما قضى صلاته دعا بدعائه ، واتى بخبز ولبن وسمن فأكل واكلنا معه ، ثم حدثنا حتى حضرت العصر فيما بين الصلاتين .

وكان محمد المذكور صاحب الحسن البصري ، ثم تهاجرا في آخر الامر ولما مات الحسن لم يشهد ابن سيرين جنازته .

وكان الشعبي يقول : عليكم بذلك الرجل الذميم ، يعنى ابن سيرين لانه كان في اذنيه صمم .

وكانت له اليد الطولى في تفسير الرؤيا ، وكان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عثمان وتوفى في تاسع شوال يوم الجمعة سنة عشر ومائة بالبصرة بعد الحسن البصري بمائة يوم .

وكان بزازاً ، وحبس بدين كان عليه ، وولد له ثلاثون ولداً من امرأة غريبة ، ولم يبق منهم غير عبد الله ، فمات عبد الله حتى قوم ماله ثلثمائة الف درهم .

وكان محمد المذكور كاتب انس بن مالك بفارس .

وكان الاصمعي يقول : الحسن البصري سيد سمح ، وإذا حدث الاصم بشيء ـ يعني ابن سيرين ـ فاشدد يديك ـ وقتاده حاطب ليل .

وميسان ـ بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحت وفتح السين وبعد الالف نون ـ وهي : بليدة بأسفل البصرة ، وبالله التوفيق .

قيل : ان عبد الملك بن مروان كان شديد الشغف بالنساء ، فلما اسن ضعف عن الجماع فازداد غرامه بهن ، فدخل عليه ايمن بن خزيم بن فاتك الاسدي ، فقال له : كيف انت يا ايمن ؟ قال : بخير ، قال كيف قواك ؟ قال : كما احب والحمد لله اني لآكل الجذع من الضأن ، والصاع من التمر ، واشرب العس المملوء اعبه عبا . وارتحل الجمل الصعب فاحمله ، وارتكب المهر الارن فاذلله ، وافترع العذراء لا يقعدني عنها الكبر ، فغاظ ذلك عبد الملك وحسده ، فجفاه وحجبه ومنعه عطاءه ، حتى اثر ذلك في حاله ، فقالت له امرأته : اصدقني هل لك جرم ؟ فقال : لا والله ، قالت : فاي شي دار بينك وبين عبد الملك آخر ما لقيته ؟ فأخبرها ، فقالت : من ها هنا اتيت ، وانا احتال لك ، فتهيأت ودخلت على عاتكة بنت يزيد زوجته ، فقالت : أسألك ان تستعدي لي الخليفة على زوجي ؟ قالت : فيم ؟ قالت : لا ادري انا مع رجل او حائط فان له سنين ما يعرف فراشي ! فخرجت عاتكة واخبرت عبد الملك فوجه اليه وسأله عما ذكرت ، فاعترف بذلك ، فقال : اولم اسألك عام اول عن حالك فوصفت كيت وكيت ، فقال : يا خليفة ان الرجل ليتجمل عند سلطانه ، ويتجلد لاعدائه بأكثر مما وصفت به نفسي وانا القائل :

لقيت من الغانيات العجابا ... لو ادرك مني العذارى الشبابا

علام يكحلن سود العيون ... ويحدثن فوق الخضاب الخضابا

ويبرقن إلا لما تعلمون فلا تمنعوا المؤمنات الضرابا
ولو كلت بالمد للغانيات وضاعفت فوق الثياب الثيابا
إذا لم تنلهن من ذات ذاك يغنيك عند الامير الكذابا
إذا لم يخالطن كل الخلاط اصبحن مخرنطمات غضابا

فجعل عبد الملك يضحك من قوله ، ثم قال له : اولى لك يا ابن حزيم لقد لقيت منهن برحا فما ترى ان نصنع بينك وبين زوجك ، قال : تستأجلها أجل العنين واداريها لعلي استطيع امساكها ، قال : افعل وردها اليه ، وامر له بما فات من عطائه وزاد في بره وتقريبه .

ومن هذه المادة قول السراج الوراق :

إذا أيس المرء من . . رأت عرسه اليأس من خيره
ومن كان في سنه طاعنا فقد عدم الطعن في غيره

وقال ايضاً :

رب بكر اصبتها اول العمر وقد حي من الشباب المعلى
طلبت ذلك النشاط فاجملت لها القول حين قصرت فعلا
كنت ترساً وكان رمحاً فلما صرت بئراً يا ستنا صار حبلا

وهذا النوع من البديع بديع يسمى مراعاة النظير بين الترس والرمح والبئر والحبل وله وفيه التورية :

طوت الزيارة إذ رأت عصر الشباب طوى الزياره
وبقيت اهرب وهي تسأل جارة من بعد جاره
وتقول يا ستي استرحنا لا سراج ولا مناره

أقول : ستي وكذا ياستنا في الابيات التي قبل هذه ليس هو من كلام العرب بل هو لحن كما اشار اليه علامة عصره عمي السيد محمد بن علي بن حيدر قدس الله روحه في حاشيته على القاموس المتقدم ذكرها عند قول صاحب القاموس في باب التاء

فصل السين : الست بالكسرم اصله سدس ، فابدال السين تاء وادغم فيه الدال إلى قوله : وستي للمرأة ، أي يا ست جهاتي او لحن ، والصواب سيدتي ما هذا نصه :

أقول : قال الفاضل المحبي صاحب النفحة في ترجمة عبد الباقي الاسحاقي في أهل مصر قولهم : ستي بمعنى سيدتي خطأ ، وهي عامية مبتذلة .

ذكره ابن الاعرابي وتأوله ابن الانباري يريدون ست جهاتي .

وتبعه في القاموس ، فقال : وستي للمرأة ، أي يا ست جهاتي ، كناية عن تملكها له ، ولا ريب انه تكلف وتمحل ، واليه اشار بهاء الدين زهير بقوله :

بروحي من اسميها بستي فتنظرني النحاة بعين مقت
يرون بأنني قد قلت لحنا وكيف وانني لزهير وقتي
ولكن غادة ملكت جهاتي فلا لحن إذا ما قلت ستي

وأقول : هذا الذي ذكره نقله ابو منصور الجواليقي في كتاب ما تغلط فيه العامة ، وهي رسالة مفيدة شريفة .

قال : ويقولون فعلت ستي ، وقالت ستي ، والصواب ان يقال سيدتي ، لانه تأنيث السيد .

وقرأت بخط ابي الحسن علي بن محمد الكوفي حدثني عبد الله بن عمار الطحني قال حدثني الزغل قال : رأيت ابن الاعرابي في منزلنا فقالت عجوز لنا ستي تقول كذا وكذا ، فقال ابن الاعرابي ان كان من السؤدد فسيدتي وان كان من المدد ، فستي لا اعرف في اللغة لستي معنى .

وتأوله ابن الانباري فقال : يريدون يا ست جهاتي وهو تأويل بعيد مخالف للمراد ، انتهى كلام الجواليقي .

فقد ظهر ضعف قول القاموس وستي للمرأة الخ ، وتقديمه هذا التأويل يقتضي انه يقويه فذلك خطأ ، ثم الايراد على عبارته أن يقال قولهم ستي بمعنى سيدتي ليس من كلام العرب ، كما ينبه عليه ، فقالت عجوز في الدار إذ لو كانت تلك

المجوز فصيحة لم يرد عليها ابن الاعرابي ، ولو كان من كلام العرب لوجب قبوله وجعل (سِتّت) مادة له مثل (سود) مادة للسيد بجعل بمعناه ، او يجعل مادة (سدس) كما جعلت مادة الست بمعنى العدد حيث ثبت من كلام العرب ، وإذا لم يكن الست بمعنى السيدة من كلام العرب ، فكيف يقول : وستي للمرأة الخ . . .

وذلك يقتضى انه من كلام العرب إذ موضوع كتب اللغة كلامهم ولا ريب ان التقدير ، وقولهم : ستي للمرأة . . الخ . .

فالظاهر عود الضمير إلى العرب وذلك خطأ ، فهـــذا هو الايراد مضافاً إلى التخطئة في تقوية الضعيف ، والله تعالى اعلم .

عود على بدء . . .

وقال ابن حجاج :

اسفي عليه ممدداً فوق الحصى قتل المليل فديته من نائم
طمع الغواني في انتظار قيامه طمع العوالم في انتظار . .

وقال ايضاً :

قالت وقد قلت اعبثي لي به يوما وقد قامت وقد ناما
لو ان اسرافيل في راحتي ينفخ في . . ما قاما

هذا معنى عجيب ، وتشبيه غريب !

وله من المعانى الغريبة :

تقول لي وهي غضبى في تدللها وقد دعتني إلى شيء فما كانا
إذا لم تنكني نيك المرء زوجته فلا تلمني إذا اصبحت قرنانا
كأن . . من شمع رخاوته وكلما حركته راحتي لانا

وقال السراج الوراق :

لا بارك الله في . . وبارك لي فيه فمدحي وذمي فيه سيان
له قيام معي في واحـد ابداً وينثني عند ما ادعوه للثاني

يصير طاقين في كفي وحسرته وحسرتي في السراويلات طاقان
والشيء في نظري شيئان انظره كذاك .. يثنى فهو ..

وقال غيره مضمناً :

عهدي .. وهو فيه تيقظ كم قام منتصباً وما نبهته
واليوم كالطفل الصغير بمهده يزداد نوما كلما حركته

وقال ابن ابى الصقر الواسطي بسبب انه اتهم بغلام له :

ابن ابى الصقر افتكر وقال في حال الكبر
والله لو لا بولة تلحقني عند السحر
لما ذكرت ان لي ما بين فخذي ذكر

ابو حكيمة وهو معنى غريب :

ينام على كف الفتاة وتارة له حركات ما يحس بها الكف
كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسه إلى ابويه ثم يدركه الضعف

قلت : ويعجبني في هذا المعنى قول الاديب الفاضل السيد تاج الدين العاملي وهى قصيدة طويلة استحسنت ايرادها هنا للطف معانيها ، وهى :

لم يشجني لاعج من لاعج الحرق ولا بكيت على قان ولا يقق
لكن بكيت أخالي حاول امرأة ورام منها لقاء الرمح بالدرق
يظن في .. ما في الا.. على جهل ويحجو سراب البر من غدق
حتى إذا كشفا بعض الستور إذا بايره ميت ثاو على الطرق
لهفى له وهو ملقى فوق بقحته مسترسل الجلد فوق الرأس والعنق
لهفى لصاحبه يغريه مبتغيا لدفعه دفعة في ذلك الغسق
يقول يا .. قم حتى اجيلك في رياضه جولان الطير في الافق
وقد غدا فضلة من قطن غازلة ودون نيل اللآلي عاجل الغرق
يدنو ويرنو إلى دكانها فاذا رآه اوشك ان يقضي من الحنق

كم نبهته وقالت عند ذاك له ... جكى جكى كاركن برخز فلم يفق
نرجولذا الكير في ذاالكار مشتلقا ... وهل لاهل البلا نفع بمشتلق
لو انها ذات يوم الخطب شاعرة ... لانشدت بلسان ناطق ذلق
قد رمت شربا فلم ابلغ سوى شرق ... ورمت مشياً فلم ابلغ سوى الزلق
حتى إذا ايسا منه ولم يريا ... في ذلك الا.. من حس ولا رمق
جاآ بلمس وتقبيل وجوههما ... تعوضاً عن سمين اللحم بالمرق
وقام من بعد يمشي في الازقة لا ... يدري إلى اين يمضي وهوفي قلق
معاتباً .. مخف مصيبتـــه ... على العباد حزيناً سيء الخلق
وسائل لي عن اوصافه عبثاً ... فقلت مختلفاً في زي متفق
أما الفتى وهو المسؤل عنه له ... شأن سعيد وأما .. فشق
اراه من فرقة لا شك ناجية ... وا.. كأن من هالك الفرق
ومن رجال القوى والشغل صاحبه ... وا.. من .. العجز والفنق
يمسي ويصبح في ضدين منقسما ... فالا.. في وسن والعين في ارق
اخي صبراً فكم عين غدت اثراً ... لـكن با.. بعد اليوم لاتثق
لشارب الراح صحو بعد سكرته ... فسل لا.. اي المسكرات سقى
وللمصابين صبر في مصائبهم ... فليت شعري اي الفادحات لقى
فان يرم منك امراً بعد فعلته ... فدقه والوه والفه في الخرق
وشده في خيوط غير لينة ... وقل له طا لما عذبتني فذق
فان تشأ فاختبره ثانياً فمسي ... يتوب مما جنى من موجب الرتق
فان يتب فاعف عنه واحترمه وان ... يعد فهدده بالمنشار والنجق
وان يدم فعله هذا إلى سنة ... فدعه فهو لغير البول لم يلق
وكلما توفى الدنيا لك امرأة ... فقل اعوذ برب الناس والفلق
ودع مقال اطباء الا.. ر وما ... قد هيؤه لاجل الرتق في الورق

فليس ينشر .. ميتاً احد إلا الذي خلق الانسان من علق
عجبت ان قيود الخلق من حلق وان .. في قيد عن الحلق
لا عاش .. رمى في وجه صاحبه قهراً وفجر منه ابحر العرق
يا ذا المتاع المعنى قلب صاحبه يا جامعاً بين سوء الحمق والحرق
اصبحت لاتعرف الفردوس من سقر ولا تميز بين الفجر والشفق
رمت استبا قابلا روح ولا بدن وليس من مات من دهر بمستبق
لكن اشد جنوناً منك ذو امل مسابق بك يرجو الفوز بالسبق
ما للنساء .. لا يرام به دخول حصن ولا نفع من الشبق
قد صار للخير بابا غير منفتح كلا وللشر بابا غير منغلق
جزاؤه عند قاضي الغانيات بان يهدى إلى كلبة جرباء في طبق
فهو البلاء وتاريخ البلاء ألا قبحاً .. لطعن الرمح لم يفق

قيل : ان امرأة من اهل الحذاقة والظرافة مرت على بعضهم وهي ملفوفة بكساء ، فقال لها : من انت ؟ قالت : انا السادس في السابع ـ اشارة إلى قول ابن سكرة المشهور في بيته ـ فكأنما قالت انا .. في الكساء .

أقول: وهذا نوع من البديع ، يسمى التلميح ، وقيل التمليح ، وقيل التلويح ونظم بعضهم هذا المعنى فقال :

رأيتها ملفوفة في كسا خوفا من الكاشح والطامع
قلت لها من انت يا هذه قالت انا السادس فى السابع

ومن غرائب التلميح ماحكاه ابن الجوزي فى كتاب « الاذكياء » قال : قعد رجل على جسر بغداد فاقبلت امرأة بارعة فى الجمال من جهة الرصافة إلى الجانب الغربي ، فاستقبلها شاب فقال : يرحم الله علي بن الجهم ، فقالت المرأة : يرحم الله ابا العلا المعرى ، وما وقفا ، بل سارا مشرقا ومغربة .

قال الرجل : فتبعت المرأة ، وقلت : والله ان لم تخبرينى ما اراد وما اردت

وإلا فضحتك ، قالت : اراد بعلي بن الجهم قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث ندري ولا ندري

واردت بقولي ابي العلا المعرى قوله :

ايا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك اهوال

﴿ ترجمة أبي بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد المقرى ﴾
(المعروف بالنقاش ، الموصلي الأصل)
(البغدادى المولد والمنشأ)

كان عالماً بالقرآن والتفسير ، وصنف في التفسير كتابا سماه شفاء الصدور ، وصنف غيره .

وسافر البلاد الكثيرة ، شرقا وغربا ، وسمع بالكوفة وبمكة والبصرة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجبال وخراسان ، وما وراء النهر .

وفي حديثه مناكير باسانيد مشهورة . وروى عن جماعة من اجلة العلماء . ورووا عنه .

وقال البرقانى: كل حديث النقاش رجاله مناكير ، وليس في تفسيره حديث صحيح.

وكانت ولادته سنة ست وستين ومائتين ، وتوفي يوم الثلاثاء ، ودفن يوم الاربعاء لثلاث خلون من شوال سنة احدى وخمسين وثلاثمائة .

والنقاش ـ بفتح النون والقاف المشددة وبعد الالف شين معجمة ـ نسبة إلى من ينقش السقوف والحيطان وغيرها . وكان ابو بكر المذكور في مبدأ امره يتعاطى هذه الصنعة ، فعرف بها والله الموفق للصواب .

فلما كان يوم الجمعة بعد الزوال لتسع بقين من شوال ، عام الف ومائة واحد واربعين خرجنا من الطائف قاصدين يمن الحجاز ، فاتينا على ارض ليه ، وهى قرية

بها اشجار مؤتلفة ، وأثمار مختلفة . ثم اتينا على الصخيرة عند الغروب وبتنا بها ، وبها اشجار تين ومزارع وآبار .

وفي الصبح رحلنا فاتينا عباسة قبيل الظهر وهي قرية بها اشجار وآبار وأثمار ثم اتينا ام شرم ، وهي قرية بها اشجار وأثمار وآبار ، ثم اتينا الحواك وهي كذلك ، ثم اتينا بقران وهي كذلك .

فلما كان عند العشاء اتينا بعون مالك الرقاب ، إلى سوق الضراب ، وهو سوق باعلى ربع صغير ، وفيه حوانيت موضومة بالصخر ، وتحته بساتين واشجار وفواكه وآبار ، وبتنا هناك .

وفي الصبح رحلنا فاتينا على المهضم ، وفيه بساتين ومزارع وآبار ، ثم اتينا جدارة ، وهي قرية محاسنها اصلية لامستعارة ، اشجارها مثمرة ، وبدور محاسنها مسفرة ، وهزارها على الورود يغرد ، وشحرورها فوق الاغصان يردد ، والبلابل هيجت الاشواق والبلابل ، وعيون ازهارها لوجه الوافدين شاخصة ، ومياه آبارها مصفقة وراقصة :

والسرور في رياضها المعطره كغادة اذيالها مشمره

ثم اتينا السراة ، وهي قرية كبيرة ، وبها من ارع كثيرة ، ومياه غزيرة واشجاره نضيرة ، وحصون شواهق ، ترى الحصن كانه بالفلك الاطلس لاحق .

أقول : السراة متصلة إلى ديار بجيلة وزهران وعنز وبني القرن وبني شبابة والمغافر ، وفيها قرى عظيمة وجبال .

والسراة تصدق ايضاً على اعلى عقبة كرا وغيره كالمسمى في هذا الزمان بيعرج ـ بفتح الياء وكسر الراء ـ والمسمى بمغار ـ بفتح العين والفاء ـ والمسمى بخروب ـ بضم الخاء المعجمة والراء المهملة ـ والمسمى بكنفعر ـ بضم الكاف وسكون النون ، وفتح الفاء وسكون العين المهملة وبعدها راء ـ وغير هذه المذكورات مما هي كلها سراة الجبل المسمى بالطود .

ذكره في القاموس في (ط و د) وقال انه ينقاد إلى صنعاء ، فاعرف ذلك .

والسراة ايضاً اعلى كل شيء ذكر ذلك العلامة عمي السيد محمد بن علي بن حيدر في حاشيته على القاموس المتقدم ذكرها ، انتهى .

ثم اتينا الحدب ، وهي قرية ذات بساتين واشجار. ثم اتينا عتمة وهي كذلك

فلما كان يوم الاحد عند غروب الشمس دخلنا ارض ناصره ، ونزلنا بقرية تسمى بالمخرة ، وأقمنا بحصن الحباب بدار محمد بن الشيخ ضيف الله القرشي الناصري ورأيت من اهلها المحبة والاكرام ، دون غيرهم من الانام .

فلما كان ضحى يوم الثلاثاء مشينا من حصن الحباب ، إلى حصن السعاب لملاقاة الجناب الكريم ، بحر الجود الرائى ، مولانا الشيخ احمد بن الشيخ حسن العرابى ، فلاقانا بالقبول والاكرام ، وأقمنا بداره العامرة خير مقام .

فلما كان تاسع وعشرين شوال سرنا من دار الشعاب ، إلى دار الحباب وأقمنا بدار الفقيه موسى القرشي .

فلما كان يوم السبت صبح خامس ذى الحجة الحرام صلينا على المظلل بالغمامة وسرنا إلى تهامة ، فاتينا على عقبة ذي قين ، وهي عقبة ما رأت مثلها في الطول عين صعبة السلوك جداً ويسكنها عرب يقال لهم الغميات ، أخبث العرب والعنهم جنساً وذات ، يقطعون الطريق ، ولا يألفون برفيق ولا صديق ، يسكنون الكهوف وكل منهم بالخبث والغدر موصوف ، فخرجنا منهم بالسلامة ، ولم ينالوا منا قلامة ثم لما نزلنا من العقبة ، اتينا ارض تهامة ، ونزلنا بمراح الشيخ علي بن هلال ، وفي هذه الارض انواع الحيات ، والافعوان مختلفة الاشكال والالوان ، ونوع منها يسمى الفاسق لونه كالليل الغاسق ينشط بانيابه ، وينكز بانفه ووسطه وذيله ، ثم اتينا على مراح اولاد الشيخ ابراهيم السنى ، وهم من كرام العرب ، أهل شيمة وأدب ونسب .

ثم اتينا على مراح آل صلاح ، وهم كذلك من اولاد الشيخ ، اهل همة واريحية ، ونفوس حاتمية .

وفي يوم الاحد أتينا سوق الاحد ، وهواول ارض بنى سليم وهم عرب لئام البخل فيهم عام ، وفي يوم الاثنين اتينا سوق الاثنين .

وفي صبح يوم الثلاثاء اتينا في وقت شريف على قرية الخليف ، وهى قرية الشيخ الولي ابراهيم الخليفي ، وضريحه بها وعليه قبة فريدة الوجود ، وهو صاحب كرامات ظاهرة ، واشارات باهرة . واولاده اهل همم وسماح ، ووقار وصلاح .

ثم سرنا من ارض الخليف ، وتوكلنا على الرب اللطيف ، فأتينا ارض دوقة وقد اظهر القلب لليمن حنينه وشوقه ، ونزلنا بفريق اولاد الشيخ ابراهيم الخليفي المتقدم ذكره ، ثم خرجنا من دوقة في ساعة مسعدة ، ودخلنا القنفدة ، فرأيتها قرية الفقر بها قاطن ، قبيحة الظاهر والباطن ، اهلها ما في خلقهم فائدة ، ابخل من كل بني زائدة :

قوم إذا استنبح الاضياف كلبهم قالوا لامهم بولي على النار
فضيقت فرجها بخلا ببولتها كي لا تبول لهم إلا بمقدار

كأن سورة عبس انزلت فيهم ، وعلى كل حال فاللسان يكل عن وصف مساوئهم :

لما اتيت القنفده تباً لها من قنفده
رأيتها بليدة من كل خير مبعده
واهلها شهبتهم ثعالباً وقرده
ثلاث ايام مضت بحالة منكده
مكثت فيها طاويا والجوع نار موصده
ولم اجد فيها فتى ذا همة مسدده
إلا الوزير الشهم من شاد العلى وايده
رضوان مأوى الضيف ما اعزه وارشده

فهو الذي احلني جنته المخلده
من بعد نار مالك اعني بلاد القنفده
ابقاه رب العرش في رياسة مؤبده
وحفه بلطفه طول المدى واسعده

فلما كان عصر الثلاثاء تاسع وعشرين ذي الحجة ركبنا السفينة في ساعة سعيدة بهية ، وسرنا في البحر قاصدين بندر اللحية :

خل الديار بما فيها لاهليها وقل سلام على الدنيا وما فيها
والق معتصما تلك السفينة في بحر التوكل بسم الله مجريها

وفي صبح الجمعة محرم الحرام عام الف ومائة واثنين واربعين من هجرة خير الانام دخلنا في ساعة مرضية ، بندر اللحية ، فالقينا العصا يا اخوان وشكرنا الله إذ نجانا من شر اولئك الاعراب الغيلان ، وتشرفنا بزيارة الزيلعي وجيرانه ، والحمد لله على وافر فضله وامتنانه .

قال الشرجي في طبقاته : هو احمد بن عمر الزيلعي العقيلي صاحب المحمول ، وهي قرية من قرى وادي مور ، كان من كبار عباد الله الصالحين ، والاولياء المقربين ، ومن اعظمهم مجاهدة وعبادة وزهادة .

وكان له مع ذلك معرفة تامة في العلوم لاسيما علم الحقائق ، وله مصنف حسن سماه ثمرة الحقيقة ، ومرشد السالكين إلى اوضح الطريقة ، يدل على تمكنه في هذا العلم وكمال معرفته .

يقال : ان خروجه من بلده بر العجم وسنه يومئذ سبع عشرة سنة ، فجاء إلى هذه الناحية المذكورة ، فكان يتخلى في مواضع متعددة منها ، وكان تمر عليه الاشهر الخمس والست ما يرى مضطجعاً .

وكان يمكث الايام العديدة لا يأكل ولا يشرب ، بل لا يزال مستغرقاً في العبادة والذكر .

ثم فتح عليه بعد ذلك ونال مرتبة عظيمة ، واقبل عليه الناس من كل ناحية وكانت له زاوية بقرية المحمول ، واخرى بقرية اللحية ـ بضم اللام الثانية المشددة وفتح الحاء وتشديد الياء ـ وكان له في كل موضع منهما اصحاب وفقراء يجتمعون عقيب الصلاة لتلاوة القرآن والذكر وغير ذلك .

وظهرت له كرامات كثيرة لا تنحصر ، منها ما يروى انه وصل من قرية اللحية إلى قرية المحمول وقد اجدبوا مدة طويله ، فعند ان وصل اليهم جاءت اليه بهيمة وجعلت تخور بين يديه ، فدخل المسجد ودعا الله تعالى ، ثم قال يا ميكائل كل فاجتمع السحاب للفور من كل ناحية ، ومطروا مطراً عظيما باذن الله تعالى .

وكان اهل وادي خلب ـ بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وآخره باء موحدة ـ يصحبونه ويقتعدونه ، فجاء اليهم مرة وهم مجدبون ، فجعلوا يلازمونه في السيل فقال لفقير له : اذهب إلى رأس الوادي وقل : يقول لك الفقيه سل الآن ، ففعل الفقير ذلك ، فسال الوادي من ساعته ، وسقوا سقياً هنياً بفضل الله تعالى .

ومن كراماته انه قدم عليه جماعة يزورونه ومعهم دراهم ـ على سبيل النذر ـ فلما وضعوها بين يديه جعل يقلبها بسواكه درهما درهما ، واخرج منها ثلاثة دراهم ردها على واحد منهم ، واخرج ستة عشر درهما ردها على آخر ، ثم امر خادمه بقبض الباقي ، فسأل بعض من كان عنده صاحب الثلاثة دراهم عن رد الفقيه لها فقال ليست لي ، ولكن ارسلت بها معي عجوز تحت يدها ايتام خشية ان تأتي بها اليه فيعرفها ، فلا يأخذ منها شيئاً ، فجعلتها بين دراهمي ، فاخرجها الفقيه باعيانها !

وسأل ايضاً صاحب الستة عشر درهما عن حاله ، فقال : هي من شيخ الصميين كان مرض له فرس فنذر للفقيه بهذا القدر ، فلما شفي فرسه ارسل بها معي لعلمه انه لو وصل بها هو لم يقبلها منه ، فاخرجها من دراهمي بعينها ، كما رأيت !

والصميون عرب هناك قريبون من موضع الفقيه ، اهل جهل لا يتحرزون عن النهب وغيره .

ومنها انه لما ولد ولده عيسى بكى ثم ضحك ، فسئل عن ذلك ، فقال: اعلمت انه يموت غريقاً فبكيت ، ثم اعلمت انه يكون له ولد بدايته كنهايتي ، فضحكت فكان كما قال ، مات ولده عيسى غريقاً ، وظهر ولده الفقيه محمد بن عيسى المشهور فكان منه ما كان ، وكراماته مشهورة .

ومن كرامات الفقيه ايضاً انه قال يوما لابن ابنه احمد بن ابراهيم : ان ولدى هذا خلق من الوجد ويعيش في الوجد ، ويموت بالوجد ، فكان المذكور كذلك كثير الوجد حتى سمع يوما منشداً ينشد :

أهلا وسهلا بكم يا جيرة الحلل ومرحباً بحداة العيس والكلل

فوجد حتى مات رحمه الله تعالى ، وكرامات الفقيه من هذا القبيل لا تحصى حياً وميتاً .

وكان لا يشغل بشيء من امور الدنيا ، ولا يكتسب ولا يطلب من احد شيئاً ، وإذا علم باحد من اصحابه يطلب من الناس طرده ، وكان إذا فتح عليه بشيء من طلب انفقه على الفقراء والوافدين ، ولا يأخذ إلا على تثبت وبصيرة كما سبق .

وكانت وفاته سنة اربع وسبعمائة ، ودفن بقرية اللحية ـ المتقدم ذكرها ـ وهى على ساحل البحر مشهورة ، وقبره فيها مقصود للزيارة والتبرك من الاماكن البعيدة ، ومن استجار به في القرية فضلا عن البرية لا يقدر احد من ارباب الدولة ان يتعرض له بما يكره .

وله ذرية مشهورة ، اهل علم وصلاح ، ونسبهم يرجع إلى عقيل بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين انتهى .

كان بعض العلويين نازلا ببلخ وله امرأة ولها بنات ، وقد اصابهم الفقر ومات الرجل وخرجت المرأة بالبنات إلى سمرقند فاتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلوا البلد أدخلت البنات بعض المساجد ومضت تحتال لهم فى القوت فاتت إلى

رجل مسلم هو شيخ البلد وعلى مجوسي هو ضامن البلد فبدأت بالمسلم فشرحت له حالها وقالت اريد قوت الليلة ، قال : اقيمي عندي البينة بانك علوية ، فقالت : مافي البلد من يعرفني ، فاعرض عنها فمضت إلى المجوسي فاخبرته بالخبر ، وحدثته بما جرى لها مع المسلم ، فبعث معها رجلا من اصحابه ، فجاء بالاولاد إلى داره فالبسهم افخر الحلل ، واطعمهم اطيب الطعام ، فلما انتصف الليل رأى ذلك المسلم في منامه ان القيامة قد قامت ، واللواء منشور على رأس محمد ﷺ ورأى قصراً من الزمرد الاخضر فقال يارسول الله لمن هذا القصر؟ فقال لرجل مسلم موحد فقال يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد ، فقال : اقم البينة عندي انك مسلم موحد ، فبقي الرجل متحيراً ، فقال له : قصدتك العلوية فقلت لها اقيمي عندي البينة ، فهكذا انت ! فانتبه الرجل يبكي ويلطم وجهه ، وخرج يطوف البلاد على العلوية حتى عرف اين هي فارسل إلى المجوسي فاتاه ، فقال له : اين العلوية ؟ قال : عندي ، قال : اريدها قال: ما لي إلى ذلك سبيل ، فقال : خذ مني الف دينار وارسلهم إلي ، قال : ماافعل فانهم قد استضافوني ولحقني الخير من بركاتهم ، قال : لا بد منهم ، قال : الذى تطلبه انت انا احق به منك ، والقصر الذي رأيته لي خلق ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله .

كان الاديب ابو الحسن السلامي من اعيان البلغاء وفد على الصاحب بن عباد فبالغ في اكرامه ، ثم توجه من عنده قاصداً عضد الدولة بن بويه ، فزوده الصاحب كتابا بخطه إلى الوزير عبد العزيز بن يوسف الكاتب ، وكان من خواصه ، ونسخة الكتاب هذه :

قد علم مولاي ان باعث الشعر أكثر من عدد الشعر ومن يوثق به ، وان حليته التى يهديها من ضوع طبعه ، وحلته التي يؤديها من نسج فكره اكثر من ذلك ، وممن خبرته بالامتحان فاحمدته ، وقررته بالاختبار فاخترته ابو الحسن محمد ابن عبد الله السلامي ، وله بديهة قوية ، توفي على الردية ، ومذهب في الاجادة

يهتش السمع لسماعه ، كما يرتاح الطرف لرعيه ، وقد امتطى امله زميله ، وخير له إلى الحضرة الجميلة ، رجاء ان يحصل في سواد امثاله ، ويظهر معهم بياض حاله ، فجهزت معه امير الشعر في موكبه ، وحليت افراس البلاغة بمركبه .

وكان كتابي هذا إلى القطر بل إلى مشرعة البحر ، فان رأى مولاي ان يراعي كلامي في بابه ، ويجعل ذلك من ذرائع ايجابه ، فعل ان شاء الله تعالى .

فلما ورد عليه اكرمه غاية الاكرام ، وادخله على عضد الدولة ، حتى مدحه بالقصيدة التي منها :

اليك طوى عرض البسيطة جاعلا قصار المطايا ان يلوح لها القصر
فكنت وعزمي في الظلام وصارمي ثلاثة اشياء كما اجتمع النشر
وبشرت آمالي بملك هو الورى ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

واختص بخدمة عضد الدولة والقبول عنده حتى انه كان يقول : إذا رأيت السلامي في مجلسي ظننت ان عطارد انزل من الفلك إلي ووقف بين يدي .

﴿ ترجمة الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن أبي الحسن بن عباد ﴾
(ابن الحسن بن عباد بن ادريس الوزير الكبير)
(الشاعر الشهير الطالقاني)

فاضل تجمعت الخصائل الحميدة كلها فيه ورئيس جليل يشهد له قول الرسمي وهو من بعض ما دحيه :

ورث الوزارة كابراً عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد
يروي عن العباس عباد وزارته واسماعيل عن عباد

وان اردت الاطلاع على اكثر صفاته الكريمة ، وطباعه السليمة ، ومناقبه العظيمة ، فانظر إلى ما عده له الثعالبي النيسابوري في اليتيمة .

وقال ابن خلكان في وفيات الاعيان : كان الصاحب نادرة الدهر واعجوبة العصر في فضائله ومكارمه .

وقال ابو اسحاق الصابي : انما قيل له الصاحب ، لانه صحب مؤيد الدولة ابا منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي ، تولى وزارته بعد ابى الفتح علي بن ابى الفضل بن العميد .

فلما توفى المؤيد في شعبان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة بجرجان استولى على مملكة اخيه فخر الدولة ابى الحسن علي ، فاستعفاه الصاحب من الوزارة ، فقال له فخر الدولة: لك في هذه الدولة من ارث الوزارة ما لي فيها من ارث الامارة فسبيل كل منا ان يحتفظ بحقه، واقره على وزارته، وكان مبجلا عنده معظما مكرما نافذ الامر.

وقال ابو منصور الثعالبي من جملة ترجمته واحتف به من نجوم الارض وافراد العصر وابناء الفضل وفرسان الشعر من يربو عددهم على شعراء الرشيد ولا يقصر عنهم في الأخذ برقاب القوافي ، وملك رق المعاني ، فانه لم يجتمع بباب احد من الخلفاء والملوك ، مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحول الشعراء المذكورين كابي نواس ، وابى العتاهية ، والعتابى ، والنميري ، والاصمعي ، ومسلم بن الوليد وابي الشيص ، ومروان بن ابى حفصة ، ومحمد بن ابى منادر ، وجماعة حضرة الصاحب باصفهان والري وجرجان مثل ابى الحسن السلامى ، وابى بكر الخوارزمى وابي طالب المأمونى ، وابى الحسن الديهي ، وابى سعيد الرستمي ، وابى القاسم الزعفرانى ، وابي العباس الضبي ، وابى الحسن بن عبد العزيز الجرجانى ، وابى القاسم بن ابى العلاء وابى محمد الخازن ، وابى هاشم العلوي، وابى الحسن الجوهري وابن المنجم ، وابن بابك ، وابن الغاسانى ، وابى الفضل بن الهمدانى ، واسماعيل المشانى ، وابى العلا الاسدي ، وابي الحسن الغويري ، وابي دلف الخزرجي ، وابى مفضل الشهزوري ، وابى معمر الاسماعيلي ، وابى الفياض الطبري وغيرهم ممن لم يبلغنى ذكره ، او ذهب عني اسمه .

ومدحه مكاتبة ابن الموسوي ، وابو اسحاق الصابي ، وابن الحجاج وابن سكرة ، وابن نباتة . وما احسن واصدق قول الصاحب :

ان خير المداح من مدحته شعراء البلاد في كل ناد

قال : وحدثني عوف بن الحسين الهمداني التميمي قال : كنت يوما في خزانة الخلع للصاحب فرأيت في ثبت حسبانات كاتبها ، وكان صديقي مبلغ خلع الخز التي صرفت في تلك السنة في خلع العلويين والفقهاء والشعراء خارجة عن خلع الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين .

قال : وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره ، فنظر ابو القاسم الزعفراني يوما إلى جميع من في الدار من الخدم والحاشية عليهم الخز الفاخر الملون فاعتزل ناحية واخذ يكتب شيئاً ، فسأل الصاحب عنه ، فقيل : انه في مجلس كذا يكتب ، فقال علي به فاستمهل الزعفراني ريثما يتم مكتوبه ، واعجله الصاحب وامر ان يؤخذ ما في يده من الدرج ، فقام الزعفراني اليه ، وقال ايد الله الصاحب :

اسمعه ممن قاله تزدد به عجباً لحسن الورد في اغصانه

فقال هات يا ابا القاسم فانشده ابياتاً منها :

سواك يعد الغنى ما اقتنى ويأمره الحرص ان يخزنا
وانت ابن عباد المرتجى تعد نوالك نيل المنى
وخيرك من باسط كفه ومن تنا اي قريب الجنى
غمرت الورى بصنوف الندى فاصغر ما ملكوه الغنى
وغادرت اشعرهم مفحما واشكرهم عاجزاً ألكنا
أيا من عطاياه تهدى الغنى إلى راحتي ما نأى او دنا
كسوت المقيمين والزائرين كسى لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ضروب من الخز إلا انا

فقال الصاحب : وقرأت في اخبار معن بن زائدة ان رجلا قال له احملني ايها الامير ، قال فامر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال : لو علمت ان الله خلق مركوبا غير هذا لحملتك عليه وقد امرنا لك من الخز بجبة وقميص ودارعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجورب وكيس بيت :

رويت في السنة المشهورة البركه ان الهدية في الاخوان مشتركه

قال : وحدثني ابو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي قال : سمعت الصاحب يقول انفذ إلي ابو العباس باش الحاجب رقعة في السر بخط صاحبه نوح ابن منصور السامانى ملك خراسان ، وما وراء النهر يريدونى فيها على الانحياز إلى حضرته ليلقى إلى مقاليد ملكه ، ويعتمدنى لوزارته ، ويحكمني في ثمرات بلاده فكان فيما اعتذرت به من ترك امتثال امره والصدر عن رأيه ، ذكر طول ذيلي وكثرة حاشيتي ، وصيتي وحاجتي لنقل كتبي خاصة إلى اربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من جمل مثلي .

قال : وحدثنى ايضاً قال : سمعت الصاحب يقول حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وانا إذ ذاك فى ريعان شبابي ، فلما تفوض المجلس وانصرف القوم وقد حل الافطار ، انكرت ذلك فيما بيني وبين نفسى واستقبحت اغفاله الامر ، بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته واتساع حاله ، واعتقدت ان لا اخل بما أخل به إذا قمت يوما مقامه .

قال : وكان الصاحب لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر احد كائناً من كان ، فيخرج من داره إلا بعد الافطار عنده ، وكانت داره لا تخلو في كل ليلة من ليالي شهر رمضان من الف نفس مفطرة فيها .

وكانت صلاته وصدقاته وقرباته في هذا الشهر تبلغ مبلغ لا يطلق منها في جميع شهور السنة .

قال : وحدثني بديع الزمان ابو الفضل الهمدانى قال : لما ادخلني والدي إلى

الصاحب ووصلت إلى مجلسه واصلت الخدمة بتقبيل الارض ، فقال : يا بني اقعد كم تسجد كأنك هدهد .

وقال يوما لبعض من تأخر عن مجلسه لعلة وجدها: ماالذى كنت تشتكيه؟ فقال : الحمى، فقال الصاحب: قه ، فقال: النديم: وه ، فاستحسن الصاحب ذلك وخلع عليه .

قال : واستأذن عليه الحاجب يوما لانسان طرسوسى ، فقال : الطر في لحيته والسوس فى حنطته .

وحدثني ابو منصور البيعي قال : دخلت يوما على الصاحب فطاولت الحديث فلما اردت القيام ، قلت لعلي طولت ، فقال : لا بل تطولت ، قلت : لعل الشاعر اخذ هذا المعنى من قول الصاحب فانه قال :

قلت ثقلت إذ أتيت مراراً قال ثقلت كاهلي بالايادي
قلت طولت قال لا بل تطولت وابرمت قال حبل ودادي

قال الثعالبي وحدثني ابو منصور الخيمي الدينوري قال : اهدى القميري قاضى قزوين إلى الصاحب كتبا ومعها شعراً :

القميري عبدكم في الكفاة ومن اعتد في وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب مفهمات من حسنها مبرعات

فوقع تحتها :

قد قبلنا من الجميع كتابا ورددنا لو قتها الباقيات
لست استغنم الكثير فطبعي قول خذ ليس مذهبي قول هات

وقيل : ان الخطير الوراق دخل على الصاحب يوما فقام فضرط ، فقال : يا مولانا هذا صرير التخت ، فقال له الصاحب : بل صفير التخت فاستحى وانقطع عنه فكتب الصاحب اليه :

قل للخطيري لاتذهب على خجل من ضرطة اشبهت نايا على عود
فانها الريح لا تستطيع تمسكها إذ لست انت سليمان بن داود

وقال محمد بن المرزبان : كنت بين يدي الصاحب ليلة فنعس واخذ انسان يقرأ والصافات ، واتفق ان بعض هؤلاء الاجلاف من ما وراء النهر نعس ايضاً وضرط طرطة منكرة ، فانتبه الصاحب وقال يا اصحابنا نمنا على الصافات ، وانتبهنا على المرسلات .

قال : وكتب اليه بعض العلوية يخبره بانه رزق مولوداً ويسأله ان يسميه ويكنيه ، فوقع في رقعته اسعدك الله بالنظام الجديد ، والفارس والسعيد ، فقد والله ملأ العين قرة ، والنفس مسرة مستقرة ، والاسم علي ليعلي الله ذكره والكنية ابو الحسن ليحسن الله امره فاني ارجو له فضل جده ، وسعادة جده ، وقد بعثت التعويذة ديناراً من مائة مثقال ، فقصد فيه مقصد الفال ، رجاء ان يعيش مائة عام ويخلص خلاص الذهب الابريز من تعب الايام والسلام .

قال : وكتب اليه ابو منصور بن الحيان :

قل للوزير المرتجى كافي الكفاة الملتجى
اني رزقت ولدا كالصبح إذ تبلجا
لا زال في ظلك ظل المكرمات والحجى
فسمه وكنه مشرفا متوجا

فوقع تحتها :

هنيئه هنيئه شمس الضحى بدر الدجى
فسمه بمحسن وكنه ابا الرجا

قال : وعرض على بعض الاصبهانيين رقعة لابي حفص الاصبهاني قد اخذه منها البلاء ، وفيها توقيع للصاحب ، وهذه نسخة الرقعة :

لو لا ان الذكرى اطال الله بقاء مولانا الصاحب تنفع المؤمنين ، وهذه الصمصامة تعين المصلتين لما ذكرت ذاكراً ولا هززت ماضياً ، ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ، ويكره الجواد الشح ، وحال عبد مولانا ادام الله تأييده

في الحنطة مختلقة ، وجرذان داره عنها منصرفة ، فان رأى ان يخلط عبده بمن اخصب رحله ، ولم يشد رحله ، فعل ان شاء الله تعالى .

وهذه نسخة التوقيع : احسنت ابا حفص قولا ، وستحسن فعلا فبشر جرذان دارك بالخصب ، وامنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك في الاسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ان شاء الله .

قال: وسمعت ابا النصر محمد بن عبد الجبار العيني يقول: كتب بعض اصحاب الصاحب رقعة اليه في حاجة ، فوقع فيها ، فلما ردت اليه لم ير فيها توقيعاً وقد تواترت الاخبار بوقوع التوقيع فيها فعرض ذلك على ابى العباس الضبي ، فما زال يتفحص في الرقعة حتى عثر بالتوقيع ، وهو الف واحدة .

وكان في الرقعة : فان رأى مولانا ان ينعم بكذا فعل ، فاثبت الصاحب امام فعل الفا ، يعنى افعل .

قال وسمعت الاميرابا الفضل الميكالي يقول : كتب بعض العمال إلى الصاحب رقعة في التماس شغل ، وفي الرقعة ان مولانا ان رأى يأمر باشغالي ببعض اشغاله فوقع تحتها من كتب إلى اشغاله لا يصلح لاشغالي .

قال : وحدثني ابو الحسن علي بن محمد الحميري قال : رفع الضرابون من دار الضرب قصة إلى الصاحب في ظلامة لهم ، فوقع تحتها في حديد بارد .

قال : وحدثني ابو سعد نصر بن يعقوب قال : كان الصاحب يقول بالليالي لجلسائه إذا اراد ان يبسطهم ويونسهم : نحن بالنهار سلطان وبالليل اخوان .

قال : وحدثني ابو الحسين النحوى قال : كان مكي المنشد قديم الخدمة للصاحب ، فاساء ادبه غير مرة ، فامر الصاحب بحبسه فحبس في دار الضرب ، وهو بجرجان فاتفق ان صعد الصاحب يوماً سطح داره لحاجة في نفسه واشرف على دار الضرب ، فلما رآه مكي نادى باعلى صوته فاطلع فرآه في سواء الجحيم ، فضحك الصاحب وقال اخسئوا فيها ولا تكلمون ، ثم امر باطلاقه .

وحدث ابو نصر النميري بجرجان قال : سمعت القاضي ابا الحسن علي بن عبدالعزيز يقول انصرفت يوما من دارالصاحب وذلك قبيل العيد ، فجاءني رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه ، فيها هذان البيتان :

يا ايها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
اهديت عطراً مثل طيب لقائه فكأنما اهدى له اخلاقه

قال : وسمعته يقول ان الصاحب يقسم لي من اقباله واكرامه بجرجان اكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيته يوما من فرط تحفيه بي وتواضعه لي فانشدني :

اكرم اخاك بارض مولده وامده من فعلك الحسن
فالعز مطلوب وملتمس واعزه ما نيل في الوطن

ثم قال لي : فرغت من هذا المعنى في العينية ، فقلت انا : تريد قولي :

وشيدت مجدي بين قومي ولم اقل ألا ليت قومي يعلمون صنيعي

فقال : ما اردت غيره .

والاصل فيه قول الله تعالى (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) .

وحدث عون بن الحسين الهمداني : قال سمعت ابا عيسى المنجم يقول : سمعت الصاحب يقول ما استأذنا على فخر الدولة وهو في مجلس الانس إلا تنقل إلى مجلس الحشمة فيأذن لي فيه وما اذكر انه تبدل بين يدي وما زاحني قط إلا مرة واحدة فانه قال لي في شجون الحديث بلغني انك تقول : المذهب مذهب الاعتزال والنيك نيك الرجال ، فاظهرت الكراهة لانبساطه ، وقلت : بنا من الجد ما لا نفرغ معه للهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إلى مراسلة حتى عاودت مجلسه ولم يعد بعدها لما يجري مجرى الغزل والمدح .

وحدث غيره قال : كتب انسان إلى الصاحب رقعة ، وقد اغار فيها على

رسائله ، وسرق جملة من الفاظه ، فوقع فيها : هذه بضاعتنا ردت الينا .

ووقع في رقعة استحسنها: (افسحر هذا أم انتم لا تبصرون).

ووقع في كتاب بعض مخالفيه : فويل لهم مما كسبت ايديهم ، وويل لهم مما يكسبون .

ووقع في رقعة ابى محمد الخازن ، وكان قد ذهب مغاضباً ، ثم كتب اليه يستأذنه في معاودة حضرته ألم نر بك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت .

وكان الصاحب قد ولى القاضى عبد الجبار الاسترابادي قضاء القضاة بهمدان الجبال فاستقبله يوما ولم يترجل له ، وقال ايها الصاحب اريد الترجل للخدمة ولكن العلم يأبى ذلك .

وكان يكتب في عنوان كتابه من الصاحب عبد الجبار بن احمد ، ثم كتب من وليه عبد الجبار بن احمد ، ثم كتب من عبد الجبار بن احمد ، فقال الصاحب : اظن القاضى يؤل امره إلى ان يكتب من الجبار !

وقال الصاحب: ماقطعنى إلاشاب بغدادي ورد علينا اصبهان فقصدنى فاذنت له ، وكان عليه مرقعة وفي رجليه نعل طاف ، فنظرت إلى حاجبي ، فقال له وهو يصعد إلي: اخلع نعلك فقال له ولعلي احتاج اليها بعد ساعة فغلبني الضحك وقلت تراه يريد ان يصفعني .

وكان الصاحب في الصغر إذا اراد ان يمضى إلى المسجد تعطيه والدته ديناراً اودرهما كل يوم وتقول له: تصدق به على اول فقير يلقاك فجعل هذا دأبه في شبابه إلى ان كبر وماتت والدته وهو على هـذا يقول للفراش كل ليلة اطرح تحت المطرح ديناراً او درهما لئلا ينسى ، فبقى على هذه مدة ثم ان الفراش نسى ذلك ليلة من الليالي فانتبه الصاحب وصلى وقلب المطرح ليأخذ الدينار والدرهم فما رآهما ، فتطير من ذلك وظن انه لقرب اجله ، وقال للفراشين : شيلوا كل ما هنا من الفراش

واخرجوه واعطوه لاول فقير تلقونه ، حتى يكون كفارة لتأخير هذا ، فلقوا فقير أعمى هاشمياً على يد امرأة وهو يبكي ، فقالوا له : تقبل هذا فقال : ما هو؟ قالوا : مطرح ديباج ومخاد ديباج ، فاغمي عليه ، فاعلموا الصاحب بامره ، واحضره ورش عليه ماء الورد ، وسقاه شرابا من السكر ، فلما افاق سأله عن امره ، فقال : سلوا هذه المرأة ان لم تصدقوني ، فقال له : اشرح ، فقال : انا رجل شريف ولي ابنة من هذه المرأة خطبها رجل فزوجناه ، ولي سنتان آخذ الفدر الذي يفضل من قوتنا واشترى به قطعة صفر وما اشبه ذلك ، فلما كانت البارحة قالت امها اشتهيت لها مطرح ديباج ومخاد ديباج ، فقلت من اين لي ذلك ؟ وجرى بيني وبينها خصومة إلى ان سألتها ان تأخذ بيدي وتخرجني امضى علي وجهي ، فلما قال لي هؤلاء هذا الكلام حق لي ان يغشى علي ، فقال الصاحب : لا يكون الديباج إلا مع ما يليق به ، هاتوا الانماطيين ، فجيء بهم واشترى منهم الجهاز الذى يليق بذلك واحضر زوج الصبية ودفع اليه بضاعة سنية .

وحكى الثعالبي : ان الصاحب استدعى شرابا فناوله غلام قدح شراب مسموم فقال احد خواصه انه مسموم ، وكان الغلام الذي ناوله واقفاً فقال له الصاحب ما دليلك قال : جربه في الذي ناولك ، فقال لا استجيز ذلك ولا استحله قال : جربه في دجاجة قال التمثيل بالحيوان لا يجوز ، ورد القدح وامر بصبه ، وقال للغلام : انصرف عني ولا تدخل داري ، وامر باجراء رزقه ، وقال : لا ندفع اليقين بالشك والعقوبة بقطع الرزق نذالة .

ولما حصل الصاحب في رقعة جرجان على الفيل الذي كان في عسكر خراسان امر من بحضرته من الشعراء ان يصفوه في تشبيب قصيدة على وزن وقافية قول عمرو بن معدي كرب :

اعددت للحدثان سابغة لها وعداً علندا

فقال ابو القاسم عبد الصمد بن بابك :

قسما لقد نشر الحيا بمناكب العلمين بردا
وتنفست يمنيـــة تستضحك الزهر الندى
وجريحة اللبنات تنشر من سقيط الدمع عقدا
نازعتها قلب الشؤون وقلما استعبرت وجدا
ومساجل لي قد شققت لدائه في في لحدا
لا ترم بى فانا الذي صيرت حر الشعر عبدا
بشوارد شمس القياد يزدن عند القرب بعدا
وبمسك البردين في شبه النقا شبته وقدا
فكأنما نسجت عليه يد الغمام الجون جلدا
وإذا كوتك صفاته اعطاك مس الروع نفدا
فكأن معصم غادة في ما ضغيه إذا تصدا
وكأن عوداً عاطلا في صفحتيه إذا تبدى
يحدوا قوائم اربعاً يتركن بالتلعات وهدا
جابى المطرق قد تفرد بالكراهة واستبدا
وإذا تحلل هضبة فكأن ظل الليل مدا
وإذا هوى فكأن ركناً من عماية قد تردى
وإذا استقل رأيت في اعطافه هزلا وجدا
متقرر أذنان في زجر الغسوف إذا تعدا
خرقاء لا يجد السرار إذا توجها مرددا
اوطأته مرعى نسيبي واجتنيت وصال سعدى
ملك رأى الاحسان من عدد العواقب فاستعدا
كافي الكفاة إذا انثنت مقل القنا الخطار رمدا

تكسوه نشر العرف كف من جفون الطل اندى
لا زلت يا امل الغفاة لفارط الآمال وردا
وابق الليالى لابساً عيشاً برود الظل رغدا

قلت : لقد احسن وصف الفيل في هذه القصيدة التي ليس لها مثيل .

والفيل : حيوان يوجد بارض الهند والحبشة ، وكنيته ابو الحجاج ، والانثى ام شبل ، وهو ينزو على انثاه إذا بلغ من العمر خمس سنين ، وتحمل انثاه سنتين ، ثم تضع ولا يقربها الذكر في حملها ، ولا بعده ثلاث سنين ، وهو لا يلقح إلا ببلده ، وإذا ارادت الوضع دخلت النهر ، وهو يحرسها خوفاً على ولده من الحيات لانها تأكله ، وهو عند غلمته شديد كالجمل ، ويهيج في زمن الربيع .

وزعم اهل الهند ان لسانه مقلوب ، ولو لا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه .

وقيل : ان يديه فى صدره كالانسان ، وهو اضخم الحيوان واعظمه جرماً وما ظنك بخلق ربما كان فى نابه اكثر من ثلثمائة من ، وهو مع ذلك املح واظرف من كل خفيف الجسم رشيق .

وأهل الهند يزعمون ان انياب الفيل قرناه ، وخرطومه انفه ، ويده وبه يتناول الطعام إلى جوفه ، وبه يقاتل ، ومنه يصيح وصياحه ليس فى مقدار جرمه .

وقيل : ان الفيل جيد السباحة وإذا سبح رفع خرطومه ، ويقوم خرطومه ايضاً مقام عنقه ، والخرق الذي فى خرطومه لا ينفذ انما هو وعاء إذا ملأه من طعام او ماء اولجه فى فيه ، لانه قصير العنق لا ينال ماء ولا مرعى .

وأهل الهند تجعله فى القتال ، وهو ايضاً يتقابل مع جنسه ، فمن غلب دخلوا تحت امره .

وقيل : جعل فى طبعه الهرب من السنور .

وحكى عن هارون مولى الازد انه جاء ومعه هر أسود ومشى بسيف إلى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر فى وجهه فادبر هارباً ، وكبر المسلمون وظنوا انه هرب منه .

قال ابو الشمقمق فى الفيل :

يا قوم انى رأيت الفيل بعدكم فبارك الله لي فى رؤية الفيل
رأيت شيئاً له شيء يحركه فكدت اصنع شيئاً فى السراويل

وقيل : إذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسه همة إلا الهرب منه بانفسهم .

ومن اعاجيب الفيل ان سوطه الذي يضربه به سأسه محجن حديد ، احد طرفيه فى جبهته ، والآخر فى يد راكبه ، فاذا اراد منه شيئاً غمزه فى محجنه واول شيء يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملوك .

وخرج ابرويز لبعض الاعياد وقد وصفوا له الف فيل ، واحدقت بهم وبه ثلاثون الف فارس فلما رأته الفيلة سجدت له ثم رفعت رؤسها حتى جذبت بالمحاجن

ويزعم اهل الهند ان جبهة الفيل تعرق كل سنة عرقا عظيما سائلا اطيب من رائحة المسك ، ولا يعرق الفيل ذلك العرق إلا فى بلاده خاصة .

وعظام الفيل كلها عاج الا ان جوهر نابه اكرم واثمن ، ولو لا شرف العاج وقدره لما افتخر الاحنف بن قيس على اهل الكوفة فى قوله : نحن اكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا وخراجا ، انتهى .

﴿ رجع إلى خبر سبطه الشريف ابى الحسن عباد بن علي الحسيني ﴾

لما اتت الصاحب البشارة بسبطه ابى الحسن عباد انشأ يقول :

احمد الله ببشرى اقبلت عند العشي
إذ حبانى الله سبطاً هو سبط الحسني
مرحباً ثم اهلا بغلام هاشمي
نبوي علوي حسني صاحبي

ثم قال :

الحمد لله حمداً دائماً ابدا اذ صار سبط رسول الله لي ولدا

فقال ابو محمد الخازن قصيدة على وزنه ورويه :

بشرا فقد انجز الاقبال ماوعدا ... وكوكب المجد في افق العلى صعدا
وقد تفرع في ارض الوزارة عن ... دوح الرسالة غصن مورق رشدا
لله ما انت شمس للعلى ولدت ... نجما وغابة عز اطلعت اسدا
وعنصر من رسول الله اوشجه ... كريم عنصر اسماعيل فاتحدا
وبضعة من امير المؤمنين زكت ... اصلا وفرعا وصحت لحمة وسدا
ومثل هذي السعادات القوية لا ... يحوزها غيره دامت له ابدا
يا دهره حق ان تزهى بمولده ... فمثله منذ كان الدهر ما ولدا
تعجبوا من هلال العيد يطلع في ... شعبان امر عجيب قط ما عهدا
فمن موال يوالي الحمد مبتهلا ... ومخلص يستديم الشكر مجتهدا
وكادت الغادة الهيفاء من طرب ... تعطي مبشرها الاهياف والغيدا
فلا رعى الله نفساً ان تسر بها ... ولا وقاها وغشاها رداء ردا
وذي ضغائن طارت روحه شعفا ... منه وطاحت شظايا نفسه قددا
علماً بأن الحسام الصاحبي غدا ... مجرداً والشهاب الفاطمي بدا
وانه انسد شعب كان منصدعا ... به وامرع شعب كان محتصدا
وارفع المجد اعياناً واسبقه ... مجد يناسب فيه الوالد الولدا
فليهنىء الصاحب المولود ولترد السعود تجلو عليه الفارس النجدا
لم يتخذ ولداً إلا مبلغة ... في صدق توحيد من لم يتخذ ولدا

ما اشرف معنى هذا البيت وابدعه واترعه :

وخذ اليك عروساً بنت ليلتها ... من خادم مخلص وداً ومعتقدا
اهديتها عفو طبعي وانتخبت بها ... سحراً وان كنت لم انفث له عقدا
وازنت ما قلته شكراً لربك إذ ... جاء المبشر بيتاً سار واطردا
الحمد لله حمداً دائماً ابدا ... إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

قال الثعالبي : وكان الصاحب إذا ذكر عبادا أنشد :

يارب لاتخلنى من صنعك الحسن يا رب حطنى في عباد الحسني

قال : ولما فطم قال فيه :

فطمت ابا عباد يا ابن الفواهم فقال لك السادات من آل هاشم

لئن فطموه عن رضاع لبانه فما فطموه عن رضاع المكارم

قال : ولما ملك عباد بكريمة بعض اقرباء فخر الدولة ابى الحسن قال ابو ابراهيم اسماعيل بن احمد الشاشى قصيدة منها :

المجد ما حرست اولاه اخراه والفخر ما التف اقصاه بادناه

والسمي اجلبه للحمد اصعبه والذكر اعلاه في الاسماع اغلاه

والفرع اذهبه في الجو انضره والاصل ارسخه في الارض ابقاه

اليوم انجزت الآمال ما وعدت وادرك المجد اقصى ما تمناه

اليوم اسفر وجه الملك مبتسما واقبلت ببريد السعد بشراه

اليوم ردت على الدنيا بشاشتها فأرضى الملك والاسلام والله

والملك شدت عراه والنبوة فارتزت دعائمه واشتد ركناه

وصار يعزى بنوساسان في مضر صنعاً من الله اسداه فاستناه

قد زف من جده كافي الكفاة إلى من خاله ملك الدنيا شهنشاه

سبطان سدى رسول الله سلكهما فالحمد لله ما قد كان سداه

اولاد احمد ريحان الزمان ومولانا العزيز من الريحان رباه

اولاد احمد منه لا يميزهم عنه جلال ولا مال ولا جاه

متى ابتنى واحد منهم بواحدة فانها صافحت يمناه يسراه

ثم قال الثعالبي في اليتيمة : وهذه غرر من فقر الفاظ الصاحب تجري مجرى الامثال من طالت يده بالمواهب ، امتدت اليه ألسنة المطالب ، من كفر النعمة ، استوجب النقمة ، من نبت لحمه على الحرام ، لم يحصده غير الحسام ، من غرته ايام

السلامة ، حدثته السن الندامة ، من لم يهزه يسير الاشارة ، لم ينفعه كثير العبارة ، رب لطائف اقوال ، تنوب عن وظائف اموال ، الصدر يطفح بما جمعه ، وكل اناء مودع ما اودعه ، اللبيب تكفيه اللمحة ، وتغنيه اللحظة عن اللفظة ، الشمس قد تغيب ثم تشرق ، والروض قد يذبل ثم يورق ، والبدر يأفل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع ، العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر ، إذا تكرر الكلام على السمع تقرر في القلب ، الضمائر الصحاح ، ابلغ من الألسنة الفصاح ، عقد المنن في الرقاب لا يبلغ إلا بركوب الصعاب ، بعض الحلم مذله ، وبعض الاستقامة مزلة ، انجاز الوعد ، من دلائل المجد ، واعتراض المطل ، من امارات البخل ، خير البر ما صفا وطفا ، وشره ما تأخر وتكدر ، فراسة الكريم لا تبطي ، وقيافة الشر لا تخطى ما كل طالب حق يعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه ، اطع سلطان النهى ، دون شيطان الهوى .

﴿ فصل في الملاطفة والمداعبة ﴾

من كتاب له إلى ابى العلاء الاسدي : ذكرت ان وهمك قطع الدهر رباطه او قطع الموت نياطه ووضعت الحمار الذي استعضته ، فلا ادرى اقرظته ام عضضته وقد كتبت بابتياع مركوب لك يعبوب او يعسوب او حرجوب ، بل رسمت ان يعاد اليك في كيس اعجر ، فاتركه عندك اشهب وإلا فابتع به ادهم او اشقر والتوقيع درج كتابي فليؤمل ، فالنقد عند الحافر ، وبه يملك الخف والحافر ، ويحبب الاغر السائل ، والاقرح النادر .

﴿ فصل ﴾

وما الشأن إلا في انك تنتقل في الهوى ، تنقل الانياء ، وتتميل فى الحب كشارب الصهباء ، فرة للفضائرى حتى إذا حسبناك قد صرت له وصار لك ، وعلق بك امله وبه املك ، بمت قديماً بحديث ، وتليداً بطريف ، واستهوتك حبائل القمي

فقمت تبتل في حبله ، وتحرص على وصله ، ثم تطمع ان تضم ضداً إلى ضد ، وتجمع سيفين إلى غمد ، وهيهات ان الفضاري قد بلغه ذلك فازور وتنمر ، وغار وتنكر ، وقد كان له عزم في المسير إلى اصبهان ، ففتر بفتور صبوتك ، وخف بظهور نبوتك

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الاول

وقد جعله الشعراء للحبيب الآخر ، فاما نحن فننشد :

إذا ما ارادت خلة ان تزيلنا ابينا وقلنا الحاجبية اول

والله يسقي عهدك صوب العهاد ، ويعيذنا واياك البعاد .

رقعة استزارة : نحن يا سيدي في مجلس غنى إلا بك ، شاكراً لأمنك ، قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت خدود البنفسج ، وفاحت مجامر الاترج ، وفتقت فارات النارنج ، ونطقت السنة العيدان ، وقام خطباء الاوتار ، وهبت رياح الاقداح ، ونفقت سوق الانس ، ونادى منادي الطرب ، وطلعت كواكب الندماء وعبقت سماء الند ، فبحياتي لما حضرت لتحصل بك في جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد .

وله من كتاب مداعبة :

الله الله في اخيك لاتظهر كتابه ، فيحكم عليه بالماليخوليا وبالتخاييل الفاسدة فقد ذكر جالينوس ان قوما بلغ بهم سوء التخييل ان يقدروا اجسامهم زجاجا فيخشوا ملامسة الحيطان خشية ان ينكسروا .

وحكي ان قوما يظنون انفسهم طيوراً فلا يتغذون إلا القرطم .

وألمح كتابي دفعة ثم مزقه فلا طائل فيه ولا فرج عنده .

قال الثعالبي : وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمدان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية ، وخطبها ابوعلي كاتب بكر ، فلما الح عليها والحف بها كتبت اليه تقول :

.. ك .. ما له عند حرى هذا فرج

فاصرفه عن باب حرى وادخله من حيث خرج

هذه والله في هذين البيتين اشعر من كبشة ام عمرو، والخنساء واخت صخر ومن كعوب الهذلية وليلى الاخيلية .

قال الثعالبي : وهذا ما اخرجته من ملح شعره في الغزل وما يتعلق به .

قال : ومن ذلك :

تسحب ما اردت على الصباح فهم ليل وانت اخو الصباح
لقد اولاك ربك كل حسن وقد ولاك مملكة الملاح
وبعد فليس يحضرني شراب فانعم من رضابك لي براح
وليس لدي نقل فارتهني بنقل من ثناياك الوضاح

وروي ان الصاحب اخر جائزة بعض الشعراء فاهدى الشاعر له نرجساً فقال الصاحب :

لما اطلنا عنه تغميضا اهدى لنا النرجس تعريضا
فدلنا ذاك على انه قد اقتضانا الصفر والبيضا

وقوله :

علي كالغزال او الغزاله رأيت به هلالا في غلاله
كأن بياض غرته رشاد كأن سواد طرته ضلاله
كأن الله ارسله نبياً وصير حسنه اقوى دلاله

وقوله :

وشادن اصبح فوق الصفه قد ظلم الصب وما انصفه
كم قلت إذ قبل كفي وقد تيمني ياليت كفي شفه

وقوله :

دعتني عيناك نحو الصبا دعاء يكرر في كل ساعه
ولو لا تقادم عهد الصبا لقلت لعينيك سمعاً وطاعه

وقوله :

وشادن في الحسن كالطاووس اخلاقه كليلة العروس
قد نال باللحظ من النفوس مالم تنله الروم من طرسوسي

وقوله :

يا قمراً عارضني على وجل وصاله يشبه تأخير الاجل
وقال تبغي قبلة على عجل قلت اجل ثم اجل ثم اجل

وقوله :

بدا لنا كالبدر في شروقه يشكو غزالا لج في عقوقه
يا عجباً والدهر في طروقه من عاشق احسن من معشوقه

وقوله :

وعهدي بالعقارب حين تشتو تخفف لدغها وتقل ضرا
فما بال الشتاء أتى وهذي عقارب صدغه تزداد شرا

وقوله :

دب العذار على ميدان وجنته حتى إذا كاد ان يسعى به وقفا
كأنه كاتب عز المداد له اراد يكتب لاماً فابتدا الفا

وقوله في صباح الحاجب :

خداه ورد وصدغه سيج ومقلتاه الفناء والراح
ان هز اطرافه على نغم شقت جيوب وطاح ارواح
وجملة القول في محاسنه ان امير الصباح صباح

ملح له في الخمريات ، فمنها قوله :

رق الزجاج ورقت الخمر وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

وقال :

متغايرات قد جمعن وكلها متشا كل اشباحها ارواح
وإذا اردت مصرحا تفسيرها فالراح والمصباح والتفاح
لم يعلم الساقي وقد جمعن لي من اى هذي تملأ الاقداح

وقوله من قصيدة :

ولما بدا التفاح احمر مشرقا دعوت بكاس وهو ملأ من الشفق
وقلت لساقينا ادرها فانها خدود عذارى قد جلين على طبق

قال الثعالبي : وهذه ملح له في الاوصاف والتشبيهات ، قال في الثلج :

أقبل الثلج فانبسط للسرور ولشرب الكبير بعد الصغير
اقبل الجو في غلائل نور وتهادى بلؤلؤ منثور
فكأن السماء صاهرت الارض فصار النثار من كافور

أخذه من ابن المعتز حيث يقول :

وكأن الربيع يجلو عروساً وكأنا من قطره في نثار

وقوله :

هات المدامة يا غلام معجلا فالنفس في قيد الهوى مأسوره
او ما ترى الكانون ينثر ورده وكأنما الدنيا به كافوره

وقوله فيه :

هات المدامة يا غلام مصيرا نقلي عليها قبلة او عضه
اوماترى الكانون ينثر ورده وكأنما الدنيا سبيكة فضة

وقوله في الند :

ند لفخر الدولة استعماله قد زاد عرفا من نسيم يديه
فكأنما عجنوه من اخلاقه وكأنه طيب الثناء عليه

وله في حبة عنب :

وحبة من عنب من المنى متخذه
كأنها لؤلؤة في وسطها زمرذه

وقال في الشمع :

ورائق القد مستحب يجمع اوصاف كل صب
صفرة لون وسكب دمع وذوب جسم وحرقلب

قال الثعالبي وهذه ملح من اخوانياته ، كتب إلى ابي الفضل بن شعيب :

يا ابا الفضل لم تأخرت عنا فأسأنا بحسن عهدك ظنا
كم تمنت نفسي صديقاً صدوقا فاذا انت ذلك المتمنى
فبغصن الشباب لما تثنى وبعهد الصبا وان بان منا
كن جوابي إذا قرأت كتابي لا تقل للرسول كان وكنا

وكتب إلى ابى الحسن الطيب :

انا دعوناك على انبساط والجوع قد اثر في الاخلاط
فان عسى ملت إلى التباطي صفعت بالنعل قفا بقراط

وكتب إلى ابى تميم الخوارزمي :

اسعدك الله بيوم النصح وعشت ما شئت بيوم سمح
يارأس مالي في الورى وربحي وظفرتي ونصرتي ونجحي

سكر النصارى في غداة الفصح

قال الثعالبي : ان الصاحب وجد خفة في مرض موته فاذن للناس ونهى وامر ووقع في الرقاع ، ثم انشد :

كلامنا من غرر وعيشنا من غرر
انى وحق خالقي على جناح السفر

وكانت ولادته لأربع عشرة ليلة بقين من ذي القعدة سنة ست وعشرين

وثلاثمائة بمدينة اصطخر ، وقيل : بالطالقان ، وتوفى ليلة الجمعه الرابع والعشرين من شهر صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة بالري ، ثم انتقل إلى اصفهان ، ودفن بباب دريه بقبة ، رحمه الله تعالى .

ولما مات امر فخر الدولة فاغلقت له مدينة الري ، واجتمع الناس على باب قصر ينتظرون خروج جنازته، وحضر السلطان فخر الدولة وسائر القواد والأمراء وقد غيروا لباسهم ، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس باجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض، ومشى فخر الدولة أمام الجنازة مع الناس ، وقعد للعزاء ايام ورثاه الشعراء جميعهم ببلاد العجم ، وبلاد العراق ومنهم الشريف الرضي .

وما احسن قول ابى سعيد الرستمي يرثيه :

أبعد ابن عباد يهش إلى السرى أخو أمل او يستماح جواد
ابى الله إلا ان يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد

والظاهر ان مصابه عم الجن مع الانس ، ويؤيد ذلك ما رواه ابو القاسم غانم ابن ابى العلا الاصبهاني ، قال : رأيت في منامى قائلا يقول لي : لم لا ترثى الصاحب مع فضلك وادبك ؟ قلت : الجمتني كثرة محاسنه ، فلم ادر بما ابدأ منها وخفت ان اقصر وقد ظن بى الاستيفاء بها ، فقال الهاتف : اجز ما اقول ؟ قلت هات ؟ فقال :

ثوى الجود والكافي معاً في حفيرة

فقلت : ليأنس كل منهما بأخيه

فقال : هما اصطحبا حيين ثم تعانقا

فقلت : ضجيعين في لحد بباب دريه

فقال : إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم

فقلت : اقاما إلى يوم القيامة فيه

وتوفى فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه مخدوم الصاحب في شعبان سنة

تسع وثلاثين وثلاثمائة ، وكان ملك الاهواز وبلاد الجبال التي هي عراق العجم .

وكان ملوك بويه جميعهم شيعة ، وأما الصاحب فكان فارسى الاصل من الطالقان وهى مدينة من اعمال قزوين غير مدينة الطالقان الاخرى التي هي بخراسان وكان يبغض من يفضل العجم على العرب ، رحمه الله تعالى .

﴿ فائدة مجربة للسارق نافعة ان شاء الله تعالى ﴾

تكتب هـذه الآيات الشريفة على خبز وتطعم المتهومين ، فلا يقدر السارق على اكله بحول الله وقوته ، وهي هذه : بسم الله الرحمن الرحيم وإذا قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون يتجرعـه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مـكان ، وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ الله الذي يخرج الخبأ في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون وبالحق انزلناه ، وبالحـق نزل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ فائدة مجربة لمن له حاجة عند انسان واراد ان يكتب اليه رقعة في شأنها ﴾

فليكتب هذه الحروف في القلم الذي يريد ان يكتب به ، ولا يطمسها بيده وكذلك يكتبها في رأس الرقعة ، فهي مجربة ، وقـد جربتها أنا مراراً فصحت ، وانما الاعمال بالنيات ، والحروف هي هذه (أ ع ه ط ح و س)

﴿ فائدة مجربة لعسر الولادة ﴾

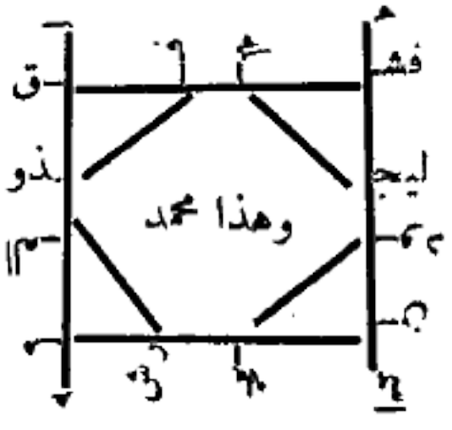

تكتب هذا الاسم الشريف في ورقـة وتربطها على فخذهـا الايسر تسهـل بحول الله ، فاذا وضعت حلهـا سريعاً ، وهو هذا :

﴿ فائدة مجربة للحمى ﴾

تكتب وتعلق على عضد المحموم اليمنى ، بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، لا إله إلا الله امنت بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ان رحمة الله قريب من المحسنين ، اللهم انت الشافي ولا شافي سواك ، اللهم اشفه شفاء لا يغادره سقم يا الله يا الله يا الله .

﴿ فائدة مجربة لحمى الثلاث ﴾

تكتب بعود نقم يابس على يده اليمنى : بسم الله القوي ، العظمة لله .

وفي يده اليسرى : بسم الله المعين ، السلطان لله .

وفي رجله اليمنى : بسم الله القادر ، الكبرياء لله .

وفي رجله اليسرى : بسم الله القاهر ، القدرة لله .

وفي ظهره: لا إله إلا الله . وفي بطنه محمد رسول الله نافع مجرب ان شاء الله

﴿ ذكر ابن هرمة الشاعر ﴾

قال ابو الفرج الاصبهاني في الاغاني : انشد ابن هرمة الشاعر المنصور شعراً له فيه ، فاستحسنه فامر له بعشرة آلاف درهم فقال : لا تقم هذه مني ، قال ويحك انها كثيرة ، قال : فانها تكون سبب هلاكي وقتلي ، فقال : وكيف ؟ قال : لا ازال أشرب منها فاحد حتى اتلف فان اردت ان تهنيني فابح لي الشراب فاني به مغرم: قال ويحك انه حد من حدود الله ، قال : فاحتل لي ، فكتب إلى والي المدينة من اتاك بابن هرمة سكران فاضربه مائة واضرب ابن هرمة ثمانين ، فجعل العساس إذا مر بابن هرمة يقول : من يشتري ثمانين بمائة .

وقيل ان اباحمد الحسن بن زيد بن الحسن لما تولى المدينة لابي جعفر المنصور

دخل عليه ابن هرمة فقال له : انى لست كمن باع لك دينه رجاء مدحك ، وخوف ذمك ، فقد رزقني الله بولادة نبيه ﷺ المادح وجنبني المقابح ، وان من حقه ان لا اغضي له على تقصير في حق ، وانا اقسم بالله لئن اتيت بك سكران لاضربنك حد الخمر ، ولازيدن لموضع حرمتك لي ، فليكن تركك لها لله تعز عليها ولا تدعها للناس فتوكل عليهم ، فنهض ابن هرمة وهو يقول :

نهاني ابن الرسول عن المدام وادبني بتأديب الكرام
وقال لي اصطبر عنها ودعها لخوف الله لا خوف الانام
وكيف تصبري عنها وحبي لها حب تمكن في عظامى
ارى طيب الحلال علي خبثاً وطيب العيش في حب الحرام

قلت : ذكر الحكاية هذه صاحب الجليس المتع ، وأنا أقول ان الحسن لا يجسر بذم المنصور وهو عامله ، ثم ان المنصور سخط على ابى محمد الحسن وسجنه ببغداد حتى توفى في السجن .

وكان شيخاً كبيراً يوالى المنصور ولما توالى الخلافة المهدي رد لاولاد الحسن ضياعهم واموالهم التى كان المنصور اخذها :

والحسن هو والد السيدة نفيسة الصالحة صاحبة المشهد المشهور بمصر .

وقال الشريف النسابة محمد بن اسعد المالكي في كتابه (الزورة الانيسة بفضل مشهد السيدة نفيسة) : كان الحسن والد السيدة نفيسة فاضلا اديباً عالماً وامه ام ولد ، توفى ابوه وهو غلام وترك عليه اربعة آلاف دينار ديناً ، فحلف ولده الحسن ان لا يظل رأسه بسقف إلا سقف مسجد رسول الله ﷺ او ببيت رجل يكلمه في حاجته حتى يقضى دين ابيه ، فوفاه وقضاه .

ومن كرمه : انه اتى بشاب شارب متأدب ايام عمله بالمدينة ، فقال له : يا ابن بنت رسول الله انى لا اعود ، وقد قال رسول الله : اقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم ، وأنا ابن ابى امامة بن سهل بن حنيف ، وقد كان ابى مع ابيك كما علمت فان

صدقت فهل انت عائد ؟ قال : لا والله ، وامر له بخمسين ديناراً ، وقال له تزوج بها وعد إلي . فتاب للرب ، واجرى له الحسن النفقة .

قال : ودخلت السيدة نفيسة مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر الصادق وكان صالحاً من اهل الفضل والدين عالماً اخذت عنه الاحاديث ، ويلقب بالمؤتمن .

وكان ابن مكاسب إذا حدث عنه يقول حدثني الثقة المؤتمن الرضى اسحاق ابن جعفر ، وله عقب بمصر وحلب .

وأما السيدة نفيسة فكانت من الصلاح الزاهدين على الحد الذي لا مزيد عليه ، فيقال انها حجت ثلاثين حجة ، وكانت كثيرة البكاء تديم قيام الليل وصيام النهار ، فقيل لها : ألا ترفقي بنفسك ، فقالت : كيف ارفق وامامي عقبة لا يقطعها إلا الفائزون ، وكانت تحفظ القرآن وتفسيره ، ولا تأكل في كل ثلاث ليال إلا اكلة واحدة ، ولا تأكل من غير زوجها شيئاً .

وتوفت في رمضان سنة ثمان ومائتين ودفنت بخط درب السباع حيث المشهد اليوم ، وأراد زوجها ان ينقلها إلى المدينة فالتمس المصريون ان يتركها ببلدهم لاجل البركة ، ويقال انها حفرت قبرها ، وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة . ولما حضرتها الوفاة خرجت من الدنيا وقد انتهت إلى قوله تعالى (قل لمن ما في السموات والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة) ففاضت نفسها رحمها الله ونفعنا ببركتها .

ومن كراماتها ما ذكره المقريزي في الخطط : انها لما نزلت مصر مع زوجها نزلت بالمصوصة ، وكان بجوارها دار فيها قوم من اهل الذمة ، ولهم ابنة مقعدة لم تمش قط ، فلما كان في بعض الايام ذهب اهلها في بعض حاجاتهم واقعدوا المقعدة عند السيدة نفيسة ، فتوضأت وصبت من فضل وضوئها على المقعدة وسمت الله فقامت تمشي على قدميها ليس بها بأس البتة ، فلما قدم اهلها وعاينوها تمشي أتوا إلى باب السيدة نفيسة وقد تيقنوا أن مشي ابنتهم كان ببركة دعائها ، واسلموا باجمعهم على يديها فاشتهر ذلك بمصر وعرفوا انه ببركتها .

قيل : وتوقف النيل عن الزيادة في زمنها فحضر اليها الناس وشكوا اليها ما حصل من توقف النيل ، فدفعت قناعها اليهم وقالت : القوه في النيل ، فالقوه فيه فزاد حتى بلغ الله به المنافع .

قيل : واسر ابن لامرأة ذمية ببلاد الروم فاتت الى السيدة نفيسة وسألتها الدعاء فدعت الله ان يرد ابنها عليها ، فلما كان الليل لم تشعر الذمية إلا بابنها وقد هجم عليها دارها ، فسألته عن خبره فقال : يا اماه لم اشعر إلا ويد قد وقعت على القيد الذي في رجلي وقائل يقول اطلقوه فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت الحسن ، فوالذى يحلف به يا اماه لقد كسر قيدي وما شعرت بنفسي إلا وانا واقف على باب هذه الدار ، فلما اصبحت الذمية اتت إلى السيدة نفيسة وقصت عليها الخبر واسلمت هى وابنها وحسن اسلامهما .

وأول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبد الله بن السري بن الحكم امير مصر من قبل المأمون .

قال المقريزي : ومكتوب في اللوح الرخام الذي على باب ضريحها وهو الذي كان مصفحاً بالحديد بعد البسملة ما نصه (نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد بن ابى تميم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه المكرمين ، امر بعمارة هذا الباب السيد الاجل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين ، ومتع بطول بقائه امير المؤمنين ، وأدام قدرته واعلى كلمته وشد عضده بولده الاجل الافضل سيف الامام ، جلال الاسلام شرف الانام ناصر الدين خليل امير المؤمنين زاد الله في علائه ، ومتع امير المؤمنين بطول بقائه ، في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين واربعمائة) .

قلت : وامير الجيوش المذكور هو بدر الجمالي الذي جدد دولة المستنصر بعد خرابها بالقحط ـ وقد تقدم ذكره ـ .

قال المقريزي: والقبة التي على الضريح جددها الحافظ لدين الله في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وامر بعمل الرخام الذي في المحراب.

وهنا تعلق بعض الكلام ببعضه فلنعد إلى ذكر ابن هرمة..

قال الاصبهاني: كان ابن هرمة يوما قاعداً مع محمد بن عبد العزيز الزهري فمر بهما ابل لمحمد بن عمران تحمل علفاً، فقال الزهري لابن هرمة: ألا تستعلف محمد بن عمران وهو يريد ان يعرضه لمنعه فيهجوه، فارسل ابن هرمة في اثر الحمولة رسولا إلى ابن عمران يسأله علفاً، فرد عليه الابل بما عليها وقال: ان احتجت إلى غيرها زدناك، فاقبل ابن هرمة على الزهري وقال: اغسلها عني فانه ان علم اني استعلفته ولا دابة عندي وقعت منه في سوأة! قال: بماذا؟ قال: تعطيني حمارك، قال: هو لك بسرجه ولجامه، فقال ابن هرمة: من حفر حفرة سوء وقع فيها.

ولابن هرمة في السري بن عبد الله، وكان والي اليمامة:

أفي طلل قفر تحمل اهله ... وقفت وماء العين ينهل هامله
فقل للسري الواصل البر بالندى ... مديحاً إذا ما بث صدق قائله
جواد على العلات يهتز للندي ... كما اهتز عضب اخلصته صياقله
نفى الظلم عن اهل اليمامة عدله ... فماشوا ومات الجوع عنهم وباطله
وقد علم المعروف انك خدنه ... وايقن هذا الجوع انك قاتله

وكان ابن هرمة المذكور شيعياً وله:

ومهما ألام على حبه ... فاني احب بني فاطمه
بني بنت من جاء بالمحكمات وبالدين والسنة القائمه

قال ابو الفرج: فسأله رجل بعد ذلك من القائل لهذين البيتين؟ قال من غض بظر امه، فقال له ابنه: يا ابت ألست قائلهما؟ قال: بلى، قال: فلم شتمت نفسك؟ قال: اليس المرأ يغض بظر امه خير من ان يأخذه ابن قحطبة.

قلت: ولابن هرمة قصيدة نحو اربعين بيتاً جميعها مهملة الحروف وهي هرمة

في التكلف واولها :

ارسم سوداء امسى دارس الطلل ممطلا رده الاحوال كالحلل
لما رأى اهلها سدوا مطالمها رام الصدود وعاد الود كالوهل
وعاد ودك داء لا دواء له ولو دعاك طوال الدهر للرحل

وفيها تعسف والتزام هذه الطريق نوع من البديع وقد استعمله الصاحب والصفي والحلي ، وقبله ابو محمد الحريري في النثر والنظم .

وحدث عمرو بن ابي ايوب الليثي قال : شرب ابن هرمة يوما عندنا فسكر ونام ؟ فلما حضرت الصلاة تحرك او حركته ، فقال وهو يتوضأ: ما كان من حديثكم اليوم ؟ قلت : يزعمون ان الوليد قتل ، فرفع رأسه إلي وقال :

وكانت امور الناس موهنة القوى فشد يزيد بن الوليد نظامها
خليفة حق لا خليفة باطل رمى عن قناة الدين حتى اقامها

ثم قال لي : اياك ان تذكر من هذا شيئاً فاني لا ادرى ما يكون .

قلت : وكان الامر كذلك فتولى يزيد بن الوليد الناقص .

قال : ومر ابن هرمة يوماً على جيرانه ـ وهو ميت سكراً ـ فحملوه حتى ادخلوه منزله ، فلما كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه ، فقال لهم : أنا في طلب هذه السكرة منذ زمان ، أما سمعتم قولي :

أسأل الله سكرة قبل موتي وصياح الصبيان يا سكران

فخرجوا وقد أيسوا من فلاحه . .

وحدث الزبير بن بكار قال انشدني عمي لابن هرمة :

ما اظن الزمان يا ام عمرو تاركا ان هلكت من يبكيني

قال: فكان والله كذلك ولقد اخبرني من رأى جنازته وما يحملها إلا اربعة نفر حتى دفنوه بالبقيع سامحه الله تعالى .

وكانت ولادته سنة تسعين .

وانشد المنصور سنة اربعين ومائة :

ان الغواني قد أعرضن مقلبة لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعد ذلك مدة طويلة . .

﴿ ترجمة أبى نصر الفارابى التركى الحكيم المشهور ﴾
(صاحب التصانيف المشهورة فى المنطق والموسيقى)
(وغيرهما من العلوم)

واسمه محمد بن محمد ابن طرخان ـ بفتح الطاء المهملة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعد الالف نون ـ هكذا ذكره ابن خلكان .

وطرخان بن اوزلغ ـ بفتح الهمزة وسكون الواو وفتح الزاى واللام وبعدها غين معجمة ـ وهما من اسماء الاتراك .

والفارابى ـ بفتح الفاء والراء وبعد الالف الثانية باء موحدة ـ هذه النسبة إلى فاراب ، وهي مدينة بالقرب من مدينة بلاساغون في اطراف بلاد فارس ، وهى قاعدة من قواعد مدن الترك ، وجميع اهلها شوافع .

وكان ابو نصر الفارابى من اكبر فلاسفة المسلمين ، ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه .

والرئيس ابو علي بن سينا ـ المتقدم ذكره ـ انتفع بكتبه وتخرج بكلامه وانتفع بتصانيفه .

وكان الفارابى المذكور رجلا تركياً ولد في بلده المذكورة ونشأ بها ، ثم خرج من بلده وتنقل في الاسفار إلى ان وصل إلى بغداد وهو يعرف اللسان التركى وعدة لغات غير العربى ، فشرع في اللسان العربى فتعلمه في اسرع مدة واتقنه غاية الاتقان ، ثم اشتغل بعلوم الحكمة في بغداد على ابى بشر متى بن يونس الحكيم المشهور ، ثم اشتغل بعلوم المنطق في مدينة حران على ابى حيان الحكيم النصرانى

ثم اشتغل بقراءة كتب ارسطا طاليس ، وتمهد في استخراج معانيها والوقوف على اغراضه منها .

ويروى انه سئل من اعلم الناس بهذا الشأن أنت ام ارسطا طاليس ؟ فقال : لو ادركته لكنت اكبر تلامذته .

وشرح غوامض علوم المنطق ، وكشف أسرارها ، وقرب متناولها ، وافاد وجوه الانتفاع ، وعرف طرق استعمالها ، وكيف تصور صورة القياس في كل مادة منها ، فجاءت كتبه فى ذلك الغاية الكافلة والنهاية الفاصلة .

هكذا ذكره ابن صاعد ، ثم انه دخل الشام فورد على سيف الدولة بن حمدان ـ المقدم ذكره ـ وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فدخل عليه وهو بزي الاتراك ، وكان ذلك زيه دائماً لا يغيره ، فوقف فقال له سيف الدولة : اجلس ، فقال : حيث انا ام حيث انت ؟ فقال : حيث انت ، فتخطى رقاب الناس حتى انتهى إلى مجلس سيف الدولة فزاحمه حتى اخرجه عنه وجلس ، وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص لا يعرفه غيرهم ، فقال لهم بذلك اللسان : ان هذا الشيخ قد اساء الادب بحضرتى واني سائله عن اشياء فان لم يجبني بها فاستخفوا به واخرجوه ، فقال له ابو نصر بذلك اللسان : ايها الامير اصبر فان الامور بعواقبها فتعجب سيف الدولة منه وبهت وقال له : اتحسن هذا اللسان ؟ فقال : نعم احسنه واحسن سبعين لساناً غيره بل اكثر ، فعظم عنده ، ثم شرع يتكلم مع العلماء في مجلس سيف الدولة في كل فن ، فلم يزل كلامه عندهم يعلو ، وكلامهم عنده يسفل حتى صمت الكل وبقى يتكلم وحده ، ثم صاروا يكتبون ما يقوله ، ثم ان سيف الدولة صرف اولئك العلماء وخلا بأبى نصر الفارابى ، فقال له : هل لك ان تأكل ؟ قال : لا ، فقال : تشرب ، قال : لا ، فقال : تسمع الغناء ، قال : نعم ، فامر سيف الدولة باحضار المغنين فحضر جمع من اهل هذه الصناعة بأنواع الآلات ، فلم يحرك احد منهم آلته إلا وعابه ابو نصر وقال له : اخطأت ، إلى ان خطأهم جميعهم فقال

له سيف الدولة ، فهل تحسن في هذه الصناعة شيئاً ؟ قال : نعم ، ثم اخرج من وسطه جرابا صغيراً ففتحه ، واخرج منه عيداناً فركبها ، ثم جس بها فضحك كل من في المجلس ، ثم فكها وركبها تركيباً آخر وضرب بها فبكى كل من في المجلس ثم فكها وركبها تركيباً آخر ، وعمل بها فنام كل من في المجلس ، فتركهم نياما وخرج .

وهو اول من وضع الآلة المسماة بالقانون ، والآلة المسماة بالعود ، وركبهما هذا التركيب .

وكان زاهداً منفرداً بنفسه ، لا يجالس الناس ، وكان لا يجلس إلا بين الزهور والرياحين والمياه والبساتين ، ويؤلف كتبه هناك وهناك يشتغل المشتغلون عليه في العلوم .

وكان اكثر تصنيفه في الرقاع ولم يصنف في الكراريس إلا القليل ، ولهذا جاءت كتبه ، واكثر تصانيفه فصولا وتعاليق ، يوجد بعضها ناقصاً مبتوراً .

وكان متقشفاً لا يحتفل بأمر مكسب ولا مسكن ، واجرى عليه سيف الدولة بعد غاية الالتماس كل يوم اربعة دراهم وهي التي اقتصر عليها لقناعته ، ولم يزل على ذلك إلى ان توفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة بدمشق ، فصلى عليه سيف الدولة مع خواصه ، وقد ناهز ثمانين سنة ، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب رحمه الله تعالى.

ومن شعره قوله :

أخي كل ذي حيز باطل فكن للحقائق في حيز
فما الدار دار مقام لنا ولا المرء في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على أقل من الكلم الموجز
وهل نحن إلا خطوط وقعن على نقطة وقع مستوفز
محيط السموات اولى بنا فماذا التنافس في المركز

والله بكل شيء عليم انه بكل شيء محيط .

﴿ فائدة ﴾

عيسى عليه السلام مشتق من عاس المال ، يعوس إذا اصلحه ، سمي به عليه السلام لانه اصلح دينه ، فكان اصله عوسى قلبت الواو ياء للكسرة ، وهذا على فرض ان لو كان عربياً وإلا فهو اعجمي ، ويأتي لفظ عاس بمعنى طاف .

وقيل : سمي عيسى عليه السلام لبياضه .

والعيس من كرام الابل بيض يخلطها شقرة ، أي حمرة شديدة ، يقال للذكر اعيس ، وللانثى عيساء ، مثل بيض وبيضاء ، وكسرت العين من عيسى لمناسبة الياء كما في بيع وأصل عينه الضم ، كحمر من احمر .

قال الزمخشري : عيسى عليه السلام معرب من ايشوع ، والمسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة ، كالصديق والفاروق ، واصله بالعبرانية (مشيحا) ومعناه المبارك ، قال : ومشتقهما من العيس والمسح ، كالراقم في الماء .

﴿ فائدة اخرى ﴾

موسى عليه السلام مفعل من اوسيت رأسه إذا حلقته ، او فعلى من ماس يميس إذا تبختر ا ومن مأس يمأس بين القوم إذا افسد بينهم ، ومنه قولهم زمان مؤس .

وقيل : هو تعريب موشى وهو الماء والشجر بالعبرانية ، فلما وجد بين الماء والشجر سمي موسى .

وانكر بعضهم ممن يعرف العبرانية هذا ، وقال : انما سمي موسى لانه لما رفع من بين الماء والشجر .

قالوا : موشا كا معناه منشولا ، اي نشلوه كما ينشل اللحم من القدر ، فاما الماء والشجر فلا يسمى عندهم موشى ، انتهى .

فلما كان ليلة الاربع رابع عشر محرم الحرام سنة الف ومائة واثنتين واربعين من هجرة الشفيع يوم الزحام خرجنا من اللحية في وقت سعيد وجيه ، ورحلنا قاصدين بيت الفقيه ، فاتينا نصف الليل على قرية تسمى دير القادري ، وبتنا بها ورحلنا عند الصباح فاتينا على قرية تسمى دير المغيدفيه ، فبتنا بها .

فلما اسفر صبح الجمعة عن سادس عشر محرم الحرام خرجنا من دير المغيد فيه ودخلنا الزيدية وهي بلدة بها قلعة محكمة ، من عمل الاتراك ، واجتمعت بحاكمها الفقيه ابي الغيث .

ثم رحلنا من الزيدية واتينا الضحى ـ بفتح الضاد المعجمة وكسر الحاء المهملة وبعدها ياء ساكنة ـ وهي بلدة لطيفة من اعمال مدينة المهجم ، وتشرفنا فيها بزيارة ابى الفدا اسماعيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن اسماعيل بن احمد بن ميمون الحضرمى الملقب قطب الدين .

قال الشرجي في طبقاته : هو الامام الكبير ، العارف بالله تعالى ، قدوة الفريقين، وعمدة أهل الطريقين ، كان اماماً من أئمة المسلمين مذكوراً، وعلماً من اعلام الولاية مشهوراً ، وجده اسماعيل من حضرموت ، وكان رجلا صالحاً كثير العلم والتعليم ، للقرآن الكريم ، حتى كان يعرف بالمعلم ، وكان الفقيه محمد بن اسماعيل من كبار عباد الله الصالحين .

ويروى عنه انه قيل له : يامحمد يولد لك ولدان محدث ومحدث ـ الاول بفتح الدال ، والثانى بكسرها ـ فكان الاول هو الفقيه اسماعيل المذكور، والثانى اخوه ابراهيم ، ونسبهم يرجع إلى سيف بن ذي يزن الحميري .

وكان مولد الفقيه محمد المذكور ومنشأه بقرية الضحي المشهورة المذكورة وبها كان مولد ولده الفقيه اسماعيل المذكور .

وكان الفقيه اسماعيل المذكور في بدايته يعتزل الناس ويؤثر الخلوة والوحدة ثم اشتغل بالعلم حتى برع فيه ، وكان تفقهه بوالده ، ثم بعمه علي بن اسماعيل ، ثم

بغيرها حتى صار فقيهاً محققاً نقالا لدقائق الفقه . وله عدة مصنفات تدل على ذلك منها شرح المهذب ، ومختصر مسلم ، ومختصر بهجة المجالس في ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وآله .

وله ايضاً كلام حسن في التصوف يدل على تمكنه وكمال معرفته ، انتفع به جماعة من الاعيان كالفقيه عبد الله بن ابى بكر الخطيب وهو اول من اخذ عنه .

ثم انتقل الفقيه اسماعيل إلى مدينة زبيد وغلب عليه حبها فاستوطنها ، وكان الملك المظفر بن رسول يجله ويعظمه ويجتمع به كثيراً وسمع عليه مرة صحيح البخاري ، فلما بلغ القارى إلى ابواب الخمر وتحريمها أشار الفقيه إلى القاري ان يعيد ذلك فاعاده مراراً بحيث فهم السلطان مراده ، فقال له : يا فقيه قد فهمنا غرضك ونحن نأمر بابطال الخمر ان شاء الله .

وكان الملك المظفر قد ولاه قضاء الاقضية ، فقام في ذلك اتم قيام ، واظهر الانكار في الخمر وغيرها ، وكان لا يولي القضاء إلا من تحقق صلاحه وورعه .

وكان من جملة من ولى بزبيد صهر له من بقية بنى عقامة فاتفق انه دخل عليه يوما فوجد عنده ثياباً فاخرة واشياء لم يعرفها معه ، فقال له : من اين لك هذه الثياب ؟ فقال له : هذه من بركاتك يا ابا الذبيح ، فقال : ذبحني الله ان لم اعز لك ثم عزله وعزل نفسه بعد ذلك .

ويقال : انما عزل نفسه لانه خوطب ارضيت بالنزول عن التسمى بالفقيه إلى التسمي بالقاضى .

ويقال : انما عزل نفسه لما بلغه ان السلطان رجع عن ابطال الخمر .

وله كرامات خارقة مشهورة منها ما روى الفقيه محمد بن معطي ، وكان من الصالحين الكبار ، قال: بينما انا في بلدى وهى قرية الرقبة من وادي رمع إذ رأيت في المنام كأن قائلا يقول لي : اذهب إلى الفقيه اسماعيل الحضرمى واقرأ عليه النحو فلما استيقظت تعجبت من ذلك ، لان المشهوران الفقيه اسماعيل قليل المعرفة في علم

النحو ، ثم قلت في نفسي : هذه اشارة ولابد من العمل بها فتقدمت إلى بلد الفقيه اسماعيل ، فلما دخلت عليه وجدت عنده جماعة يقرؤن في الفقه ، فرحب بي وقال لي يا فقيه قد اجزتك في جميع كتب النحو فاخذت ذلك منه بقبول ، إذ كان من باب الكشف ، وعدت إلى بلدي ، فما طالعت شيئاً من كتب النحو إلا عرفته وعرفت مضمونه حتى يظن من يذاكرني انى قد قرأت عدة من كتب النحو .

ومن ذلك مايحكي انه قصد مدينة زبيد في بعض الايام ، وقد قاربت الشمس الغروب ، وهو بعيد عن المدينة ، فخشي ان تغلق الابواب دونه ، فأشار إلى الشمس ان تقف ، فوقفت حتى بلغ مقصده ، وهذه الكرامة مشهورة بين الناس مستفيضة ، وهو مشهور بموقف الشمس ، وإلى ذلك اشار الامام اليافعي بقوله :

هو الحضرمي نجل الولي محمد امام الهدى نجل الامام المجد
ومن جاهه اومى إلى الشمس ان قفي فلم تمش حتى انزلوه بمقعد

وله كلام في الحقائق مشهور مدون ، فمنه قوله : ان احببت مزاحمة الرجال فاعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك فخذ بقوائمها الاربع وارمها عجلا إلى مذبح القربان ، واسرر سكين عزمك الماضية على اوداجها الطاغية ، واسل دم الشهوات ، ودعها تضطرب في دمائها ، ولا تأخذك بها رأفة في دين الله ، عسى ان تكون من المفلحين .

وكان مع جلالة قدره وحاله كثير التزوج حتى كان يقول لاولاده: تزوجوا من نساء زبيد الابكار ، فانى اخشى ان تقعوا مع بعض من قد تزوجت بها .

وكان يقول زهدت في كل شيء إلا المرأة الحسناء، والدابة النفيسة .

وبالجملة فاحوال الفقيه وكراماته لا تنحصر ، وفيما ذكرناه كفاية .

وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ست وسبعين وستمائة ، ودفن بقرية الضحى ـ المتقدم ذكرها ـ وقبره هناك مشهور ، مقصود للزيارة والتبرك من جميع نواحي المدن ، وله ذرية اخيار مباركون .

واجتمعت في الضحى بحاكمها داود سليمان ، ثم رحلنا فاتينا بندر الحديدة ثم رحلنا منه ، وقيلنا بقهوة اللاوية .

فلما اسفر صبح الثلاثاء عن عشرين محرم الحرام دخلنا بيت الفقيه بلدة الخير والانعام ـ وقد تقدم ذكرها ـ يا كرام ، .

فلما كان صبح يوم الجمعة عن ثالث وعشرين محرم الحرام توكلنا على الذي اخرج المرعى ورحلنا من بيت الفقيه قاصدين مدينة صنعا ، فاتينا على قرية تسمى شجينة ، وهي قرية صغيرة لطيفة وتشرفنا فيها بزيارة الشيخ الحكمي الولي والشيخ البجلي ذي البرهان الواضح الجلي .

قال الشرجي في طبقاته هو ابو الحسن علي بن الفقيه الكبير محمد بن حسين البجلي ، كان فقيهاً عالماً كاملا زاهداً ورعا أخذ عن جماعة من الاعيان كالفقيه احمد ابن موسى بن عجيل وغيره .

وكان يحفظ المهذب عن ظهر الغيب حفظاً متزينا بين الفاء والواو وتخرج به جماعة نحو مائة مدرس ولم يكن احد من الفقهاء اكثر اصحاباً منه ولزم طريق الزهد والورع ، وشهر بالعلم والصلاح وفعل المعروف حتى قصده الناس من كل مكان وسكن معه في قرية شجينة خلق كبير حتى صارت قرية كبيرة وهي ـ بضم الشين المعجمة وفتح الجيم وسكون المثناة من تحت ثم نون وهاء تأنيث ـ

قال الجندي في طبقاته: اخبرني الفقيه عبد الله بن محمد الاحمر احد المدرسين بمدينة زبيد قال : صحبت الفقيه علياً المذكور عشرين سنة ما اعلم ان سائلا سأله شيئاً فاعتذر منه . قال : واخبرني الفقيه محمد بن علي الحضرمي فقيه مدينة زبيد في عصره ، قال: لما جئت الفقيه علي بن ابراهيم اريد ان اقرأ عليه شيئاً ، وانا مشتغل القلب متفرق الخاطر ، واحب ان اجمع قلبي على طلب العلم ، فبأول درسة قرأتها عليه ، قمت وانا بخلاف ما كنت عليه من اضطراب الخاطر ، وكان في نفسي عدة مسائل قد اشكلت علي ، فزال عني جميع ذلك الاشكال ، فعرفت أن ذلك ببركته .

ثم ما زلت اجد الزيادة في فهمي بعد ذلك ، وكان الفقيه علي كثير الحج ، بلغت حجاته نيفاً وثلاثين حجة .

وكان كثير البر وفعل المعروف ان اقام في بيته اطعم الوافدين ، والطلبة المنقطعين وغيرهم ، وان سافر للحج انفق في طريق مكة وغيرها ما يجاوز الحد عطاء موقن بالخلف .

وكانت له مع ذلك كرامات كثيرة منها : ما حكاه الامام اليافعي في تاريخه قال : ومن كرامات الفقيه علي المذكور ان بعض الناس اودع عند امرأة وديعة وسافر ، فتوفيت المرأة وهو غائب ، ولم يعرف احد اين جعلت الوديعة ، فلما جاء الرجل لم يجد من يعلمه بذلك ، فذكر ذلك للفقيه علي المذكور ، فقال ارني قبرها فلما رآه وقف عليه ساعة ، ثم استدعى بابن المرأة ، وقال له : هل في بيتكم شجرة حناء ؟ قال : نعم قال : احفروا تحتها فالوديعة هناك ، فحفروا فوجدوها كما ذكر.

وبالجملة فكراماته كثيرة ، وكانت وفاته سنة عشرين وسبعمائة .

وبنو البجلي كافة بيت علم وصلاح ، وشهرتهم تغني عن التعريف بحالهم وهم من بجيلة بن عبس بن عك بن عدنان .

ثم رحلنا من شجينة وسرنا في هياج عظيمة إلى الغروب وبتنا في قهوة تسمى بحرة ، وكان لنا ليلة يا لها من ليلة ، بردها شديد هالك ، وظلامها غاسق حالك ، وصب المطر كافواه القرب علينا ، وسالت السيول من حوالينا .

ما اعذب قول الصاحب بن عباد ـ المتقدم ذكره ـ :

اقول وقد رأيت لها سحابا من الهجران مقبلة الينا

وقد صبت عزاليها بهطل حوالينا الصدود ولا علينا

ثم اتينا بعون من خلق الانسان على قرية لعسان ، وهي قرية صغيرة وغالب اهلها اخدام ، واكرمنا واليها اسماعيل بن حسين بن عجم غاية الاكرام .

ثم اتينا بعون الغفور على قرية صنفور ، وهي قرية صغيرة باعلى عقبة وغالب

اهلها اخدام ، ثم اتينا بعون الملك السبحان على قرية صيحان ، وهي قرية صغيرة باعلى عقبة . ثم اتينا بعون الملك الحق على قرية مفحق وهى قرية صغيرة باعلى عقبة وبهاحصن حصين لاحق بالافلاك ، وبها سمسرة واسعة قد ملئت من البراغيث فبتنا بها ونحن من البرغوث نستغيث .

﴿ فائدة ﴾

البرغوث ـ بفتح الباء وضمها ـ وكنيته ابوطائر ، وابو عدى ، وابو وثاب وهو يثب إلى ورائه .

وقيل : انه يعرض له الطيران كالنمل ، وهو يبيض ويفرخ ، واصله من التراب لا سيما الاماكن المظلمة ، وسلطانه في اواخر الشتاء ، واول فصل الربيع ، وهو على صورة الفيل ، وله انياب وخرطوم .

وكان ابو هريرة يفلي ثيابه فيلقط البراغيث ويدع القمل ، فسئل عن ذلك فقال : ابدأ بالفرسان ثم اعطف على الرجالة .

وقال بعضهم : دبيب البرغوث من تحتي اشد من عضها ، وليس ذلك بدبيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على قفاه ويرفع قوائمه فيزعزع بها فيظن من لا علم له انه يمشي تحته . وقال اعرابى :

ليل البراغيث اعيانى واسهرنى لا بارك الله في ليل البراغيث
كأنهن وجلدي إذ خلون به أيتام سوء اغاروا في المواريث

وقال السودي :

لا تكرهوا البراغوث ان اسمه بروغورث إذ به تدري
فبره مص دم فاسد وغوثه الايقاظ للفجر

والبرغوث لا يسب لما روى الامام احمد والبزاز والبخاري عن انس رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ سمع رجلا يسب برغوثاً فقال له : لا تسبه فانه ايقظ

نبياً لصلاة الفجر ، وسئل انس بن مالك عن البرغوث من يقبض روحه ؟ فقال : أله نفس ؟ قيل : نعم ، فقال : الله يتوفى الانفس حين موتها .

وفي الخميس اتينا سوق الخميس ، ومررنا في طريقنا على قرية صغيرة يقال لها الحوضين ، ثم اتينا على قرية يقال لها مند .

فلما كان يوم السبت غرة صفر المقرون بالظفر دخلنا بعون رب الصفا والمروة والمسعى إلى مدينة صنعا .

﴿ فائدة ﴾

قال النبي ﷺ: ثلاث جنان في الدنيا مر وخراسان، ودمشق الشام، وصنعاء اليمن، وجنة هذه الجنان صنعاء اليمن .

واليمن اسم لولد قحطان بن الهميسع بن يمن بن ثابت بن اسماعيل الخليل ابن ابراهيم الخليل عليه السلام سموا بيمن يمن، وبه سميت الناحية التي سكنوها.

وقيل : سمي اليمن يمناً ليمنه ، وقيل : لانه عن يمين الكعبة ، وعلى يمينها ركناها الايمنان ، وهما الركن اليماني وركن الحجر الاسود .

قالوا : وسمي الشام شاماً لشامات سود وبيض في ارضه ، وذلك لاختلاف البقع والترب .

وقيل : سمي به لشؤمه ، وقيل : لانه على شمال الكعبة .

قالوا : سمي الحجاز حجازاً لانه حجز بين الشام واليمن .

قيل : اول بنيان رفع على وجه الارض بعد الطوفان مسجد صنعاء ، وقيل : ان صنعاء مدينة لا يعرف بانيها .

وعن وهب بن منبه : ان سام بن نوح ارتاد مكاناً طيباً فوجد اليمن اطيب مكان ، ووجد صنعاء اطيبه ، فبنى صنعاء اليمن ، ثم اسس قصر غمدان وحفر بئره وهي التي تسمى بئر كرامة ، وهي مقابلة الباب الاول من باب الجامع من ناحية

الشرق ، وصنعاء هي قاعدة بلاد اليمن ، واحسن مدنها واصحها هواء واعذبها ماء واطيبها تربة ، وهي قليلة الهوام والذباب .

وفيها في كل سنة شتاآن وصيفان ، فاذا نزلت الشمس اول نقطة في الحمل صار الحر عندهم مفرطاً جداً ، فاذا نزلت اول السرطان زالت عن سمت رؤسهم فيكون شتاء ، فاذا نزلت اول الميزان يعود الحر اليهم مرة ثانية فيكون صيفاً فاذا صارت إلى الجدى صار شتاء مرة ثانية غير ان شتاءهم قريب من الصيف في كيفية الهواء ، هكذا ذكره ابن اياس في نشق الازهار ، وليس في اليمن بلدة اكبر من صنعاء ، وتسمى ازالا ، وهي قريبة من خط الاستواء .

وفي خارج صنعاء ارض تسمى الروضة ذات قصور عالية ومياه جارية وبساتين مشتبكة مزهرة ، واشجار مثمرة .

وبخارج صنعاء بئر العزب ايضاً ، وهي تشبه الروضة ، وما احسن قول من قال فيها :

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ان شرقى ازال جنة انسها يسترقص القلب طرب
طلق الهم بها ساكنها فلهذا سميت بئر العزب

وبخارج صنعاء ايضاً ارض يقال لها حده ، وصفها يجل عن الحد ، وبها عين عظيمة تسمى عين حميس .

وما الطف قول الاديب الفاضل السيد عبده الوزير فيها وفيه تورية لطيفة :

ولما جئت حدة اكرمتني وادنت بين من اهوى وبيني
فقلت لها اتيتك من ازال فأين اقيم قالت فوق عيني

﴿ تنبيه ﴾

اختلف في سمك قصر غمدان الذي بناه سام بن نوح عليه السلام بعد ان زاد فيه التبابعة من ملوك حمير ، وكان من المباني العجيبة ، فأصح ما قيل انه كان

عشرين سقفاً ، بين كل سقفين عشرون ذراعا ، وعرضه كذلك ، وكان بسط ظله على ثلاثة فراسخ .

ولم يزل قائما إلى ان هدمه فروة بن مسيك المرادي في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل هدم في خلافة ابي بكر ، وقيل فى خلافة عمر ، وقيل في خلافة عثمان. رجع . . . .

وفي صنعاء بدور باهرة ، وقصور عاليـة فاخرة ، واسواق عظيمة عامرة ومساجد واسعة زاهرة وحمامات نظيفة طاهرة .

روي ابن عبد المجيد في كتابه بهجة الزمن في اخبار اليمن : ان دور صنعاء بلغت مائة وعشرين الف دار وتلاثت في ايام احمد بن الضحاك سنة ثمانين وثلثمائة فـكانت الفا واربعين داراً ، ومساجدها كانت ثلاثة عشر الف مسجد ، وحماماتها كانت ثلاثة عشر الف حمام .

قلت : وتلاشت الآن حتى لم يبق من تلك الحمامات إلا حمام البكيلية ، وحمام السوق ، وحمام الطواشى ، وحمام سيا ، وحمام القوعة ، وحمام شكر ، وحمام الابهر وحمام في بستان الامام خاصة ، وحمام الحميدي قريب من باب اليمن ، وحمام دار شعبان انشأ عمارته الامام المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله .

وبها سماسر عظيمة ، انيسة وسيمة ، اعظمها سمسرة المتوكل ، ثم سمسرة محمد بن الحسن ، وسمسرة السيد حسين الاخفش .

وعلى صنعاء سور عظيم محكم ، وله اربعة ابواب ، باب اليمن ، وباب السبح وباب سترات ، وباب شعوب ، وبها . . وبها .

﴿ حكاية ﴾

حكي يحيى بن معاذ الصنعانى قال : خرجت من مكة وتوجهت إلى صنعاء فلما

كان بيننا وبين صنعاء خمس مراحل رأيت الناس ينزلون عن رواحلهم ، فقلت : إلى اين تريدون ؟ قالوا: زيارة قبر عروة وعفراء ، فقلت : خذوني معكم ، فلما توجهت معهم انتهينا إلى واد هناك ، وإذا بقبرين متلاصقين ، وقد خرج من هذا القبر ساق شجرة ، ومن الآخر مثله فلما سارا على قدر قامة التف بعضهما ببعض ، وعلى القبر لوح رخام ابيض ، وعليه مكتوب هذه الابيات :

غصنان من دوحة طال اعتناقهما فحاولتها صروف الدهر فافترقا
فصار ذا في يد تحويه ليس له منها براح وهذا في الفلاة لقا
حتى إذا ذويا يوما وضمهما بعد التفرق بطن الارض فاتفقا

وإلى صنعاء ينسب ابو عبد الله وهب بن منبه الصنعاني ـ وقد تقدم ذكره.

وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين دخل القرامطة صنعاء ، وكان واليها الامير اسعد بن ابي يعفر من صوب المكتفي بن المعتضد العباسي ، فانحاز إلى ثلا وقدم .

قلت : والقرمطي هو علي بن الفضل رجل من اهل اليمن ، خنفري النسب من ولد خنفر بن سبأ الاصغر ، كان صاحب مذهب خبيث ودين مشؤم ارتكب محظورات الشرع وادعى النبوة ، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه اشهد ان علي بن الفضل رسول الله ، واباح لاصحابه شرب الخمر ، ونكاح البنات ، وسائر المحرمات.

وكان عنوان كتابه إذا كتب : من باسط الارض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده فلان .

وأنشد ابياته المشهورة على منبر صنعاء ، وقيل : على منبر الجند ، وهي التي يقول فيها ـ اصلاه الله ناراً خالداً فيها ـ :

خذي الدف يا هذه واضربي وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب
احل البنات مع الامهات ومن فضله زاد حل الصبي
وقد حط عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتعب

إذا الناس صلوا فلا تنهضى وان امسكوا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك الناكحين من الاقربين او الاجنبي
فلم ذا حللت لهذا الغريب وصرت محرمة للاب
أليس الغراس لمن ربه واسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السما حلال فقدست من مذهب

قلت : بل لعنه الله ولعن مذهبه ، وهي طويلة حلل فيها سائر المحرمات فلعنه الله ما اجرأه على الكفريات .

ثم ان اللعين قصده بعض اشراف بغداد ، وكان المبضع مسموماً ، فهلك لعنه الله ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثمائة .

وكانت مدة محنته وكفره تسع عشرة سنة ، فلا رحمه الله وجعل في الدرك الاسفل من الجحيم مثواه .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

رجع إلى صنعاء . . .

واجتمعت فيها بالجناب العزيز الركن الحريز الذهب الابريز ، الكريم الذي ضربت الامثال بحديث كرمه ، وقلد اعناق الرجال بمننه ونعمه :

ما قلت في وصفه شيئاً لأمدحه إلا وجدت ثناه فوق ما اصف

الجليل الرئيس ، نجل الجليل الرئيس ، الجوهر الغالي النفيس ، عمدتي وعدتي وسندي وصاحبي وابن بلدي ، قرة العيون ، وكهف الغريب المحزون ، الشيخ النجيب الحبيب عمر بن المرحوم حسن المدعون ، لا زالت رايات سعده منشورة واحاديث مجده ونجده في الدنيا مشهورة ، وبيوت عزه بالخيرات الوافرة معمورة ، وجميع محبيه بعطاياه الجسيمة مغمورة ، وقلوب اهله لبقاء ذاته الكريمة مجبورة وجميع اعاديه وحاسديه مقهورة ، ورقاب باغضيه مكسورة ، بحرمة من انزلت عليه مائة واربع عشرة سورة ، فكم له علينا من حسنات يعجز عن وصفها اللسان واعظم

حسناته معي في صنعاء يا اخوان ، فاني نزلت على غرة مني وعدم خبرة بتلك البلاد في سمسرة المفناء واظنها اسست على نجاسة وادبار وفساد ، فرأيت ساكنيها بعضهم من العسكر الاجناد ، وبعضهم من السفلة الاوغاد ، وما رأيت فيها من اخاطبه ، او اجلس معه او اصاحبه ، سوى البرغوث والقمل والبق ، الذى انحل الجسم بأذيته ودق ، ومكثت في تلك السمسرة في اشد تعب وضيق ، كأنني مصحف في دار زنديق ، ثم اني مع هذه المحنة والبلوى ، اختلف الماء علي والهوا ومرضت مرضاً صعباً ، وما وجدت فيها من يزيل عنى كرباً ، سوى هذا الكريم الشهم ، نجل الكريم الشهم ، فهو الذي سعى في ايصال قصيدتى الآتى ذكرها إلى ابراهيم بن المهدي ، لكنه لئيم لايؤثر المدح فيه ولايجدي ، فاوعدنى عند سماع هذه القصيدة الوفية بصلة سنية ، وكسوة بهية ، فالكسوة باقية عند الخياط ، والدراهم في دار الضرب ، من عام اثنين واربعين إلى عامنا هذا .

فلما رأى سيدي الشيخ عمر ان ابراهيم هذا البخل من مادر المشتهر ، قام هو إذ ذاك بحق وواجبي ، وما احوجنى إلى مراجعة هذا الغر الغبي واهبنى من عنده وارسلنى إلى المخا ، لا زال مشهوراً بالاريحية والسخا .

قل لمن في مديحه يتغالى هكذا هكذا وإلا فلا لا

غيره :

ولا زال مشهوراً بكل فضيلة ويحفظه الرحمن في المال والاهل

واجتمعت بالجناب الرئيس الشيخ على المنوفي ، والسيد عبيد ركن الدين ، وعثمان السنانيكي ، واجتمعت فيها بسيدي وولدي ومنجدي وعاضدي الرئيس المكين كهف الغرباء والمساكين ، الجناب الكريم الحاج محمد يس ، لا زال ثغر الدنيا بوجوده ضاحكا ، ولا برح على نهج آبائه الكرام سالكا .

وقلت في صنعاء مادحاً ابراهيم بن المهدي ومؤرخا داره الجديدة بمدينة صنعاء بقصيدة فريدة ، لكني لم اظفر منه بعائد ، وضاع تغزلي في البارد ، لانه مشهور

بالبخل بين الناس ، وما على من هجاه اثم ولا باس ، والقصيدة هذه :

يا خليلي قد بلغت الامانى هنيانى ببغيتي هنيانى
وحبيبي وافى وبالوصل لاقى اين عين الحسود حتى تراني
وطوى باللقا بساط التجافي وحباني بقربه ورعانى
واعتنقنا على فراش التصافي ثم غنا بعفة فى امان
قال لي الخل نلت ما ترتجيه من ضروب الاحسان والامتنان
انت في جنتي سرور وحسن وجنى جنيتهما لك دان
ما الذي انت تشتهي غير هذا قلت مدح الفتى جليل المعانى
الشريف الغطريف مولاي ابراهيم نجل المهدي امام الزمان
الشجاع الغضنفر الصادق الضرب بسمر القنا وبيض اليمانى
الهمام الهزبر في حومة الميدان وهو الابيد للاقران
معدن الصدق كامل الخلق والخلق حليف الندى له يومان
يوم بؤس ويوم جود فهذا للمنايا وذاك للاحسان
كم له من مواهب وعطايا حدثوا عنهما بكل لسان
كم له من فضائل ليس تحصى ذكرها سار بين قاص ودان
هكذا هكذا وإلا فلا لا طرق الجد غير طرق الدهان
زاده الله رفعة وكمالا وحماه من طارق الازمان
يا ذرى العقل من اناخت عليه في دناه كلا كل الحدثان
فليعرج بداره ملجأ العافين يلق امانه والامانى
ما ترى داره الجديدة تزهو كعروس تجلى لاهل المعاني
دار انس ونعمة وسرور وبهاء وفرحة وتهانى
دار سعد ودولة واحتشام وافتخار وعزة وامان
كتب الحسن والصفا في علاها ادخلوني وشاهدوا بنيانى

ثم صلوا وعوذوا حسن وصفى بالنبي المشفع العدنانى
أنا دار الكريم كنز العطايا من يلذ بي لا يختشى من هوان
انا قصر كجنة الخلد ازهو فيه من كل نعمة زوجان
أذهبت صنعتي محاسن صنعا هكذا النور محمد النيران
ارخ السعد لي باثبات ود أنا مأوى الافراح دار التهانى
سنة ١١٤٢

وهذا النوع يسمى التاريخ المستثنى ، وقد قدمت بيانه فى ترجمة عمي وابن عمي ، وقد القيت في المزابل جوهري المكنون ، ولم ار من هذا الممدوح سوى وعد الكمون ، وحسبنا الله عليه يتوكل المتوكلون .

﴿ فائدة ﴾

قال عمي طاب ثراه في حاشيته على القاموس في باب النون ، فصل الكاف عند قوله (كمن كنصر وسمع كمونا) استغنى قوله والكمون كتنور حب مدر مجشى هاضم طارد للرياح ما هذا نصه اقول في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبى منصور الثعالبي مواعيد الكمون ، يضرب مثلا للمواعيد الكاذبة ، وذلك ان الكمون لا يسقى بل يقال له : غداً نسقيك ، وبعد غد نكفيك ، فهو ينمو بالتنمية على المواعيد الكاذبة .

قال الشاعر :

لا تجعلني ككمون بمزرعة ان فاته السقي اغنته المواعيد

وأورد لابن الرومي :

كم شامخ باذخ بثروته اضله قبلي المضلونا
جعلته بالهجاء فلفلة إذ جعلتنى مناه كمونا

والظاهر أن التمثيل بمواعيد الكمون وارد عن العرب ، وإلا لنبه الثعالبي

على انه من المولدين ونحوهم ، فكان ينبغي ان يذكر هذه الخاصية العجيبة كما لا يزال يذكر الطبيات والخواص ، وهي ليست من وظيفة اللغة ، ويشير إلى المثل بمواعيده فانه من وظيفته ان ثبت عن العرب ، وإلا فهي فائدة ادبية مرتبة على خاصية الكمون العجيبة . وقد قال الشيخ داود في تذكرته في الكمون وقد تواتر انه ينمو إذا مشت فيه النساء ، وانه يروى إذا وعد بالماء كذا قال بزرعه انتهى .

وهو يؤنس بظن ان التمثيل بمواعيده عربي لان الاستصحاب المسمى بالمقلوب المبين في اصول الفقه .

وذكره السبكي في جمع الجوامع واعتمده ، يقتضي استمرار تواتر ان الكمون يروى إذا وعد بالماء في مواضي الازمان إلى ما قبل فساد اللسان العربي ، وحينئذ يغلب على الظن ان العرب تمثلت بمواعيده ، لكن على هذا اثبات اللغة بالاستدلال وفيه ما فيه ويمكن ان يجاب عن ذلك فتأمل . . . انتهى .

﴿ فائدة ﴾

يروى انه اتت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله حفيلي عنسج ليس له سفرجلتان اشتهى طرطباً ، وليس له قرقب ، فأمر علياً عليه السلام ان يعطيها عشرة دراهم ، فقالت الصحابة : يا رسول الله ما ذا قالت ؟ قال : ان لها زوجاً اعمى اشتهى لحماً قديداً وليس له درهم .

ويروى ان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين تكلموا يوما في فصاحة العرب ، فجاء النبي (ص) وقال لهم : فيم تتكلمون ؟ فقالوا : في فصاحة العرب ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : انا افصح العرب ، ان اخى نوحا آذته الذبابة فدعا ربه فأمره فأمر يده على فم الورد فأولده الضيون فكفاه شره ، فقالوا : يا رسول الله ما ندري ما تقول ؟ فقال : صدقتم انا افصح العرب ، ان اخي نوحا آذته المليصاء ، فشكا إلى ربه فامره فأمر يده على فم العرباض فاولده السمسم فأكل

السمسم السقطم ، فكفاه شره . فقالوا : يا رسول الله ما نعلم ما تقول ؟ فقال : صدقتم انا افصح العرب ان اخي نوحا آذته الفارة فشكا إلى ربه فأمره فمسح يده على فم السبع فأولده السنور فكفاه شره ، فقالوا : يا رسول الله ان هذه لغة لم نسمعها من غيرك ، فقال : ان هذه لغة ابى اسماعيل يأتيني بها جبرائيل فيذكرنيها انتهى . . .

قال بعضهم : كنت في مجلس فيه عمر بن ربيعة المخزومي فقلنا له يا اباالخطاب ان لك مع النساء احاديث عجيبة قد نقلها الرواة ، وسار بها الركبان ، فحدثنا باعجبها قال : بينما انا ذات ليلة بمنى إذ دخل علي الحاجب فاعلمني ان بالباب عجوزاً عليها مسحة من جمال وكسوة فاخرة ، فخرجت اليها وسلمت عليها ، وسألتني عن نسبي فاخبرتها ، فقالت : فتى من بنى مخزوم ، قلت : نعم ، فقالت : هل لك ان اريك احسن خلق الله وجهاً ، قلت : فداك ابى وامي ، وكيف لي بذلك ؟ فقالت : انت ناظر اليها على شرط ، قلت : وما هو ؟ قالت : ان لا تريها إلا العفاف ولا تتعرض لها بسوء ، قلت لك ذلك فاخرجت مصحفاً وحلفتني عليه ، ثم قالت : وان البسك لباس النساء واعصب عينيك إلى الموضع ، قلت : ولك ذلك ، فأخرجت عصابة وعصبتني ، والبستني ازاراً وخفا ، ثم اخذت بيدي تقودني إلى ان ادخلتني إلى مضرب فاخذني من يدها وصائف ، ثم حللن العصابة عن عيني ، وإذا انا في مكان قد فرش بالديباج الاحمر والوشى المنسوج بالذهب وإذا فيه جوار ابهى من البدور فاجلستني على سرير ووقفن على رأسي يروحنني ، فبينما انا جالس على تلك الحالة وإذا أنا بجارية قد طلعت من باب من المضرب ازهى من الشمس ، فسلمت علي وجلست إلى جانبي واقبلت علي تحدثني وتسائلني ، وانا والله منها في غمرات شديدة وقد زال عقلي لما شاهدت من جمالها ، فاستطردت بالحديث إلى ان قالت يا عمر من الذي يقول ، وانشدت :

وناهدة الثديين قلت لها اتكي على الرمل من جبانة لم توسد

فقالت على اسم الله سمعاً وطاعة وان كنت قد كلفت ما لم اعود
فلما دنا الاصباح قالت فضحتني فقم غير مطرود وان شئت فازدد
فزودت منها واتشحت بمرطها وقلت لعيني اسكبي الدمع في غد
وقامت تعفي بالرداء مكانها وتنثر دمعاً كالجمان المنضد

فقلت : أنا القائل ذلك ، فقالت : من هذه الناهدة الثديين التي جرى لك معها ما ذكرت ؟ فقلت : اطال الله بقاءك ما كان هذا مني على قصد ولا في امرأة بعينها ، ولكني احب الغزل والتشبب بالنساء ، قالت : بل انت كذاب مفتر على الحرائر فاضح للمصونات قد فشا شعرك بهن بالعراق والحجاز وكل مكان ياوصائف اخرجوه عني مهاناً فاحدقن بي بدفع وضرب وصفع ، ثم عصبوا عيني ودفعوني للعجوز ، فاخذت تقودني إلى مضربي ، ثم قالت : يا ابا الخطاب لاتيأس ، فبقيت ليلتي قلقاً لم اذق مناماً .

فلما كان الغد وحضر الوقت الذي جاءتني فيه العجوز إذا بالحاجب يقول لي ان العجوز التي جاءت بالامس في باب الدار ، فقلت : ائذن لها ، فدخلت وسلمت وقالت : هل لك في ان تراها ثانية قلت: نعم ، ثم فعلت بي كفعلها الاول والبستني الازار وعصبت عيني وقادتني حتى اتت بي الموضع فدفعتني إلى الوصائف فاخذنني وحللن العصابة عن عيني ، وإذا انا في مضرب بسط فيه الحرير ، وهو من الديباج الاسود ومنسوج بالذهب الاحمر وفيه جوار كالظباء النوافر ، فجلست على السرير وإذا بها قد طلعت على كانها البدر ليلة تمامه ، فسلمت علي وصافحتني فوجدت برد كفها على كبدي ، ثم جلست تحادثني وسألتني عن خبري ، وكيف كان مبيتي ، وعاطتني الاشعار فما رأيت اطيب من حديثها ، ثم قالت : يا ابا الخطاب من الذي يقول وانشدت :

بينما ينعتنني ابصرنني دون قيدالميل يعدوبي الاغر
قالت الكبرى اتعرفن الفتى قالت الوسطى نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمتها قد عرفناه وهل يخفى القمر
وإذا ما عثرت في مرطها ندبت باسمي وقالت يا عمر

قلت : انا القائل ذلك فداك ابى وامي ، قالت : من هذه الكبرى والوسطى والصغرى التي إذا عثرت قالت ياعمر ، فقلت : اطال الله بقاءك قد تقدم العذر في هذا امس وانه لم يكن مني على قصد ولا في امرأة بعينها ، فقالت : يا كذاب ما الذي يحملك على هتك استار اسرار الحرائر ، وان تقول عليهن ما لم يكن حقاً فيشيع في الارض ويظنه الناس صحيحاً ، يا وصائف عزرن هذا الفاسق على كذبه فابتدرن إلي الوصائف وضربنني على وجهي ضربات ، ثم شددن العصابة على عيني ودفعنني إلى العجوز ، فعادت بى إلى مضربى ، ثم قالت يا عمر لا تيأس .

فبت ليلتي قلقاً متفكراً لم اذق منا ماً حتى اسفر الصبح ، فلما طلعت الشمس وحضر الوقت المعلوم إذا بالحاجب يخبرنى بالعجوز ، فقلت اشغلها عني ساعة حتى يأتيك رسولي ، ثم امرت جارية ان تضرب خلوقاً في باطية ، ففعلت فغمست يدي إلى معصمي في ذلك الخلوق ثم سدلت ردائى عليها وامرت بادخال العجوز فدخلت فسلمت وسألتني عن حالي ، ثم قالت : هل لك ان تراها ثالثاً ، قلت : فداك ابي وامى وكيف لي ولم ابت وليلتي إلا على جمر الغضا ، فقالت : فنحن معـــك على الشريطة ، قلت : نعم ، فاستحلفتني ثم البستني الازار وعصبتنى وقادتني إلى الموضع ، فلما احست بالوصول إلى باب المضرب اخرجت يدي وضربت بها باب المضرب ، وكان من الديباج الابيض منقوشاً بالذهب مفروشا بالحرير ، ثم جعلت امسك الاطناب بكفي كأنى اتوكأ عليها ، ثم تناولتني الوصائف فاجلستني وحللن العصابة عن عيني ، فجلست على السرير ، فاذا بها قد طلعت ، فلما رأيتها سقطت مغشيا علي ، فلما افقت من غشيتي تناولت كفى وجلعت تغمزه ، ثم قالت : كيف حالك يا ابا الخطاب ، فقلت بسوء حال شديد ، والنظر يغني عن الخبر ، فتبسمت فما رأيت احسن من ثغرها ، واخـذت تسألني عن اخبار العرب وايامها ، وأهـل

العشق ، وانا والله يخيل لي كأني في بعض قصور الجنة مع حورها ، فبينما انا كذلك في اسر عيش وأهناه إذا التفتت إلي وقالت : يا ابا الخطاب من الذي يقول وانشدت :

سجج الغراب ببين ذات الدملج ليت الغراب بينهما لم يسجج
ما زلت اتبعهم لاسمع حدوهم حتى دخلت على ربيبة هودج
قالت وحق ابي وحرمة والدي لأنبهن الحي ان لم تخرج
فخرجت خيفة اهلها فتبسمت فعلمت ان يمينها لم تحرج
فتناولت كفي لتعلم مسه بمخضب الاطراف غير مشنج
فلثمت فاها آخذاً بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

النزيف : الذى يبس فمه وشفتاه من الظمأ . والحشرج : ثقب في الجبل فيه ماء صاف ، فقلت : انا يا سيدتى عذري قد تقدم ، والمحنة فيه واحدة ، فقالت : واراك مقيما على الكذب وفضيحة النساء وهتك استار الحرائر يا وصائف اخرجن هذا الفاسق مجروراً مدحوراً معزراً على كذبه وافترائه ، فبادرن إلي وسحبنني على وجهي وضربنني بايديهن ضربا موجعا ، ثم عصبن عيني ودفعنني إلى العجوز فاخرجتني وأنا لا اعقل من شدة الضرب .

فلما كنا بوسط الطريق رأت رجلا حماراً مجتازاً ، فقالت له : خذ هذه الدريهمات واوصل هذه المرأة الضريرة إلى مضرب عمر بن ابى ربيعة المخزومى فاخذنى من يدها وهو يظن اني امرأة ، حتى وصل بى إلى مضربى فاخذنى بعض غلمانى ودخلت المضرب ، ونزعت ما علي ولبست ثيابى وانا في اسوء حال من شدة ما لاقيت من الصفع والضرب ، ثم امرت بادخال الناس علي وطلبت غلمانى وقلت لهم اى غلام وجد لي بابا مضروبا عليه بكف خلوق فهو حر لوجه الله تعالى ، واي رجل وجد ذلك فله عندي الف درهم ، فابتدروا في طلب ذلك وغابوا ساعة ، فعاد إلي بعض الغلمان وقال يا سيدي عرفت المضرب وصاحبه ، فقلت له : ان كنت صادقا

فأنت حر لوجه الله تعالى، فقمت معه إلى الموضع فرأيت موضع كفى في الباب ، فاذا هومضرب مروة بنت عبدالملك بن مروان ، فامرت ان يقلع مضربي ويضرب حذاء مضربها ، فلما رأت ذلك علمت انى عرفتها ، فجزعت من ذلك ثم اسدلت الستور بينى وبينها .

وكان لعبد الملك بن مروان جواسيس فكتبوا له بذلك ، فقلت شعراً فشاع في الناس واشتهر وهو :

نظرت اليها بالمحصب من منى ولي نظر لو لا التحرج عازم
فقلت اشمس ام محاريب بيعة بدت لك خلف الستر أم انت حالم
بعيدة مهوى القرط امافنوفل ابوها واما عبد شمس وهاشم

فوصل إلى عبد الملك هـذا الشعر أيضاً ، ثم انها زمت متوجهة إلى الشام فرحلت لرحيلها ، فكنت انزل لنزولها وارحل لرحيلها ، واشتد وجدي والد نوبها حتى ركبت بالعمارية من شدة ضعفي ، وأنا مع ذلك اكتم سري عن اهلي وعوادي ولم افش سري إلى احـد من اصحابي إلى ان صرنا من دمشق بمرحلتين ، فتلقاها رسول عبد الملك يأمرها بالمقام في موضعها إلى ان يخرج اليها ويستقبلها ، فاقبل عبد الملك نحوها في سادات بني امية ووجوه القواد ، حتى إذا صار قريباً من مضربها عدل عن الناس ودخل عليها وبارك لها في حجها ، وهنأها بقدومها ، وقال : يا مروة ألم انهك عن الطواف نهاراً حتى لا تقع عليك عين ؟ فقالت : والله ما طفت نهاراً ، فخرج من عندها فحانت منه التفاتة فرأى مضربي فسأل عنه ، فقيل لعمر ابن ربيعة المخزومي ، فقال : علي به ، فلما جئت اليه سلمت عليه ، فقال : لا سلم الله عليك ولا اقر لك عيناً ، فقلت : بئس التحية يا ابن العم على بعد المزار ، فقال: اليس انت القائل : (نظرت اليها بالمحصب من منى) ـ الابيات المتقدمة ـ قاتلك الله أما كان ذلك نداوة وجـه عن بنت عمك حتى تشببت بها في شعرك ، قلت : يا ابن العم ألم اقل ذلك في امرأة معينة ولا كان ذلك مني على قصد ، قال : كذبت

يا فاسق ، ثم اطرق ساعة ورفع رأسه إلي وقال : يا عمر هل لك في واحدة ؟ قلت : وما هي فداك ابي وامي ؟ قال : ازوجك مروة ، قلت : انما انا عبد من عبيدك وطاعتك علي واجبة ، كما انه لا يجوز لي مخالفتك وعدم امتثال امرك فاصنع ما شئت ، فاحضر خمسمائة الف درهم ، ثم دعا وجوه بني امية وبني هاشم ، ثم خطب خطبة وعقد نكاحي على ابنته مروة على المال الحاضر ثم قال لي قم وادخل على اهلك فقمت من عنده ودخلت على مروة ، فلما رأتني نفرت مني نفور الظبي ، وقالت : من انت ويحاً لك ، ثكلتك امك ، وعدمك قومك ، قلت : انا بعلك وابن عمك عمر بن ابي ربيعة ، صبرت وفقدرت ، وجاءها الخبر بتزويجي منها فأنست إلي فعادلتها في هودجها إلى دمشق واقر الله عيني بها ، انتهى .

﴿ ترجمة أمين الدين ياقوت بن عبد الملك الموصلي الكاتب ﴾

(المعروف بالملكي نسبة إلى السلطان ملك)

(شاه السلجوقي)

نزل بالموصل واخذ النحو عن ابن الدهان النحوي ، وقرأ عليه ديوان المتنبي ومقامات الحريري ، وغير ذلك .

وكان حسن الخط ، انتشر خطه في الآفاق ، ولم يكن في زمانه من يقارنه في حسن الخط . وكان ذا فضل غزير ، ونباهة تامة . وكان مولعاً بنقل (صحاح الجوهري) فكتب منه نسخاً كثيرة .

قال ابن خلكان في تاريخه : كانت تباع كل نسخة من خطه مائة دينار ، وكتب عليه الناس كثيرة ، وقصده الناس من سائر البلدان .

وارسل اليه من بغداد عبد الله الواسطي قصيدة امتدحه بها ، ولم يكن رآه بل كاتبه على السماع ، والقصيدة طويلة ، فمنها قوله بعد ان وصف بلدة بغداد

وماءها وهواءها وازهارها ونساءها :

بلدة تستفاد منها المعالي والمعانى علما وجداً وهزلا
لم يفتها من الكمال سوى ياقوت لو انها به تتحلى
من لها ان يضوع نشر امين الدين فيها وحسنها ذاك فضلا
لورجت ان يزورها لانبرى الصامت منها يقول اهلا وسهلا
ولئن وافت الرواة برياه اليها فان رؤياه احلى
بحر جود له المكارم تتلو وجواد عنه المكارم تتلى
جامع شارد العلوم ولو لاه لكانت ام الفضائل ثكلى
ذو يراع تخاف سطوته الاسد وتعنوا له الكتائب ذلا
وإذا افتر ثغره عن سواد في بياض فالبيض والسمر خجلى
يقظ في حراسة الملك لا يغمد سهما ولا يجرد نصلا
انما يبعث البلاغة ارسالا إذا كانت الصحائف رسلا
فيعبد الجبار ممتثلا خوفا لما قد امل فيها واملى
وتراه طوراً يجيل يديه بقداح العلوم فصلا فصلا
مثل وشى الرياض او كنضيم الدر يزهى خطاً ولفظا ونقلا
فأتنا يا بريد مثل امين الدين مهلا انعبت نفسك مهلا

وهى بليغة بديعة في نهاية الحسن ، ولو لا خوف الاطالة لأوردتها بتمامها .

وتوفى امين الدين ياقوت المذكور بالموصل سنة ثمانى عشرة وستمائة ، وكان قد اسن ، وتغير خطه من الكبر رحمه الله تعالى ، والله الموفق والمعين ، وهو ارحم الراحمين .

كتب هرقل ملك الروم إلى معاوية بن ابى سفيان يسأله عن الشيء ، وعن لا شيء ، وعن دين لا يقبل الله غيره ، وعن مفتاح الصلاة ، وعن غرس الجنة ، وعن صلاة كل شيء ، وعن اربعة فيهم الروح ولم يركضوا في اصلاب الرجال ولا

ارحام النساء ، وعن رجل لا اب له ، وعن رجل لا قوم له ، وعن قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ما هو ، وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها سابقاً ولا لاحقاً ، وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها ، وعن شجرة نبتت من غير ماء ، وعن شيء يتنفس ولا له روح ، وعن اليوم وامس وغد وبعد غد ، وعن البرق والرعد وصوته ، وعن المحو الذي في القمر .

فقيل لمعاوية : لست هناك ومتى اخطأت في شيء من ذلك تسقط من عينه ، وانما اكتب إلى عبد الله بن العباس يخبرك عن هذه المسائل ، فكتب اليه ، فاجابه أما الشيء قال الله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي) وأما لا شيء فانها الدنيا لأنها تبيد وتفنى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا إله إلا الله محمد رسول الله وأما مفتاح الصلاة فالله اكبر ، وأما غرس الجنة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وأما صلاة كل شيء فسبحان الله وبحمده ، وأما الاربعة التي فيهم الروح ، ولم يركضوا في اصلاب الرجال ولا ارحام النساء فآدم وحواء وعصى موسى وكبش اسماعيل ، وأما الرجل الذي لا اب له فالمسيح عليه السلام ، وأما الرجل الذي لا قوم له فآدم عليه السلام ، واما القبر الذي جرى بصاحبه فالحوت الذي سار بيونس عليه السلام في البحر ، وأما قوس قزح فامان الله لعباده من الغرق ، وأما البقعة التي طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم تطلع عليها سابقاً ولا لاحقاً فالبحر الذي انفلق لبني اسرائيل ، وأما الظاعن الذي ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء ، كان بينه وبين الارض المقدسة اربعة ليال ، فلما عصت بنو اسرائيل اطاره الله بجناحيه ونادى مناد من السماء ان قبلتم التوراة كشفته عنكم وإلا القيته عليكم ، فقبلوا التوراة معتذرين فرده الله عز وجل إلى موضعه ، وأما الشجرة التي نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التي انبتها الله على يونس عليه السلام ، واما الذي يتنفس ولا له روح فالصبح ، وأما اليوم فعمل ، وأما امس فمثل ، وأما غد فاجل ، وأما بعد غد فامل ، وأما البرق فمخاريق بايدي الملائكة تضرب به السحاب ، وأما

الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب ، وصوته زجره للسحاب ، وهو كالزنبور ، وأما المحو الذي في القمر ، فقول الله عز وجل (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) ولو لا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل .

﴿ لطيفة ﴾

مرض رجل وعنده امرأة قد مات عنها خمسة ازواج فقعدت عند رأسه تبكي وتقول : على من تتركني ، فرفع رأسه وقال لها ، على الزوج السابع الشقي .

﴿ لطيفة ﴾

اركض رجل دابته وهو يقول : الطريق الطريق ، فاصابت رجلا ، فذهب إلى القاضي فتخارس الرجل ، فقال القاضي : هو اخرس ؟ فقال المدعي : انه يكذب يا مولاي القاضي لا يزال يقول : الطريق الطريق ، فقال له الرجل : فما تريد مني وقد سمعتني اقول الطريق الطريق ، فخلى القاضي سبيله .

﴿ حكاية ادبية ﴾

قال بعضهم : خرجت يوما من مجلس المبرد فررت بخربة فاذا شيخ قد خرج منها وفي يده حجر فهم ان يرميني فسترت بالمحبرة والدفتر ، فقال : مرحبا بالشيخ فقلت : وبك ، فقال : من اين اقبلت ؟ قلت : من مجلس المبرد ، فقال : المبرد البارد ثم قال : فما الذي انشدكم ؟ قلت : انشدنا :

اعار الغيث نائله إذا ما ماؤه نفدا
وان اسد شكا جبناً أعار فؤاده الاسدا

فقال : اخطأ القائل لهذا الشعر ، واكل من خراي رطلين بالبغدادي !

قلت : فكيف كان يقول ؟ قال : ألا تعلم انه إذا أعار الغيث نائله بقي

بلا نيل ، وإذا أعار الاسد فؤاده بقي بلا فؤاد ، ولـكن يقول :

علم الغيث الندي حتى إذا ما وعاه علم البأس الاسد
فاذا الغيث مقر بالندى وإذا الليث مقر بالجلد

قال : فكتبتهما وانصرفت .

فلما كان اليوم الثاني مررت بالخربة ايضاً فخرج علي وكاد يرميني فتسترت منه ايضاً ، وضحك فقال : مرحباً بالشيخ ، فقلت : وبك ، فقال : من اين اقبلت قلت : من مجلس المبرد ، قال : ما انشدكم ؟ قلت : انشدنا :

ان السماحة والمروأة والندى قبر بمرو على الطريق الواضح
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجياد وكل طرف سابح

فقال : اخطأ هذا القائل وصفع في قفاه ، قلت : كيف ؟ قال : ويحك لو نحر كوم الجياد بخراسان لما اثر في حقه ، قلت : فكيف كان يقول فانشد :

احملاني فان يكن بكما عقر إلى جنب قبره فاعقراني
وانضحا من دمي عليه فقد كان دمي من نداه لو تعلمان

فلما عدت إلى المبرد قصصت عليه القصة ، فقال : أتعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هذا خالد الـكاتب الشاعر ، تأخذه السوداء في ايام الباذنجان .

﴿ حكاية ﴾

وفد ملاعب الاسنة عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب واخوته طفيل ومعاوية وعبيدة ومعهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر وهو غلام ، على الملك النعمان بن المنذر فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسي ، وكان الربيع هـذا ينادم النعمان مع رجل من اهل الشام تاجر يسمى سرحون بن نوفيل ، وكان تاجراً للنعمان المذكور اديباً حسن الحديث والمنادمة ، وكان النعمان يعجب به ، فاذا اراد ان يخلو على شربه ولهوه بعث اليه وإلى طبيب له يسمي النطاسي وإلى الربيع بن زياد ، وكان

الربيع يسمى الكامل ، فلما قدم ملاعب الاسنة واخوته على النعمان اكرمهم واحسن نزلهم .

فلما خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم ، وذكر معايبهم ، وقد كان فعل بهم ذلك مراراً ، وكان بنو جعفر اعداءه ، فصد النعمان عنهم ، ثم دخلوا عليه يوما فانكروا منه تغيراً وجفاء ، فخرجوا من عنده غضاباً .

وكان لبيد في رحالهم يحفظ امتعتهم ، ويغدو بابلهم كل صباح فيرعاها فاذا امسى انصرف بابلهم اليهم ، فاتاهم ذات ليلة فالفاهم يتذاكرون فعل الربيع بن زياد وما يقاسونه منه فسألهم لبيد عن امرهم فكتموه عليه ، لان ام لبيد هذا كانت امرأة من بني عبس ، وكانت يتيمة فى بيت الربيع بن زياد المذكور ، فقال لهم لبيد حين كتموا امرهم عنه : والله لا احفظ لكم متاعا ، ولا اسرح لكم ابلا ، حتى تخبرونى بخبركم ، فقالوا له : خالك قد تكلم علينا عند الملك وغيره عنا ، فقال لهم لبيد : هل تقدرون على ان تجمعوا بيني وبينه ، فازجره عنكم بكلام ممض مؤلم لا يلتفت النعمان اليه بعده ابداً ماعاش ، فقالوا له : وهل انت قادر على ما قلت ؟ قال : نعم ، قالوا : فانا نمتحنك على ان تشتم هذه البقلة ، وكانت قدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالارض ، تسمى التربة .

فقال : هذه التربة كالكربة لا تذكى ناراً ولا توهل داراً ولا تسر جاراً عودها ضئيل وفرعها ذليل ، وخيرها قليل ، بلدها شاسع ، وثبتها جاشع ، وآكلها جائع ، والمقيم عليها ضائع ، اقصر البقول فرعا واخبثها مرعى ، واقلعها نفعاً واشدها قلعاً ، فحر بانفها جدعا ، ألقونى اخا عبس ، ارده عنكم بتعس ، واتركه من امره في لبس . فقالوا له : نصبح فنرى فيك رأينا ، فقال لهم : ملاعب الاسنة انظروا إلى غلامكم هذا فان رأيتموه نائماً فليس امره بشيء انما يتكلم بما جاء على لسانه ، وان رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم وصاحبه ، فرمقوه بالليل فوجدوه قد ركب بعيراً وظل يحرسهم إلى الصبح ولم يرقد .

فلما اصبحوا قالوا : انه والله صاحبنا وصاحبه فحلقوا رأسه وتركوا له ذؤابتين وألبسوه حلة وغدوا به معهم إلى مجلس النعمان فوجدوه يتغدى مع الربيع وهما يأكلان رطبا في طبق ، وليس معه غيره يواكله ، والمجلس محفوف بالوفود .

فلما فرغ من الغداء اذن لعامر وجماعته فدخلوا عليه وذكروا له حوائجهم فاعترضهم الربيع في كلامهم ونقص بهم عند النعمان ، فقال لبيد رجزا :

يا رب هيجا هي خير من دعه أكل يوم هامتي مقرعه
نحن بنو ام البنين الاربعه ومن خيار عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه والضاربون الهام تحت الخيضعة
يا واهب الخير الكثير من سعه اليسك جاوزنا بلاداً مسبعه
يخبر عن هذا خبير فاسمعه مهلا ابيت اللعن لا تأكل معه
ان استه من برص ملمعه وانه يدخل فيها اصبعه
يدخلها حتى يوارى اشجعه كأنه يطلب شيئا اودعه

فلما فرغ لبيد من انشاده التفت النعمان إلى الربيع بن زياد وقال له: اهكذا انت ؟ قال : لا والله ايها الملك ، لقد كذب علي هذا الاحمق اللئيم ، فقال : الملك النعمان : والله لقد خبث علي طعامي وشرابي ، ثم قام النعمان وقام الربيع وانصرف إلى منزله ، وامره النعمان بالانصراف إلى بلده ، فكتب الربيع والله لست بذاهب حتى تبعث إلي من تأتمنه فيجردني عن اثوابي ويراني لكي يعلم كل من حضرك من الناس اني لست كما قال لبيد ، فكتب اليه النعمان انك لست قادراً على رد ما تكلمت به الالسن فالحق باهلك ، فقال الربيع:

لئن رحلت ركابي ان لي سعة ما مثلها سعة عرضا ولا طولا
ولو جمعت بني لخم باجمعها لم يعدلوا ريشة من ريش شمويلا
ترعى الروائم احرار البقول بها لا مثل رعيكم ملحا وعسويلا
فابرح بارضك يا نعمان متكئا مع النطاسي يوما وابن نوفيلا

فكتب اليه النعمان مجيبا :

شرد برحلك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الاباطيلا
فقد رميت بداء لست غاسله ما جاوز النيل يوما اهل ابليلا
فما انتفاؤك منه بعد ما جزعت اوج المطى به ابراق شمويلا
فالحق بحيث رأيت الارض واسعة وانشر بها الطرف ان عرضا وان طولا
قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا فما اعتذارك من شيء إذا قيلا

فأرسل النعمان هذا البيت الاخير مثلا .

﴿ ترجمة ابي الفرج الببغا عبد الواحد بن نصر المخزومي ﴾

(من أهل نصيبين)

قال الثعالبي في اليتيمة : هو نجم الآفاق ، وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ، واحد افراد الدهر ، في النظم والنثر ، له كلام بلا مدام بل نظام من الياقوت ، بل حب الغمام ، ونثره مستوف اقسام العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمه كانه روضة منورة تجمع طيبا ومنظراً حسنا .

وقد اخرجت من شعره ، ما يشهد بالذي اجريت من ذكره ، وانما لقب بالببغا للثغة فيه فيجرى وصفها في ذكر ما دار بينه وبين ابي اسحاق الصابى من طرف المكاتبات ، وملح المحاورات .

وكان في عنفوان امره وريعان شبابه متصلا بالامين سيف الدولة ومقيما في جملته ، ثم تنقلت به بعد صاحبه الاحوال ، في وروده إلى الموصل وبغداد ومنادمته الملوك والوزراء والرؤساء ، واخفاقه مرة وانجاحه اخرى .

وآخر ما بلغني من خبره ما سمعت الامير اباالفضل عبد الله بن احمد الميكالي يورده عند التقائه معه عند صدوره من الحج وحصوله ببغداد في سنة تسعين

وثلثمائة ، ورأيته بها شيخاً عالي السن متطاول الامد ، نظيف اللبسة بهى الركبة مليح اللثغة ، ظريف الجملة ، قد اخذت الايام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من ظرفه وادبه ، ومدح الامير ابا نصر بقصيدة فريدة اجزل عليها صلته ، ثم السلامي وغيره من شعراء العراق ، ثم عرض على القاضى ابى بشر الفضل بن محمد بجرجان سنة احدى وتسعين كتاب ابى الفرج الوارد عليه من بغداد ، وكان مشتملا من النظم والنثر على ما اثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف على ثنية الوداع ولست ادري ما فعل الدهر به بعد ذلك ، واغلب ظني فيه انه الآن ، قد لحق باللطيف الخبير ، وانا ابدأ بسياقة قصة له من عبارته ، وحكاية لم اسمع اظرف منها ولا الطف ، ولا اعذب منها ولا اخف ، وان كان فيها بعض الطول ، فالبديع غير مطول .

قال ابو الفرج : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة مكرها وقد سار عنها في بعض وقائعه ، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من اصحابه ، حتى ان ذلك كان مؤديا إلى النهب وطول الاعتقال ، فاضطررت إلى اعمال الحيلة في التخلص والسلامة بخدمة من بها من رؤساء الدولة الاخشيدية ، وكان سنى في ذلك الوقت عشرين سنة ، فكان انقطاعي منهم إلى ابى بكر علي بن صالح الروذباري لتقدمه في الرياسة ، ومكانه من الفضل والصناعة ، فاحسن تقبلي ، وبالغ في الاحسان إلي وحصلت تحت الضرورة في المقام ، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة ، والمتنزهات المطرفة ، تسلياً وتعللا .

فلما كان في بعض الايام عملت على قصد دير مران وهذا الدير مشهور والموقع منها في الجلالة وحسن المنظر فاستصحبت بعض من كنت آنس به وتقدمت بحمل ما يصلح لنا وتوجهنا نحوه ، فلما نزلنا اخذنا في شأننا ، وقد اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسجاحة الخلق حسبما جرى به الرسم في غشيان الاعمار ، وطروق الديرة من النظر ، وبعشرة اهلها ، والانسة بسكانها

ولم تزل الاقداح دائرة ، بين مطرب الغنا وزاهر المذاكرة ، إلى ان فض اللهو ختامه ولوح السكر لصحبي اعلامه ، وحانت مني نظرة إلى بعض الرهبان ، فوجدته إلى خطابي متوثباً ، ولنظري اليه مترقباً ، فلما اخذته عيني اكب يزعجني بخفي الغمز ووحي الايماء ، فاستوحشت من ذلك وانكرته ، ونهضت عجلا واستحضرته فاخرج إلي رقعة مختومة وقال لي : قد لزمك فرض الامانة فيما تتضمنته هذه الرقعة دوني وسقط ذمام كاتبها في سترها بك عني ، ففضضتها فاذا فيها باحسن خط واملحه ، واقواه واوضحه : (بسم الله الرحمن الرحيم لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يامولاي بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض على التسامح بنفس الحظ منك ، إلى ان استنزلتني الرغبة فيك ، على حكم الثقة بك ، من غير خبرة ، فرفعت بيني وبينك سجف الحشمة ، واطمعت بالانبساط اوامر الانسة ، في التوصل إلى مودتك ، فابت الفرصة والمستماح منك جعلني الله فداك زورة ارتجع بها ماغتصبتنيه الايام من المسرة مهناة بالانفراد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك :

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ولكن لأخذ الاحتياط على حالي

فان صادف ما خطبته منك ايدك الله قبولا ولديك نفاقاً فمنية غفل الزمان والدهر عنها ، وفارق مذهبه فيما اهداه إلى منها ، وان جرى على رسمه في مخالفة ما اوثره واهواه ، وارتقبه من قربك وأتمناه ، فذمام المروة يلزمك رد هذه الرقعة وسترها ، وتناسيها واطراح ذكرها ، ان شاء الله تعالى) .

وإذا بابيات تتلو الخطاب وهي :

هل لك في صاحب يناسب في الغربة اخلاقه وبالادب
اوحشه الدهر فاستراح إلى قربك مستنصراً على النوب
فان تقبلت ما اتاك به لم تسىء الظن فيك بالكذب
وان اتى الدهر دون رغبتنا فكن كمن لم يقل ولم يجب

قال ابو الفرج : فورد علي ما حيرني ، واستردني ما كان الشراب حازه

من تمييزي وحصل لي في الجملة ان اغلب الاوصاف على صاحبها الكتابة خطاً وترسلا ونظما ، فشاهدته بالفراسة من الفاظه ، وحمدت اخلاقه قبل الاختبار من رقعتـه ، وقلت للراهب : من هذا ويحك ، وكيف السبيل اليه ؟ فقال : أما ذكر حاله فاليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى لقائه فسهل ان شئت ، قلت : دلني ، فقال تظهر فتوراً ، وتنصب عذراً ، تفارق به اصحابك منصرفاً ، فاذا وصلت إلى باب الدير عدلت بك إلى باب خفي تدخل منه .

فرددت الرقعة عليه ، وقلت : ادفعها اليه ليتأكد انسه بي ، وسكونه إلي وعرفه ان التوفر على اعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته ، على ما آثره من ضرر الانفراد اولى من التشاغل برد جواب ، وقطع وقت بمكاتبته .

ومضى الراهب وعدت إلى اصحابي بغير النشاط الذي نهضت به ، فانكروا ذلك ، فاعتذرت اليهم بشيء عرض لي فاستدعيت ما اركبه ، وتقدمت إلى من كان معي ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كنا عملنا على المبيت فاجمعوا على تعجل السكر والانصراف ، وخرجت من باب الدير ومعي صبي كنت آنس اليه وبخدمته وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي .

وتلقاني الراهب وعدل بي إلى الطريق في مضيق ، وادخلني إلى الدير من باب غامض وصار بي الى باب قلاية يفوق عما يجاوره من الابواب نظافة وحسناً فقرعه بحركات مختلفة كالعلامـة فابتدرنا غلام كأن البدر ، ركب على ازراره مهفهف الكشح مخطفه معتدل القوام اهيفه ، تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب اصداغه وطرته في غلالة تنم على ماتستره وتخفو مع رقتها عما تظهره وعلى رأسه مجلية مصمت فبهر عقلي ، واستوقف نظري ، ثم اجفل كالظبي المذعور ، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية ، فاذا أنا ببيت فضي الحيطان ، رخامي الاركان ، يضم طارمة خشب مفروشة بحصير مستعمل ، فوثب الينا منه فتى مقتبل الشبيبة ، حسن الصورة ظاهر النبل والهيبة ، متزيى من اللباس بزي غلامه فلقيني حافياً يعثر في سراويله واعتنقني

ثم قال : انما استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدى لاجعل ما لعلك استحسنته من وجهه مصانعاً على ما يرد عليك من مشاهدتي فاستحسنت واستظرفت اختصاره الظريف إلى بسطي وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً على تأنيسى، وافاض في شكري على المسارعة إلى امره ، وأنا اواصل في خلال سكناته البالغة في الاعتذار به .

ثم قال لي : انت يا سيدي مكدود بمن كان معك والاستمتاع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى راحتك .

وقد كان الامر على ما ذكر فاستلقيت يسيراً ، ثم نهضت فخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي الفتها في دور اكابر الملوك واجلة الرؤسا واحضرنا خادم له لم أر أحسن منه وجها طبقاً يضم مما يتخذ للعشاء ماخف ولطف ، فقال : ألا كل مني يا سيدى للحاجة ومنك للمجالسة والمساعدة فأكلنا شيئاً ، واقبل الليل فطلع القمر ففتح مناظر ذلك البيت إلى فضاء ادى الينا محاسن الغوطة وحبانا بذخائر رياضها من المنظر الجنانى والنسيم العطري .

وجاءنا الراهب من الاشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منه ، ثم اقتعدنا غارب اللذة وجرينا في ميدان المفاوضة ، ولم يزل يناهبني من نوادر الاخبار وملح الاشعار ، ونخلط ذلك المزح باظرفه ، ومن التودد بالطفه ، إلى ان توسطنا الشراب ، فالتفت إلى غلامه فقال : يا مترف ان مولاك ما ادخر علينا السرور بحضوره وما يجب ان ندخره ممكناً في مسرته ، فتبقع وجه الغلام حياء وخفراً فاقسم عليه بحياتى ، وأنا لا اعلم ما يريد فمضى وعاد يحمل طنبوراً وجلس ، فقال يا سيدي تأذن لي في خدمتك ، فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من عظيم المسرة بذلك ، فاصلح الغلام ما بيده وضرب فقال :

يا مالكي وهو ملكي وسالبي ثوب نسكي
نزه يقين الهوى فيك عن تعرض شك
لو لاك ما كنت اشكي إلى الصباح وابكي

قال : فنظر الغلام إلي وتبسم ، فعلمت ان الشعر له ، وكدت والله اطير طربا وفرحا بملاحة خلقه ، وجودة ضربه ، وعذوبة الفاظه وتكامل حسنه .

فاستدعيت كثيراً من الشراب ، فاحضر الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد الشراب المحكم ، فشربت سروراً بوجهه ، وشرب بمثل ما شربت . ثم قال لي انا والله يا سيدي احب ترفهك ولا اقطعك عما انت فيه متوفر عليه ، ولكن إذا عرفت الاسم والنسب ، والصناعة واللقب ، فلا بد ان تسم ليلتنا بشيء يكون لها طرازاً او لذكرها معلماً ، فجذبت الدواة وقد اخذ الشراب مني ، فكتبت ارتجالا:

وليلة اوسعتني حسناً ولهواً وانسا
ما زلت الثم بدراً بها واشرب شمسا
إذ أطلع الدير سعداً لم يبق مذ غاب نحسا
فصار للروح مني روحا وللنفس نفساً

فطرب على قولي (الثم بدراً واشرب شمساً) وجذب غلامه فقبله ، وقال : ما جهلت ما يجب لك ياسيدي من التوقير ، وانما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته ، فبحياتك إلا ما فعلت مثل ذلك بغلامك ، فاتبعت ايثاره خوفا من احتشامه ، واخذ الابيات وجعل يرددها ، واخذ الدواة وكتب اجازة لها :

ولم اكن لغريمي والله ابذل فلسا
لو ارتضى لي غريمي بدير مران حبسا

فقلت له: إذاً والله ما كان يؤدي احد حقاً ولا باطلا، وداعبته في هذا المعنى بما حضر ، وعرفت في الجملة انه مستتر من دين قد ركبه . وقال لي : قد خرج لك اكثر الحديث ، فان عذرت وإلا ذكرت الحال لتعرفها على صورتها ، فتبينت ما يؤثره من كتمان امره ، فقلت له : يا سيدي كل من لا يتعرف بك ذكره ، وقد اغنت المشاهدة عن الاعتذار ونابت الخبره عن الاستخبار، وجعل يشرب وينتخب على من غير اكراه ولا حث ولا استبطاء إلى ان رأيت الشراب قد دب فيه فاكب

على محادثة غلامه والفطنة تثنيه في الوقت بعد الوقت فاظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام ببردعة ففرشها لي بازاء بردعتـه ، فنهضت اليها ، وكان يتفقد امري بنفسه ، فقلت له : ان لي مذهباً في تقريب غلامي مني ، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره هذه من الحلل في غلامه فتبسم وقال: بسكر جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لي بك واظهرت النوم ، وعاد يحادث غلامه باعذب لفظ واحلى معاتبة ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة حال وانبساط يد ، وغـــلامه تارة يقبل يده ، وتارة فمه وغلبتني عيناي إلى ان ايقظني هواء السحر فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس فاردت توديعه ، وحاذرت انباهه وازعاجه ، فخرجت ولقيني الخادم يريد ايقاظه وتعريفه بانصرافي ، فاقسمت عليه أن لا يفعل ، ووجدت غلامي قد بكر بما اركبه ، كما كنت امرته ، فركبت منصرفا وعامداً على العود اليـه والتوفر على مواصلته ، واخذ الحظ منه في معاشرته ، ومتوهما ان ما كنت فيه منام لطيبه وقرب اوله من آخره ، واعترضتني اسباب ادت إلى اللحاق بسيف الدولة ، وسرت على اتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه ، وقلت في ذلك :

ويوم كأن الدهر سامحني به ... فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه انفاس الصبا بارتياحنا ... إلى دير مران المعظم في العمر
بحيث هواء الغوطتين معطر ... النسيم بانفاس الرياحين والزهر
فكم روضة بالحسن ترفد روضة ... ومن نهر بالفيض يجري إلى النهر
وفي الهيكل المعمور منه افترعتها ... وصحبي حلالا بعد توفية المهر
فاهدت لي الايام فيه مودة ... دعتني في ستر فلبيت في ستر
أتى من شريف الطبع اصدق رغبة ... يخاطبني عن معدن النظم والنثر
فكان جوابي طاعة لا مقالة ... ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر
فلاقيت ملء العين نبلا وهمة ... فحلى السجايا بالطلاقة والبشر
واحشمني بالبر حتى حسبته ... يريد اختداعي عن حياتي ولا ادري

ونزه عن غير الصفاء اجتماعنا فكنت واياه كقلبين في صدر
وشاء السرور ان بلينا بثالث فلا طفنا بالبدر او بأخي البدر
يعطي العيون ماشتهت من جماله ومضى القلوب بالتجنب والهجر
جنينا جنى الورد من غير وقته وزهر الربى من روض خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه بشمسين في جنحي دجى الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف آخذا بأوفر حظ من محاسنه الزهر
وامتعنا من وجنتيه بمثل ما تمزج كفاه من الماء والخمر
سرور شكرنا منة الصحو إذ دعا اليه ولم نشكر به منة السكر
كأن الليالي ممن عنه فعند ما تنبهن نكبن الوفاء إلى الغدر
مضى فكأني كنت فيه مهوما يحدث عن طيف الخيال الذي يسري
ونزهت عن غير الدنانير قدرها فما زلت منها اشرب التبر بالتبر
وهل يحصل الانسان من كل مابه تسامحه الايام إلا على الذكر

ولم ازل على اتم قلق واعظم حسرة ، واشد أسف على ما سلبته من عظيم النعمة بفراق الفتى ، لا سيما ولم احصل منه على حقيقة علم ولا يقين ، خبر يؤديني إلى الطمع بلقائه إلى ان عاد سيف الدولة إلى دمشق ، وأنا في جملته ، فما بدأت بشيء قبل السير إلى الراهب ، وقد كنت حفظت اسمه ، فخرج إلي مذعوراً مرعوبا وهو لا يعرف السبب ، فلما رآني استطار فرحا ، واقسم لا يخاطبني إلا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك ، ففعلت فلما جلسنا للمحادثة قال مالي: لا اراك تسألني عن صديقك ، قلت : والله ما لي فكر ينصرف عنه ولا اسف يتجاوز ما حرمته منه ولا سررت في عودي إلى هذا البلد إلا من اجله ، ولذلك بدأت بقصدك ، فاذكر لي خبره ، فقال : اما الآن ، فنعم هذا فتى من المادرانيين ، جليل القدر عظيم النعمة ، كان قد ضمن في سلطانه بمصر ضياعا كثيرة فخان به ضمان العقور السعر واشرف علي الخروج من نعمته فاستتر .

ولما اشتد البحث عنه خرج مختفياً إلى ان ورد دمشق بزى تاجر ، وكان استتاره عند بعض اخوانه ممن اخدمه ، فانى كنت عنده يوما إذ ظهر لى وقال لصديقه انى اريد الانتقال إلى هذا الراهب ان كان علي مأموناً . فذكر له صديقه مذهبي ، واظهرت السرور بما رغب فيه من الانس بى ، وانا لا اعرفه ، غير ان صديقى قد امرنى بخدمته وحصل في قلايتي يواصل الصوم .

فلما كان بعد ايام جاءنا الرسول من عند صديقنا ، ومعه الغلام والخادم قد لحقا به ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة .

قلت : السفتجة كقرطقة ان يعطي مالا لأحد ، وللآخذ مال من بلد المعطى فيوفيه اياها ، ثم فيستفيد امن الطريق ، والآن في عرف تجار الهند يسمى هندوى وفي عرف تجار العرب حوالة .

فلما نظر إلى الغلام قال : يا راهب قد حل الفطر ، وجاء العيد ووثب إلى الغلام فاعتنقه ، وجعل يقبل عينيه ويبكي ، ووقف على السفاتج فانفذها مع درج رقعة منها إلى صديقه .

فلما كان بعد يومين حمل إلى الفي دينار ، فدفع اليه منها ثلاثمائة دينار وقال ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيقة ، فابتاع آلة وفرشاً ، ولم يزل مكباً على ما رأيت إلى ان ورد عليه بالبغال والآلات الحسنة باجتماعهم إلى صاحب مصر ، وتعريفهم اياه الحال من بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع بحطيطة المال عنه مقترن بالكتب .

فلما عمل على المسير قال لغلامه : سلم جميع ما بقى من نفقتنا إلى الراهب يصرفه في مصالح الدير إلى ان نواصل نفقته من مستقرنا وسار وما له حسرة غيرك ولا آسف إلا عليك ، وكان يقطع الاوقات بذكرك ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك ، وهو الآن بمصر على أحسن الاحوال واجلها ما يبخل بتفقدى ولا يغب برى ، فتعجلت بعض السلوة بما عرفته من حقيقة خبره ،

واتممت يومي عند الراهب ، وكان آخر العهد به ، انتهى .

﴿ غرر من رسائله الموصولة بشعره ﴾

كتب الى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً ومقامه على ابن الزيات صاحبه ، وقد عصى عليه واخذه اياه وانكفاءه بعد ذلك الى حلب :

الرياسة ايده الله سيدنا خلة موموقة ، ومرتبة مرموقة ، يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم ، ويتناولونها بحسب مراتبهم من الكرم ، فما تدرك الا بالسماح ، ولا تملك الا باطراف الرماح ، ولا تتقمص الا بالحمد ، ولا تخطب الا بلسان المجد ، فكل من ادركها طلباً واستحقها بافعاله لقباً من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد ورق الاخلاص لا التودد ، فقد حرم نيل الكمال وعدل عن الحقيقة الى المحال :

لانه الغاية القصوى التي عجزت ... عن ان تؤمل ادراكا لها الهمم
ما تستحق ملوك الارض مرتبة ... في الفضل الا له من فوقها قدم
ذكاؤه ان دجاليل الشكوك ضحى ... وظله ان خطا صرف الردى حرم
فلو عدا الكرم الموصوف راحته ... عن ان يجاوره لم يكرم الكرم

الشجاعة اقل ادواته ، والبلاغة اصغر صفاته ، يطرق الدهر اذا نطق ، وينطق المجد اذا افتخر ، فالآمال والثناء اجمع مصروف اليه ينهض بما قعدت به همم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر من معاناة مثله ، بهمم سيفية ، وعزائم علوية ، ورد شمل الدهر جديدا ، وذميم الايام حميدا ، بحق اوضحه ، وخلل اصلحه ، وهدى اعاده وضلال اباده :

فلا انتزع الله المدا حد بأسه ... ولا انتزع الله المدا عز نصره
واحسن عن حفظ النبي وآله ... ورمي رموم الدين توفير شكره
فما يدرك المداح ادنى حقوقه ... بأغراك منظوم الكلام ومنثره

الآن ادنى نعمة تستغرق جميع الشكر وايسر منة تفوت المبالغة في جميل

الذكر ، فأما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد اثره ، المشهور بلاؤه ، الواجب ثناؤه ، الباسق فرعه ، العام نفعه ، فاشرف من ان تحده الصفات او يعد بافصح العبارات لاجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الارادة ، على مشكور العرف والعادة فيما ابتسم به من ثغر الدين ، وشمل صلاحه كافة المسلمين :

كانما ادخر الدنيا معظمه ... دون الملوك بسيف الدولة البطل
رآه اكرمهم في الجود ان ذكروا ... وصفا وافضلهم في القول والعمل
فهزه وظبا الاسياف مغمدة ... واستله غير منسوب الى الملل
حتى غدا الدين من بعد العبوس به ... جذلان يرفل من نعماه في حلل
فلو تكلم في حال وقيل له ... من خير هذا الورى لم يسم غير علي

وهي طويلة ، وفيما كتبته للانموذج كفاية ، والله ولي الهداية .

وله رسالة اخرى كتبها بعد وفاة سيف الدولة الى عدة الدولة ابي تغلب بن ناصر الدولة يذكر رغبته في قصده وايثاره ، الانقطاع اليه ، وذلك في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة :

ومن ابرز بسيدنا صفحة رجائه ، ووقف للانقطاع الى سمة نعمائه فقد استظهر لما بقي من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره فقال :

فما يقدح الفقر في حاله ... ولا يطمع الضر في قصده
وكيف وقد صار ضيف الغمام وهو قريب على بعده
ومن علقت بابي تغلب ... يداه اجتدى البدر من سعده
همام قضى الله من عرشه ... له بالامارة في مهده
فطود السيادة في دسته ... وشمس الرياسة في برده

ولما ورد الجواب عن مكتوبه مقترناً بازاحة العلة في جميع ما يحتاج اليه في سفره ، والتوقيع بالمبادرة في المسير إلى الموصل وردها ولقي ابا تغلب برسالة طويلة ، منها : أفصح دلائل الاقبال ، واصدق براهين السعادة ، أطال الله تعالى

عمر سيدنا ما شهدت العقول بصحته ، ونطقت البصائر بحقيقته ونعمة الله تعالى على الدين والدنيا بما اولاها من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما بظل عـدله ، مفصحة بتكامل الاقبال ، مبشرة بتصديق الآمال :

محروسة ضمن الشكر الوفي لها عن الزيادة نيل السؤل والدرك
تحقق العصر ان الملك منذ نشا له ابو تغلب اسم غير مشترك
واستخلف الفلك الدوار همتـه فلو دنا اغنت الدنيا عن الفلك

موفر الحسنات ، مأمون الهفوات متناصر النصفات ربعي النفاسة ، حمداني السياسة ، ناصري الرياسة ، عطاردي الذكاء ، موفق الآراء ، شمسي التأثير ، قرى التصوير ، فلكي التدبير ، للصدق كلامه ، وللعدل احكامه وللوفاء ذمامه ، وللحسام غناؤه ، وللقدر مضاؤه ، وللسحاب عطاؤه :

دعوته فأجابتني مـكارمه ولو دعوت سوى نعماه لم يجب
وجدته الغيث مشغوفا بعادته والروض تحيا بها في عادة السحب
لو فاته النسب الوضاح كان له من فضله نسب يغنيه عن نسب
إذا دعته ملوك الارض سيدها طراً دعته المعالي سيد العرب

فاجمل بره وتقبله مدة بقائه بحضرته إلى ان سار منها إلى مدينة السلام يعني بغداد ، سنة تسع وخمسين وثلاثمائة .

وجعل يعاود الموصل مرة ومدينة السلام اخرى .

﴿ ذكر ما دار بينه وبين ابى اسحاق الصابى ﴾

كان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فاتفق ان ابا الفرج قدم مرة بغداد وابو اسحاق الصابى معتقل بها منذ مدة بعيدة ولم يصبر عنه فزاره في محبسه ، ثم انصرف عنه ، ولم يعاوده ، فكتب اليه ابو اسحاق :

ابا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزل يزيدك صرف الدهر حظاً اذا نقص

مضى زمن تستام ودى غالياً فارخصته والبيع غال ومرتخص
وآنستني في محبسى بزيارة شفت كمداً من صاحب لك قدخلص
ولكنها كانت كحسوة طائر فوافى كما يستفرص السارق الفرص
واحسبك استوحشت من ضيق محبسى واوجست خوفا من تذكرك القفص
كذا الكرز اللماح ينجو بنفسه إذا عاين الاشراك تنصب للقنص
فحوشيت يا قس الطيور بلاغة إذا أنشد المنظوم او درس القصص
من المنسر الاسفى ومن حزة المدى ومن بندق الرامي ومن قصة المقص
ومن صعدة فيها من الدبق لهدم لفرسانكم عند الطراد بها قنص
فهذي دواهى الطير وقيت شرها إذا الدهر من احداثه جرع الغصص

فأجابه ابو الفرج في الحال مع رسوله :

ايا ماجداً مذ يمم الجود ما نكص وبدر تمام مذ تكامل ما نقص
ستخلص من هذا السرار وانما هلال توارى بالسرار فما خلص
برأفة تاج الملة الملك الذى لسوددده في خطة المشتري حصص
تقنصت بالالطاف شكرى ولم اكن علمت بان الحر بالبر يقتنص
وصادفت ادنى فرصة فانتهزتها بلقياك إذ بالحزم تنتهز الفرص
اتتنى القوافي الباهرات تحملت بدائع من مستحسن الجد والرخص
فقابلت زهر الروض منها ولم ارع واحرزت در البحر منها ولم اغص
فان كنت بالبيغاء قدماً ملقباً فكم لقب بالجور لا العدل مختص
وبعد فما اخشى تقنص جارح وقلبك لي وكر ورأيك لي قفص

فأنهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة ، فاعجب بهما فاستظرفهما ، وكان ذلك احد اسباب اطلاق ابى اسحاق من اعتقاله .

ثم اتصلت بينهما المودة والمكاتبة وكتب ابو اسحاق إلى ابى الفرج ابياتاً في صفة القبج والخطاطيف .

ثم كتب اليه هذه الارجوزة في صفة الببغا :

انعتها صبيحة مليحه ناطقة باللغة الفصيحة
عدت من الاطيار واللسان موهم لي انها انسان
تنهي إلى صاحبها الاخبارا وتكشف الاسرار والاستارا
سكاء إلا انها سميعه تعيد ما تسمعه طبيعه

قلت : قوله سكاء ، أي لا اذن لها ، وكل الطير سك

وربما لقنت العضيهه فتغتدي بزية سفيهه
زارتك من بلادها البعيده واستوطنت عندك كالقعيده
ضيف قراه الجوز والارز والضيف في ابياتنا بعز
تراه في منقارها الخلوق كلؤلؤ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالفصين في النور والظلماء بصاصين
تميس في حلتها الخضراء مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدة خدورها الاقفاص ليس لها من حبسها خلاص
تحبسها وما لها من ذنب وانما تحبسها للحب
تلك التي قلبي بها مشغوف كنيت عنها واسمها معروف
تشرك منها شاعر الزمان والكاتب المعروف بالبيان
ذلك عبد الواحد بن نصر تقيه نفسي حادثات الدهر

فاجابه ابو الفرج بهذه الارجوزة :

من منصفي من حكم الكتاب شمس الشموس قمر الآداب
اضحى لاوصاف الكمال محرزا وسام ان يلحق لا يبرزا
وهل يجاري السابق المقصر ام هل يساوي المدرك المقدر
ما زارني عن عرض معرضا ولي بما يصدره مستنهضا
فتارة يعتمد الخطافا ببدع تستغرق الاوصافا

وتارة يعني بنعت القبج ... من منطق لفضله محتج
يحوم حول غرض معلوم ... ومقصد في شعره مفهوم
حتى تجلت رغوة الصريح ... وسلم التلويح للتصريح
وصح ان البيغاء مقصده ... بكل ما كان قديماً يورده
فلم يدع لقائل مقالا ... فيها ولا لخاطر مجالا
اهدى لها من كل نعت احسنه ... وصاغ من حلى المعانى ازينه
احال بالريش الاثيث الاخضر ... وباحمرار طوقها والمنقر
حكى اختلاط الروض بالشقيق ... واحمر المياه بالعقيق
تزهى بدراج من الزمرد ... ومقلة في كسبج فى عسجد
وحسن منقار اشم قاني ... كأنما صيغ من المرجان
صيرها انفرادها في الجنس ... بنطقها من فصحاء الانس
تميزت في الطير بالبيان ... عن كل مخلوق سوى الانسان
تحكي الذي تسمعه بلا كذب ... من غير تغيير بجد او لعب
غذاؤها ازكى طعام وغدا ... لاتشرب الماء ولا تخشى الصدا
ذات شفا تحسبه ياقوتا ... لا ترتضي غير الارز قوتا
كأنما الحبة في منقارها ... حبابة تطفو على عقارها
اقدامها ببأسها الشديد ... اسكنها في قفص الحديد
فهى كخود في لباس اخضر ... تأوى إلى خركاهة لم تستر
ووصفها المعجز ما لا يدرك ... ومثله من غيرها لا يملك
لو لم تكن لي لقباً لم اختصر ... لكن خشيت ان يقال منتصر
وانما تبعت باستحقاق ... لوصفها حذو أبى اسحاق
شرفها وزاد في تشريفها ... بحكم ابدع في تفويفها
فكيف اجزي بالثناء واللقب ... من صرح المدح إلى اسمي واللقب

وكتب اليه ابو اسحاق بأحسن ما قيل في مدح الالثغ :

ابا الفرج استحققت نعتاً لاجله تسميت من بين الخلائق ببغا
بياناً منيراً كاللجين مضمناً نضاراً من المعنى اذيبا وافرغا
فلولامريء القيس ابتدأت مجاريا كبا او لقيس في فصاحته صغا
متى ما يرم ذا الاسم غيرك رائم ليبلغ من غايات فضلك مبلغا
فانى اسميه به ثم انثنى فاسلبه باء من الاسم إذ بغى
إذا انا سامت البلاغة طائعاً اليك فأي الناس خالفني طغى
كفتكِ على رغم الحسود شهادتي بان كنت منه ثم مني ابلغا
وما هجنت منك المحاسن لثغة وليس سوى الانسان تلفاه الثغا
اتعرفها فيما تقدم حاكياً لعير إذا ما صاح او جمل رغا
فيالك حرفاً زدت فضلا بنقصه فاصبحت منه بالكمال مسوغا
بقيت ولا تعدم بقاء مرفهاً وعشت ولا تفقد معاشاً مرفغا

ما يتغنى به من شعر ابى الفرج :

لقد عز العزاء علي لما تصدى لي ليقتلني الصدود
إذا بعد الحبيب فكل شيء من الدنيا ولذتها بعيد

وقوله :

يا سادتى هذه روحي تودعكم إذ كان لاالصبر يسليها ولاالجزع
قد كنت اطمع في روح الحياة لها فالآن إذ بنتم لم يبق لي طمع
لا عذب الله روحي في المقام فما اظنها بعدكم بالعيش تنتفع

وقوله :

او ليس من احد العجائب انني فارقته فحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه ارحم فتى يحكيه عند محاقه

﴿ غرر من شعره في الغزل ﴾

قال الثعالبي : انشدت لابى الفرج فى رمد المحبوب ، وهو احسن ما سمعتـه فى معناه :

بنفسى مايشكوه من راح طرفه ونرجسه مما دهى حسنه ورد
اراقت دمى ظلماً محاسن وجهه فأضحت وفي عينيه آثارها تبدو
غدت عينه كالخد حتى كأنما سقى عينه من ماء توريده الخد
لئن اصبحت رمداء مقلة مالـكي لقد طالما استشفت بها مقل رمد

وله في الفصد :

بابى الغائب الذي لم يغب عني فاشكو اليه هم المغيب
باشرته يد الطبيب فلو نلت الاماني قيدت كف الطبيب
فعلت في ذراعـه ظبـة المبضم افعال لحظـه في القـلوب
فاسالت دماً كأن جفوني عصفرته بدمعها المسكوب
طاب جداً فلو به سمح الدهر لامسى عطري واصبح طيبي

وله في غلام خرج غازيا :

يا غازيا اتت الاحزان غازية إلى فؤادى والاحشاء حين غزا
ان بارزتك كماة الروم فارمهم بسهم عينيك تقتل كل من برزا

وله في صفة معصرة :

ومعصرة انخت بها وقرن الشمس لم يغب
فخلت قرارها بالراح بعض معادن الذهب
وقد ذرفت لفقد الـكرم فيها اعين الذهب
وجاش عباب واديها بمنهـل ومنسـكب
ويا قوت العصير بها يلاعب لؤلؤ الحبب

فيا عجباً لعاصرها وما يغني به عجبي
وكيف يعيش وهو يخوض في بحر من اللهب

وله في عتيق الخمرة ، وهو ابلغ ما قيل :

وعريقة الانساب والشيم موجودة والخلق في العدم
قدمت فما تعزى إلى حدث إلا إذا عزيت الى الهرم
هي آدم الكرم المولد في الدنيا وحوا الخمر في القدم
كملت فضائلها وقصر عن اوصافها الاغراق في الكلم
ظهرت ونور الصبح عن فلك من قبل خلق الصبح والظلم
فانهل جوهرها بمنسكب لم يعتصر بيد ولا قدم
واثبتوا معنى السلاف لها من كونها في سالف الامم
فكأنها في صفوها خلقي وكأنها في عتقها كرمي

وله في الورد :

زمن الورد اظرف الازمان واوان الربيع خير اوان
اشرف الزهر زار في اشرف الدهر فصل فيه اشرف الاخوان
أدرك النرجس الجني وفزنا منهما بالخدود والاجفان
واجل شمس العقار في يد بدر الحسن يخدمك منهما النيران
ما تراه كالخوط يزهي على الورد بورد بستانه الوجنتان
وادرها عذراء وانتهز الامكان من قبل عائق الامكان
في كؤس كأنها زهر الخشخاش ضمت شقائق النعمان
واختدعها عند النزال بالفاظ المثاني ومطربات الاغاني
فهي اولى من العرائس ان زفت بعزف النايات والعيدان

وله في النرجس :

ونرجس لم يعد مبيضه الكاس البهي والاصفر الراحا

تخال اقحاف لجين حوت من اصفر المسجد اقداحا
كأنها تهدي انتخابا به لطفاً الى الارواح ارواحا
تلهى عن الورد إذا ما دنا ويخلف المسك اذا فاحا
احبب به من زائر راحل عوض بالاحزان افراحا
فانتهز الفرصة في قربه وكن الى اللذات مرتاحا
وهاتها عذراء لم تفترع في الليل الا عاد اصباحا
كأنما كل بنان حوت كاساتها تحمل مصباحا
واجن بالحاظك من وجنتي مديرها ورداً وتفاحا

﴿ غرر من شعره في سائر الفنون ، قوله : ﴾

صحبت الدهر في سهل وحزن وجربت الامور وجربتني
فلم ار مذ عرفت محل نفسي بلوغ غنى يساوى حمل من
ولم تنضمن الدنيا لحظي منال مسرة الا بحزن
حملت على السوابق ثقل همي وشاهدت العواقب صفو ذهني
وشمت بوارق الآمال دهراً فلم اظفر على ظمأ بمزن
ولم أر كالجياد اصح ودا اذا عدل الودود الى التضني
نكافها عزائمنا فتكفي وتستدنى الحظوظ بها فتدنى
وهبت لمثل قطع الليل منها اغر كمثل ضوء الصبح مسني
فكنت بحيث ظن من اعتزام وكان من المضاء بحيث ظني
وثالثنا ابن جد لا يرى ان يصاحب في تصرفه ابن وهن
حجبت بجفنه الابصار عنه ومن لي ان يكون الجفن جفني
سقيت ندای ما انسى محلى وارفع همتي واعز ركني
رسا في تربة العلياء اصلى واينع فى مروج المز غصني

وليس علي غير الجـد فيما سعيت له لأستغنى واغني
فان احرم فلم احرم لعجز وان ابلغ فنفسي بلغتني

وله من اخرى :

ما الذل إلا تحمل المنن فكن عزيزاً ان شئت او فهن
إذا اقتصرنا على اليسير فما العلة في عتبنا على الزمن

وله من اخرى في سعد الدولة بن سيف الدولة :

لا غيث نعماه في الورى خلب البرق ولا ورد جوده وشـل
جاد إلى ان لم يبق نائله مالا ولم يبق للورى امل

وله من اخرى رحمه الله تعالى :

من كل متسع الاخـلاق متسم للخطب ان ضاقت الاخلاق والحيل
يسعى به البرق إلا انه فرس من فوقـه الموت إلا انه رجل
يلقى الرماح بصـدر ليس له ظهر وهادي جواد ما له كفل

وله من اخرى :

قادوا الجياد إلى الجياد عوابسا شمثاً ولو لا بأسه لم تنقـد
في جحل كالسيل او كالليل او كالقطر صافح موج بحر مزبد
متوقد الجنبات تعتنق القنا فيه اعتناق تواصل وتودد
مشمنجر بظبي الصوارم مبرق تحت المجاجة بالصواهل مرعد
رد الظلام على الضحى واسترجع الاظلام من ليل العجاج الاربد
وكأنما نقشت حوافر خيله للناظرين اهلة في الجلـد
وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل الغبار له مكان الإثمـد

ما احسن هذا التشبيه واوقعه ، وكل هذه الاوصاف ما لا يزيد عليها حسناً وبراعة ، والله اعلم .

هذه قصيدة (بانت سعاد) في مدح خير العباد ، لكعب بن زهير بن ابى

سلمى المزني ، انشدها بحضرة سيد البشر ، وقصته مشهورة في السير :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا إلا اغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكي قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذي شيم من ماء محنية صاف بابطح اضحى وهو مشمول
تنفي الرياح القذى عنه وافرطه من صوب سارية بيض يعاليل
سقياً لها خلة لو انها صدقت موعودها او لون النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع واخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها كما تلون في اثوابها الغول

اصله تتلون بتاءين ، حذف احدهما للوزن ، والغول السعالي وهو نوع من الجن واحدها : سعلاة ـ بكسر المهملة ـ يقال انها تظهر في صفات مختلفة .

وقيل السعلاة تترآى بالنهار ، والغول : هي التي تترآى بالليل .

قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا تغولت الغيلان فارفعوا أصواتكم بالاذان

وما تمسك بالوعد الذي زعمت إلا كما يمسك الماء الغرابيل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها إلا الاباطيل

عرقوب هذا قدمنا ذكره وقصته في اول هذا الكتاب .

والاباطيل جمع ابطيل ، كاكليل ، وتحرير مبالغة من الباطل .

ارجو وآمل ان تدنو مودتها وما اخال لدينا منك تنويل
فلا يغرنك ما منت وما وعدت ان الاماني والاحلام تضليل
امست سعاد بارض لا تبلغها إلا العتاق النجيبات المراسيل
ولن يبلغها إلا عذافرة فيها على الاين ارقال وتبغيل

الارقال : الاسراع ، والتبغيل : مشي يشبه سير البغال .

من كل نضاحة الذفرى إذا عرقت عرضتها طامس الاعلام مجهول
ترمى الغيوب بعينى مفرد لهق إذا توقدت الحزان والميل
ضخم مقلدها طهم مقيدها فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل
غلباء وجناء علكوم مذكرة في دفها سمة قدامها ميل
وجلدها من اطوم لا يؤيسه طلح بضاحية المتنين مهزول
حرف اخوها ابوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شمليل

قوله : حرف ، أي ناقة عظيمة تشبه حرف الجبل ، أي جانبه ، وهذا أنسب من قول بعضهم : هى الناقة الضامرة ، شبهها بحرف الكتابة .

وقوله : ابوها اخوها من مهجنة ، ابل منسوبة إلى الهجان ، وهى البيض والنجابة تكون في البيض غالباً .

وقوله : وعمها خالها ، اراد ان فحلا نزا على بنت فجاءت منه بفحلين فنزا احدهما على امه فجاءت منه بهذه الناقة ، فالذي نزا بها هو ابوها واخوها لامها واخوه الذي لم ينز عمها لكونه اخا ابيها لابيه وامه ، وهو خالها ايضاً لانه اخو امها لابيها ، لان اباه وابا امها الفحل الاكبر ، وهذا من اكرم النتاج لانها من جنس واحد في الكرم ، ولا يتصور هذا في الآدميين إلا المجوس ، نعوذ بالله من حالهم.

يمشي القراد عليها ثم يزلقه عنها لبان واقراب زهاليل
عيرانة قذفت بالنحض عن عرض مرفقها عن بنات الزور مفتول
كأنما قاب عينيها ومذبحها من خطمها ومن اللحيين برطيل
تمر مثل عسيب النحل ذا خصل في غارز لم تخونه الاحاليل

الاحاليل : جمع احليل بكسر الهمزة ، كاكليل وهو مخرج اللبن من الضرع .

قنواء في حدبتيها للبصير بها عتق مبين وفي الخدين تسهيل

يروى انه ﷺ لما سمع هذا البيت قال لاصحابه : ما معني حدبتيها ؟ قال بعضهم العينان ، وسكت بعضهم ، فقال ﷺ حدبتاها اذناها .

تحدى على يسرات وهي لاحقة ذوابل وقعهن الارض تحليل
سمر العجايات يتركن الحصار بما لم يوقهن رؤوس الاكم تنعيل
كأن اوب ذراعيها إذا عرقت وقد تلفع بالقور المساقيل
يوما يظل به الحرباء مصطخدا كان ضاحيه بالنار مملول
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا
شد النهار ذراعا عيطل نصف قامت فجاء بها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول
تفرى اللبان بكفيها ومدرعها مشقق عن تراقيها رعابيل
تسعى الوشاة بجنبيها وقولهم انك يا ابن ابى سلمى لمقتول

اشار بذلك إلى ما كتب به اليه اخوه بجير بان رسول الله ﷺ قد اهدر دمك وماحسبك ناجياً إلا إذا أتيته مسلما فانه ماجاء مسلم إلاقبله ولم يطالبه بدمه

وقال كل خليل كنت آمله لا ألهينك اني عنك مشغول

أي مشغول فيما انا فيه من الهم والخوف ، لان العرب كلها قد خافت رسول الله ﷺ أي بمقتضى قوله صلى الله عليه وآله وعلى اصحابه وسلم نصرت بالرعب .

فقلت خلوا سبيلي لا اباً لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وان طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

أراد بالآلة الحدباء النعش ، وسميت حدباء لارتفاعها على المناكب غالباً ، والحدب المكان المرتفع من الارض ، ومنه قوله تعالى (وهم من كل حدب ينسلون) أي يخرجون ويسمى المرتفع من الارض حدبا لخروجه عن استوائها ، فصار في معنى الاعوجاج ، اي كل حي لا بد ان تصيبه مصيبة الموت بمقتضى قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) سواء كانت نفس الآدمى او غيره ، فيصعب عليه خروج روحه ويصير بحيث يحتاج ان يحمل على النعش وان لم يحمل :

نبئت ان رسول الله اوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول

يقال في الشر اوعد ، وفي الخير وعد .

مهلا هداك الذي اعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني باقوال الوشاة ولم اذنب ولو كثرت فيّ الاقاويل
لقد اقوم مقاماً لو يقوم به ارى واسمع مالو يسمع الفيل
لظل ترعد من خوف بوادره ان لم يكن من رسول الله تنويل
حتى وضعت يميني لا انازعه في كف ذي نقمات قيله قيل
فلهو اخوف عندي إذ أكلمه وقيل انك منسوب ومسئول
من خادر من ليوث الاسد منزله ببطن عثر غيل دونه غيل
يعدو فيلحم ضرغامين عيشهما لحم من القوم معفور خراديل
إذا يساور قرناً لا يحل له ان يترك القرن إلا وهو مفلول
منه تظل حميس الوحش نافرة ولا تمشى بواديه الاراجيل
ولا يزال بواديه اخو ثقة مضرج البر والدرسين مأكول
ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

أى نور يستضاء به صلى الله عليه وآله وسلم في ظلال الشرك ومشكلات العلوم وعبر بالنور لا بالشمس والقمر ، لما يطرأ عليهما من الكسوف والخسوف ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم سيف مشهور على اعدائه ، وانما سماه سيفاً على سبيل المجاز ، وإلا فهو عليه الصلاة والسلام اعظم من ذلك ، وسيف شريعته مسلول على اعدائه إلى يوم القيامة .

روي انه صلى الله عليه وآله وسلم التفت إلى اصحابه حين انشد هذا البيت كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر ، وانه صلى الله عليه وآله وسلم خلع عليه بردته ، فمن ثم صارت الملوك تخلع على من مدحهم .

في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما اسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل

شم العرانين ابطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق كأنها حلق القفعاء مجدول
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التنابيل

ولما فهم صلى الله عليه وآله انه عرض بالانصار في هذا البيت حتى قال بعضهم قبل ذلك دعني اضرب عنقه يارسول الله ، قال له صلى الله عليه وآله وسلم : هلا ذكرت الانصار بخير فانهم أهل لذلك ، فانشد بعد ذلك قصيدته الرائية التي يقول فيها :

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالح الانصار

ثم اخذ يمدحهم إلى ان قال :

ضربوا عديا يوم بدر ضربة ذلت لوقعتها جميع نزار

عود . . . .

لا يفرحون إذا نالت رماحهم يوما وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
لا يقطع الطعن إلا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل

أى مالهم نكوص عن الموت وجبن ، يقال هلل من كذا إذا نكص وتأخر عنه وكنى عن حومة الحرب بحياض الموت لان الحرب من لوازمها الموت غالباً من الطرفين او احدهما ، وسماها حياضه اشارة إلى انهم يشتاقون اليها كما تشتاق الابل العطاش إلى حياض الماء ، والله اعلم وصلى الله على النبي المكرم وآله وصحبه وسلم .

ذكر الشيخ برهان الدين الموصلي وكان رجلا عالماً صالحاً ورعا ، قال: توجهنا من مصر إلى مكة المشرفة آمين البيت الحرام ، فلما كنا في اثناء الطريق نزلنا منزلا فخرج علينا ثعبان عظيم ، فتبادر اليه الناس لقتله وسبقهم اليه ابن عمي فقتله فخطف ابن عمي في الحال ، ونحن ننظره ونرى سعيه ، ولا نرى الجني ، فتبادر الناس على الخيل والركاب يريدون رده فلم يقدروا على ذلك بل راح سعياً وهم ينظرون اليه فحصل لنا من ذلك امر عظيم .

فلما ان كان آخر النهار لم نشعر إلا وقد اقبل علينا وعليه السكينة والوقار

فلقيناه وسألناه عن حاله فقال لنا : ما هو إلا ان قتلت الثعبان الذي رأيتموه فصنع بي ما رأيتم ، وإذا انا بين قوم من الجن يقول لي بعضهم: قتلت ابي وبعضهم يقول : قتلت اخي ، وبعضهم يقول: قلت ابن عمي ، وتكاثروا علي ، وإذا برجل اتى إلى جانبي وقال خفيـــة : قل لهم انا بالله وبالشريعة المحمدية ، فقلت لهم ذلك فأشار ذلك الرجل اليهم ان سيروا به إلى الشرع ، فسرنا حتى وصلنا إلى شيخ كبير جالس على مرتبة ، فلما صرنا بين يديه قالوا خلوا سبيله وادعوا عليه ، فقال الاولاد ندعي عليه انه قتل ابانا ، فنظر إلي القاضي وقال : ما تقول ؟ فقلت : حاشا وكلا انما نحن وفد بيت الله الحرام نزلنا هـذا المنزل فخرج علينا ثعبان عظيم فتبادر الناس إلى قتله فسبقتهم انا بضربة فقتلته .

فلما ان سمع القاضي مقالتي قال لهم : خلوا سبيله وردوه إلى مأمنه فاني سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبيح نخلة وهو يقول من تزيا بغير زيه فقتل فلا دية ولا قود .

قال : فتبادروا إلي وحملوني من مكانهم إلى ان جاؤا بي إلى المنزل وارونى القافلة ، فهذه قصتي والحمد لله رب العالمين .

للامام الرازى :

نهاية اقدام العقول عقال وغاية سعى العالمين ضلال
ولم نستفد من سعينا طول عمرنا سوى ان حفظنا منه قيل وقال
وارواحنا محبوسة في جسومنا وحاصل دنيانا اذى ووبال

للامام الشافعي :

لا يدرك الحكمة من عمره يكدح في مصلحة الاهل
ولا ينال العلم إلا فتى خال من الافكار والشغل
لو ان لقمان الحكيم الذي سارت به الركبان بالفضل
بلي بفقر وعيال لما فرق بين التيس والبغـــل

للسراج الوراق في جوخة بالية قلبها :

يا صاح جوختي الزرقاء تحسبها ... من نسج داود في سرد واتقان
قلبتها فغدت اذ ذاك قائلة ... سبحان من قد بلى قلبي وابلاني
ان النفاق قديماً لست اعرفه ... فكيف يطلب مني الآن وجهان

لابن دانيال في المجون :

ما عاينت عيناي في عطلتي ... أقل من حظي ومن بختي
قد بعت عبدي وحماري وقد ... اصبحت لا فوق ولا تحتي

لما احتضر سلمان الفارسي رضي الله عنه تحسر عند موته ، فقيل له : على ما ذا تأسف يا ابا عبد الله ؟ فقال : ليس تأسفي على الدنيا ، ولكن رسول الله (ص) عهد الينا وقال ليكن بلغة احدكم كزاد الراكب ، وأخاف ان تكون جاوزنا امره وحولي هذه الاشياء ـ واشار الى ما في بيته ـ فاذا هو سيف ودست وجفنة .

قال علي بن بسام البغدادي : كنت اعشق غلاماً جميلا لخالي ابن حمدون فنمت ليلة عنده وقمت لادب عليه فلسعتني عقرب ، فصحت فانتبه خالي وقال لي : ما اتى بك الى هنا ؟ فقلت : قمت لابول ، فقال : صدقت ولكن في است غلامي فحضرني اذ ذاك هذه الابيات فقلت :

ولقد سريت مع الظلام لموعد ... حصلته من غادر كذاب
فاذا بعقرب في الطريق كبيرة ... سوداء قد علمت اوان ذهابي
لا بارك الرحمن فيها انها ... دبابة دبت على دباب

من عيون اخبار الرضى ما انشده علي بن موسى الرضا عليه السلام للمأمون هذه الابيات :

اذا كان دوني من بليت بجهله ... ابيت لنفسي ان تقابل بالجهل
وان كان مثلي في محلي من النهى ... اخذت بحلمي كي اجل عن المثل
وان كنت ادنى منه في الفضل والحجى ... عرفت له حق التقدم والفضل

اورد بعض المفسرين عند قوله تعالى : (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) ان العمل الصالح يقول لصاحبه يوم القيامة عند مشاهدة الاهوال اركبني ، فطالما ركبتك في الدنيا ، فيركبه ويتخطى به شدائد يوم القيامة .

قال علي بن ابي طالب عليه السلام : لا ينال العبد الكرامة حتى يكون على احد صنفين: أما ان يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا إلا خالقه ، وان احداً لا يقدر على ان يضره او ينفعه ، وأما ان يسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي بأي حال يراه الناس .

اوحى الله سبحانه إلى عزير : ان لم تطب نفساً بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين .

الخطاف : لا يتغذى إلا بالشعر ، ولا يأكل شيئاً مما يأكله بنو آدم ، وما احسن ما قال الشاعر في هذا المعنى :

كن زاهداً فيما حوته يد الورى تضحى إلى كل الانام حبيبا
او ما ترى الخطاف حرم زادهم فغدا مقيما في البيوت ربيبا

وقال علي عليه السلام : اشد الاعمال ثلاثة ذكر الله على كل حال ومواسات الاخوان بالمال ، وانصاف الناس من نفسك .

﴿ في آخر كتاب من لا يحضره الفقيه ﴾

روى الحسن بن محبوب عن الهيثم بن واقد قال : سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول : من اخرجه الله عز وجل من ذل المعاصي إلى عز التقوى اغناه بلا مال واعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا انيس ، ومن خاف الله عزوجل اخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله عز وجل اخافه الله من كل شيء ، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضى الله منه باليسير من العمل ، ومن زهد في الدنيا اثبت

الله الحكمة في قلبه ، وانطق بها لسانه ، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها واخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام .

روى عن ابى عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام قال: من قرأ في المصحف متع ببصره وخفف عن والديه ، ولو كانا كافرين .

وروي عنه ايضاً حين سأله اسحاق بن بكار قال له : جعلت فداك انى احفظ القرآن على ظهر قلبي افأقرأه على ظهر قلبي افضل او انظر في المصحف ، قال : بل اقرأه وانظر في المصحف أما علمت ان النظر في المصحف عبادة .

ولله در من قال :

ترى الفتى ينكر فضل الفتى ما دام حياً فاذا ما ذهب
جد به الحرص على نكتة يكتبها عنه بماء الذهب

قال علي عليه السلام : إذا ملىء البطن من المباح ، عمي القلب من الصلاح ، إذا أتتك المحن اقعد لها ، فان قيامك زيادة لها ، إذا رأيت الله سبحانه يتابع عليك البلاء فقد ايقظك، إذا لم يكن ما تريد فارض بما يريد، إذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه ، استشر اعداءك تعرف من رأيهم مقدار عداوتهم ومواضع مقاصدهم.

قال بعض الملوك : من والانا اخذنا ماله ، ومن عادانا اخذنا رأسه .

وقيل في الملوك : هم جماعة يستكثرون من الكلام الجواب ، ويستقلون من العقاب ضرب الرقاب .

وقال بعض العارفين : السلطان والمال والجند والرعية كالخيمة والعمود والاطناب والاوتاد .

قال بعض الحكماء لابنه : يا بنى خذ العلم من افواه الرجال ، فانهم يكتبون احسن ما يسمعون ، ويحفظون احسن ما يكتبون ، ويوردون احسن ما يحفظون .

قال ابو ذر رضي الله عنه : يومك جملك إذا قدت رأسه اتبعك سائر

جسده ، معناه : إذا عملت في اول نهارك خيراً كان ذلك متصلا إلى آخره .

قال مسلم بن الوليد يمدح يزيد بن مزيد الشيبانى :

تراه في الامن في درع مضاعفة ... لا يأمن الدهر ان يدعى على عجل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ... ولا يمسح عينيه من الكحل

يقال : ان هارون الرشيد لما سمع البيت الاول ، وفهم انه لمن وفيمن طلب يزيد بن مزيد المذكور فاحضر وعليه ثياب ملونة معطرة ، فلما نظره الرشيد في تلك الحالة قال له : اكذبت شاعرك يا يزيد ؟ قال : فيم يا امير المؤمنين ؟ قال : في قوله : (تراه في الأمن . . . الخ . .) فقال : لا والله ما اكذبته ، وان الدرع مايفارقنى ابداً ، وكشف ثيابه فاذا عليه درع ، فامر الرشيد بحمل خمسين الف درهم إلى مسلم المذكور .

ويقال : ان يزيد المذكور لما سمع البيت الثانى قال : منعنى مسلم من الطيب فما رؤي بعد ذلك ظاهر الطيب ومكحلا بعد ان كان اعطر الناس في زمانه ، وكان يقول : الله بينى وبين مسلم حرمني احب الاشياء إلي .

قال علي عليه السلام : ابن آدم اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما يحمل العذرة . وقد نظمه الشاعر فقال :

عجبت من معجب بصورته ... وكان من قبل نطفة مذره

وفي غد بعد حسن منظره ... يصير في الارض جيفة قذره

وهو على عجبه ونخوته ... ما بين هذين يحمل العذره

لما ظلم احمد بن طولون قبل ان يعدل استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة فشكوه اليها فقالت لهم : متى يركب ؟ قالوا : في غد ، فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت : يا احمد بن طولون ، فلما رآها عرفها وترجل عن فرسه واخذ الرقعة منها وقرأها ، فاذا فيها مكتوب : ملكتم فاسرتم ، وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم ، ودرت عليكم الارزاق فقطعتم ، هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار

نافذة سيما من قلوب اجتمعوها ، واجساداً عريتموها ، اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا مستجيرون ، واظلموا فانا متظلمون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، قال : فعدل من وقته وساعته . . انتهى .

﴿ ترجمة أبي علي محمد بن الحسين بن مقلة الكاتب ﴾

قال ابن خلكان : كان ابن مقلة اول امره يتولى بعض اعمال فارس يجبي خراجها ، وترقت حاله إلى ان استوزره الامام المقتدر بالله وخلع عليه لاربع عشرة ليلة بقيت من ربيع سنة ست وثلثمائة ، ثم نفاه إلى فارس بعد ان صادره .

ثم استوزره الامام القاهر بالله فارسل اليه رسولا إلى بلاد فارس يجيء به ورتب نائباً عنه ، فوصل ابن مقلة من فارس بكرة يوم الاضحى من سنة عشرين وثلثمائة ، وخلع عليه ، ولم يزل وزيره حتى اتهمه ، فامر علي بن ياقوت بالفتك به وبلغ ابن مقلة الخبر فاستتر في داره اول شعبان سنة احدى وعشرين وثلثمائة .

ولما ولى الراضي بالله لست خلون من جمادي الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة كان المظفر وابن ياقوت مستحوذين على امور الراضي بالله ، وكان بينهما وبين ابن مقلة وحشة ، فقرر ابن ياقوت جماعة من الغلمان الحجرية انه إذا جاء ابن مقلة اقبضوا عليه ، وان الخليفة لا يخالفهم في ذلك ، وربما سره هذا الامر ، فلما حصل الوزير في دهليز دار الخلافة وثب الغلمان عليه ومعهما ابن ياقوت المذكور فقبضوه وارسلوه إلى الراضي يعرفوه صورة الحال ، وعددوا له ذنوبا واسبابا تقتضي ذلك ، فرد جوابهم وهو يستصوب رأيهم فيما فعلوه ، وذلك يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادي الاولى سنة اربع وعشرين وثلثمائة .

واتفق رأيهم على تفويض الوزارة لابي علي عبد الرحمن بن عيسى بن داود الجراح فقلده الراضي الوزارة ، وسلم اليه ابا علي بن مقلة ، فضربه بالمقارع وجرى

عليه من المكاره بالتعليق ، وغيره من العقوبة شيء كثير واخذ خطه بالف الف دينار ، ثم خلص وجلس بطالا في داره .

ثم ان ابا بكر محمد بن دايف استولى على الخلافة وخرج عن طاعتها ، فانفذ اليه الراضي واستماله وفوض اليه تدبير المملكة وجعله امير الامراء ، ورد اليه تدبير امر الخراج والضياع في جميع النواحي ، وامر ان يخطب له على جميع المنابر فقوي امره وعظم شأنه ، وتصرف على حسب اختياره ، واحتاط على املاك ابن مقلة وضياعه واملاك ولده ابي الحسين ، فحضر اليه ابن مقلة وإلى كاتبه وتذلل لهما في الافراج في املاكه ، فلم يقع منهما إلا على المواعيد .

فلما رأى ابن مقله ذلك اخذ في السعي لابن رائق المذكور من كل جهة فكتب إلى الراضي يشير عليه بامساكه والقبض عليه ، وضمن له انه متى ما فعل ذلك وولاه الراضي استخرج له ثلثمائة الف الف دينار .

وكانت مكاتيبه على يد هارون المنجم النديم فاطمعه الراضي بالاجابة إلى ما سأل ، وترددت الرسل بينهما في ذلك ، فلما استوثق ابن مقلة من الراضي واتفق ان ينحدر اليه مر او يقيم عنده إلى ان يتم التدبير .

فركب من داره وقد بقي من شهر رمضان ليلة واحدة ، فاختار هذا الطالع ان القمر يكون تحت الشعاع ، وهو يصلح للامور المستورة .

فلما وصل إلى دار الخليفة لم يمكنه الوصول اليه ، فاعتقله في حجرة ووجه الراضي من غد إلى ابن رائق واخبره بما جرى ، وانه احتال على ابن مقلة حتى حصل في امره وترددت بينهما المراسلات في ذلك .

فلما كان رابع عشر شوال سنة ست وعشرين وثلثمائة اظهر الراضي ، امر ابن مقلة واخرجه من الاعتقال وحضر حاجب ابن رائق وجماعة من القواد وتقابلا.

وكان ابن رائق قد التمس من الراضي قطع يد ابن مقلة اليمنى التي كتب بها المطالعة ، فلما انتهى كلامهما في المقابلة قطعت يده اليمنى ورد إلى محبسه .

ثم ندم الراضي على ذلك وامر الاطباء بملازمته للمداوات ، فلازموه حتى برى وكان ذلك بنتيجة دعاء ابي الحسن محمد بن شنبوذ بقطع يده ـ وقد تقدم لك ذكره ـ فكان من عجيب الاتفاق .

وقال الحسن بن ثابت بن قرة الطبيب كنت ادخل لمعالجته وهو في تلك الحالة فكان يسألني عن ابنه ابي الحسن فاعرفه ايساره وسلامته ، فتطيب نفسه ثم ينوح على يده ، ويبكي ويقول : خدمت بها الخلفاء ، وكتبت بها القرآن العظيم دفعتين تقطع كما تقطع ايدي اللصوص ، فاسليه ، وأقول هذا انتهاء المكروه فينشد :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فان البعض من بعض قريب

ثم عاد وارسل إلى الراضي من الحبس واطمعه في المال ، وطلب الوزارة وقال ان قطع اليد ليس مما يمنع الوزارة ، وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به .

ولما قدم محمد التركي من بغداد ، وكان من المنتمين إلى ابن رائق امر بقطع لسانه ايضاً فقطع واقام في الحبس مدة طويلة ولم يكن له من يخدمه فكان يستقي الماء لنفسه من البئر بيده اليسرى جذبة وبفمه جذبة اخرى .

وله اشعار في شرح حاله وما انتهى اليه امره ورثاء يده والشكوى من المناصحة وعدم تلقيه بالقبول ، فمن ذلك قوله :

ما سئمت الحياة لكن توثقت بأيمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى حرموني دنياهم بعد ديني
فلقد حطت بعد ما استطعت جهدي حفظ ارواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش يا حياتي بانت يميني فبيني

ولم يزل على هذه الحال إلى ان توفي بموضعه يوم الاحد عاشر شوال سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ودفن مكانه ، ثم نبش بعد مضي زمان وسلم إلى اهله .

وكانت ولادته يوم الخميس بعد العصر لتسع بقين من شوال سنة اثنتين وتسعين ومائتين ببغداد رحمه الله تعالى .

ولابن مقلة الفاظ منقولة مستعملة فمن ذلك قوله : انى إذا احببت تهالكت وإذا بغضت هلكت ، وإذا رضيت آثرت ، وإذا غضبت اثرت .

وأما خطه فكان يضرب به المثل في فرط حسنه ، قال الشاعر :

سقى الله عيشاً مضى وانقضى بلا رجعة ارتجيها ونقله
كوجه الحبيب وقلب الاديب وشعر الوليد بخط ابن مقله

وقال الصاحب ابن عباد :

خط الوزير ابن مقله بستان قلب ومقله

وكتب الوزير ابن مقلة كتاب هدنة بين المسلمين والروم بخطه فهو عندهم إلى اليوم فى كنيسة قسطنطينية يبرزونه في الاعياد ويعلقونه في اخص بيوتهم للعبادات ويتعجبون من فرط حسنه .

ومن عجيب خبره انه كتب المصحف الكريم ثلاث مرات ، وسافر ثلاث مرات وتوزر لثلاثة من الخلفاء: المقتدر والقاهر والراضى. ودفن بعد موته ثلاث مرات وذلك انه لما قطعت يده ومات في السجن دفن في دار السلطان ثم سأل اهله بعد مدة تسليمه اليهم ، فنبش وسلم اليهم دفن في دار ابنه ابى الحسين ، ثم نبشته زوجته المعروفة بالدينارية ودفنته في دارها بقصر ام حبيب .

وقد ذكر له الثعالبي في اليتيمة ترجمة طويلة .

ومن كلامه : يعجبني من يقول الشعر تأدباً لا تكسباً ، يغنى طرباً لا تطلباً وله كل معنى مليح في النظم والنثر ، والله ولي الامر .

هذا البيت لا يتحرك به اللسان :

آب همي وهم بي احبابى همهم ما بهم وهمي ما بى

وهذا البيت لا يتحرك به الشفتان :

قطعنا على قطع الفطا قطع ليلة سراعا على الخيل العتاق اللواحق

﴿ ذكر تاريخ الخلفاء ﴾

توفى ابو بكر الصديق رضي الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء ، لثمان بقين من جمادي الآخرة لثلاث عشرة من الهجرة ، وله ثلاث وستون سنة ، ودفن في حجرة عائشة ، وكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر .

ثم بويع لعمر بن الخطاب في اليوم الذي مات فيه ابو بكر ، ومات لاربعة عشر ليلة مضت من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، عن ثلاث وستين سنة ودفن مع صاحبه في الحجرة وكان سبب موته انه طعنه ابو لؤلؤة غلام المغيرة بخنجر فمات ، وكانت خلافته عشر سنين وستة اشهر وخمس ليال .

ثم بويع لعثمان بن عفان بعد دفن عمر بثلاثة ايام ، وقتل يوم الاربعاء بعد العصر ، ودفن بالبقيع يوم السبت قبل الظهر لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، وهو ابن ثمانين سنة ، وخلافته احدى عشر سنة واحد عشر شهراً .

ثم بويع لعلي بن ابي طالب عليه السلام يوم قتل عثمان ، ثم طعنه عبد الرحمن ابن ملجم المرادي لعنه الله ليلة الجمعة لسابع عشرة من شهر رمضان سنة اربعين فى الكوفة ، وتوفى بعد يومين ودفن بالنجف على اشهر الاقوال ، وله ثلاث وستون سنة ، وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر .

ثم بويع للحسن عليه السلام بعد وفاة والده ، وخلع الخلافة ومات مسموما في شهر ربيع الاول سنة تسع واربعين ، اوخمسين ودفن بالبقيع ، وعمره سبع واربعون سنة ، وكانت خلافته ستة اشهر إلا اياماً .

ثم تم الامر لمعاوية بن ابي سفيان لانه كان قد بايعه اهل الشام يوم التحكيم واختلف عليه اهل العراق ، وتوفى بدمشق في آخر شهر رجب سنة ستين وعمره خمس وسبعون سنة ، وقيل : خمس وثمانون ، وقيل : اثنان وثمانون وقيل : تسعون سنة.

وكانت خلافته منذ خلص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة اشهر .

ثم بويع ليزيد بن معاوية ـ عليه ما عليه ـ يوم مات ابوه ، وهلك في ربيع الثاني او الاول سنة اربع وستين ، وله تسع وثلاثون ، وكانت خلافته سنتين .

ثم بويع لمعاوية بن يزيد يوم موت ابيه ، فاقام اربعين يوما ، وقيل : خمسة اشهر واياما وخلع نفسه ، وتوفى بعد ذلك باربعين ليلة ، وقيل : تسعين ليلة وعمره ثلاث وعشرون سنة ، وقيل : احدى وعشرون سنة ، وقيل : ثمان عشرة سنة :

ثم بويع لمروان بن الحكم بعد خلع معاوية بن يزيد ، ومات سنة خمس وستين وقيل ان زوجته وضعت على وجهه مخدة وهو نائم وقعدت هي وجواريها فوقها حتى مات وعمره ثلاث وثمانون سنة ، وكانت خلافته عشرة اشهر .

ثم بويع لعبد الملك بن مروان يوم موت ابيه ، وهو اول من سمي عبدالملك في الاسلام ، وتوفى في شوال سنة ست وثمانين وعمره ثلاث وستون ، وقيل ستون سنة وكانت خلافته احدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوما ، منها ثمان سنين مزاحماً لابن الزبير ، ثم انفرد بمملكة الدنيا إلى مات .

وكان قد بويع لعبد الله بن الزبير بمكة لسبع بقين من شهر رجب سنة اربع وستين في ايام يزيد بن معاوية فجهز عبد الملك الحجاج في سنة ثلاث وسبعين إلى عبد الله بن الزبير فحصره بمكة ورمى البيت بالمنجنيق ، ثم ظفر به فقتله واحتز رأسه وصلبه منتكساً ـ وقد تقدم ذكر ذلك في هذا الكتاب ـ وكانت خلافته بالحجاز والعراق تسع سنين واثنين وعشرين يوماً ، وعمره ثلاث وسبعون سنة .

ثم بويع للوليد بن عبد الملك يوم موت ابيه ، ومات في خامس عشر من جمادي الآخر سنة ست وتسعين ، وهو ابن ست واربعين ، وقيل ثمان واربعين ، وقيل : خمسين ، وكانت خلافته تسع سنين وثمانية عشر يوماً وقيل عشر سنين .

ثم بويع لسليمان بن عبد الملك يوم موت اخيه ، وتوفى في شهر صفر سنة

ثمان وتسعين ، وقيل : سنة تسع وتسعين بمرج دابق من ارض قنسرين وله تسع وثلاثون ، وقيل : خمس واربعون سنة ، وكانت خلافته سنتين وثمانية اشهر .

ثم بويع لعمر بن عبد العزيز يوم مات سليمان ، وتوفى لخمس ، وقيل : لست مضين ، وقيل : لعشر بقين من شهر رجب سنة احدى ومائة وهو ابن تسع وثلاثين سنة واشهر ، وقيل ابن اربعين سنة ، وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر .

ثم بويع ليزيد بن عبد الملك يوم مات ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، وتوفى بالرصافة في شهر ربيع الآخر في سنة خمس ومائة وله تسع وعشرون سنة ، وقيل : ثمان وثلاثون سنة وشهراً ، وكانت خلافته اربع سنين وشهراً .

ثم بويع لهشام بن عبد الملك يوم موت اخيه يزيد ، وتوفى بالرصافة ايضاً في شهر ربيع الآخر بدمشق سنة خمس عشرة ومائة ، وهو ابن ثلاث وخمسين وقيل اربع وخمسين سنة ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة اشهر وقيل عشرين عاما.

ثم بويع للوليد بن يزيد الفاسق الكافر يوم موت عمه هشام ، وقتل في جمادي الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وكانت خلافته سنة واحدة ، وقيل : سنة وشهرين .

قلت : وكان الوليد هذا زنديقاً ملحداً منهمكا فى الشراب ، متظاهراً بالالحاد والكفر ، وله اشعار كثيرة تشهد عليه بكفره لعنه الله واخزاه ، منها انه استفتح يوما بالقرآن فطلع قوله تعالى : (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد) فغضب ونصب المصحف الشريف على خشبة مرتفعة ومزقه بالسهام وانشد يقول :

اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد
إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقنى الوليد

وأيضاً قوله لعنه الله :

يذكرنى الحساب ولست ادري احقاً ما يقول من الحساب
فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابى

وأيضاً قوله لعنه الله :

اسقياني وابن حرب واستراني بازاري
واتركا من يطلب الجنة يسعى في خسار
سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار

لعنه الله تعالى :

ثم بويع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك يوم قتل ابن عمه الوليد بن يزيد وتوفي في تاسع عشر جمادي الآخرة من السنة المذكورة ، وهو ابن اربعين سنة ، وقيل : ست وثلاثين سنة ، وكانت خلافته خمسة اشهر ونصف .

ثم بويع لابراهيم بن الوليد يوم موت اخيه يزيد ، وقتله مروان بن محمد وصلبه ، واختلف الناس في مدة ولايته ، فقيل شهران وعشر ليال ، وقيل اكثر .

ثم بويع لمروان بن محمد المنبوز بالحمار ، وقتله بنو العباس ببوصير قرية من قري الصعيد بعد ان هرب من دمشق ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وهو ابن ست وخمسين سنة ، وكانت خلافته خمس سنين وشهرين وعشرة ايام ، وهو آخر خلفاء بني امية ، وهم اربعة عشر خليفة ، اولهم معاوية بن ابي سفيان وآخرهم مروان الجعدي ، الملقب بالحمار .

وكان مدة ولايتهم نيفاً وثمانين سنة ، وهي الف شهر .

ثم أتت الدولة العباسية وأولهم السفاح بويع له في سنة اثنتين وثلاثين ومائة في يوم الجمعة ثالث وعشرين ربيع الاول ، وتوفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بحمى الجدري بالانبار ، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ونصف سنة ، وكانت خلافته اربع سنين وتسعة اشهر .

ثم بويع لاخيه المنصور يوم موته ، وتوفي في سنة ثمان وخمسين ومائة ببئر ميمون على اميال من مكة وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكانت خلافته احدى وعشرين سنة ولما استقر امره آتي اليه بخواص مروان الحمار وفيهم عبد الحميد بن يحيى

ابن سعيد مولى العلاء بن وهب العامري وكان اولا معلماً ، ثم صار كاتباً وبلغ من البلاغة مبلغاً يضرب به المثل ، وفيهم البعلبكي المؤذن وسلام الحادي ، فهم بقتلهم جميعاً فقال سلام: استبقني يا امير المؤمنين فاني احسن الحداء قال: ما بلغ من حدائك قال : تعمد إلى ابل فتظميها ثلاثة ايام ثم توردها الماء ، فاذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء ، فترفع رؤسها وتدع الشرب ، ثم لا تشرب حتى اسكت ، فامر المنصور بابل ففعل بها ذلك ، فكان الامر على ما قال فاستبقاه واجازه واجرى عليه.

وقال البعلبكي : استبقني يا امير المؤمنين فاني مؤذن منقطع النظير ، قال : وما بلغ من تأذينك ؟ قال : تأمر جارية فتقدم اليك طشتاً وتأخذ بيدها ابريقاً وتصب على يدك الماء فابتديء بالاذان فتدهش الجارية ويذهب عقلها إذا سمعت إذاني حتى تلقى الابريق من يدها ، وهي لا تعلم فأمر المنصور جارية ففعلت ذلك ، وأخذ في الاذان ، فكان حالها كما وصف ، فاستبقاه وأجازه واجرى عليه .

وقال له عبد الحميد : استبقني يا امير المؤمنين فاني فرد الدهر في الكتابة والبلاغة ، فقال له المنصور : ما اعرفني بك انت الذي فعلت بنا الأفاعيل وعملت بنا الدواهي ، فامر به فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه .

وقيل : بل سلمه إلى عبد الجبار ، فكان يحمي له طشتاً ويضمه على بطنه حتى قتله .

ثم بويع لابنه محمد الملقب بالمهدي يوم وفاته ، وتوفي لثمان بقين من محرم سنة تسع وستين ومائة ، وله اثنان واربعون سنة ونصف ، وقيل : ثلاث واربعون سنة ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً .

ثم بويع لابنه موسى الهادي بعد موت ابيه ، وتوفي في رابع عشر ربيع الاول سنة سبعين ومائة ، وله اربع وعشرون سنة ، وقيل : نحو عن خمس وعشرين سنة ، وكانت خلافته سنة واحدة وخمسة واربعين يوما ، : وقيل : شهران .

ثم بويع لهارون الرشيد بن المهدي في الليلة التي مات فيها اخوه ، وتوفي

بطوس في سنة ثلاث وتسعين ومائة لثلاث خلون من جمادي الآخرة ، وهو ابن سبع واربعين ، وقيل : خمس واربعين ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة .

ثم بويع لابنه محمد الأمين بعد موت الرشيد فجهز المأمون اليه طاهر بن الحسين وهرثمة بن اعين من خراسان ، فظفر به طاهر وقتله وحز رأسه ، وجهزه إلى المأمون وذلك في يوم الخميس لخمس بقين من محرم سنة ثمان وتسعين ومائة وله ثمان وقيل : سبع وعشرون سنة ، وكانت خلافته إلى يوم قتله خمس سنين خلا اشهر .

وكان يقال لكل من محمد الأمين واخيه ابى عيسى ابنى الرشيد يوسف الزمان لفرط جمالهما ، حتى قيل ان جمال اولاد الخلفاء انتهى اليهما ، فما رأى الناس قبلهما ولا بعدهما مثلهما إلا ابن المعتز .

وحكي ان الأمين نظر إلى ابى نواس في بعض ليالي منادمته اياه وهو ينظر اليه نظرة ذي علق ، فقال له : يا حسن هل تشتهيني ؟ فقال: معاذ الله ، ومن تحدثه نفسه بمثل هذا ؟ فقال له : أقسمت عليك بحياتي إلا ما اخبرتني ، فقال : يا سيدي والله ان الاموات يشتهونك ، فكيف الاحياء ، فأمر بقتله ، فلما جيء بالنطع والسيف انشأ ابو نواس يقول :

نديمي غير منسوب إلى شيء من الحيف
سقاني مثل ما يشرب فعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأس دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف

فضحك منه ووصله وعفا عنه .

وكان الرشيد يقول للمأمون : احب المحاسن كلها لك حتى لو امكنني ان اجعل وجه ابى عيسى لك لفعلت .

وقال يوما لابى عيسى وهو صبي ليت جمالك هذا لعبد الله ـ يعنى المأمون ـ فقال له ابو عيسى : ليت حظه منك لي ، فعجب الرشيد من جوابه له على صباه

وضمه اليه وقبله وادناه .

ثم بويع للمأمون بعد قتل اخيه ، وتوفى بنهر النديد في شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، واختلف في مدة عمره ، فقيل : تسع ، وقيل : ثمان واربعون وقيل تسع وثلاثون ، والأول اصح ، وكانت خلافته عشرين سنة .

ثم بويع للمعتصم يوم موت اخيه المأمون ومات لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول بسر من رأى وله ثمان او سبع واربعون سنة ، وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام .

ثم بويع لهارون بن المعتصم الملقب بالواثق بالله يوم موت ابيه ، توفى بسر من رأى في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وله ست وثلاثون سنة واشهر وكانت خلافته خمس سنين وتسعة اشهر .

ثم بويع لجعفر المتوكل بعد موت اخيه الواثق فقتله ابنه المنتصر في شوال سنة سبع واربعين ومائتين وعمره اربعون سنة ، وكانت خلافته اربع عشرة سنة وعشرة اشهر ، وقيل : خمس عشرة سنة .

ثم بويع للمنتصر في الليلة التي قتل فيها ابوه ، ومات بعد ستة اشهر وله ست وعشرون سنة .

ثم بويع لاحمد المستعين بن محمد المعتصم بعد موت ابن اخيه ، وخلع من الخلافة ، وقتل في اول شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين ومائتين بواسط ، وكانت خلافته سنتين وتسعة اشهر وعمره احدى وثلاثون سنة ، ومما قيل في حق المستعين وذلك انه لما ولي الخلافة لم يكن له إلا اسمها .

وكان وصيف التركي وبغا مستوليين عليه فلا يقدر على امر إلا بمشاورتهما وارادتهما فقيل فيه .

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قالا له كما تقول الببغا

والببغا طائر اخضر بالهند مشهور ، والعوام يسمونه الدرة .

ثم بويع لمحمد المعتز بن المتوكل لما خلع المستعين نفسه في اول سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، واخلع الخلافة ، ومات بعد ذلك بخمسة ايام بالحمام من العطش في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وله ثلاث وعشرون سنة . وكانت خلافته اربع سنين واربعة اشهر .

ثم بويع لجعفر المهتدي بالله بن هارون الواثق بعد ابن عمه ، وقتله الاتراك في رجب سنة ست وخمسين ومائتين ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وكانت خلافته احد عشر شهراً ، وقيل : سنة ، وقيل : كان عمره ثماني وثلاثين سنة .

ثم بويع للمعتمد بن المتوكل يوم قتل ابن عمه في سر من رأى ، ومات من فرط الشراب ، في شوال سنة تسع وسبعين ومائتين ، وله خمسون سنة ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة .

ثم بويع لاحمد المعتضد بن الموفق يوم موت عمه وتوفى سنة تسعين ومائتين لسبع بقين من شهر ربيع الآخر ، وله اربعون سنة ، وكانت خلافته تسع سنين وتسعة اشهر .

ثم بويع لابنه المكتفى على الله يوم توفي ابوه ، وتوفى ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين ، وهو ابن اربع وثلاثين سنة ، وقيل : ثلاثين سنة ، وخلافته سنة وثمانية اشهر ، وقيل : كان عمره احدى وثلاثين سنة ، وخلافته ست سنين ونصف.

قلت : دخل زيادة الله بن عبد الله التميمي صاحب القيروان في طاعة المكتفي وأهدى اليه هدايا من جملتها عشرة آلاف درهم في كل درهم عشرة دراهم والف دينار في كل دينار ، وفي كل دينار عشرة دنانير ، وكتب على كل درهم في احد وجهيه :

يا سائراً نحو الخليفة قل له ان قد كفاك الله امرك كله

بزيادة الله ابن عبد الله سيف الله من دون الخليفة سله

وفي الوجه الآخر :

ماينبري لك بالشقاق مخالف إلا استباح حريمه وأذله
من لم يرى لك طاعة فالله قد اعماه عن سبل الهدى واضله

ثم بويع لاخيه جعفر المقتدر ، وهو ابن ثلاث عشرة سنة واربعين يوماً ، ثم وثب الجند على العباس وزيره فقتلوه ، واحضروا عبد الله بن المعتز فبايعوه ولقبوه بالمرتضى ، وخلعوا المقتدر بعد ان شرط عليهم ان لا يكون في ذلك حرب ولا سفك دم ، ثم جرى بينهما قتال ، وظهر اصحاب المقتدر وانهزم ابن المعتز ، ولم يكن له امر غير يوم وليلة ، وادركته حرفة الأدب ، وضربت بخلافته المثل لمن لا تطول له مدة ويسرع انقضاؤه وانحل امره وذلك لعشر بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين ، ولقب بالمنتصف بالله ، وقد كان بايعه كثير من الناس .

واول كلمة تكلم بها ان قال : قد حان للحق ان يتضح وللباطل ان يفتضح ، ثم جرت عليه اتفاقات شؤم منها انه لما ركب إلى دار الخلافة اختلف عليه اهل بغداد ، فقال : ليس يومي بواحد ، ثم هرب من الدار متلثما ، فعرف وقبض عليه ووجه به إلى الحبس ، فمات او أميت بعد ايام ، ولم يجسر احد على رثائه سوى ابن بسام فانه قال :

لله درك من ميت بمضيعة ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لو لا ولا ليت فينقصه وانما ادركته حرفة الأدب

وقال ابو بكر بن الملافة قصيدته المشهورة في الهر ، وانما وري بها عن ابن المعتز فقضى بها الوطر من حيث لم تلزمه حجة ولا خطر ، وهي :

يا هر فارقتنا ولم تعد وكنت منا بمنزل الولد
فكيف ننحل عن هواك وقد كنت لنا عقدة من العقد
يا من لذيذ الفراخ اوقعه ويحك هل قنعت بالغدد
اطعمك الغي لحمها فرأى قتلك اربابها من الرشد

أما تخاف وثبة الزمان كما وثبت في البرج وثبة الأسد
تدخل برج الحمام متئداً وتخرج الفرخ غير متئد
وتطرح الريش في الطريق لهم وتبلع اللحم بلع مزدرد
وكان قلبي عليك مرتعداً وانت تنساب غير مرتعد
عاقبة الظلم لا تنام وان تأخرت مدة من المدد
لا بارك الله في الطعام إذا كان هلاك النفوس في المعد
كم اكلة خامرت حشا شره فاخرجت روحه من الجسد
ما كان اغناك عن تسورك البرج ولو كان جنة الخلد
ثم شفوا بالحديد انفسهم منك ولم يربعوا على احد
كانهم يذبحون طائفة كانت لطاغوتها من العبد
لم يرحموا صوتك الضعيف كما لم ترث منها لصوتها الغرد
اذاقك الموت من اذاق كما اذقت اطياره يداً بيد
كأن حبلا حوى بجودته جيدك للذبح كان من مسد
كأن عيني تراك مضطربا فيه وفي فيك رغوة الزبد
وقد طلبت الخلاص منه ولم تقدر على حيلة ولم تجد
فاذهب من البيت خير مفتقد واذهب من البرج شر مفتقد

ثم عاد المقتدر إلى ما كان عليه وقتل ابن المعتز - كما مر - واظهر انه مات حتف انفه ، وكان عمره خمسين سنة .

ثم خلع المقتدر وقتل يوم الاربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشر وثلثمائة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وكانت خلافته اربعاً وعشرين سنة .

ثم بويع لاخيه محمد القاهر بن المعتضد بعد قتل اخيه ، ثم ثار عليه الجند ، وقبضوه وحبسوه وخلعوه من الخلافة وسملوا عينيه ، وذلك في جمادي الآخرة سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة ، وكانت خلافته ست سنين وستة اشهر وسبعة ايام .

ثم بويع لأحمد الراضى بن المقتدر بن المعتضد يوم خلع عمه القاهر ، ومات في خامس عشر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة اشهر ، وخلافته ست سنين وعشرة ايام .

ثم بويع لأخيه ابراهيم المقتفى بن المقتدر وخلع في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وتوفى سنة ست وسبعين وثلاثمائة ، وكانت خلافته ثلاث سنين واحد عشر شهراً ، وكان مولده في سنة سبع وتسعين ومائتين .

ثم بويع لعبد الله المستكفى بن المكتفى يوم خلع ابن عمه المقتفي ، ثم خلع وسملت عيناه وذلك لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وتوفى في دار معز الدولة في سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة ، وهو ابن ست واربعين سنة وكانت خلافته سنة واربعة اشهر .

ثم بويع للمطيع لله بن المعتضد يوم خلع ابن عمه فمرض في ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، فخلع نفسه وله ثلاث وستون سنة ، وكانت خلافته تسعة وعشرين سنة ، ومات بعد ان خلع نفسه بشهرين .

ثم بويع لعبد الكريم الطائع لله يوم خلع ابيه المطيع ، فخلع في شعبان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة اشهر ، وعاش ثلاثاً وسبعين سنة .

ثم بويع لأبى العباس احمد القادر بالله ليلة خلع الطايع وعمره اربع واربعون سنة ، وتوفى في ذي القعدة ؛ وقيل : في ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين واربعمائة وكانت خلافته احدى واربعين سنة وشهوراً .

ثم بويع لابى جعفر عبد الله القائم بالله يوم موت ابيه القادر ، وتوفى سنة سبع وستين واربعمائة لعشر ليال مضت من شعبان ، وكانت خلافته اربعاً واربعين سنة وثمانية اشهر .

ثم بويع لابى القاسم عبد الله المقتدي ، بامر الله محمد بن القائم يوم موت

جده القائم في ثالث عشر شعبان سنة سبع وستين واربعمائة ومات فجأة في محرم سنة سبع وعانين واربعمائة وعمره ثلاث وثلاثون سنة ، وكانت خلافته تسع عشرة سنة واشهر .

ثم بويع لابى العباس المستظهر بالله احمد يوم مات والده ، وتوفى سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ولهاحدى وخمسون سنة وكانت خلافته اربعاً وقيل خمساً وعشرون سنة واشهر .

ثم بويع لابى منصور المسترشد بالله يوم موت والده ، وسنه سبع وعشرون سنة ، وقتل في سابع وعشرين ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وعانية اشهر ، وقيل : سبعة او ستة اشهر .

ثم بويع لابى منصور جعفر الراشد بالله يوم وفاة والده المسترشد بالله وخلع لاربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة ثلاثين وخمسمائة ، وقد اختلف في مدة عمره وهو ما بين العشرين والثلاثين ، وقتل : في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، وكانت خلافته إلى ان خلع سنة إلا اياماً .

ثم بويع لابى عبد الله محمد المقتفى لأمر الله بن المستظهر بن المقتدر ، يوم خلع ابن اخيه ، ومات في شهر ربيع الاول ، سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وهو ابن ست وستين سنة ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة .

ثم بويع لابى المظفر يوسف المستنجد بالله بعد موت ابيه بيوم ، ومات في ثامن ربيع الثانى سنة ست وستين وخمسمائة ، حبس في الحمام وله من العمر ثمان واربعون سنة ، وكانت خلافته احدى عشرة سنة واياما .

ثم بويع للمستضى بالله بعد ابيه ، وتوفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة وكانت خلافته تسع سنين ونصف سنة ، وعمره تسع وثلاثون سنة .

ثم بويع لابى العباس احمد الناصر لدين الله يوم وفاة ابيه ، وعمره ثلاث وعشرون سنة ، وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ، وله سبعون سنة إلا شهراً

وكانت خلافته سبعاً واربعين سنة .

ثم بويع لمحمد الظاهر بامر الله يوم موت ابيه الناصر ، وخلع وقتل في رابع عشر شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وكانت خلافته تسعة اشهر واربعة عشر يوما .

ثم بويع لابي جعفر منصور المستنصر بالله بعد وفاة ابيه ، وهو ابن خمس وثلاثين سنة ، ومات يوم الجمعة عاشر جمادي الآخرة سنة اربعين وستمائة ، وعمره احدى وخمسون سنة واربعة اشهر وسبعة ايام ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة إلا ثلاثة وثلاثين يوما .

ثم بويع للمستعصم بالله وهو ابو احمد عبد الله بن المستنصر ، وهو السابع والثلاثون من الخلفاء العباسيين ، وبهلاكه انقرضت دولتهم في العراق ، وذلك انه خرج عليه هلاكو خان فقبض عليه وقتله في الثامن والعشرين من محرم سنة ست وخمسين وستمائة ، سبحان من لا يزول ملكه وسلطانه جلت قدرته ما اعظم شأنه وابين برهانه .

ثم انقضت تلك السنون واهلها فكأنها وكأنهم احلام

﴿ ذكر قيام الدولة العباسية بالديار المصرية مختصراً ﴾

لما استولى هلاكو خان على بغداد ، وقتل المعتصم هرب ابو العباس احمد ابن الظاهر بن الناصر وهو عم المستعصم ، وكان معتقلا عند ابن اخيه ، فوصل إلى القاهرة فبايعه السلطان الظاهر بيبرس الصالحي بعد ان اثبت نسبه بمحضر جم غفير من الاعيان والعلماء والأمراء ، وذلك في يوم الاثنين ثالث عشر شهر رجب سنة تسع وخمسين وستمائة ، وخطب الناس في يوم الجمعة في السابع عشر من الشهر وخلع على السلطان وطوقه واستخدم السلطان للخليفة من يحتاج اليه من ارباب الوظائف والامراء والجند والغلمان والخدم ، ولقبه المستنصر بالله بلقب اخيه .

ثم سار الخليفة والسلطان إلى الشام ، ودخلا دمشق سابع ذي القعدة ، ثم توجه الخليفة إلى العراق فمده السلطان بعسكر فسار حتى وصل الرحبة ، ومنها إلى عانة فوافوا فيها الحاكم بامر الله ـ وسنذكر ان شاء الله تعالى بعد المستنصر نبذة من اخباره ـ فبعث المستنصر إلى الحاكم يطلبه ويؤمنه على نفسه ، ولاطفه فانضم اليه بمن معه ، وهم سبعمائة فارس .

ثم سار مجداً حتى نزل على الحديثة ففتحها ونزل على شط قرية تسمى الناوسة .

ثم رحل مجد السير حتى وصل إلى هيت فاغلق اهلها دونه الابواب ، ففتحها عنوة في التاسع والعشرين من ذي الحجة ، ونهب من فيها من اليهود والنصاري . ثم رحل عنها فلما وصل الانبار استقبله عسكر التتار ، فاقتتلوا وانكسر بها در مقدم التتار ووقع اعظم عسكره في الماء ، ثم خرج كمين من عسكر التتار فانهزم من كان مع الخليفة من التركمان والاعراب ، والتقى الكمين بعسكر الخليفة ، واشتد القتال ففرج لهم التتار ، فنجا الحاكم بامر الله وجماعة من الامراء والجند .

وأما المستنصر فاختلف في امره ، فقيل : انه قتل ، وقيل : نجا في جماعة من الاعراب وغير ذلك والله اعلم .

وأما الحاكم بامر الله وهو ابو العباس احمد بن محمد بن الحسن بن ابي بكر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الخليفة الراشد لله بن المسترشد بالله وبقية نسبه معروف فانه لما استولى التتار على بغداد اختفى بها إلى اوائل سنة سبع وخمسين . ثم خرج منها وصحبه جماعة ، وتوجه إلى الشام ، واتصل خبره بالملك الناصر صاحب الشام فامر باحضاره ، فاتفق وصول التتار إلى بلاد الجزيرة ، ثم إلى الشام ، فحصل الاشتغال عنه .

ولم يزل عند الامير شرف الدين عيسى بن مهنى إلى ان كسر الملك الناصر التتار على عين جالوت في سنة ثمان وخمسين ، فحضر ابن مهنى اليه واخبره بالحاكم

فارسل اليه سيف الدين قلج البغدادي ، وأمره باستصحابه ، فتوجه قلج اليه وبايعه على الخلافة .

فتوجه الحاكم وفي خدمتـه ابن مهنى وغير ففتحوا قلعة الحديثـة ، وهيت والانبار ، والتقوا بطائفة من عسكر التتار عند الفلوجة في آخر ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وقتلوا من عسكر التتار نحو الف وخمسمائة ، منهم بهادر مقـدم التتار وثمانمائة من الامراء ، ولم يقتل من المسلمين غير ستة انفس .

ثم وصل نقر ايغا كبير عسكر التتار ، فعلم الحاكم ان لا قبل له بهم فعاد وتبعه التتار إلى هيت ، ثم رجع عنه وسار إلى دمشق ، ومنها إلى الديار المصرية وكان المستنصر ـ المتقدم ذكره ـ قد تقدمه بثلاثة ايام ، فخاف ان هو دخل مصر أن يقبض على احدهما ويبايع الآخر ، وان يكون هو المقبوض عليه ، فعاد راحلا وصحبته رجلان وقصدوا دمشق ، ثم قصد الحاكم للامير شمس الدين التركي فبايعه على الخلافة هو وجميع من في حلب ، وجمع للحاكم جمعاً كثيراً من الترك والعرب وتوجهوا إلى العراق ، فلما وصلوا إلى عانة وافوا المستنصر بها ، وكان من خبرهما ما مر ذكره .

ولما خرج الحاكم من المعركة قصد الرحبة فاتصل خبره بالملك الظاهر فاستدعاه فتوجه نحو الديار المصرية ، وكان وصوله إلى القاهرة في السابع والعشرين من ربيع الاول سنة ستين وستمائة ، وتلقاه الملك الظاهر ورتب له ما يحتاج اليه وزيادة.

فلما كان في يوم الخميس ثاني محرم ، وقيل : تاسعه بايعه السلطان والامراء واعيان المملكة ، وخطب للخليفة يوم الجمعة سادس عشر محرم .

ثم قلده السلطان امور البلاد والجيوش ، وكانت وفاته في ليلة الجمعة المسفرة عن ثامن جمادي الاول سنة احدى وسبعمائة ، وكان مدة خلافته اربعين سنة واربعة اشهر وايام .

ثم بويع لابنه المستكفي بالله يوم الخميس رابع وعشرين جمادي الاولى واجرى

عليه وعلى اخيه وعلى حاشيته ما كان للحاكم وزيادة ، وكان ابوه قد جعله ولي عهده ، ومات في شعبان سنة اربعين وسبعمائة في قوص ، لان السلطان كان قد نفاه اليها .

ثم بويع لابن اخيه الواثق بالله ابراهيم بن ابي عبد الله محمد بن الحاكم وكان الحاكم قد عهد إلى ابيه محمد ولقبه المستمسك فمات في حياته ، فعهد لابنه ابراهيم هذا ، ثم رآه غير صالح للخلافة ، فعدل عنه ، وعهد إلى المستكفي ، ولما مات المستكفي بقوص عهد إلى ابنه احمد فلم يلتفت السلطان إلى ذلك ، وبايع ابراهيم هذا ولقبه بالواثق .

فلما حضرت السلطان الوفاة ندم على ما صدر منه ، وعزل ابراهيم وبايع ولي العهد احمد ولقبه بالحاكم ، وذلك في اول محرم سنة اثنتين واربعين وسبعمائة .

ومات الحاكم ابن المستكفي بالطاعون في نصف سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة.

ثم بويع للمعتضد بالله ابي الفتح ابي بكر بن المستكفي بعد موت اخيه ومات في جمادى الاولي سنة ثلاث وستين وسبعمائة .

ثم بويع للمتوكل على الله عبد الله بن محمد بن المعتضد بعد موت ابيه وكان عهد اليه وامتدت ايامه خمساً واربعين سنة بما تخللها من خلع وحبس واعقب اولاداً كثيرة ، ولي الخلافة منهم خمسة المستعين والمعتضد والمستكفي والقائم والمستنجد .

وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة احدثت العلامة الخضراء على عمائم الشرفاء ليتميزوا بها بامر السلطان الاشرف ، فقال في ذلك ابوعبد الله جابر الاعمى صاحب الالفية المشهورة بالاعمى والبصير .

جعلوا لأولاد الرسول علامة ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوهم يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال آخر .

أطراف تيجان اتت من سندس بعصائب خضر على الاشراف

والاشرف السلطان خصهم بها شرفا ليفرقهم من الاطراف

وفى سنة اربع وثمانين خلع السلطان ، وتسلطن برقوق ولقب بالظاهر ، وهو اول من تسلطن في مصر من الجراكسة .

وفي سنة خمس وثمانين قبض برقوق على المتوكل وخلعه وحبسه .

وبويع للواثق بالله عمر بن ابراهيم بن المستمسك بن الحاكم بعد خلع المتوكل في رجب سنة خمس وثمانين ومات يوم الاربعاء تاسع عشر شوال سنة ثمان وثمانين.

ثم بويع للمعتصم بالله زكريا بعد موت الواثق ، وخلع سنة احدى وتسعين . واعيد المتوكل على الله بن المعتضد ، ومات ليلة الثلاثاء ثامن وعشرين رجب سنة ثمان وثمانمائة .

ثم بويع للمستعين بالله ابى الفضل العباس بن المتوكل بعهد من ابيه والسلطان يومئذ الناصر .

فلما قتل الناصر كلف الملك شيخ الخليفة بالسلطنة مضافة إلى الخلافة وذلك في محرم سنة خمس عشرة وضربت السكة باسمه وتصرف بالولاية والعزل ولم يغير لقبه وعمل في ذلك شيخ الاسلام قصيدة اولها :

الملك اصبح ثابت الاساس بالمستعين العادل العباسى

رجعت مكانة آل عم المصطفى لمحلها من بعد طول تناسى

ثانى ربيع الآخر الميمون في يوم الثلاثا حف بالاعراسي

ثم ان شيخ الاسلام تغلب على السلطنة وتلقب بالمؤيد وخلع المستعين وسيره إلى الاسكندرية ، فاعتل بها .

فلما تولى قطز اطلقه واذن له في المجيء إلى القاهرة فاختار سكنى الاسكندرية ومات بها في جمادي الآخرة سنة ثلاث وثلاثين .

ثم بويع للمعتضد بالله ابى الفتح داود بن المتوكل بعد خلع اخيه سنة خمس عشرة وثمانمائة ، ومات في يوم الأحد رابع ربيع الأول سنة خمس واربعين .

وفي ايامه ولدت ببليس سنة إحدى وعشرين جاموسة مولودة برأسين وعنقين واربعة ايدي وسلسلتي ظهر ودبر واحد ورجلين وفرج واحـــد انثى ، والذنب مفروق باثنين .

وفي سنة ستين ولدت فاطمة بنت القاضي جلال الدين البلقيني ولداً خنثى ، له ذكر وفرج ، وله يدان زائدتان في كتفه ، وفي رأسه قرنان كقرني الثور .

ثم بويع للمستكفي بالله ابي الربيع سليمان بن المتوكل بعد موت اخيه المعتضد وكان قد عهد اليه اخوه وهو شقيقه ، ومات في يوم الجمعة سلخ ذي الحجـة سنة اربع وخمسين ، وله ثلاث وستون سنة .

ثم بويع للقائم بامر الله ابي البقاء حمزة بن المتوكل بعد اخيه ، ولم يكن عهد اليه ولا إلى غيره ، وخلع من الخلافة سنة تسع وخمسين ، وسير إلى الاسكندرية واعتقل بها إلى ان مات سنة ثلاث وستين ، ودفن عند شقيقه المستعين .

ثم بويع للمستنجد بالله ابي المحاسن يوسف بن المتوكل بعد خلع اخيه والسلطان يومئذ الملك الأشرف ، ومات يوم رابع وعشرين محرم سنة اربع وثمانين وثمانمائة ، وقد جاوز التسعين .

ثم المتوكل على الله ابو العز عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل بويع بعـد موت عمه المستنجد ، وكان قد عهد اليه يوم الاثنين سادس المحرم من السنة ، ومات يوم الاربعاء سنة ثلاث وتسعمائة ، وعهد إلى ابنه يعقوب ولقبه المستمسك بالله .

وهذا آخر ما تيسر مضمونه وتلخيصه من بعض التواريخ . . . والحمد لله اولا وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله الأئمة المعصومين واصحابه الخلفاء الراشدين إلى يوم الدين آمين .

﴿ ترجمة أبي محفوظ الشيخ معروف بن فيروز الكرخي ﴾
(الصالح المشهور وهو موالى الإمام على بن موسى الرضا عليهما السلام)
(المتقدم ذكره)

وكان ابواه نصرانيين ، فاسلماه إلى مؤدبهم وهو صبي ، فكان المؤدب يقول له قل : هو ثالث ثلاثة ، فيقول بل هو الواحد الاحد الفرد الصمد ، فضربه المؤدب على ذلك ضربا شديداً مؤلماً فهرب منه ، وكان ابوه يقول له ليته جاء الينا على أي دين شاء فوافقه عليه . ثم اسلم على يد علي بن موسى الرضا عليه السلام ورجع إلى ابويه فدق الباب ، فقيل له : من بالباب ؟ فقال : معروف ، فقيل له : على أي دين اتيت ؟ قال على دين الاسلام ، فاسلم ابواه .

وكان مشهوراً باجابة الدعاء ، واهل بغداد يستسقون بقبره ويقولون قبر معروف درياق مجرب . وكان سري السقطي تلميذه ، وقال له يوما : إذا كان لك حاجة فاقسم عليه بي .

وقال سري السقطي : رأيت معروف الكرخي في النوم كأنه تحت العرش والباري جل وعلا يقول للملائكة : من هذا ؟ وهم يقولون : انت اعلم به منا يا رب فقال : هذا معروف الكرخي الذي سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي .

وقال معروف : قال لي بعض اصحاب داود الطائي يا معروف اياك ان تترك العمل فهو الذي يقربك إلى رضاء مولاك ، فقلت : وما ذاك العمل ؟ قال : دوام طاعة مولاك وحرمة المسلمين والنصيحة لهم .

وقال محمد بن الحسين سمعت ابي يقول رأيت معروف الكرخي في النوم بعد موته ، فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقلت : بزهدك وورعك فقال : لا بل هو بقبول موعظة ابن السماك ، ولزوم الفقر ومحبة الفقراء .

وكانت موعظة ابن السماك ما رواه معروف الكرخي ، قال : كنت ماراً

بالكوفة فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يعظ الناس ، فقال في اثناء كلامه : من اعرض عن الله بكليته ، اعرض الله عنه بجملته ، ومن اقبل على الله بقلبه اقبل الله عليه برحمته واقبل بوجوه الخلق اليه ، ومن كان مرة ومرة ، فالله يرحمه وقتاً وقتاً ، فوقع كلامه في قلبي ، واقبلت على الله وتركت جميع ما كنت فيه إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام ، وذكرت هذا الكلام له ، فقال لي : يكفيك هذا موعظة ان اتعظت .

وقيل لمعروف في مرض موته : اوص ، فقال : إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا فاني اريد ان اخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عرياناً .

ومر معروف بسقاء وهو يقول رحم الله من يشرب ، فتقدم وشرب ، وكان صائماً ، فقيل له : ألم تك صائماً ، قال : بلى ولكن رجوت دعاءه .

واخباره كثيرة لا تحصر .

وتوفي معروف سنة مائتين ، وقيل : سنة اربع ومائتين ببغداد ، وقبره مشهور بها يزار رحمه الله .

والكرخ ـ بفتح الكاف وسكون الراء وبعدها خاء معجمة ـ وهذه النسبة إلى الكرخ ، وهو اسم لتسع مواضع ذكرها ياقوت الحموي في كتابه ، واشهرها كرخ بغداد ، والصحيح ان معروف الكرخي منه ، والله سبحانه اعلم .

وما احسن هذه الارجوزة على مثلثة قطرب :

أربح ما يخطر في الجنان ... وخير ما يجري على اللسان
الحمد والايمان بالمنان ... منزل الآيات فينا والسور
سألتني نظم كتاب قطرب ... لتغتدي في اللفظ غير متعب
فاسمع بني من اب خير اب ... حباك بالفضل لتسمو في البشر
منازل الاعراب قد نزلته ... والضم قبل الفتح قد جعلته
والكسر من بعدهما نظمته ... ولم ابق غاية ولم اذر

وكل حرف جاء مع اخيه مبينا للقدم والنبيه
مميز عن عالم سفيه يقاس بين العالمين بالبقر
فالاول البئر العتيق جد والبخت والذكر الجميل جد
والضد للهزل المشير جد يبدي على المرء من التقوى اثر
وكل جيل لنبي امه والشجة المرتاع منها امه
ونغمة تولى السرور امه يديمها الله على عبد شكر
والقمح في كل اللغات بر والبر مع ضد لبحر بر
ومصدر الفعل برت بر وفقنا الله لصبر يدخر
وكل صوت ان علا جوار والسفن في تيارها جوار
والقرب من دار الفتى جوار وعن اذى الجار الهى قد زجر
والظرف ان ملأته جمام وكل اقداح الورى جمام
والماء فى كثرته جمام وأي صفو لم يغيره كدر
والترس في كل اللغات جنه وذات اشجار وماء جنه
والجن والجنون قيل جنه نعوذ من هذا الاخير ذي الضرر
واسم فتى كان قديماً حجر ومقدم الثوب لدينا حجر
والعقل عند العارفين حجر له إله العرش في الذكر ذكر
ثم الحما في ابل حمام والطير في اوكارها حمام
والموت ما بين الورى حمام يأتى عليهم بقضاء وقدر
وبعض رؤيا النائمين حلم ومفسد الجلد الاديم حلم
والصفح عن جرم المسيء حلم يا حسنه إذا اتاه من قدر
والكاعب الخود الحسان حره وكل ارض ذات سهل حره
والظمأ المردى النفوس حره اعده الله لجبار كفر
واحمق القوم الجهول خرق والمهمه الارض الفضاء خرق

والسيد السمح الجواد خرق يثني عليه بالذي يثني البشر
والصوت من داعي النفوس دعوه وصوت من يدعو الإله دعوه
والانتساب في الرجال دعوه سيان في ذلك انثى وذكر
وذرة البحر العظيم دره وحلبة الضرع العجيب دره
وآلة الصفح تسمى دره يصحبها محتسب إذا اعتبر
وبعض اخبار الورى رقاق والرمل إذ يتصل الرقاق
وكل شاطي دجلة رقاق يدعرها الماء إذا الماء جزر
والجمع للرشوة في القول رشا والطفل للظبية مقصور رشا
والحبل تسميه ذووا الفضل رشا فالويل للمرء إذا الحبل انتشر
ثم القوارير هي الزجاج وبعده القرنفل الزجاج
والزج نصل جمعه زجاج أخرس ان زل عن القول ظفر
والخمر ما لم تصف فهو سقط والثلج في اعلا الجبال سقط
والولد المولود ميتاً سقط ليس عليه في الحساب من وزر
وعرق ظهر الراحة السلام والبشر والتحية السلام
والصخرة الناتئة السلام تبدو كعود بارز لمن حفر
ثم لعاب الشمس هي سهام والبرد في فصل الشتا سهام
والنبل في يوم الوغى سهام ترشق عن قسيها مثل المطر
والثلج ما يقطر منه سبت وآخر الاسبوع فهو سبت
والنعل من ارض اليمان سبت زين من يمشي عليه إذ خطر
والنشط للخيل الجياد شكل والمثل في كل الامور شكل
والغنج والدل جميعاً شكل كما يضاهي الشمس في الحسن القمر
والشرب للماء الزلال شرب والجمع في شرب المدام شرب
وكل مجرى فيه ماء شرب إلى زروع وكروم وشجر

وموضع الماء النصيب صل والوقم من صوت الحديد صل
وحية الرمل القتول صل وكل من ينظره على خطر
وكل مال صر فهو صره والعشر من جمع النساء صره
وليلة البرد الشديد صره لانها مانعة عن السفر
وقيل للنحاس صاف صفر وزور بطن الحيوان صفر
وما خلا من كل شيء صفر جنبنا الله الخلو من عبر
والجمع في الاعناق للناس طلا وكل ما تلده الريم طلا
والخمر ان كان عتيقاً فطلا يبدو لها عند المزاج كالشرر
وفعل ما لا يستجار ظلم وكل عذب للثغور ظلم
وجمع ظلمان النعام ظلم واقعة بين رمال ومدر
والخمر من اسمائها عقار وكل املاك الورى عقار
ثم جراحات الفتى عقار يؤخذ فيها بالقصاص من عقر
وكل معروف الكلام عرف والنشر في طي النسيم عرف
والصبر في كل الامور عرف ولايفت نيل الاماني من صبر
والجمع في وقت الزفاف عرس والكاعب الخود الحسان عرس
وموضع الليث الحصور عرس تسفر كالبدر إذا البدر سفر
والعازب الرأى الجبان غمر والماء ان كان كثيراً غمر
والحقد في سر القلوب غمر يوحش ما بين الرجال في السفر
والقود ان طراه قوم قطر والمطر الهامي اليسير قطر
والمهل من ذوب النحاس قطر تشوي به الاوجه في قعر سقر
وبعض اجناس البخور قسط والجور في حكم الولاة قسط
والعدل في امر القضاة قسط به الهى لذوي الامر امر
والجمع للقرية في اللفظ قرى والصلب للانسان والشيب قرى

والجود بالزاد لدى الجوع قرى يكسب مجداً بين بدو وحضر
وكل ما يسمى سواراً قلب ولا خفا ان الفؤاد قلب
والطير كالعصفور مثل قلب لانه يحكيه لون وصغر
وشفة النعجة فهي قه وعضة الليث الهزبر قه
وكل عال من سنام قه وهي من الرأس السبول والشعر
والعود إذ ينحت للعب قلا والعقد للقمة في الرأس قلا
والبغض والهجر لدى الناس قلا ومن رماه الناس بالهجر هجر
والارض أما غلظت كلام واللفظ ما بين الورى كلام
وكل جرح مؤلم كلام يتابع الصحة في الجسم الضرر
والكورة الجمع لها حقاً كرى والنوم للاجفان تسميه كرى
وقال قوم انه ايضاً كرى وكلهم في ذاك للحق ذكر
وكلية المرء لها الجمع كلا وكل نبت تنبت الارض كلا
والحفظ والرعى من الله كلا وليس يد هى من له الله نصر
وكل عظم ينبت اللحم لحا والجمع للحية في اللفظ لحا
ثم اللجاج والملاحاة لحا يعقب غيظا وصداعا وضجر
والاشتباك في اللقاء لمه والعقل ان خالط جهل لمه
وجمة الرأس تسمى لمه ان نشرت او ان لها المرء ظفر
والمنح والاعطاء والبذل لها وهي لهاة المرء والجمع لها
وقبضة الكف لدى الطحن لها يقذفها قاذفها تحت الحجر
وجمع ما يلبسه الناس ملا وكل جمع ضمه الشمل ملا
والارض ان اوسعها وسع ملا يقتلها ان سار فيها من خبر
وماسك الروح فذاك مسك وكل جلد الحيوان مسك
والطيب عند الغانيات مسك يا طيبه ان شابه نشر عطر

وقوة النفس تسمى منة وحية تحكي السواد منه
ومصدر للامتنان منه يكسبها عند الحياة من عقر
فهذه الابيات للكتاب محكمة عند ذوي الالباب
جامعة لسائر الابواب مشروحة شرحا جلياً مختصر

﴿ ترجمة أبي القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي ﴾

قال ابن خلكان : الامير الكبير في الحديث والتفسير والنحو واللغة وعلم البيان ، وكان امام عصره من غير مدافع ، تشد إلى بابه الرحال في فنونه .

أخذ النحو عن ابي منصور مضر ، وصنف التصانيف الحسنة البديعة ، منها الكشاف في تفسير القرآن العزيز ـ لم يصنف قبله ولا بعده مثله ـ والفائق في تفسير الحديث ، واساس البلاغة في اللغة ، وربيع الابرار ، وفصوص الاخبار ، ومتشابه اسامي الرواة ، والنصائح الكبار ، والنصائح الصغار ، وضالة الناشد . والرائض في علم الفرائض ، والمفصل في النحو ـ وقد شرحه خلق كثير ـ والانموذج في النحو والمفرد ، والمؤلف في النحو ، ورؤس المسائل في الفقه ، وشرح ابيات سيبويه ، والمستقصى في امثال العرب ، وصميم العربية وسوائر الامثال ، وديوان المتمثل وشقائق النعمان في حقائق النعمان ، وشافي العي من كلام الشافعي ، والقسطاط في المعروض ، ومفحم الحدود ، والمنهاج في الاصول ، ومقدمة الأدب ، وديوان الرسائل وديوان الشعر ، والرسالة الناصحة ، والامالي في كل فن . وغير ذلك .

وكان شروعه في تأليف المفصل في غرة شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، وفرغ منه في غرة المحرم سنة خمس عشرة وخمسمائة .

وكان قد سافر إلى مكة شرفها الله تعالى ، وجاور بها زمناً طويلا حتى صار يقال له جار الله لذلك . وكان هذا الاسم علما عليه .

قال ابن خلكان : وسمعت من بعض المشايخ ان احدى رجليه كانت ساقطة

وانه كان يمشي في جاون خشب ، وكان سبب سقوطها انه اصابه ثلج وبرد كثير فى بلاد خوارزم فسقطت منه رجله ، وقلت لا يستبعد ذلك في اراضى العجم .

وكان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على ذلك خوفا من ظن الغبي انها قطعت لريبة .

وقيل ان الزمخشري لما دخل بغداد اجتمع بالفقيه الحنفى الدامغانى فسأله عن سبب قطع رجله ، فقال : بسبب دعاء الوالده ، وذلك انى كنت في صغرى امسكت عصفوراً وربطته بخيط في رجله ، فانفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله في الخيط فتألمت والدتى لذلك وقالت : قطع الله رجل الا بعد كما قطع رجل العصفور ، فلما وصلت إلى سن الطلب دخلت إلى بخارى لطلب العلم فسقطت من دابة فانكسرت رجلي .

وكان الزمخشرى معتزلي الاعتقاد ظاهراً به حتى قيل عنه : إذا كان قاصداً صاحباً له استأذن عليه في الدخول يقول لمن يأخذ له الاذن قل له ان ابا القاسم المعتزلي بالباب ، وأول ما صنف كتاب الكشاف كتب استفتاح الخطبة الحمد لله الذي خلق القرآن . فقيل له : ان تركته هكذا هجره الناس ، فغيره وجعله الحمد لله الذي جعل القرآن ، وجعل عندهم بمعنى خلق ، والشرح في ذلك يطول .

ومن شعره السائر قوله :

ألا قل لسعدى مالنا فيك من وطر ... وما تنظرين النجل من اعين البقر
فانا اقتصرنا بالذين تضايفت ... عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة ... ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس إذ غازلته قرب روضة ... إلى جنب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئنى بورد وانما ... أردت به ورد الخدود وماشعر
فقال انتظرني رجع طرفي اجيء به ... فقلت له هيهات ما لي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر ... فقلت له انى قنعت بما حضر

وقال محمد بن مسعود السعيدي الخوارزمي انشدني مولانا جار الله شيخ العرب والعجم الزمخشري فخر خوارزم لنفسه :

كل النفوس إلى المقدار مطروده ... شريعة لجميع الخلق موروده
من اين ينفق فيما ليس ينفعه ... ما عاند المرء والانفاس معدوده
ما بال من يبتني قصراً ليسكنه ... عدوه وهو في غبراء ملحوده
كدودة القز تكسو غيرها حللا ... بهمة وأحاط الهلك بالدوده
طرق السداد على افراط مسحبها ... كانما هي دون المرء مسدوده
يجري إلى الشر كالهملاج في طلق ... ورجله في مساعي الخير مصفوده
موحد ربه في زعمه ويرى ... اهواءه دون وجه الله معبوده
يرعى حقوق اناس فهو معترف ... بحفظها وحقوق الله مجحوده
دنياك غالية في جاهليتها ... فالابن والبنت موؤد وموؤده
خصوا بناتهم وهي التي وأدت ... بجهلها كل مولود ومولوده

ومن شعره يرثي شيخه ابا مضر منصوراً :

وقائلة ما هذه الدرر التي ... تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذي كان قد حشا ... ابو مضر اذني تساقط من عيني

هذا يشبه قول الارجاني وكانا متعاصرين والله اعلم من الاقدم :

لم يبكني إلا حديث فراقهم ... لما اسر به إلي مودعي
هو ذلك الدر الذي اودعتم ... في مسمعي اجريته في مدمعي

وقال الآخر من هذا المعنى :

لا تزدني نظرة ثانية ... كفت الاولى ورقت ثمني
لك في قلبي حديث مودع ... لا حجدت الحب ما اودعني
خذه من جفني عقوداً انه ... بعض ما اودعته في اذني

ومما انشده الزمخشري في الكشاف لغيره عند قوله تعالى في سورة البقرة (ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) :

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها في نحرها والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الاول

واوصى الزمخشري ان تكتب هذه الابيات على قبره .

ووجد بجزيرة سواكن مكتوب على قبر ملكها عزيز الدولة ريحان هذه الابيات :

يا ايها الناس كان لي امل قصرني عن بلوغه الاجل
فليتق الله ربه رجل امكنه قبل موته العمل
ماانا وحدي نقلت حيث ترى كل إلى نقلت ينتقل

وكانت ولادة الزمخشري يوم الاربعاء في السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين واربعمائة بزمخشر ، وتوفي ليلة الاربعاء سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة المشرفة ، ورثاه بعضهم بابيات منها :

فأرض مكة تذر الدمع مقلتها حزناً لفرقة جار الله محمود

وزمخشر ـ بفتح الزاي والميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الشين المعجمة وبعدها راء هي قرية كبيرة من قرى خوارزم .

والجرجانية ـ بضم الجيم الاولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الألف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة تحتية مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهي قصبة خوارزم .

قال ياقوت الحموي في كتاب البلدان : يقال لها في لغتهم كركانج ، وقد عربت فقيل لها الجرجانية ، وهي على شاطىء جيحون ، والله اعلم بالصواب ، واليه المرجع والمآب .

﴿ فائدة ﴾

الجنة مكنة التجرد عن الضرورات البشرية ، ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى ، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحي .

والجحيم تمحض غلبة الضرورات البشرية على النفس المدركة ، ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولايغنى من جوع في سموم وحميم وظل من يحموم آكلون من شجرة من زقوم فمالئون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم قطعت لهم ثياب من نار سرابيلهم من قطران وبالجملة فهم في ضرورات لاترتفع وهموم لا تندفع وكل حاصل من الضرورة البشرية في شئ فهو من الجحيم في مقدار ما حصل فيه وكل من تجرد عن شئ منها فهو من النعيم في مقدار تجرده وربما دخل قوم الجحيم لاخراج آخرين ، ولا بد من شفاعة الراحمين ، ولذلك تنزل الحق المبين فى بشريات العارفين ، فافهم والله اعلى واعلم .

﴿ فائدة ﴾

الخط المستقيم عبارة عن الكمال الوسطي الحقيق الذي لا يشوبه ميل ، وذلك لايكون إلا للوحدة المطلقة التي هى حكم وجود الواحد من كل جهاته ، وعلى صورة الخط المستقيم خلق الله آدم على صورة الرحمن ، فان مال يميناً او شمالا او أي ميل كان فهو مما مال اليه لا من المرتبة المخصوصة بآدم الانسان فافهم والله اعلى واعلم .

ومن كلام ارسطا طاليس : إذا اردت ان تعرف هل يضبط الانسان شهواته فانظر إلى ضبط منطقه .

ومنه : ليست النفس في البدن بل البدن فى النفس لانها اوسع منه .

ومن كلامهم : إذا رأيت العالم يلازم السلطان فاعلم انه لص ، واياك ان يخدعك بما يقال انه يرد مظلمة او يدفع عن مظلوم ، فان هذه خدعة ابليس اتخذها فجار العلماء سلما .

سؤال !

رمضان اتى وكلنا نهواه — من اجل قيام
ما قولك يا فقيه فى فتواه — عجـل بـكلام
من بات معانقاً لمن يهواه — فى شهر صيام
هل يفطر عند ما يقبل فاه — ام صام تمام

جواب :

يامن سأل الفقيه عن فتواه — الشرع فسيح
اسمع لكلامنا وخذ معناه — ان كنت فصيح
من بات معانقاً لمن يهواه — ان كان مليح
لا يفطر عند ما يقبل فاه — والصوم صحيح

المهتارسين :

شهر الصيام تقضى — فراقه يوم عيد
قيل اتبعوه بست — فقلت ايضاً وسيد

وله :

شهر الصيام تقضت — ايامـه بالا مانـه
قيل اتبعوه بست — فقلت ستى فلانه

قال القاضي يحيى بن بنده الاصفهانى : كثرة الضحك من امارة الحمق ، والعجلة من ضعف العقل وضعف العقل من قلة الرأى ، وقلة الرأي من سوء الأدب وسوء الأدب يورث المهانة ، والمجون طرف من الجنون ، والحسد داء لا دواء له والنمائم تورث الضغائن .

ومن كلامهم : النصائح مرة المذاق حلوة المواقب فهى كالأدوية يسوء استعمالها ويسر مآلها ، ويذم اولها ، كما يحمد آخرها .

ومن كلامهم : لا تطأ ارضاً وطئها عـدوك إلا على توق واحتراس ، ولا

يغرك خروجه منها وبعده عنها ، فربما رتب لك شباكا ونصب لك فيها اشراكا .

﴿ سؤال ﴾

العقل في حد ذاته ـ ولو انه في احكام الإله جل شأنه ـ ناقص غير تام لكنه كيف يقدر من بعد حصول التصفية والتزكية ان يحصل مناسبة واتصالا غير متكيف بمرتبة الوجوب تعالت وتقدست لكي يأخذ الاحكام من هناك بسبب تلك المناسبة والاتصال ، ولا يحتاج إلى البعثة التي بتوسط الملك .

﴿ جواب ﴾

ولو ان العقل يحصر تلك المناسبة والاتصال لكن التعلق الذي له بهذا الشكل الهيولاني لم يزله بالكلية ولم يحصل له تمام التجرد فاذن تكون الواهمة دائماً لازمة بذيله ، والمتخيلة دائماً لم تترك خياله ، وقوة الشهوة دائماً مصاحبته ، ورذيلة الحرص والشره كل وقت ندمته ، ولم ينفك عنه السهو والنسيان الذي هو من لوازم نوع الانسان ، ولم ينفك عنه الخطأ ، والغلط الذي هو من خواص هذه النشأة ، فالعقل حينئذ لا يكون محل الاعتماد ، ولم تكن احكامه المأخوذة مصونة من سلطان الوهم وتصرف الخيال ، ولم يكن محفوظاً من شائبة النسيان .

ومظنة الخطأ بخلاف الملك الطاهر من هذه الاوصاف ، المبرء من هذه الرذائل ، فلا جرم ان يكون إذ ذاك محل الاعتماد ، وتكون احكامه المأخوذة مصونة من شائبة الوهم والخيال ، ومظنة الخطأ والنسيان ، فافهم والله بكل شيء عليم انه بكل شيء محيط .

﴿ فائدة ﴾

إذا حسنت الملاحظة في كل مسألة من المسائل المختلف فيها عند العلماء والصوفية ترى الحق بجانب العلماء ، واصل ذلك ان نظر العلماء قد نفذ في كمالات

النبوة وعلومها بواسطة متابعة الانبياء الكرام على نبينا وعليهم الصلاة والسلام .

ونظر الصوفية قد وقع على كمالات الولاية ومعارفها فقط ، فلا جرم حينئذ ان يكون العلم المقتبس من مشكاة النبوة اصوب واحق من الذي اخذ من مرتبة الولاية ، فافهم والله بكل شيء عليم .

فلما كان عصر ثاني وعشرين صفر المقرون بالظفر خرجنا من صنعاء قاصدين المخا بندر الخير والرخا ، فلم نزل نسير بين قرى عامرة ، ومزارع بالخيرات وافرة ومررنا على سيان وزلاجة ودمار وبريم ، ومن هذه القرية اتينا على عقبة سمارة وهي عقبة يضرب المثل بها في طولها إلا ان اغلب طريقها مرصوف بالاحجار ، وبها انواع الاشجار والزهور ، والمياه والطيور .

ومن سمارة اتينا إلى المخا درو إب والرباط والعماق ، وبهذا العماق بنات نهد في غاية الحسن يأتين بالليل ويسمرن مع المسافرين ويتكئن على الرجال ويلاعبنهم ويعاجنهم ، والمشهور عنهن انهن ابكار ، والله اعلم بحقيقة ذلك .

فلما كان عصر تاسع وعشرين من صفر دخلنا مدينة تعز ، وهي مدينة لطيفة واهلها غلاظ شداد ، وبها قصور عالية ومياه جارية وبساتين واشجار ، وفواكه واطيار ، وبها قلعة على رأس جبل شاهق تسمي القاهرة وبها مساجد وسماسر وحوانيت وحمامات وبهامدرسة الاتابكية وبهاقبر الملك المنصور عمر بن علي بن رسول وهو اول ملوك بني غسان ، وبها مدرسة الوزيرية نسبة إلى مدرسها الوزيري ومدرسة الغرابية نسبة إلى مؤذنها غراب ، بناها الملك المنصور المذكور ، ومدرسة في مغربة تعز بناها الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني ومدرسة الأشرفية بناها الملك الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني في حافة الملح من مغربة تعز ، وبها قبره ، ومدرسة الزينية المؤيدية بناها الملك المؤيد اخو الملك الأشرف الغساني وبها قبره ، ومدرسة دار الاسد بنتها كريمة الملك المؤيد ومدرسة بناها الملك المجاهد بن المؤيد جعلها جامعاً بناحية الجبل ومدرسة الأفضلية

بناها الملك الافضل العباس بن المجاهد بن المؤيد الغسانى وبها قبره ، ومدرسة الزينية بناحية الجبل بناها الملك الافضل ـ المتقدم ذكره ـ وفيها منارة عجيبة المنظر فريدة البناء ، طبقة منها مربعة الشكل ، والثانية مثلثة الاركان ، والثالثة مسدسة الشكل ، ودرجها من اسفلها إلى اعلاها مبنية على عقود لطيفة ، وهى من المنائر العجيبة ، ومدرسة الدينية بناها الملك الأشرف اسماعيل بن الافضل الغسانى .

ومدرسة الاشرفيه وبها قبر الأشرف المذكور وابنه الملك الناصر احمد وابنه الملك المنصور عبد الله بن احمد ، ومدرسة الظاهرية بناها الملك الظاهر يحيى بن اسماعيل الاشرف بن العباس الافضل الغسانى وبها قبره وقبر ابنه الملك الأشرف اسماعيل بن يحيى بن اسماعيل المذكور .

وكانت مدة خلافة بني رسول الغسانيين من اولها إلى آخرها مائتين وثلاثين سنة إلا شهراً .

وبتعز مدرسة بناها الملك المجاهد شمس الدين علي بن ظاهر ، وهو اول ملوك بنى ظاهر ، ومدرستان بناها الملك الظاهر عامر بن عبد الوهاب بن داود بن ظاهر وهو آخر ملوك بني ظاهر ، وكانت مدة خلافتهم خمساً وستين سنة .

فاقمنا بتعز ثلاثة ايام ورحلنا إلى المخا بسلام ، فمررنا على القرعا والرمادة والربيعى ، وخزيجة والضريبات والمنصري والبرح والعريش وموزع وهى قرية لطيفة وهواؤها وماؤها لطيف جداً .

فلما اسفر الصباح عن ثامن ربيع الأول عام الف ومائة واثنين واربعين من هجرة الكامل المكمل دخلنا بندر المخا ، بندر المحبة والاخا ، ونزلت بدار المرحوم المبرور ، الرئيس المشهور ، الماجد العظيم ، الشهم الكريم ، سيدي ووالدي الشيخ محمد بن صالح بن المرحوم الشيخ محمد علي القاضى الحكيم رحمه الله تعالى وافاض وابل غفرانه على ضريحه ووالى .

ثم انى ما زلت اتردد من المخا إلى مكة المشرفة ومنها إلى المخا إلى عام الف

ومائة وخمس واربعين من هجرة صفوة الرب المعين ، فحينئذ اذن الرب الخلاق الكريم الرزاق لكوكب نحوسى بالافول والمحاق ، وشمس سعودي بالبزوغ والاشراق ، فتعطف على الخاطر العاطر، من جناب مولانا الوزير الكريم ذي المآثر الحاوي للرياسة ، كابراً عن كابر، عين الاعيان، فريدالأقران، وحيدالزمان ، رحيب الصدر والمكان، رفيع القدر والجناب، الغني بذاته الحميدة عن الاوصاف والاطناب الرئيس الذي إلى بابه تحث الخيل والركاب ، مولانا الفقيه احمد بن يحيى خزندار المؤلف لجنابه هذا الكتاب :

وقاه إله العرش شر المكاره ولا دار خطب الدهر يوما بداره

وكذلك الفخر نجله الرئيس ، الدر الغالي النفيس ، المقدام إذا حمى الوطيس والتقى الخميس مع الخميس ، بلا تدليس ولا تلبيس ، رفيع المنار ، نسل الرؤساء الاعاظم الكبار الاكارم الاخيار ، مولانا الفقيه النبيه عبد الله بن احمد بن يحيى الخزندار لازالا محروساً من طوارق الليل والنهار بحرمة محمد وآله وصحبه الأطهار

ورث الرياسة كابراً عن كابر موصولة الاسناد بالاسناد

اكرمني مولاي الفقيه احمد واسعفني بفضله في غربتي وانجد ، ورتب لي من بيت مال المسلمين عدداً وسبارا ، وغمرني بعطاه العميم سراً وجهارا ، وها انا ما زلت اشكر فضله ليلا ونهارا ، لا زال فضل ربي عليه مدرارا .

وكتبت يوما من الايام لابنه عبد الله فخر الاسلام ، اشكو اليه من ابن الجبلي الكيال ، وكان يعطيني السبار بعد مشقة وتعب حال ، فارسلت هذه القصيدة اليه اسبل الله ستره الضافي عليه وعلى والديه وهي :

قل للرئيس المفدى من عزة قد تمكن
فخر العلى ذى المعالي ومن له السعد أعلن
نجل الصفى المرجى في ليل خطب إذا جن
ومن به يا صحابى من المخاوف نأمن

أبقاهما الله ربي لنا بخير ومأمن
يا فخر أهل العطايا ومن علينا تحنن
قررتما لي سبارا من غير بخل ولا من
جزاكم الله خيراً بالعز والسعد مقرن
فكم شكوت اليكم يا ذا الذكاء المفطن
كيال سوء لئيم مارق قط ولا احسن
يعطي لنا البر رطلا ويعطي لغيري بالمن
بالمن احرق قلبي واحر قلباه من من

فطلب الكيال ، واوعده بالحبس والنكال ، ان هو لم يستقم معي على احسن طريق وحال . . . . بيت :

هكذا شيمة الملوك بالمماليك يرفقوا

فلما رأيت توجههم إلي ، وبرهم بي واحسانهم علي ، استخرت الله تعالى ونويت الاقامة ببندر المخا ، ومجاورة اهل الكرم والسخا ، المعتمد عليهم في الشدة والرخا ، واقمت والحمد لله في ظلال عدلهم ، وتزوجت وذلك من فضل الله وفضلهم ورزقت ولداً بقدرت الله ، وسميته عبد الله ، وذلك وقت الشروق يوم الاثنين غرة ذي القعدة الحرام سنة الف ومائة وست واربعين من هجرة الشفيع يوم الزحام عليه وعلى آله واصحابه افضل الصلاة واكمل السلام ، وارخت ولادته بقولي وبالله قوتي وحولي :

قد حباني خالق رب السما بغلام طاب اصلا ونما
وهو عبد الله قد سميته راجياً من فضله ان يسلما
فلربي الحمد والشكر فكم عمني فضلا وكم قد انعما
واتى التاريخ في مولده بيت شعر مثل در نظما
ابقه يا رب لي طول الزمان في سعود وصعود قد سما

ثم توفى ذلك المولود في صبح رابع عشر من صفر في تلك السنة المقرونة بالظفر ، رحمه الله تعالى وغفر .

ثم رزقني الله بعد ذلك الولد ولداً ، وسميته محمداً ، وكانت ولادته في نصف الليل ، من ليلة الاربعا ، عند ما ذكر المذكر في السحر ودعا ، فى سادس عشر محرم الحرام سنة الف ومائة وثمانية واربعين من هجرة سيد الاولين ، والحمد لله ذي الفضل والانعام ، وهذا كله من فضل ربى توكلت عليه ، وفضل مولانا الفقيه احمد المشار اليه ، لا زال لواء الدولة والاقبال منشوراً عليه وعلى اولاده وكل من لديه .

وهذا دعاء لا يرد لانه إذا ما دعونا أمنته الملائك

فها انا بحمد الرب العلام ، مقيم ببندر المخا بعز واحترام ، ولائذ بالله وبذلك المقام ، وختمت رحلتي يا كرام والسلام :

والفت عصاها واستقر بها النوى كما قرّ عينا بالاياب المسافر

(فائدة ـ طبقات الولايات)

طبقات الولايات خمسة ، الاول الوزارة ، والثانى ولاية الانشاء والمكاتبات الثالثة ولاية الجيش والجند ، الرابعة ولاية ديوان الاموال ، الخامسة ولاية سائر الحاشية ، والوزير هو قطب الدولة ومدارها ، وزند المملكة وسوارها ، يستضيء السلطان في ظلم المامه بانوار تدبيره ، ويحمل عنه اعباء ما يحدث من قليل الخطب وكثيره وجليله وحقيره وفتيله ونقيره ، فعليه بذل مجهوده لصيب الصواب بسهام همه ، ويصوب انواء رأيه فتنبجس من حسن تدبيره عيون ديمه ، ولا بد للملك من وزير يعضده ومدبر عاقل يرشده ويؤيده .

وقد صرح الكتاب والسنة باتخاذ الوزير والاستظهار به في التدبير ، فقال سبحانه وتعالى في قصة موسى عليه السلام (واجعل لي وزيراً من اهلي) وقال عز وجل: (لقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيراً) .

وقال النبي ﷺ : من ولي شيئاً من امور الناس واراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً ان نسي ذكره ، وان ذكر اعانه ، وإذا أراد الله غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره ، وان ذكر لم يعنه .

واختلف الناس في اشتقاق هذا الاسم على ثلاثة اوجه احدها انه مشتق من الوزر ، وهو الثقل ، فان الوزير يحمل عن الملك اثقاله ، ومنه قوله تعالى (ووضعنا عنده وزرك) .

وثانيها : انه مشتق من الوزر وهو الملجأ ، ومنه قوله تعالى (كلا لا وزر) أي لا ملجأ ، والملك يلجأ إلى رأي الوزير ومعرفته وتدبيره .

وثالثها : انه مشتق من الازر وهو الظهر ، ومنه قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام (اشدد به ازري) اي قو به ظهري .

والملك يقوى بالوزير كقوة البدن بالظهر ، ولما كان المنصب في نفسه جليلا كان المتأهل للقيام بوظائفه قليلا فان المتقدمين من الفضلاء العظماء ذكروا في صفات مباشرته شرحا طويلا ، وحملوا من طلب الوزارة من الاوصاف المعتبرة عبأ ثقيلا .

(والخصها) ما كتبه المأمون في اختيار وزير له ليرتاد له ، فقال : انى التمس لامري رجلا جامعاً لخصال الخير ، ذا عفة في خلائقه ، واستقامة في طرائقه ، قد هذبته الآداب وحنكته الوقائع واحكمته التجارب ان ائتمن على الاسرار ، قام بها وان قلد مهمات الامور نهض فيها ، نسيكته الحلم ومنطقه العلم تكفيه اللحظه وتغنيه اللمحة ، له صولة الامرا ، واناة الحكما ، وتواضع العلما ، وفهم الفقها ، ان احسن اليه شكر ، وان ابتلي بالاساءة صبر ، لا يبيع نصيباً من يومه بحرمان غده يسترق القلوب بحلاوة لسانه ، وحسن بيانه .

فهذه صورة ما نقل من كتاب المأمون ، ولقد اشار في هذه الكلمات الموجزة والألفاظ المختصرة إلى رموز تحسبها كنوزاً في رمزه المسطور ، ووصفه للرجل المذكور ونهوضه بمهمات الامور ، من نهض بمهمات الدولة وامور المملكة

وانتصب لها لزمه ان يحمل اثقالها ، ويزيح اختلالها ويصلح احوالها ، ويحفظ رجالها ، ويثمر اموالها ، ويستخدم الكفاة الثقاة ويوليهم اعمالها ويلزمهم محجة المعدلة واعتدالها ، ويحذر عاقبة المظالم ووبالها ، وينذرهم نكال الظلمة الخونة ومآلها ، ثم يتفقد تفاصيل احوالهم ، ويراعي تصرفهم في اشغالهم ، ويتطلع سراً وجهراً إلى اقوالهم واعمالهم ، فمن وجده قد نسي منهم ذكره ، او غفل عن شيء بصره ، او اخطأ عن اللازم عذره ، ومن احسن منهم في عمله وثمره ، قام فيه بواجب حقه ووفره ، وخصه بزيادة عنايته ، واعلاه على ما كان من مكانته ، ومن خان عهد امانته وفرط في ولايته عاقبه وعزله وعزره وخذله .

وينبغي للوزير ان يعتني بجهات الاموال وحراسة اسبابها ، وفتح ابوابها وضبط حسابها وحفظ حسابها ، وبث الاحسان في مظان اكتسابها ، واعتماد العدل والانصاف في اخراجها واجتذابها فان كثرة الاموال وقلتها بقدر المعرفة باجتذابها من شعابها من جزية مقدرة ، وتجارة معشرة ، واخرجة محضره ، وعشور محررة وقسم مقررة ، وغنائم موفرة ، وفيء من جهات منحصرة ، هذا إلى زكاة واجبة واجور لازمة لازبة ، ووظائف على اكرية عاملة ناصبة ، إلى غير ذلك من تربيع مزارع ، وتوزيع قطائع ، وتوسيع شرائع ، وتفريع مواضع ، وترجيع طوائع .

فهذه جهات ابواب الاموال التي جعل الشرع بيد السلطنة زمام استخراجها ومكن لهم من استيفائها بسلوك طريقتها ومنهاجها وفرض فيها حقوقاً تجب رعايتها عند صروفها واخراجها فاذا قام وزير المملكة من جهة الاموال وعرفهم الطرق المفضية اليها لئلا يشتبه الحرام بالحلال ، وامرهم باتباع الحق واجتناب الباطل على كل حال.

ثم ان وزير الدولة والمملكة لا يخلو من ان يكون وزير تفويض او وزير تنفيذ ، فان لكل واحد من هذين القسمين حكما يخصه ، ووضعاً يلزمه ، فان وزارة التفويض اعلى المرتبتين ، واعظم المنزلتين ، وهي ان يفوض السلطان إلى الوزير تدبير المملكة والدولة برأيه وسداده ، ويجعل اليه امضاء امورها بمقتضى نظره

واجتهاده ، فهذه ولاية لا يكفى فيها مجرد الأذن ، بل لا بد من عقد وتصريح فيقول له : قد قلدتك ما لي نيابة عني او قد استنبتك فيما لي ، وما يقوم مقام ذلك. فلو قال : قد فوضت اليك وزارتى او ذكره بصيغة الجمع للتعظيم ، وقال : قد فوضنا اليك الوزارة ، ففى انعقاد وزارة التفويض بهذا القول وحده خلاف المختار انها تنعقد وتحصل الولاية به ، فيستفيد بهذه الولاية بسط اليد ونفاذ الحكم في امور المملكة والتصرف فى احوال الدولة بما يقتضيه نظره واجتهاده من تولية وعزل واطلاق وبذل واستخدام وقطع ، واعطاء ومنع ، ونقص وزيادة ، وايتاء واعادة ، وتسلط على كل ما للسلطان فعله من امور المملكة إلا على شيئين ، فانه ليس له فعلهما ولا يستفيدهما بمطلق هذه الوزارة .

احدهما اقامة ولي العهد ، الثانى عزل من ولاه السلطان واقامه ، فان فعل ذلك واقدم عليه فانه لا ينفذ ولا يعتبر شرعا .

ووزير التفويض وان عمت ولايته وشارك السلطان في حكمه ، فعليه وظيفة لا بد له من اقامتها ، ويجب عليه فعلها ، وهو ان يطلع السلطان بما امضاه من عمل وما انفذه من ولاية وتقليد ، وعلى السلطان ان يتأمل اعمال الوزير ، وما قد اصدره على الرأي والتدبير ، ويتفقد ذلك فما وجده على وفق الصواب اقره وتركه وما وجده على خلاف ذلك رده واستدركه .

فهذه زبد ملخصة ، ونبذة مختصرة فى وزارة التفويض .

وأما وزارة التنفيذ وهى دون وزارة التفويض وحكمها اضعف ، وشرطها أقل إذا السلطان هو القائم في المعنى بالتدبير فيها والقضايا صادرة عن نظره ورأيه وهى ان يقيمه السلطان واسطة بينه وبين الناس ويؤدي عنه ما امره وينفذ ما قرره ويطالعه بما يرد عليه ، ويسمع جوابه فينقله كما ذكره .

وهذه الوزارة لا يفتقر فى صحتها إلى عقد او تقليد ، بل يكفي فيها مجرد الاذن ، ولا يعتبر في المؤهل لها من الشروط ما يعتبر في القسم الاول ، لكن لابد

من ان يكون اميناً ، فان الخائن لا يعتمد عليه ولا يركن اليه ، وان يكون صادقا بحيث يعتمد على انهائه ، ويعتقد قوله في اعادته وابدائه ، فان الكاذب لا يوثق به ، وان يكون قليل الطمع حتى لا يستمال بالرشا والهدايا ، ولا يخدع بالتحف في شيء من القضايا وان لايكون بينه وبين الناس تشاجر وتباغض يحمله على ترك الانصاف ويجرئه على الاجحاف والاعتساف ، وان يكون عنده ، فطنه وحسن تيقظ نفس ليأمن التدليس عليه ، واشتباه الامور لديه ، وان يكون خالياً عن الاهواء ، فان الهوى خادع الالباب ، قاطع طرق الصواب .

وفي الحديث النبوي ما يكمل به هذا العرض ويتم ، وهو قوله ﷺ (حبك للشيء يعمي ويصم) فوزير التنفيذ لا يجوز له التعرض لمباشرة الحكم ، ولا النظر في المظالم ، ولا تقليد متولى ولا اقامة متصرف ولا تدبير جيش ولا حرب ولا تصرف في اموال بيت المال بقبض المستحق منها وصرف الواجب فيها .

فهذه كلها يملكها وزير التفويض ولأجل التفاوت بين الولايتين ، والفرق بين المنزلتين ، جاز ان يكون وزير التنفيذ مملوكا ، ولا يشترط ان يكون حراً وجاز ان لايكون عالماً باحكام الشريعة ، وجاز ان يكون جاهلا بامر الحرب ، والخراج غير عارف به إذ هو سفير بين السلطان والرعية ، مظهر ومخبر ، ولا يشترط في قبول الخبر الحرية ، ولا المعرفة المذكورة ، ولا العلم بتفاصيل الشريعة ، وهل يشترط في هذا الوزير الاسلام حتى لو اقام السلطان وزير تنفيذ من اهل الذمة ، كان جائزاً ام لا ؟ اختلفت آراء الأئمة في ذلك ، فذهب عالم العراق الامام ابو الحسن علي بن حبيب البصري رحمه الله إلى جوازه .

وذهب عالم خراسان الامام ابو المعالي الجويني رحمه الله إلى منعه ، وعد تجويز ذلك من عالم العراق عثرة لاتقال ، وخطأه فيما قال .

وهذا بخلاف وزارة التفويض ، فان هذه الشروط معتبرة فيها من جملة ما تقدم بيانه من الاوصاف في حق المباشر لها . . انتهى .

﴿ ترجمة أبي العباس ابراهيم بن العباس بن صول بن بشتكين الصولى ﴾
(البغدادى الدار مولى آل المهلب الكاتب ، الشاعر المشهور)

قال صاحب نسمة السحر : فاضل سخرت له القوافي ، وهو ابراهيم تسخير الرخاء لسليمان ، فيلعب بالمعانى السحارة تلعب الصبا بالافنان ، فاق بسحر نظامه القائلين ، ولا غرو فهو من الكرام الكاتبين ، وله ديوان شعر ، وديوان رسائل .

وكان كاتباً في ايام المأمون وايام المعتصم والواثق والمتوكل .

وكان شيعياً يستعمل التقية في ايام المتوكل ويعد من شعراء ابى الحسن الرضا عليه السلام ، وله فيه مدائح اشهرها حين عهد له المأمون بالخلافة .

وله قصيدة رثى فيها ابا عبدالله الحسين عليه السلام وأنشدها بين يدى الرضا «ع» ولم يذكر الاصبهاني إلا مطلعها وهو :

ازالت عزاء القلب بعد التجلد مصارع ابناء النبي محمد

فاجازه الرضا بعشرة آلاف درهم مما ضربت باسمه .

وقال ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المحدث الشيعي في عيون اخبار الرضا التي صنفها للصاحب ، حدثنا الحسين بن ابراهيم الباقطانى قال : كان ابراهيم ابن العباس صديقاً لاسحاق بن ابراهيم اخي زيدان الكاتب المعروف بالزمن فنسخ له شعره في الرضا وقت منصرفه من خراسان ، وفيه شيء بخطه ، فكانت النسخة عنده إلى ان ولى ابراهيم ديوان الضياع للمتوكل ، وكان قد تباعد بينه وبين ابراهيم ، فعزله ابراهيم عن ضياع كانت بيده وطالبه بمال وشدد عليه فدعا اسحاق بعض من يثق به ، وقال له : امض إلى ابراهيم واعلمه ان شعره في الرضا كله عندي بخطه وغير خطه ، فان لم يترك المطالبة عنى لأوصلنه إلى المتوكل ، فسار الرجل إلى ابراهيم برسالته ، فضاقت به الدنيا حتى اسقط عنه المطالب واحرق هو جميع ما عنده من شعره بعد ان حلف كل منهما لصاحبه .

قال الباقطاني فحدثني علي بن يحيى المنجم قال : قال لي ابى انا كنت السفير بينهما حتى اخذت الشعر واحرقه ابراهيم بحضرتي ، قال : وحدثني احمد بن ملحان : قال كان لابراهيم ابنان اسمهما الحسن والحسين يكنيان بابى محمد وابى عبد الله ، فلما ولي المتوكل سمي الاكبر اسحاق وكناه ابا محمد ، وسمي الآخر عباساً وكناه ابا الفضل ، كل ذلك فزعا من المتوكل .

قال الصولي : وهو غير ابراهيم .

حدثني أحمد بن اسماعيل بن الخصيب قال: ماشرب ابراهيم بن العباس ولاموسى ابن عبد الملك الاصفهانى الكاتب النبيذ قط ، حتى ولي المتوكل فشرباه فكانا يتعمدان ان يجمعا القينات والمخنثين ويشربان بين ايديهم كل يوم ثلاثاً ليشيع الخبر بشربهما ، وله اخبار كثيرة في تقيته ليس هذا موضع ذكرها .

حدثنا احمد بن اسماعيل بن الخصيب قال : لما ولى الرضا العهد خرج اليه ابراهيم بن العباس ودعبل واخوه رزين وكانوا لا يفترقون ، فقطعت عليهم الطرق فالتجؤا إلى ان ركبوا إلى بعض المنازل حيراً كانت تحمل الشوك ، فقال ابراهيم :

اعيدت بعد حمل الشوك حمالا من الحرف
نشاوى لا من الخمر بل من شدة الضعف

ثم قال لرزين اجز انت فقال :

فلو كنتم على ذا كم تصيرون إلى النصف
تساوت حالكم فيه ولم تبقوا على الخسف

ثم قالا لدعبل اجز قولنا ، فقال :

إذا فات الذي فاتا فكونوا من بني الظرف
وخفوا بنصيف اليوم انى بائع خفى

وقال ابو الفرج علي بن الحسين الاموي الاصفهانى : وكان محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها .

وأما ابراهيم بن العباس واخوه عبد الله فكانا من وجوه الكتاب ، وكان عبد الله اسنهما واشدهما ، وابراهيم آدبهما واحسنهما شعراً .

وكان يقول الشعر ويختاره ، ويسقط اوله ثم يسقط الوسط ، ويسقط ما سبق اليه ، فلا يدع من القصيدة إلا اليسير ، وربما لم يدع إلا بيتاً او بيتين .

وكان ابراهيم واخوه من صنائع ذي الرياستين .

وتنقل ابراهيم في الاعمال الجليلة إلى ان ملت بسر من رأي .

وكان دعبل يقول : لو تكسب ابراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء .

واخبر ابو بكر الصولى قال : انصرف ابراهيم بن العباس من دار المتوكل يوما ، فقال لنا : انا والله مسرور بشيء ، فقلت : وما ذاك اعزك الله ؟ قال : كان احمد بن المدبر رفع إلى امير المؤمنين ان بعض عمالى اقتطع مالا ، وكان صادقاً فيما قال ، وما كنت رأيت الهلال على وجه امير المؤمنين إلا تلك الساعة ، فدعوت له وضحك إلى ، فقال لى : ان احمد بن المدبر قد رفع على عاملك انه اقتطع من المال كذا . . وكذا . . فعلمت انه صادق ، وضاقت علي الحجة ، وخفت ان احقق قوله ذلك ان اعترفت ، ثم لا ارجع منه إلى شيء فيعود علي العزم ، فعدلت عن اقامة الحجة إلى تدبير الحيلة ، فقلت :

رد قولى وصدق الاقوالا واطاع الوشاة والعذالا
اتراه يكون شهر صدود وعلى وجهه رأيت الهلالا

فتهلل وقال : لا يكون والله كذا ، فبحياتى يا ابراهيم زدها بيتين حتى يغنى فيهما ، فقلت : نعم يا سيدي على ان لا يطالب صاحبي بقول احمد ، فقال للوزير : يقبل في المال قول صاحبه ، فسررت للظفر واغتممت لبطلان هذا المال وذهابه بهذه الحيلة ، ولعله قد جمع في زمن طويل ، وبعد تعب شديد .

قلت : وهذا من سحر الشعر ، ومن الحيلة بالشعر ماحكي ان محمد بن السائب الشاعر الانطاكى قال: كنت مع جماعة من الشعراء قصدوا اسحاق بن ايوب الثعلبي

امير الموصل والجزيرة مادحين له ومؤملين فضله فلم يعطنا شيئاً ، وطال مقامنا لديه وكان يعشق بدعة جارية غريب المأمونية ، فقلت : والله لأخدعنه ، وتوصلت حتى وقفت بين يديه فقلت :

تدرون ما قالت لأترابها في السر منا بدعة العالم

قال : فاقبل علي وهش إلي وقال : ويلك ما قالت ، فقلت :

بالله ان صغتن لي خاتماً فانقشن اسحاق على الخاتم

فارتاح وطرب واهتز وقال : مليح والله قالت ، ثم امر لي بمائة دينار وحملني على فرس رائع بموكب ثقيل ، والبسني خلعة سنية ، وقال : هذا لك في كل سنة ، ولم يعط احداً من الشعراء غيري .

وكان اسحاق قد أسر صبياً من ابناء بطارقة الروم ، بديع الجمال ، فاهداه إلى بدعة ، فكان يحمل عودها ويحضر معها ، فقال فيه بعض شعراء وقته :

عجب الناس من رقاعة اسحاق وفعل اتاه غير جميل
حين اهدى إلى الغزالة ظبياً ذا قوام لدن وخد اسيل
اتراها تعف عنه إذا ما خلوا للعناق والتقبيل
فكاني بذيل بدعة قد صار لصيقاً للقرطق المحلول
قلت لا تنكروا فان له عذراً صحيح القياس غير عليل
بعدت دارها وقام عليه فاشتهي ان ينيكها برسول

ومن شعر ابراهيم وهو معنى غريب :

ان امرء أضن بمعروفه منى لمبذول له عذرى
ما انا بالراغب في عرفه ان كان لا يرغب في شكرى

وقال لابي جعفر محمد بن عبد الملك الزيات وزير الامام الواثق وكان يعادي إبراهيم

ابا جعفر خف خفضة بعد رفعة وقصر قليلا من مدى غلوائكا
لئن كان هذا اليوم يوما رجوته فان رجائى في غد كرجائكا

وله من الحكم :

خل النفاق لاهله وعليك فالتمس الطريقا
واذهب بنفسك لاترى إلا عدواً او صديقا

وقوله :

اميل مع الذمام على ابن امى وآخذ للصديق من الشقيق
افرق بين معروفي وبيني واجمع بين مالى والحقوق
فان الفيتني حراً مطاعا فانك واجدي عبد الصديق

وقد اجاد ماشاء ، وفيه من صناعة البديع المقابلة . وكتب إلى ابن الزيات يعاتبه:

وكنت اخي باخاء الزمان فلما نبا صرت حربا عوانا
وكنت أذم اليك الزمان فاصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت اعدك للنائبات فاصبحت اطلب منك الامانا

وله فى الفضل بن سهل :

اسد ضار إذا هيجته وأب بر إذا ما قدرا
يعرف الابعد ان اثرى وما يعرف الادنى إذا ما افتقرا

وهذان البيتان يطرب لهما الجماد ، ولم اسمع في الشعر بامدح منهما ولا اجزل مع حسن الصناعة في المقابلة .

وله يهنى ذا الرياستين الحسن بن سهل بمصاهرة المأمون :

هنتك اكرومة جللت نعمتها سرّت وليك واجتثت اعاديكا
ما كان يحيي بها إلا الامام وما كانت إذا قرنت بالخلق تعدوكا

وقال صاحب الاغاني : ان ابراهيم صنع ثلاثة ابيات ونحلها النابغة ، فلم يشك من سمعها انها للنابغة إلا من روى جميع شعره حتى اخبرهم انها له ، وهى :

لنا ابل كوم يضيق بها الفضا وتفتر عنها ارضها وسماؤها
فمن دونها ان تستباح دماؤنا ومن دوننا ان تستباح دماؤها

حمى وقرى فالموت دون لقائها واهون شيء يوم حق فناؤها

قلت : لا يشتبه شعر شاعر بشعر النابغة إلا وهو فى طبقته .

وقال ابو الفرج : لما انحرف محمد بن عبد الملك الزيات عن ابراهيم تحاماه الناس ، وكان الحارث بن تسخير صديقه فهجره ايضاً ، فكتب اليه :

تغير لي فيمن تغير حارث وكم من اخ قد غيرته الحوادث

أحارث ان شوركت فيك فطالما غنينا وما بيني وبينك ثالث

وقال : لما اتاه خبر موت ابن الزيات في تنور المذاب :

لما اتانى خبر الزيات وانه قد صار في الاموات

ايقنت ان موته حياتى

قال صاحب نسمة السحر : وشعره لا يخلو عن البديع ، وقد ذكرت منه ما لو تلي لافاق به الصريع .

وروى ابو الفرج في الاغاني: ان المتوكل بعث إلى ابراهيم يأمره ان يصف له القدور الابراهيمية ، وهو كان ابدع صنعتها على عادته في الابداع ، وقدرته على الاختراع ، فكتب له صنعتها ، وكتب له في ذكر الابازير وزن دانق وانسى أي شيء هو ، فلما وصلت اليه الصفة اغتاظ ، ثم قال : لعلي بن يحيى صاحب المصلى احلف بحياتى ان تقول له ما آمرك به ، ففعل ، فقال له ارجع اليه وقل له : وزن دانق من أي شيء من بظر امك ؟ قال علي : فدخلت عليه فقلت : اتيتك في رسالة عزيز علي ان أوأديها ، قال : هاتها فأديتها ، فقال : ارجع اليه فقل له يا سيدى ان علي بن يحيى صديق واخي ، وقد ادى الرسالة ، فان رأيت ان تجعل الدانق من بظر امي وامه ، تفضلت بذلك ، فقلت : قبحك الله ، وانا ايش ذنبي ، قال: قد أديت الرسالة وهذا جوابها ، فوصلت إلى المتوكل ، فلما رآنى قال ايه ما قال لك ؟ قلت : قبح الله ما جئتك به واخبرته بالجواب ، فضحك حتى فحص برجليه وجعل يشرب عليه بقية يومه ، فاذا لقيته قال لي : يا علي وزن دانق من اي

شيء ؟ فأقول : لعنة الله على ابراهيم .

وقال ابو الفرج : واخبر من رأى ابراهيم وقد لبس سواده يقول لغلامه هات ذاك السيف الذى ما ضر الله به احداً غيري .

وهـذا دليل لطفـه ودماثة خلقه والعرس الذي عني به ابراهيم ذا الرياستين الحسن بن سهل لما زوج ابنته خديجـة الملقبة بوران بالمأمون في شهر رمضان بفم الصلح ، وهو عرس لم يعمل مثله ملك في الاسلام صار تاريخاً ، وأوقد لما جليت عليه من جملة الشموع شمعة عنبر وزنها اربعون منّاً بالبغدادي في نور ذهب فامتلأ المجلس من دخانها حتى ضج الخليفة ، وقال : هذا سرف .

وكان الفرش من ذهب منسوج له بريق مع الشموع ، فكانه برق تلألأ ونثرت جدتها ام الحسن عليها مائة حبة در من الكبار النفائس .

وكان من حضر من بنات الخلفاء : كعلية بنت المهدي ، وحمدونة بنت الرشيد ، وعدة منهن زبيدة ، والبستها زبيدة البدلة الجوهر التي وهبها لها الرشيد ولم تمـد واحدة منهن يدها إلى النثار ، فقال المأمون : شرفن ابا محمد واكرمنها ، فأخذت كل واحدة منهن حبة وبقى سائره يلوح على الحصير الذهب ، فقال المأمون قاتل الله الحسن بن هانىء ، كأنه شاهد هذا حين يقول في الحباب :

كان كبرى وصغرى من فواقمها حصباء در على ارض من الذهب

ثم جمعه كله بيده ووضعه في حجرها وقال لها : سليني حوائجك فصمتت فقالت لها جدتها كلمي سيدك ، فسألته ان يرضى عن ابراهيم بن المهدي ، فقال : قد فعلت وسألته ان يأذن لزبيدة في الحج ، فاذن لها .

وقيل : ان المأمون لما خلا بها ارادها ، فقالت : انى امر الله فلا تستعجلوه فعرف انها حاضت .

فلما اصبح دخل عليه احمد بن يوسف الكاتب ، فقال : هنى الله امير المؤمنين بما اخذ من الامير باليمن والبركة ، وشدة الحركة ، والظفر في المعركة .

فانشده المأمون يعرض بحيضها :

فارس ماض بحربته عارف بالطعن في الظلم

رام ان يدمي فريسته فاتقته من دم بدم

فعرض له باحسن ما يكون من التعريض .

ورأيت في تاريخ القاضي الفاضل الأديب احمد بن خلكان : ان ابا اسحاق ابراهيم بن عرفة المنبوز بنفطويه النحوي الاديب قال : كنت عند الوزير القاسم ابن عبيد الله بن سليمان بن وهب وزير الامام المقتدر مع جماعة من الاعيان فجاء اليه غلام أسر اليه شيئاً ، فتهلل وجهه وقام مسرعا إلى دار الحرم ، فلبث قليلا ، ثم عاد الينا منكسر ، فلما قمد سألناه ، فقال : ان فلانة المغنية كانت تتردد الينا ولها جارية من جواريها اعجبتني ، فسألتها ان تبيعها مني بما احتكمت ، فلم تفعل وألححت فلم تجب فجاء الغلام الذي رأيتم الساعة واخبرني انها اهدتها إلي فاخذني السرور . ولم املك نفسي ونهضت مبادراً لافتضاضها وإذا بها حاضت ساعة دخولها فاصابني غم شديد على ما فاتني منها ، فانشدته ارتجالا : (فارس ماض بحربته) فانجلى همه ، وامر لي بجائزة .

قلت : يمكن ان نفطويه انشده بيتي المأمون لتشابه الواقعتين لان الرواة اطبقوا انهما للمأمون .

وكان الحسن بن سهل ينفق مدة اقامة المأمون عنده بفم الصلح اربعين يوما على ستة وثلاثين الف ملاح ، فما الظن بغيرهم من الروساء والجند والرعية ، ونادى برئت الذمة ممن اضرم ناراً في مضربة لطبيخ ، وقام بالجمع من ماله ، ولما عز الحطب امرهم بغمس الحصير في حياض الزيت وايقاده . . أقول :

تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وعتبه المأمون في كثرة الانفاق ، فقال : يا امير المؤمنين ان الله رفع قدرك فوق كل احد ، فاردت ان يكون نكاحك بقدر رفعتك ، وليس ما انفقه من مال

سهل ، انما جميع ذلك مما انعمت به من مالك .

قال الثعالبي وغيره : ونثر الحسن رقاعا باسم ضياع له وعقار وبساتين على الكتاب والحاشية والعامة فكل من اصاب رقعة منها شهد له بما فيها وسجل له .

وبلغت نفقة الحسن عشرة آلاف الف دينار ، فلما ارتحل المأمون امر له بعشرة آلاف الف دينار واقطعه الصلح وسوغ له خراج مصر .

وقال روح بن مقاتل : لما عرس المأمون ببوران كتبت اليه حظيته غريب المغنية الاديبة تهنيه بقولها :

انعم تخطتك عيون الردى ... بزف بوران مدى الدهر
بيضة خدر لم يزل نجمها ... بنجم مأمون الورى يجري
حتى استقر الملك في حجرها ... بورك في ذلك من حجر
ياسيدي لاتنس عهدي وما ... اطلب شيئاً غير ما تدري

فوقعت بوران على الرقعة ، فقالت : قد عرفت ما تريد .

ثم قالت : يا امير المؤمنين انعم بالاذن في زفها اليك ، فهو والله مكافأتها على شعرها ، فقال : ذلك اليك ، فزفت غريب اليه ، فسر المأمون بما اجتمع له من الالف بين حظيته وزوجته ـ وقد تقدم ذكر غريب هذه ـ

وأما ذو الرياستين ابو محمد الحسن بن سهل واخوه الفضل : فكانا من الكرم والفضل وبسطة الايدي في الدنيا ، والحظ عند الخليفة والشجاعة والعلم ، خاصة علم النجوم ، فان الفضل كان اماماً مبرزاً فيه واستوزر المأمون الفضل وهو يومئذ امير بخراسان قبل ان يلي الخلافة ، ثم مدة فتنة الامين وبعد قتله .

ثم استوزر الحسن بعد قتل الفضل ، وكان الحسن شديد الشفقة على الفضل فلما قتل الفضلة اصاب الحسن سوداء حتى قيد بسببها .

وكان الفضل متشيعاً وهو الذي حسن للمأمون عقد العهد للرضى عليه السلام ثم عظم حاله حتى ضاق المأمون في جارية اراد شراءها ، فقتله غيلة وهو بالحمام في

في مدينة سرخس يوم الخميس ثاني شعبان سنة اثنتين ، وقيل : سنة ثلاث ومائتين ثم اظهر عليه الحزن ، وقتل قتلته .

ومما يؤثر من اصابته في النجوم: انه عقد لواء لذي اليمينين طاهر بن الحسين لما وجهه المأمون لقتال اخيه الامين ، وهو يومئذ بمدينة مرو ، وقال : عقدت لك لواء لا ينحل خمساً وستين سنة ، فخرج طاهر في اربعة آلاف فارس ، فلقيه علي ابن عيسى بن ماهان في مائة الف فارس او يزيدون بالسيوف المحلاة والعدة المذهبة حتى ان الارض لتشرق بهم ، فقتله طاهر وفض جيشه اللهام واستباحه ، ولم يبرح طاهر وبنوه في ولايات وسيادات ، حتى نجم الصفار فازال ملكهم من سادياج نيشابور ، وقبض على اولاد اولاده يوم الاحد الثانى من شهر شوال سنة تسع وخمسين ومائة ، وهي آخر تلك المدة التي حدها الفضل .

والعجب الاخير من اصابته : ان المأمون طالب والدته بما خلف ، فاحضرت اليه صندوقا من جملة المخلف ، وإذا داخله صندوق صغير ففتحه ، فاذا فيه درج من حرير ، وداخله رقعة مكتوب عليها بخطه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماقضاه الفضل بن سهل على نفسه ، قضى انه يعيش ثمانياً واربعين سنة ثم يقتل ما بين ماء ونار ، وكان عمره ما ذكر .

وسرخس ـ بفتح المهملة والراء واسكان الخاء المعجمة وبعدها سين مهملة ـ مدينة مشهورة من اقليم خراسان .

ومرو : مشهور منه ايضاً وهما مروان ، احدهما : مرو الرود اضيف إلى نهر بشطها ، والأخرى وهى العظمى مرو الشاه جهان : وهي احدى قواعد المملكة فانها متسعة .

والصلح ـ بفتح الصاد المهملة واسكان اللام وبعدها حاء مهملة ـ نهر كبير بناحية بغداد عليه قرى عامرة كبيرة وضياع .

وخراسان : من الاقليم الخامس .

وذكر الاصبهاني : ان ابراهيم الصولى توفى بسر من رأى في نصف شعبان سنة ثلاث واربعين ومائتين رحمه الله .

قال ابن ابى الحديد في الفلك الدائر : الفاء ليست للفور بل هى للتعقيب على حسب ما يصح ، أما عقلا او عادة ، ولهذا صح ان يقال دخلت البصرة فبغداد وان كان بينهما زمان كثير لكن يعقب دخول هذه دخول تلك على ما يمكن بمعنى انه لم يمكث بواسط مثلا مدة اقامة يخرج بها عن حد السفر إلى ان دخل بغداد. هذا الذي يقوله اهل اللغة ، واهل الاصول وليست الفاء للفور الحقيقى الذي معناه حصول ، هذا بعد هذا بغير فصل ولا تعب ، ألا ترى قوله تعالى (لاتفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) فان العذاب متراخ عن الافتراء .

قال الصفدي رحمه الله : قد تحذف الفاء مع المعطوف بها إذا أمن اللبس وكذلك الواو ، فمن حذف الفاء قوله تعالى (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم) وقوله تعالى (فمن كان منكم مريضاً اوعلى سفر فعدة من ايام أخر) معناه فافطر فعليه عدة .

وهذه الفاء العاطفة يسميها ارباب المعانى الفاء الفصيحة ، فاعرف ذلك .

﴿ فائدة ﴾

الجبن والبخل صفتان محمودتان في النساء ، مذمومتان في الرجال ، لان المرأة إذا كان فيها شجاعة ربما كرهت بعلها فاوقعت به فعلا ادى إلى الهلاك ، اوتمكنت من الخروج من مكانها على ما تراه ، لانها لا عقل لها يمنعها مما تحاوله ، وانما يصدها عن ذلك الجبن ، إذا كان عندها .

وفي كتاب الفرج بعد الشدة : حكاية غريبة جرت لبعض الغرباء مع ابنة القاضى بمدينة الرملة امسكها بالليل وهى تنبش القبور ، وكانت بكراً فضاربته فضربها بالسيف فقطع يدها وهربت منه ، فلما اصبح الصبح رأى كفها ملقى وفيه

النقش والخواتم ، فعلم انها امرأة ، فتتبع اثر الدم إلى ان رآه دخل بيت القاضى فما زال يتبع حتى عرف انها ابنة القاضى وتزوجها .

فلما كان بعض الليالى لم يشعر بها إلا وهى على صدره وبيدها سكين عظيمة فما زال بها حتى قام لها بطلاقها وخروجه من البلد في وقته ، فامسكت عنه وخرج من البلد وكفاه الله شرها .

وإذا كانت المرأة سخية جادت بما في بيتها ، فاضر ذلك بحال زوجها ، ولان المرأة ربما جادت بالشيء في غير موضعه ، وقال الله تعالى : (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم) قيل : هم النساء والصبيان والله اعلم .

هذه القصيدة للفاضل الأديب جمال البلغاء علي المغربى ، والمصراع الاول هذيان جرى على لسانه وهو محموم :

درن درن درن دبى انا علي المغربى
صناجتى تهيء عساكرى تأهبي
ها قد ركبت للمسير في البلاد فاركبي
انا الذي اسد الشرى في الحرب لا تحفل بى
إذا عطيت وقرقعت عليهم ذنبي
أنا امرؤ انكر ما يعرف اهل الادب
ولى كلام نحوه ليس كنحو العرب
يصانع القراء في النحو بجلد الثعلب
ويقصد التثليث في نتف سبال قطرب
فان سألت مذهبي فذاك خير مذهب
آكل ما احبه ورغبتي في الطيب
والبس القطن ولا اكره لبس القصب
وليس عشقى مثل عشق الجاهل الغر الغبى

احب من يحبني لا من غدا معذبي
وكل قصدي خلوة اكون فيها مع صبي
فنجتلي بنت الكروم او بني العنب
ونبتدي نأخذ في الشكوى وفي التعتب
حتى إذا ما جاد لي برشف ذاك الشنب
حكمته في الرأس إذ حكمني في الذنب
ونلت ما ارومه منه ببذل الذهب
هذا هو المذهب ان سألتني عن مذهبي
ما انا ذا ترفض كلا ولا تنصب
ولا هوى نفسي في الجدال والتعصب
ولا جلست جانبا في الجمع فوق الركب
بين امرىء مصدق وآخر مكذب
كلا ولا فاخرت بالنفس ولا بالنسب
ما قلت قط ها انا ولم اقل كان ابي
ولم ازاحم ابدا على علو منصب
ولا دخلت قط في عمري بيت الكتب
كلا ولا كررت درسي في ظلام غيهب
ولا عرفت النحو غير الجر بالمنتصب
كلا ولا اجتهدت في حفظ لغات العرب
ولا عرفت من عروض الشعر غير السبب
ولا بحثت منه في المجتث والمقتضب
كلا ولا اشتغلت بالنجوم والتطبب
وليس في المنطق والحكمة اضحي اربي

واين مني البحث في البسيط والمركب
والسحر ما عرفته معرفة المجرب
ولا ربطت ضفدع الماء بصوف الارنب
ولا كتبت اسم من اهوى بماء الطحلب
ولا سحرت باللبان مع قشور المحلب
ولا طلبت السيمياء من فتى يسخر بى
ولست آتى قط في فصل الشتا بالرطب
والكيمياء لم اكن انفق فيها نشبي
وليس في التقطير والتكليس اضحى تعبي
ولا طمعت في المحال قط مثل اشعب
كلا ولا مخرقت الناس لاجل الطلب
ولا ضربت مندلا لجاهل يمر بى
ولا حملت طاسة اقرعها بالقضب
كلا ولا اظهرت في المندل رأس قهرب
ولا دعوت الشيبان دعوة لم يجب
كلا ولا ذكرته عهد سليمان النبي
ولم اقل لامرأة في حلقتي قومي اذهبي
ولم اقل بينكم ابن الزنا مخيب
اريد ان اطرده عني إلى ذى لعب
أوهمهم كي لا يروح جمعهم في شعبي
ولا كتبت الهذيان شهلب بن شهلب
في كاغد باحمر واسود مكتب
أقول هذا للسلاطين واهل الرتب

يصلح للمحبوس او لمن غدا في كرب
ارد يا قوم به مسافراً لم يؤب
كتبت فيه دعوة عن ذي العلى لم تحجب
والسر في طلسمه المبغض المحبب
ولا اتخذت حية لأجلها سبى
اقول يا قوم انظروا عندى فنون العجب
فحيتي هذي لها رأس كرأس الارنب
قد كان قدماً صادها في بلد الغرب ابى
كلا ولا بعث المعاجين على الغر النجي
أقول اين طالب الباه وراجي العقب
هذا الذي يجعل متن ايره كالخشب
كلا ولا خاطبتكم بلفظ اهل المغرب
أقول هذا مقصدي اليكم من يثرب
وقد صحبت حاجة زارت معي قبر النبي
ولم احدثكم بما رأيته من عجب
وانني سافرت في البحر لأجل المكسب
فعاندتنا حوتة تروم كسر المركب
حتى إذا ما غرق المركب بالتقلب
طفوت فوق ساجه وذو العلى يلطف بى
ولاح لي جزيرة تلوح مثل كوكب
لما وصلت ارضها بعد العنا والتعب
صعدت ارعى في رياض ارضها والعشب
اصطاد من طيورها في ارضها بالقصب

آكل من ثمارها ما طعمه كالرطب
ومشربي من مائها العذب النمير الطيب
بينا انا في صعد من ارضها او صبب
لقيت شيخاً جالساً في ظل كرم العنب
لوح لي بكفه يعني به تقربي
فرحت امشي نحوه أنظر ما يريد بي
فسلم الشيخ سلام مؤذن بالرحب
وقال لي اجلس بكلام غير لفظ العرب
لما هممت بالجلوس صار فوق منكبي
مطوق منه بساقات بغير ركب
طويلة مثل السواري او حبال القنب

﴿ ترجمة الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الطاهر ذي المناقب ﴾
(أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم الأصغر ابن موسى)
(الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي)
(ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام)

وقد تقدم ذكر اخيه الشريف الرضي ، وكان هذا الشريف نقيب الطالبيين . وكانت ولادته في سنة خمس وخمسين وثلثمائة .

وكان إماماً في علم الكلام والأدب ، وله تصانيف على مذهب الشيعة ، ومقالات في اصول الدين ، وله ديوان شعر كبير ، وكان مجيداً في وصف الطيف وله الكتاب الذي سماه الدرر والغرر ، وهي مجالس املاها تشتمل على فنون من معاني الأدب ، تكلم فيها على النحو واللغة وغير ذلك .

وهو كتاب عزيز الوجود يدل على فضل كبير وتوسع في الاطلاع على العلوم .

وقال ابن بسام في اواخر كتاب الذخيرة : كان الشريف المرتضى إمام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق اليه انتمى علماؤها ، وعنه اخذ فضلاؤها صاحب مدارسها ، وجماع شاردها ، ومعمر دارسها ، ممن سادت اخباره ، وعرفت به اشعاره ، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره ، وتآليفه في الدين ، وتصانيفه في احكام المسلمين ، مما تشهد على انه فرع تلك الاصول ، ومن اهل ذلك البيت الجليل بيت الرسول ، ومن مقاطيعه رحمه الله تعالى قوله :

ضن عني بالنزر إذ كنت يقظان واعطى كثيره في المنام
والتقينا كما اشتهينا ولا عتب سوى ان ذاك في الاحلام
وإذا كانت الملاقات ليلا فالليالي خير من الايام

ومن شعره ايضاً :

ولما تفرقنا كما شاءه النوى تبين ود خالص وتودد
كأني وقد سار الخليط عشية اخو جنة مما اقوم واقعد

وحكي الخطيب ابو زكريا يحيى بن عيسي التبريزي : ان ابا الحسن علي بن احمد بن علي بن سلك القالي الاديب كان له نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد في غاية الجودة ، فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها ، فاشتراها الشريف المرتضى المذكور بستين ديناراً فتصفحها فوجد فيها ابياتاً بخط بائعها المذكور ، وهي :

أنست بها عشرين حولا وبعتها فقد طال وجدي بعدها وحنيني
وما كان ظني انني سأبيعها ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعف وافتقار وصبية صغار عليهم تستهل شؤني
فقلت ولم املك سوابق عبرتي مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا ام مالك كرائم من رب بهن ضنين

فارجع النسخة اليه ، وتكرم بالدنانير عليه رحمة الله عليه وعلى والديه .

وكانت وفاة الشريف المرتضى عليه الرحمة والرضى يوم الاحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ست وثلاثين واربعمائة ببغداد ، ودفن في داره عشية ذلك النهار رحمه الله تعالى ، وافاض وابل غفرانه على ضريحه المقدس ووالى .

﴿ فائدة ﴾

اعلم ان حقيقة الهوى هو الدليل إلى الباطل ، وهو خلق النفس وسجيتها ، فجميع ماتميل اليه النفس من الاباطيل فهو الهوى ، وإذا نظرت في الاشياء وميزتها وجدت الهوى اصل كل فتنة وبلية على اختلاف احواله ، وتنوع اطواره لانه مصدر الاباطيل ، ومنشأ الاضاليل ، وله حالة شبيهة بالسكر تعتري الانسان فتمنعه من التمييز لما قد غلب على عقله من نشوة الهوى ، فجانب الهوى ونزه فؤادك عنه فانه يشينك في دينك ومروءتك كما قيل :

إذا تابعت الهوى قادك الهوى إلى كل ما فيه عليك مقال

ولابن الخيمي :

يا طالباً للعز هاك نصيحتي لفظاً على المعني البديع وجيزا
ما الذل إلا في مطاوعة الهوى فاذا عصيت هواك كنت عزيزا

وقال عبد الله بن المقنع : إذا عرض لك ابداء امرين لم تدر ايهما اصوب فانظر ايهما اقرب إلى هواك فخالفه ، فان اكثر الصواب فى مخالفة الهوى كما قيل :

إذا حار وهمك في معنيين واعياك غي الهوى والصواب
فخالف هواك فان الهوى يقود النفوس إلى ما يعاب

وقال الآخر :

إذا مادعتك النفس يوماً بشهوة وكان عليها للخلاف طريق
فخالك هواها ما استطعت فانما هواك عدو والخلاف صديق

قيل : من تدنى بالركون إلى السفليات ، دنت همته بالانحطاط عن العلويات وان كان من ارباب المقامات ، وذوي النهايات ، بل تكون المؤاخذة في حق هؤلاء اشد وتعجيل اسرع فيحجبون عن مكاشفاتهم ، وينزلون عن مراتبهم ، ويفقدون منزلتهم ، بهفوة تصدر منهم في بعض الاحوال ، من جنس حديث النفس المعفو عن المؤاخذة به غيرهم ، وغير ذلك من الصغائر التي يعدها منصبهم لجلالته من الكبائر كما قيل :

إذا ما سما الاواب حالا وهمة إلى الملإ الأعلى واثبته النص
هناك تخاف العين طمساً لانه صغيرته محو وهفوته نقص

قال رسول الله ﷺ : من تكفل لي ما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة فاللسان اخص بالقلب من جميع الجوارح ، لانه المعبر عنه ، فمن تكلم في شيء من الفضول وهو غني عنه اسود بذلك وجه قلبه واظلم حتى ينتهي الظلام إلى اماتة قلبه ، فكل متكلم على حافظية يملي ، فمن شاء فليقلل ، ومن شاء فليكثر فتحفظ من ذلك جهدك . قال الله تعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) .

وفي الحديث (ان الرجل ليتكلم بالكلمة فيهوى بها في النار سبعين خريفاً وقتل شهيد في المعركة) فقيل : هنيئاً له بالجنة ، فقال رسول الله ﷺ : ما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ، او يبخل بما يعنيه .

وقال رسول الله (ص) : رحم الله امرأ امسك فضل لسانه وعلم ان كلامه محصى عليه .

وقيل : لو قيل للطمع من ابوك ؟ قال : الشك في المقدور ، ولو قيل له : ما حرفتك ؟ قال : اكتساب الذل ، ولو قيل له : ما غايتك ؟ قال : الحرمان ، وهذا في الدنيا .

وأما في الآخرة فان الله سبحانه وتعالى امر بالزهد في الدنيا والقناعة بما قسم من الرزق واظهار التعفف والاستغناء عن الخلق ، وقطع النظر عنهم والطمع يناقض

هذا كله ، واحسن ما قيل في المعنى قول السبتي :

كفى من العيش ما قد سد من عوز وفيه للحرص فينان وعيان
وذو القناعة راض عن معيشته وصاحب الحرص ان اثرى فغضبان

وأنشد الشيخ العارف بالله ابن عطاء الله الشاذلي :

بكرت تلوم على زمان اجحفا فصدفت عنها علها ان تصدفا
لا تكثري عتباً لدهرك انه ما ان يطالب بالوفاء ولا الصفا
ما ضرني ان كنت فيه خاملا فالبدر بدر ان بدا او ان خفى
الله يعلم انني ذو همة تأبى الدنايا عفة وتطرفا
لم لا اصون عن الورى ديباجتي واريهم عز الملوك تشرفا
أ أريهم انى الفقير اليهم وجميعهم لا يستطيع تصرفا
أم كيف اسأل رزقه من خلقه هذا لعمري ان فعلت هو الجفا
شكوي الضعيف إلى ضعيف مثله عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذى احسانه عم البرية منة وتلطفا
والجأ اليه تجده فيما ترتجي لا تغد عن ابوابه متحرفا

وأما المشغول بما لا يعنيه ، فحسبه من المقت والخسران باشتغاله بما لا يعنيه من امر دنياه وآخرته بفوته ما يعنيه ويحتاج اليه من امرهما ، فيندم على تضييع الانفاس في وقت يبين له فيه الافلاس ، ولا ينفعه حينئذ ندمه ، بل يتأسف على ما فرط فيه وقدمه .

واعلم ان الشيطان إذا عجز عن استعمال الانسان ألهاه فى قبيح شغله بما لا يعنيه ، مما لا نفع فيه ، فيلهو بذلك من الاشتغال بما ينفعه من الطاعات والاعمال الصالحة ، فان الشيطان يرضى منه بتضييع عمره في غير فائدة ، لعلمه ان عمره جوهر نفيس بل كل نفس منه جوهر لا قيمة له ، فيذهب في غير شيء ، فهذا خسران فانه لو صرفه في طاعة لربح فاياك وما لا يعني ، فانه من اشتغل بغير المهم اضر بالمهم .

واعلم ان عمرك انفاس معدودة ، وكل نفس من انفاسك جوهرة لا قيمة لها فالمشتغل بالفضول كمن اخذ جوهرة نفيسة ورمى بها في مزبلة ، فهو ظالم لان معنى الظلم وضع الشيء في غير موضعه . قال القائل :

نفائس انفاس اضعت وانها لثمنة لو لم يكن عرفان

قال معروف الكرخي : علامة مقت الله للعبد ان يراه مشتغلا بما لا يعنيه من امر نفسه .

وفي الحديث : من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ، أي وهو ما لا حاجة له به .

وقال بعضهم : طلبت الراحة لنفسي فلم اجد شيئاً اروح لها من تركها ما لا يعنيها ، جعلنا الله واياكم ممن اشتغل بما يعنيه ، وترك ما لا يعنيه .

كتب علي بن صلاح الدين يونس ملك الشام إلى الامام الناصر لدين الله يشكو اليه اخويه ابا بكر وعثمان وكانا قد خالفا وصية ابيهما له :

مولاي ان ابا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وكان بالامس قد ولاه والده في عهده فاضاعا الامر حين ولي
وخالفاه وحلا عقد بيعته والامر بينهما والنص فيه جلي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي من الاواخر ما لاقى من الاول

فوقع الخليفة الناصر على ظهر كتابه بهذه الابيات .

وافى كتابك يا ابن يونس منطقاً بالحق يخبر ان اصلك طاهر
منعوا علياً ارثه إذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا عليه حسابهم وابشر فناصرك الامام الناصر

قيل : البليغ من يحول الكلام على حسب الامانى ، ويخيط الالفاظ على قدر المعانى ، والكلام البليغ هو ما كان لفظه فحلا ومعناه بكراً .

وقيل لاعرابى : من ابلغ الناس ؟ قال : اقلهم لفظاً ، واحسنهم بديهة .

وقال الامام فخرالدين الرازي في حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما يقول في قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل .

وقال فيلسوف : كما ان الآنية تمتحن باطنانها فيعرف صحيحها ومكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله بمنطقه .

وحكي ان رجلا شاعراً كان له عدو كبير فبينما هو سائر في البر ذات يوم من الايام وإذا بعدوه يمشي إلى جانبه ، فعلم الشاعر ان عدوه قاتله لا محالة ، فقال له : يا هـذا انا اعلم ان المنية قد حضرت ، ولـكن سألتك بالله إذا انت قتلتني فامض إلى داري وقف بالباب وناد : ألا ايهـا البنتان ان اباكما ـ وكان للشاعر ابنتان ـ فلما اتى اليهما الرجل وسمعتاقوله ألاايها البنتان ان اباكما ، اجابتاه: قتيل خذ الثار ممن اتاكما ، ثم تعلقا بالرجل وحملاه إلى الحاكم ، فاستقره فاقر ، فأمر بقتله ، فقتل بابيهما .

ومن حكايات الفصحا ما حكي ان عبد الملك بن مروان جلس يوماً وعنده جماعة من خواصه واهل مسامرته ، فقال : ايكم يأتيني بحروف المعجم من بدنه وله علي ما يتمناه ، فقام اليه سويد بن غفلة ، وقال : انا يا امير المؤمنين ، قال : هات ، فقال : انف ، بطن ، ترقوة ، ثغر ، جمجمة ، حلق ، خد ، دماغ ، ذكر ، رقبة زند ، ساق ، شفة ، صدر ، ضلع ، طيز ، ظهر ، عين ، غبيبة ، فم ، قفا ، كف ، لسان منخر ، ناب ، ورك ، هامة ، يد .

فهذه آخر حروف المعجم والسلام على امير المؤمنين ، فقام بعض عبيد الملك فقال : يا امير المؤمنين انا اقول في جسد الانسان مرتين مثل ما قال سويد فضحك عبد الملك وقال لسويد : اما سمعت ما قال ؟ قال : نعم انا اقولها ثلاثاً ، فقال له : لك ما تتمنى ، فقال سويد : انف اذن اسنان ، بطن بظر بصر ، ترقوة تمرة تينة ، ثغر ثنايا ثدي ، جمجمة جنب جبهة ، حلق حنك حاجب ، خد خاصرة خصر ، دبر دماغ دردر ، ذكر ذقن ذراع ، رقبة رأس رجل ، زردمة زند زب .

فضحك عبد الملك من قوله ، ثم قال سويد : ساق سرة سبابة ، شفة شعر

شارب ، صدر صدغ صلعة ، ضلع ضفيرة ضرس ، طحال طرة طيز .

فضحك عبد الملك من قوله ، ثم قال سويد : ظهر ظنبوب ظفر ، عين عنق عاتق ، غبية غلصمة غنصة ، فم فك فؤاد ، قدم قفا قلب ، كتف كف كعب ، لسان لحية لوح ، مرفق منكب منخر ، لغنوغ ناب هامة وجنة ورك ، يمين يسار يافوخ . ثم نهض سويد مسرعا وقبل الارض بين يدي عبد الملك، فقال الحاضرون والله ما احد زاد على سويد فاعطه يا امير المؤمنين ما يتمناه فاجازه عبد الملك وانعم عليه ، وبالغ في الاحسان اليه .

قال ابن حجة في خزانة الأدب شرح بديعيته : وإذ وصلنا في القسم إلى باب الهزل الذى يراد به الجد فمهذب الدين احمد بن منير الطرابلسى قائد هذا العنان وفارس هذا الميدان ، وما ذاك إلا انه هاجر إلى بغداد .

والشريف الموسوى نقيب الاشراف بها ، وبابه حرم الوافدين ، وبه ينابيع الفضل التي هى مناهل الواردين .

وكان يقال : ان الشريف المشار اليه من كبار الشيعة ببغداد ، وعلى هذا اجمع غالب الناس ، فجهز اليه منير عند قدومه بغداد هدية مع مملوكه تتر الذي اشتهر به في الخافقين غرامه ، وابدع في اوصافه الجميلة نظامه ، فقبل الشريف هديته واستحسن المملوك فابقاه ، وقصد ان يعوضه عن ذلك باضعافه ، فلما شعر ابن منير بذلك التهب على مملوكه ، بل معشوقه تتر ، وكتب إلى الشريف :

عذبت قلبي يا تتر واطرت نومي بالفكر
ومزجت صفو مودتى من بعد بعدك بالكدر
وجفوت صبا ما له من حسن وجهك مصطبر
يا قلب ويلك كم تخادع بالغرور وكم تغر
ريم يفوق ان رماك بسهم ناظره النظر
تركتك اسهم ريشها من بأسهن على خطر

ورمت فاصمت عن قسى لا يناط بها وتر
جرحتك جرحا لا يخيط بالخيوط ولا الأبر
كم ذا تلاعب بالعقول عيون ابناء الخزر
فكانهن صوالج وكأنهن لها اكر
تخفى الهوى وتسره وخفى وجدك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى يفضى اليه فينتظر
نفسى الفداء لشادن انا من هواه على خطر
رشأ تغازله النواظر ان تشئ او خطر
عذل العذول وما رآه فحين عاينه عذر
قمر يزين ضوء صبح جبينه ليل الشعر
ترمى اللواحظ خده فترى لها فيه اثر
هو كالهلال ملثما والبدر حسناً ان سفر
ويلاه ما احلاه في قلبي الشجي وما امر
نومى المحرم بعده وربيع لذاتى صفر
بالمشعرين وبالصفا والبيت اقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطاف به ولبى واعتمر
لئن الشريف الموسوي ابو الرضى بن ابى مضر
ابدى الجحود ولم يرد إلي مملوكي تتر
آليت آل أمية الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر وعدلت عنه إلى عمر
وإذا جرى ذكر الصحابة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيم ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبي على آل النبي ولا شهر

كلا ولا صد البتول عن التراث ولا زجر
واثابها الخمس وما شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته جنح الظلام المعتكر
وقرأت من اوراق مصحفه البراءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير بكل شعر مبتكر
وازور قبرها وازجر من نهاني او زجر
واقول ام المؤمنين عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصلح من بنيها في زمر
واتت لتصلح بين جيش المسلمين على غرر
واتى ابو حسن وسل حسامه وسطا وكر
واذاق اخوته الردى وبعير امهم عقر
ما ضره لو كان كف وعف عنهم إذ قدر
واقول ان امامكم ولى بصفين وفر
وأقول ان اخطا معاوية فما اخطا القدر
هذا ولم يعذر معاوية ولا عمرو مكر
بطل بسوأته يقاتل لا بصارمه الذكر
وجنيت من ثمر النوى صب ما تتمر واختمر
واقول ذنب الخارجين على علي يغتفر
لا تائر لقتالهم في النهروان ولا اثر
والاشعري بما يؤل اليه امرها شعر
قال انصبوا لي منبراً فانا البري من الخطر
فعلا وقال خلعت صاحبكم واوجز واختصر

واقول ان يزيد ما شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن ابناء فاطمة امر
وحلقت في عشر المحرم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره وصيام ايام اخر
ولبست فيه اجل ثوب للملابس يدخر
وسهرت في طبخ الحبوب من العشاء إلى السحر
وغدوت مكتحلا اصافح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريق اقص شارب من عبر
وغسلت رجلي كلها ومسحتها وقت السفر
آمين اجهر في الصلاة كمن بها قبلي جهر
واسن تسنيم القبور لكل قبر يحتفر
وإذا جرى ذكر الغدير اقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملابس ما اضمحل وما دثر
وسكنت جلق واقتديت بهم وان كانوا بقر
واقول مثل مقالهم بالفاشري ما قد فشر
مصطيحتي مكسورة وفطيرتي فيها قطر
بقريرى تركيبهم طلس الظليم إذا نفر
وخفيفهم مستثقل وصواب قولهم هدر
وطباعهم كجبالهم جبلت وقدت من حجر
ما يترك التشبيب تغريد البلابل في السحر
واقول في يوم تحار له البصائر والبصر
والصحف ينشر طيها والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف اضلني بعد الهداية والنظر

فيقال خـذ بيد الشريف فمستقر كما سقر
لواحـة تسطو فما تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسيء إذا تنصل واعتـذر
فاخش الاله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر
واليـكها بدوية راقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها قس الفصاحة لافتخر
ودرى وايقن انني بحر والفاظي درر
وبديعـة كبديعـة عذراء ترفل في الحبر
حبرتها فغدت كزهر الروض باكره المطر
وإلى الشريف بعثتها لما قراها وابتهر
رد السلام وما استمر على الجحود وما اصر
واثابني وجزيته شكراً وقال لقد صبر

﴿ ترجمة أبي محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم ﴾
(الشهرزوري ، كان من المشهورين بالفضل والدين)

أقام ببغداد مدة مشتغلا بالفقه والحديث ، وتولى القضاء بالموصل ، وكانت ولادته في شعبان سنة احدى عشرة واربعمائة وتوفى بالموصل سنة احدى وعشرين وخمسمائة ، ودفن بها ، وله شعر رائق ، فمن شعره هذه القصيدة التي على طريق الصوفية ، هكذا ذكره ابن خلكان .

وبعضهم ينسب هذه القصيدة المذكورة للسهروردي ، والله اعلم والقصيدة هذه:

لمعت نارهم وقد عسعس الليل ومل الحادي وحار الدليل
فتأملتها وفكري من البين عليل ولحـظ عيني كليل

وفؤادي ذاك الفؤاد المعنى وغرامي ذاك الغرام الدخيل
ثم قابلتها وقلت لصحبي هـذه النار نار ليلى فميلوا
فرموا نحوها لحاظاً صحيحات فعادت خواسئاً وهي حول
ثم مالوا إلى المـلام وقالوا خلب ما رأيت او تخييل
فتجنبتهم وملت اليها والهوى مركبي وشوق الزميل
ومعي صاحب اتى يقتفي الآثار والحب شرطه التطفيل
وهي تعلو ونحن ندنو اليها حجزت بيننا طلول محول
فدنونا من الطلول فحالت زفرات من دونها وعويل
قلت من بالديار قالت جريح واسير مكبل وقتيـــل
ماالذي جئت تبتغي قلت ضيف جاء يبغي القرى فاين النزول
فاشارت بالرحب دونك فاعقلها فما عندنا لضيف رحيـل
من اتانا نلق عصا السير عنه قلت من لي بذا واين السبيل
فحططنا إلى منازل قوم صرعتهم قبل المذاق الشمول
درس الوجد منهم كل رسم فهو رسم والقوم فيه حلول
منهم من عفا ولم يبق للشكوى ولا للدموع فيه مقيل
ليس إلا الانفاض تخبر عنه وهو عنها مبرأ ممزول
ومن القوم من يشير إلى وجـد يبقى عليه منه القليل
ولكل رأيت منهم مقاما شرحه في الكتاب مما يطول
قلت اهل الهوى سلام عليكم ليه فؤاد عنكم بكم مشغول
وجفون قـد اقرحتها من الدمع حنيناً إلى لقاكم سيول
لم يزل بي حاد من الشوق يحدو بي اليكم والحادثات تحول
واعتذاري ذنب فهل عند من يعلم عذري في ترك عذرى قبول
جئت كي اصطلي فهل لي إلى نيرانكم هذه الغداة سبيل

فاجابت شواهد الحال عنهم كل حد من دونها مفلول
لا تغرنك الرياض الانيقات فمن دونها ربى وذحول
كم اتاها قوم على غرة منها وراموا قرى فمز النزيل
وقفوا شاخصين حتى إذا ما لاح للوصل غرة وحجول
وبدت راية الوفا بيد الوجد ونودي اهل العزائم حولوا
اين من كان يدعينا فهذا اليوم فيه صبغ الدعاوي يحول
حملوا حملة الفحول ولا يصرع يوم اللقاء إلا الفحول
بذلوا انفساً سخت حين شحت بوصال واستصغر المبذول
ثم غابوا من بعد ما اقتحموها بين امواجها وجاءت سيول
قذفتهم إلى الرسول فكل دمه في طلولها مطلول
نارها هذه تضيء لمن يسري بليل لكنها لا تنيل
منتهى الحظ من تزود منها اللحظ والمدركون ذاك قليل
جاءها من عرفت يبغي اقتباساً وله البسط والمنى والسول
فتعالت عن المنال وعزت عن دنو اليه وهو رسول
فوقفنا كما عهدت حيارى كل عزم من دونها مخذول
ندفع الوقت بالرجاء وناهيك بقلب غذاؤها التعليل
كلما ذاق كأس يأس مرير جاء كأس من الرجا معسول
فاذا سولت له النفس امراً حيد عنه وقيل صبر جميل
هذه حالنا وما وصل العلم اليها وكل حال يحول

وهذه القصيدة قليلة الوجود مطلوبة .

وحكي ان بعض المشايخ رأى في النوم قائلا يقول له ما قيل في طريق القوم مثل هذه القصيدة ابداً ، ومن شعره أيضاً :

بقلبي منكم علق ودمعي فيكم علق

ونحن ببابكم فرق أذاب قلوبنا الفرق
فلا وصل ولا هجر ولا نوم ولا ارق
فليتهم وقد قطعوا ولم يبقوا علي بقوا
أ أفنى في محبتهم وطيب محبتي عبق
كمثل الشمع يمتع من ينادمه ويحترق

وله ايضاً :

يا ليل ما جئتكم زائراً إلا رأيت الأرض تطوي لي
ولا ثنيت العزم عن بابكم إلا تعثرت باذيالي

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فائدة

من حاشية ملا خسرو على البيضاوي عند قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) اختلف في اجناس عدد العالم ، فقيل لله تعالى الف عالم ستمائة في البحر واربعمائة في البر ، وقيل : ثمانية الف عالم ، الدنيا عالم واحد منها ، وما العمران في الخراب إلا كفسطاط في الصحراء .

وقيل : اربعون الف عالم من مشرقها إلى مغربها عالم واحد ، وقيل : ثمانون الف عالم اربعون الفاً في البر ، واربعون الفاً في البحر ، وقيل : مائة الف عالم ، إذ روي ان الله تعالى خلق مائة الف قنديل وعلقها بالعرش والسموات والارض ، وما فيهما حتى الجنة والنار كلها في قنديل واحد ، ولا يعلم احد ما في القناديل إلا الله تعالى ، وقال كعب الاحبار : ولا يحصي عدد العالمين احد إلا الله ، وما يعلم جنود ربك إلا هو .

﴿ هذه ارجوزة الفاضل الأديب ابن مكانس رحمه الله وهي مشهورة ﴾

هل من فتى ظريف ... معاشر لطيف
يسمع من مقالى ... ما يبهر اللآلي
امنحه وصية ... سارية سريه
تنير في الدياجي ... كلمة السراج
جالبة الاسراء ... جلية الانباء
ما جنة خليعة ... بليغة مطيعه
رشيقة الالفاظ ... تسهل للحفاظ
جادت بها القريحه ... في معرض النصيحه
أنا الشفيق الناصح ... أنا المجد المازح
اسلك للجماعه ... في طرق الخلاعه
اجد للاكياس ... عهد ابى نواس
ان تبتغي الكرامه ... وتطلب السلامه
اسلك مع الناس الأدب ... ترى من الدهر العجب
لن لهم الخطابا ... واعتمد الآدابا
تنل بها الطلابا ... وتسحر الالبابا
البس حلي الخلاعه ... واخلع رد الرقاعه
ولا تطاول بنسب ... ولا تفاخر بنشب
فالمرء ابن اليوم ... والعقل زين القوم
ما اروض السياسه ... لجامع الرياسه
ان شئت تبقى محسناً ... فلا تقل قط انا
وان اردت لا تهن ... إذا ائتمنت لاتخن

العز في الامانه والكيس في الفطانه
القصد باب البركه والخرق داعي الهلكه
لا تغضب الجليسا لا توحش الانيسا
لا تصحب الخسيسا لا تسخط الرئيسا
لا تكثر العتابا تنفر الاصحابا
فكثرة المعاتبه تدعو إلى المجانبه
وان حللت مجلساً بين سراة رؤسا
اقصد رضا الجماعه وكن غلام الطاعه
وداهم باللطف واحذر وبال الخسف
لا تلفين كاذبا لا تهل المداعبا
قرب الندامى يلجي للنرد والشطرنج
واختصر السؤالا وقلل المقالا
ولا تكن معربدا ولا بغيضاً نكدا
ولا تكن مقداما تسطو على الندامى
لا تمسك الاقداحا تنغص الافراحا
لا تقطع الطرافه لا تهجر السلافه
لا تحمل الطعاما والنقل والمداما
فذاك في الوليمه شنيعة عظيمه
لا يرتضيها آدمي غير وضيع عادم
وقل من الكلام ما لاق بالمدام
كرائق الاشعار وطيب الاخبار
واترك كلام السفله والنكت المبتذله
وقالت الاكياس إذا ارتق الكاس

بادره بالمنديل في غاية التعجيل
فشملة الكرام سفتجة المدام
وان رقدت عندهم فلا تشاكل عبدهم
فان سلمت مره فلا تعد يا غره
لا تأمنن الثانيه فان تلك القاضيه
وآخر الامر الرضا وكل مفعول مضى
فعصبة العوام ضرب من الانعام
وان صحبت تركى فاصبر لاكل الصك
هذا إذا تلطفا ولم يكن منه جفا
وان يكن ذا عربده وبدعة منكده
قام إلى الجلوس بالسيف والدبوس
فابشر بقتل القوم وشؤم ذاك اليوم
ان رام منك المسخره فانهض إلى المبادره
وسسه واتمسخر وقد وان خلصت لا تعد
واعمل له معرصا اولا قتلت يا خصا
فاقبل كلامى واعتمد وصيتي واوص وقد
ولا تخالف تندم ولا تغير تغرم
فالشؤم في اللجاج والخر لا يداجي
فهذه الوصيه للانفس الابيه
اخترتها لنفسي واخوتى وجنسى
لا تركب الجمالا لا تصعد الجبالا
لا تنكح الغيلانا لا تقتل الديدانا
لا تصحب السباعا لا تطلع القلاعا

لا تركب البحارا لا تسلك القفارا
لا تترك الارياقا لا تهجر السلافا
لا تندب الطلولا ولا تكن مهبولا
اياك جرب الادويه اياك سوء الاغذيه
لا تأكل الضبابا لا تلج اليبابا
أترك لاهل العرب وللجياع الغرب
اكالة القنافد في البيد والفدافد
وثب إلى الرياض وثبة ذي انتهاض
أما ترى الربيعا ونوره المريعا
من يعد عن طريق غاب عن التوفيق
أما سمعت باسمي اما عرفت رسمي
سل الندامى عني وان تشا فسلني
وان حللت مشربه مع سوقة وكتبه
فاقلل من المدام في مجلس العوام
ولا تكن ملحاحا واجتنب المزاحا
لانهم ان مزحوا انتدبوا وافتتحوا
وذقنوا ومرخصوا واتصفوا واحمصوا
صركابن حجاج ولا ترتد واصفع بالدلا
فكثرة المجون نوع من الجنون
والامر فيه يحتمل وكل من شاء فعل
ولا تقل لمن نحب ضيف الكرام يصطحب
فهذه امثاله غالبها محال
سيرها الاعراب الجاعة السغاب

قدوضعوهافي الورى صيداً لاولاد الحرا
وان دعاك الاخوه إلى ارتشاف القهوه
فلا تصقع ذقنكا ولا تزرهم بابنكا
ولا بجار الدار ولا بشخص طاري
ولا بخل تألفه ولا صديق تصدفه
اياك والتطفيلا وسوئه الوبيلا
تباً لها من محنه وثلمة وهجنه
لا تقرب الاطاعه فانها دلاعه
ولا تكن مبذولا ولا تكن منولا
وكم فتى من دبه اصبح مفضى ثقبه
جازوه من مثل العمل وصار في الناس مثل
ليس له من آس كمثل بعض الناس
كفته تلك شهره ومثلة وعبره
والدب فاحذره حذر فانه احدى الكبر
فيا لها فضيحه ومحنة قبيحه
فاعلها لا يكرم وان ذوى لا يرحم
كم اسكن الترابا ذو عثرة دبابا
أنا الفتى المجرب انا الحريف الطيب
انا ابو المدام أنا اخو الكرام
كأنني ابليس للهو مغناطيس
امشى على اعطافي في طاعة الخلاف
اسعى إلى الازهار في زمن النوار
أروى من الورود في زمن الورود

اغيب يا فلان ان قيل آن البان
تحت سماء الزهر مع النجوم الزهر
كم ليلة ارقتها مع غادة علقتها
وطفاء مثل الريم ترفل في النعيم
لم انسها لما بكت مثل اللآلي وشكت
بغنجها ودلها أذى سراري بعلها
قلت اتركيه والاما في التعس يابدر السما
واستوطني في داري نكفي اذى السراري
يا طيبها من ليله لو انها طويله
ساعاتها قصار وكلها انوار
بدا بها الهلال يزينه الجمال
من جانب العمامه كالحبك في العمامه
ولمعة السراج والصدع في الزجاج
وجانب المرآة والنمل في الفلاة
وكشفاه الاكؤس والحاجب المقوس
قلت له حين وفى ورق لي وانعطفا
كالغصن لدن اعوج كالفخ او كالدملج
معوجا كالنون وهيئة العرجون
يشبه لون الدره في الصحو بين الخضره
يا صفوة الاقمار يا مبدع الانوار
قم بادر التغزلا واستجل كاسك الملا
فانما الدنيا فرص ان تركت عادت غصص
فيا لها وصيه تصحبها التحيه

تحملها الكرام اليك والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول مؤلف هذا الكتاب الراجي رحمة الرحيم الوهاب : كنا في عام الف ومائة وسبع واربعين من هجرة سيد المرسلين ، نصلي المغرب في الجامع الكبير المشهور ببندر المخا الشهير ، ونتلو القرآن مع صحب كرام واخوان ، إلى ان نصلي العشاء صحبة سيدي المالك السالك في نهج الرياسة والاريحية أقوم المسالك ، فخر الزمان ، منبع الفضل ، معدن الاحسان ، البحر العباب الزخار ، مولانا الفقيه النبيه عبد الله بن مولانا الفقيه النبيه احمد الخزندار لا زالا محروسين من شر حوادث الليل والنهار .

وكان يحضر معنا مولانا القاضي الواقع على فضله وصلاحه التراضي ، الجهبذ العلامة ، الحبر الفهامة ، مولانا القاضي محمد بن زيد الاكوع لا زال نور فضله يسطع ويلمع ، وكذلك الضوء الكامل ، الصالح الفاضل ، الذكي النبيه مولانا الخطيب محمد بن القاسم الوجيه .

وكذلك المرحوم برحمة الله الشيخ علي نعمة الله ، والشيخ الصالح الحافظ الفالح الشيخ عبد الوهاب بن عبد اللطيف الفتني لا زال لدرر الفوائد والعوائد يقتني ، فوصلنا ليلة من تلك الليال ، إلى قول الرب المتعال (ان هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله) برفع اسم الذات وكان القياس ان يكون منصوبا فسألني الضوء محمد الوجيه عن كيفية هذا الاستثناء وكيف الوجه فيه فاجبته بهذا البيان وبالله المستعان .

الاستثناء هو اخراج شيء مما دخل فيه غيره ، او ادخاله من غيره ، وهو اقسام ، وأول اقسامه إلا وهو حرف باتفاق النحويين ، والثاني هو الاسم المتفق عليه النحاة ، مثل غير وسوا وسواء وسواء . وقسم متردد بين الفعلية والحرفية مثل خلا وعدا وحاشا ، ومنه مايخفض دائماً مثل غير وسوى ، ومنه ما ينصب دائماً مثل ليس ، ولا يكون وما خلا وما عدا .

ومنه ما ينصب تارة ويخفض اخرى مثل خلا وعدا وحاشا ، ولا يخفى ذلك على سيدي المالك .

ونرجع يا من بالفضائل تحلى ، إلى بيان الاستثناء بالا ، فهو ينصب وجوبا إذا كان الكلام قبل إلا تاما ، والمراد بالتام الموجب ان يذكر فيه ، المستثنى منه وان لايسبقه نفي ولا شبهة مثل قولك قام القوم إلا زيداً ، فقام : فعل ماض والقوم فاعل ، وإلا حرف استثناء ، وزيداً منصوب بالاعلى الاستثناء وما اشبه ذلك .

فالاستثناء في هذا المثال من كلام تام موجب ، فتمامه ذكر المستثني الذي هو القوم ، ووجوبه عدم سبقه بنفي ، وشبهه وان كان الكلام الذى قبل إلا منفياً بأن تقدم عليه النفي ، وكان تاما بان ذكر المستثني منه ، جاز فيه البدل من المستثنى منه بدل بعض من كل ، سواء كان المستثنى منه مرفوعاً او منصوبا او مخفوضاً ، وجاز فيه الرفع بالاعلى الاستثناء نحو ما قام القوم إلا زيد بالرفع على البدل من القوم وفي هذه الآية الشريفة التي نحن بصددها وقعت ما النافية قبل إلا فحينئذ جاز الرفع في اسم الذات جل شأنه على انه بدل من الآلهة المنفيين ، ويكون التقدير وما من إله يعبد من هؤلاء الآلهة إلا الله سبحانه وتعالى بالرفع .

وقال ابن مالك ان إلا تنصب وجوبا ولا تحتاج إلى تقدير ضمير .

وقال ابن هشام في شرح قطر الندا وبل الصدا : إذا كان الاستثناء بالا وكانت مسبوقة بكلام تام موجب وجب نصبه ، سواء كان الاستثناء متصلا نحو قوله تعالى : (فشربوا منه إلا قليلا منهم) او منقطعاً نحو قوله تعالى : (فسجد الملائكة كلهم اجمعون إلا ابليس) وكان الاستثناء منقطعاً .

فاهل الحجاز يوجبون النصب فيه ، فيقولون ما فيها احد إلا حماراً وبلغتهم جاء التنزيل ، قال الله تعالى (ما لهم به من علم إلا اتباع الظن) بالنصب .

وبنو تميم يجيزون النصب والابدال ويقرؤن إلا اتباع الظن بالرفع على انه بدل من العلم باعتبار الموضع ولا يجوز ان يقرأ بالخفض على الابدال منه باعتبار

اللفظ ، فيكون اعراب الآية التي نحن بصددها بالرفع على انه بدل من الآلهة على لغة التميميين كما تقدم .

وقال الحريري رحمه الله : ولا يخلو حال الكلام قبل ان ينطق بالا من قسمين احدهما ان يكون الاستثناء منقطعاً ، والثاني ان يكون تاماً فان كان منقطعاً مرتبطاً بما بعد إلا لم تعمل شيئاً من الاعراب بل يكون اعراب ما بعدها كاعرابه مثل قولك : ما قام إلا زيد ، وما ضربت إلا زيداً ، وما مررت إلا بزيد ، فالا ها هنا افادت اثبات القيام لزيد ، وايقاع الضرب به ، وحصول المرور به من غير ان احدثت اعرابا ، ومن هذا القبيل قوله تعالى (وماظلمنا إلا المجرمون) وكان قولك ما قام إلا زيد ، بمنزلة قولك ما قام زيد إلا ان بينهما فرقا لطيفاً ، وهو انك إذا قلت قام زيد ، فقد اثبت له القيام ، واثبت ذكر غيره ، وإذا قلت ما قام إلا زيد فقد اثبت له القيام ، ونفيته عن غيره ويسمى هذا الاسم المفرغ لما بعد إلا .

فعلى هذا التقدير يكون اسم الذات الذى نحن بصدده اسماً مفرغا لما بعد إلا

وقال الرضي رحمه الله : وإذا أتى الاستثناء غير موجب بان كان الكلام نفياً او استفهاماً او نهياً ، فالأجود ان يعرب مابعد إلا باعراب ما قبلها على سبيل البدل

وعند الفقير الحقير المقر بالتقصير ان هذا هو الوجه الصحيح الثابت الرجيح تقول ماقال احد إلا زيد ، وما ضربت احد إلا زيداً ، وما مررت باحد إلا زيد فيعرف زيد في المواطن الثلاثة باعراب احد على سبيل البدل ، لكنه يدل باعتبار الموضع لا باعتبار اللفظ ، ولك ايضاً ان تنصب الاسم المستثنى على الاصل ، فتقول ما قام احد إلا زيد او ما مررت باحد إلا زيد اوعلى اللغتين قوله تعالى (ما فعلوه إلا قليل منهم) برفع قليل ونصبه ، وان كان اكثر القراء على رفعه ، والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب .

﴿ الفقيه علي بن صالح بن ابى الرجال ﴾

ارسل الفقيه علي بن صالح بن ابي الرجال إلى السيد محمد المعارضة وكلاهما كانا بضوران بحضرة المتوكل على الله اسماعيل امام اليمن المؤتمن بهذه الملحونة العجيبة وهى :

لبس العباءة البيضا يعد عندي تقصير
واحذر بأنك ترضى تفعل لنفسك تغرير
واترك وحاذر ايضا نشر العذب والتكبير
إذا مرادك يقضي دينك فهذا التدبير

بيت :

واسلك طريق الغفله وخل هذا التمييز
واجعل عباتك شمله ولا تحب التركيز
واعرف بطبع الدوله إذا دخلت الدهليز
إذا مرادك يقضى دينك فهذا التدبير

بيت :

ان سرت فاخلع خفك والبس حذا إهل الشام
ولا تحني كفك إذا دخلت الحمام
واترك حصانك خلفك واركب حمام التشام
إذا مرادك يقضى دينك فهذا التدبير

بيت :

واترك عباة المشلح وياقتك والشبراز
واحذر بانك تسمح بشاربك للجزاز
ولا تسكن شى تفرح بالطبطبة والركاز

إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

بيت :

واخضع لامر البواب إذا دخلت الديوان
ولا تخاصم في الباب تفتح لصدرك دكان
والدقدقـه للابواب تضر بك يا انسان
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

بيت :

عمامتـك لا تلقط وخلهـا كالحبشـه
واحذر بانك تمشط دقنـك وخليه عشه
ولا تـكن شى تبسط في وسط بيتك كمه
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

بيت :

ولا تقـل بالصابون وكن كانك سلاط
واجعل قميصك عرجون ونصف كمك مخاط
قد الوسخ به معجون هذى نصيحة بقراط
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

بيت :

واصنع ودقق حيله تخلصك من ضوران
ولا تقف به ليـله فقد تقضى شعبان
وخل ذي التـكحيله ودهن هذي الاوجان
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

بيت :

إذا سمعت المرفـع يضرب وقالوا ركبه

فاحـذر بانك تطلع بالسيف او بالحربـه
واترك عمانك واصنع لباس فوق الركبـه
إذا مرادك يقضى دينك فهذا التدبير

بيت :

فـكم مهذب طهره قد بات مثلك مكروب
وكم منشف عـذره قد نال كل المطلوب
سلم لهـذا القـدره واخضع لهذا المكتوب
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

بيت :

وقهوتـك بالدله تجلب عليك الوسواس
فخـذ عوضها قبله ولا تبالغ في الكاس
واجعل مكانه بالله فنجان مكسور الراس
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

بيت :

وان مرادك تسـلا سليت نفسك بالقات
ولا تسب المـولى ولو يفتك ما فات
فـكم بفضله جلى عنا جميع الآفات
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

بيت :

واسلم فهذا المسطور انشاه مثلك مديون
اضحى بفوران مأسور وهو بصنعا مفتون
فلا تـكن شى تنور دائم زمانك مجنون
إذا مرادك يقضى دينك فهـذا التدبير

وله مشتكى إلى الامام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله ومعاتباً له سامحه الله :

سمحت لنا يا ابن الخليفة بالذي ... طلبناه من كفيك في ساعة العسر
وعجلت بالامر الشريف ولم ترد ... مطالا فجاء المطل من حيث لاندري
وجادت اياديك الكريمة بعد ما ... تخيرت فى مدحي لها محكم الشعر
بكبش مع الجزار لا شك انه ... حليف هوى مضني الفؤاد من الهجر
ضعيف نحيل الجسم صادت فؤاده ... عيون المها بين الرصافة والجسر
يحاكي خيال الطيف في سقم جسمه ... ويهتز من مر النسيم إذا يسري
طواه الهوى حتى انحنى وهوا بيض ... يحاكى هلال الشك في اول الشهر
ولم يبق فيه قوت يوم لنملة ... ولا ما يطفي الجمر إن حط في الجمر
ولا ما يجر المرء منه بظفره ... فقد صار منه العظم الق من الظفر
حكى في نحول الجسم قيس بن عامر ... ومن دونه قيس بن عامر في الصبر
فيا طالما امسى واصبح طاويا ... ومربطه خال من البول والبعر
وكيف يرجى بعر كبش طعامه ... نسيم الصبا ان مر في ساعة الفجر
ولما درى الجزار انى رددته ... واوسعته عتباً وكررت في الزجر
أتانى بصوام من الضان عابد ... كثير قيام الليل في جانب القصر
نحيف براه الخوف حتى بدا لنا ... بعظم بلا لحم وجلد بلا شعر
له فضلة عن جسمه في اهابه ... ولكنه عارى المناكب والظهر
قضى برهة في سفح قعوان صائماً ... ووافى إلى مغنى في اول العشر
فلاقى مرير العيش حين وكلته ... إلى جابر رب الحديمة والمكر
فتى لا يرى حقاً لديك لطالب ... سواه ولا يرضى لمثلك بالأجر
ولو لا بنيات صغار وصبية ... كزغب القطا الكدري يدرجن في الوكر
وجور الزمان قبح الله صرفه ... سريعاً ولاحياه ذوالعرش من دهر
لما جئت ابغي الفضل من كف جابر ... ولا رحت استجدي بنظمي ولا نثري

ولكنها الايام لا در درها فيا ويحها كم تبدل اليسر بالعسر
واني وان عزت علي مطالبي ولا قيت احوالا يضيق بها صدري
سأصبر حتى ينتهي امر جابر إلى الكسر بعد الجبر والنهي والامر
وأنشد في وصف الكباش قصائداً نسير بها الركبان في البر والبحر
ودم في ألذ العيش ما قام عابد من الضان جنح الليل في جانب القصر
وما سار مسكين إلى باب جابر فعاد بنقصان واقصى إلى خسر
وما حن كبش في حماه تشوقا إلى علف في ليلة العيد والعشر

وله سامحه الله معاتباً السيد صلاح بن عز الدين وزير الامام المهـــدي رحمهم الله اجمعين :

أما والمثريات من الضحايا تحث السير في قاع الحباب
تجوب البر قاصدة لصنعا كخوض الحوت امواج العباب
وتحكي الحوت في شحم ولحم وتشبه فعله في الاضطراب
تخال شحومها إذ ما تهادت تكاد تزل من تحت الاهاب
تسد الافق ان طلعت صباحا ومرت في الفضا مر السحاب
تمد لها قدور راسيات وتلقى في جفان كالجواب
لقد اصبحت انظرها بعين نشاهد لحمها عند الحجاب
ولي قلب لفرط الشوق اضحى للقياها شديد الالتهاب
ولكني حليف العسر ضلت كمثل المشرفي بلا قراب
واشعب قد تعرض لي قديماً وارشدني إلى غير الصواب
وقد سمح الصفى لنا بوعـد واكد وعده عند الطلاب
وانت وزيره واليك الق مقاليد الامور بلا ارتياب
والزمك الجواب فلت تيها إلى رفض التحية والجواب
ولم تعلم بان التيه شين وعيش الكبر ليس بمستطاب

فخذما استطعت من كسب المعالي وتقليد الصنائع في الرقاب
ولا تركن إلى مال وملك عظيم فالزمان إلى انقلاب
ولو أني استطعت على وصول إلى ملك تملل بالحجاب
لما سددت نحوك سهم عتبي ولا قرعت مثلك بالعتاب
ولكن البعاد قضى بأني أعاتبكم واغلظ في الخطاب
ولو لا اصلك السامي محلا وكونك تنتمي لابي تراب
لا ترعت المسامع فيك هجوا وملت عن العتاب إلى السباب
واصبحت الدواة اليك تملي قريضاً جاء بالعجب العجاب
وهذا بعض عتبك من محب نجيب غره لمع السراب
ودم في نعمة ما دمت تسعى إلى نفع القرابة والصحاب

﴿ نكتة ﴾

نكتة عجيبة ، وقصة غريبة ، مشهورة بأراضي اليمن البعيدة منها والقريبة عن القاضي صالح ابي الرجال : انه كان له ولد واحد لا غير ، فلما شب الولد واراد ان يختنه صنع وليمة عظيمة ودعا لها الرجال والنساء ايانا .

فلما كان يوم الختان وكان الولد نائما إذ خرجت عليه من جدار البيت حية فلسعته فمات لوقته واطلعت والدته على هذا الحال ، فارسلت إلى والده سراً وقالت له : معي سؤال ، فقال لها : سلي ما بدا لك ، فقالت له : لو اودع انسان عند انسان وديعة إلى اجل معلوم ، ثم جاء ذلك الرجل وطلب امانته فهل له ان يأخذها ام يمنع منها ؟ فقال لها : لا يجوز منعه من اخذ وديعته ، فقالت له : فاذن اخبرك بان الله تعالى قد اخذ وديعته التي اودعنا اياها ، واخبرته بالقصة ، فلم يجزعا وحمدا ربهما وطلبا من فضله العوض ، ولم يظهرا لمن حضر شيئاً من الحزن والكدر إلى ان انقضى ذلك اليوم بالفرح والسرور ، ثم غسلا ميتهما ودفناه .

فما مضت إلا ايام قلائل حتى حملت امرأته ، فلما آن وقت وضعها القت شيئاً كالكيس ، فشق وخرج منه اربعون ولداً بقدر الشبر ، فلما وقعوا على الارض انتشوا قليلا قليلا في يومهم ذلك إلى ان صاروا على قياس الطفل المولود بعون الملك المعبود ، فاخذهم المراضع وارضعتهم فطلعوا اربعين رجلا كلهم فضلاء ادباء .

وهذه القصة ليس فيها شك ولا لبس ، وهي ببلاد اليمن مشهورة ، اظهر من الشمس ، والله على كل شيء قدير ، وبالاجابة جدير ولهذا كني ابوهم بابي الرجال والامر لله الكريم المتعال .

﴿ حكاية يعجب بها أرباب الجمال والدراية ﴾

لما عزم سابور بن هرمز على الدخول إلى بلاد الروم متنكراً نهاه ارباب دولته وعظماؤها ونصحوه وحذروه من الغره بنفسه والمخاطرة في امر يمكنه يستنيب فيه احد ثقاته ، فعصى نصحهم وتوجه متنكراً نحو بلاد الروم واستصحب وزيراً كان له ولابيه من قبله ذا دهاء وحزم ، وعزم وسداد ورأي بصيراً بالامور موسوما بالديانات ، حافظاً لغالب اللغات ، متبحراً في العلوم ، ذا خبرة بالمكائد والمخاتل والمصائد ، فسلم اليه سابور احواله بالتمام ، وتوجها نحو الشام ، فتزيا ذلك الوزير بزي الرهبان ، وتكلم بكلام الجلالقة ، وتحرف بصناعة الطب والجراح وصحب معه دهن الصيني الذي اذا دهن به الجراحات ابرأها حالا .

وكان الوزير في مسيره الى بلاد الروم يداوي الجراحات بأدوية ، وكان يضيف اليها شيئاً من ذلك الدهن فتبرأ الجراحات بسرعة ، واذا عنى بواحد من ذوي الاقدار داواه بذلك الدهن صرفا فيبرأ حالا ، ولا يأخذ على المداواة اجرة .

فانتشر له في بلاد الروم صيت وشهرة بالحكمة والجراحات والعلم والزهد والكرم ، وكان سابور ووزيره المذكور قد سارا منفردين إلا ان الوزير كان يرعي احوال سابور اشد المراعاة ، فلم يزالا حتى خلفا الشام وراءهما وتجاوزا

الدروب ، وقصدا قسطنطينية حتى قدماها ، فذهب الوزير إلى البترك ، ومعناه ابو الآباء فاستأذن عليه فاذن له ، فدخل عليه فسأله البترك عما يريد فاخبره انه هاجر من ارض الجلالقة ليتشرف بخدمته ، ويدخل في اتباعه واهدى اليه هدية نفيسة حسن عند البترك موقعها فقربه واكرمه ، وانزله احسن منزل واتحفه واختبره ، فوجده عاقلا لبيباً اديباً ، فاعجب به غاية الاعجاب ، فجعل الوزير يتأمل اخلاق البترك وصفاته ، ليصحبه بما يوافق حاله ، فوجده مائلا إلى الفكاهة والاخبار ، فاخذ في اتحافه بكل نادرة غريبة ، فسلبه بملحه حتى ملك قلبه ، وهو مع ذلك يعالج المجروحين بذلك المرهم من غير اجرة ـ كما تقدم ـ فعظم قدره في اعين الناس ، وهو مع ذلك يتفقد احوال سابور في كل ساعة ، واتفق ان قيصر ملك الروم صنع وليمة ، واجمع عليها جميع مملكته فنازعه سابور نفسه في الدخول مع الناس والمخاطرة بنفسه فمنعه الوزير عن ذلك فلم يقبل نصحه ، بل تزيا بزى ظن انه يستتر به ، ودخل قصر قيصر مع من حضر .

وقد كان قيصر لما بلغته قوة سابور وفطنته وشدة بأسه وهمته ، حذره اشد الحذر ، ونقش صورته وجعلها في فرشه وستوره ، وآلات اكله وشربه ولهوه ولعبه ، فدخل سابور دار قيصر ، واكل مع من حضر ، فلما اتوا بالشراب كان في المجلس رجل من حكماء الروم ودهاتهم ، فوقعت عينه على سابور ، فلما رأه سابور نكس رأسه ، فجعل ذلك الحكيم يتأمل شخصه وامارات ، فرأى عليه علامة الرياسة والسلطنة ، فجاء الساقي إلى ذلك الحكيم بكاس خمر من ذهب وفيه صورة سابور فتأملها وتأمله ، فطابقت صورته تلك الصورة ، فصاح وقال : ان هذه الصورة التي في هذا الكاس تخبرني ان صاحبها معنا في هذا المجلس ، ونظر إلى سابور فرآه قد تغير لونه ، فتحقق فيه ظنه ، فاعاد القول على قيصر وأراه سابور فأمر قيصر بقبضه ، وسأله عن نفسه فانكره ، فامر بقتله ، فاعترف له بصدق قول ذلك الحكيم ، فحبسه إذ ذلك قيصر مكرهاً وامر فصنع له صورة بقرة من جلود

البقر عظيمة ، وجعل لها باباً من اعلاها للدخول ، وباباً من اسفلها إذا أراد ان يبول وامر بسابور فجمعت يداه إلى عنقه بسلسلة من ذهب ، وادخله في جوف تلك الصورة ،

ثم ان قيصر جيش الجيوش وسار مغتنما الفرصة لغزو بلاد فارس ، ووكل بتلك الصورة التي سجن فيها سابوراً مائة رجل اهل قوة وباس شديد يحملونها بينهم ، وجعل على كل خمسة منهم رئيساً يضبطهم وصرف جميع امرهم إلى المطران يعني صاحب البلدة ، وهو خليفة البترك ، فكانت تلك الصورة تحمل بين يدي المطران ، فاذا نزلوا تلك الصورة جعلوها متوسطة بين العسكر ، وضربت حولها عشرة خيام مستديرة بها ، وطاف بها خمسون من الموكلين بها ، وضرب للمطران خيمة إلى جانب خيمة سابور وضرب خارج الخيام كلها خيمة يصنع فيها الطعام للموكلين بخيمة سابور على حسب قدارهم .

ثم سار قيصر بجنوده عازما على تخريب بلاد الفرس لعلمه ان لا دافع يدفعه عنهم ، فقال وزير سابور للبترك ان مما استفدت من خدمتك والقرب منك الرغبة في صلاح الاعمال ، وانه لا عمل اصلح من تنفيس كربة عن مجهود وجر نفع إلى مضطر ، وقد علمت كفاءتي في صنعة الطب والجراحات ، وان نفسي تنازعني إلى صحبة الملك قيصر في سفره هذا فلعلي ان استنقذ نفساً صالحة يترحم علي من اجلها ، فكره البترك منه ذلك ، وقال له : قد علمت انى لا استطيع فراقك ساعة واحدة ، فكيف بالسفر الطويل البعيد ، وما ظننت منك انك تخاطبني بما يشق علي كما لم اظن انك تؤثر شيئا على صحبتي .

فلم يزل الوزير يتضرع اليه ويقرب له العود اليه ، إلى ان سمح له بذلك وزوده ، وكتب معه كتابا إلى المطران ، واخبره انه قد بعث اليه سويداء قلبه ونور بصره فليحله اعلى المراتب ، ويستضيء برأيه الصائب .

فقدم سابور على المطران فعرف حقه وانزله معه ، وجعل بيده زمام امره

ونهيه ، فصار الوزير يتقرب إلى المطران بما يعجبه ، ويتحفه كل ليلة باخبار عجيبة رافعا صوته ليسمع سابور حديثه ، فيتسلى بذلك ، ويدس في اثناء حديثه ما يحب ان يعلمه سابور من الاخبار ، فيجد سابور بذلك راحة .

وكان الوزير قد اعد لخلاص سابور ، ورتب جملة من المكايد عند ما قدم ان على هذا المطران :

منها : انه امتنع عن مؤاكلة المطران ، واوهمه انه لايريد ان يخلط بالطعام الذي زوده اياه البترك ـ المتقدم ذكره ـ طعاما آخر لما فيه من البركة ، فكان إذا حضر طعام المطران اخرج هو من ذلك الطعام وانفرد بالاكل منه .

فلم يزل قيصر سائراً بجنوده حتى بلغ ارض فارس ، فاكثر فيها القتل والسبي وتغوير المياه ، وقطع الاشجار ، وخراب القرى والامصار والحصون والاسوار ، وهو مع ذلك يواصل السير للاستيلاء على دار مملكة سابور ، ويباعث من بها من رؤساء المملكة لكي لا يملكوا عليهم ملكا غير سابور .

فلم يكن للفرس همة إلا الفرار بين يديه ، حتى بلغ مدينة سابور ودار تختة فاحاط بها ونصب عليها المنجنيق ، فلم يكن عند عظماء دولة الفرس حيلة في دفعه باكثر من ضبط الاسوار والقتال عليها .

وكان سابور قد علم كل ذلك بالتفصيل من حكايات وزيره مع المطران ورموزه ، فلما تحقق ان قيصر قد تغلب على مدينته وثلم الاسوار بالمنجنيق وقد اشرف على افتتاح المدينة عيل عند ذلك صبره ، وضاق ذرعه وساء ظنه بوزيره وأيس من نجاته ، فلما جاءه الموكل عليه بطعامه قال له : ان القيد الذهب هذا قد اذانى ، وقد ضعفت عن احتماله ، فان كنتم تريدون بقاء نفسي فنفسوا عن حلقي ورجلي ، واجعلوا بينه وبين حلقي ورجلي خرقا من حرير لاستريح قليلا .

فجاء الموكل واخبر المطران ، وسمعه الوزير ، فعلم ان سابور قد جزع وساء ظنه به ، وفطن لما قصده سابور .

فلما جن الليل جلس الوزير لمسامرة المطران فآنسه قليلا بالحديث ، ثم قال له لقد ذكرت هـذه الليلة حديثاً عجيباً ، ما ذكرته منذ كذا وكذا سنة ولو ددت لو انى حدثته البترك قبل سفري عنه ، لـكن سوف احدثه إذا عدت اليه .

فقال له المطران انى اتوسل اليك ان تحدثني هـذه الليلة به بحق عليك ايها الحـكيم الماهر العظيم ، فقال له الوزير : حباً وكرامة ، ثم شرع يحدثه رافعاً صوته ليسمع سابور فيطمئن قليلا .

فقال : اعلم انه كان عندنا بجليقة فتاة وفتى في نهاية الحسن والظرف ، اسم الفتى عين اهله ، واسم الفتاة سيدة النار ، وكانا زوجين مؤتلفين ، فبغى احـدهما على الآخر بدلا ، وان عين اهله جلس يوما مع اصحاب له يتحدثون ، فتذاكروا حديث النساء ، إلى ان وصف احدهما امرأة بجمال بارع اسمها سيدة الذهب ، فمال قلب عين اهله اليها ، فسأل الواصف لها عن منزلها فاخبره انها ببلدة بعيده فطمحت نفسه اليها وانطلق إلى بلدتها وعرف منزلها فلم يزل يتردد اليه حتى نظرها فرأى منظراً حسناً غير انها لم تكن احسن من زوجته سيدة النار ، فنازعته نفسه إلى التمتع بها.

فلم يزل يعاود منزلها حتى فطن به زوجها ، وكان فظاً غليظ القلب يسمى الذئب الازرق ، فلما رآه وثب عليه ، فقتل فرسه ومزق اثوابه ، واستعان باصحابه فلزموه وادخلوه إلى الدار ، وربطوه إلى جنب عمود البيت ، ووكل به عجوزاً مقطوعة اليد ، مجدوعة الانف ، عوراء العين ، شوهاء الوجه .

فلما جن الليل اوقدت تلك العجوز ناراً بالقرب منه ، وجلست تصطلي فتذكر عين اهله ما كان فيه من العز والسلامة والرفاهية ، فزفر زفرة عظيمة فاقبلت عليه العجوز وقالت : ايها الفتى ما ذنبك الذي اوقعك في مورد الذل هذا ، فقال : ما علمت لي ذنباً ، فقالت العجوز : هكذا قال الحصان للخنزير ، فقال لها عين اهله فـكيف كان حديثهما ؟ فقالت له العجوز : ذكروا ان حصاناً كان لرجل من الشجعان وكان ذلك الرجل يكرم ذلك الحصان ويتفقده في جميع اوقاته ، ويمـده

لمهماته ، وكان كل يوم يخرج به إلى برأفيح ، فيحل عنه سرجه ويدعه يتمرغ في ذلك البر ويمرح ، فاذا ارتفعت الشمس رده إلى موضعه .

فخرج به يوما على عادته ، فلما نزل عنه نفر الحصان ومر يعدو بسرجه ولجامه ، فطلبه الفارس طول يومه ذلك ، فاعجزه وغاب عن عينه عند غروب الشمس فرجع ذلك الفارس وقد قطع امله منه .

فلما اظلم الليل على الحصان وقد انقطع عنه الطلب جاع ، فرام ان يرعى فمنعه اللجام ، ورام ان يتمرغ فمنعه السرج ، ورام ان يستقر على احد جنبيه فمنعه الركاب ، فبات بأسوء حالة ، فلما اصبح ذهب يبتغي لنفسه خلاصا مما هو فيه فاعترضه نهر ، فدخله ليقطعه إلى طرفه الآخر ، فاذا هو بعيد العمق ، فسبح فيه . وكان حزامه ولبده من جلد لم يبالغ في دبغه ، فلما خرج من النهر وحميت الشمس يبس اللبد والحزام واشتد عليه ، فورم لبده ومحزمه ، واشتد عليه الوجع والجوع فلبث على تلك الحالة اياما إلى ان ذهبت قواه ، وضعف عن المشي ، فمر خنزير كبير فرام ان يقتله ، ثم شفق عليه لما رآه على تلك الحالة ، فاقبل عليه وسأله عن حاله فاخبره بما هو فيه من ضرر اللجام واللبد والحزام ، وسأله ان يصنع معه معروفا ويخلصه مما هو فيه من الشدة ، فقال له الخنزير : الك ذنب حتى وقعت في هذه العقوبة ؟ فقال له الحصان : ليس لي ذنب استحق به ذلك ، فقال له الخنزير ما انت إلا كاذب في قولك او جاهل بذنبك ، فان كنت كاذبا فما ينبغي لى ان انفس عنك كربك او اعمل معك صنيعا ، ولا اتخذك خليلا ، فحدثني عن ابتداء امرك لاعلم حالك ، ومن اين اصبت ؟

فحدثه بجميع امره ، وكيف كان عزيزاً عند صاحبه ، وكيف فارقه ، ومالقى في طريقه بعد فراق صاحبه ، فقال له الخنزير : الآن قد ظهر لى انك جاهل بذنبك وان لك ذنوبا شتى ، اولها : خذلانك لصاحبك الذي احسن اليك ورباك ، وكفرك لاحسانه اليك ، واضرارك له في طلبك ، وتعديك على ماليس لك وطلبك التوحش

الذى لاملك قدرة عليه ولا انت من اهله ، واصرارك على ذنبك ، وقد كنت قادراً على العودة اليه قبل ان يوهنك اللجام واللبب والحزام ، فقال الحصان للخنزير فاذا كنت قد عرفتني بذنوبى فنفس عنى ما انا فيه من الضيق الكبير ، فقال له الخنزير : فاذا عرفت بذنبك فقد وجب علي ان انفس عنك ، ثم قطع عنه الحزام واللجام فسقط السرج عن ظهره وتنفس بعد ان كان حائراً في امره .

فلما سمع عين اهله كلام العجوز أقبل عليها وقال لها : صدقت فيما به نطقت فقد افدتيني حكما عجيبة ، ثم حدثها بحديثه وسألها ان تصنع معه الاحسان ، كما صنع الخنزير بالحصان ، فقالت له : انك بصير بالامور والذي سألتني عنه لا يمكن الآن ، ولكن اصبر إلى ان اجد لخلاصك حيلة اخلصك بها وسكتت عن مخاطبته

فلما انتهى الوزير في حديثه إلى هنا اقبل على المطران وقال له : انى احس في رأسي صداعا ولا يمكنني اتمام الحديث ، ولعلي ان اتمه في الليلة الآتية .

ثم نهض الوزير إلى مضجعه ، فجعل سابور يتأمل حديث وزيره وامثاله ، فعلم ان الوزير كنى عنه بعين اهله لانه ملك ، وكنى عن مملكة فارس بسيدة النار وعن مملكة الروم بسيدة الذهب ، وعن قيصر بالذئب الازرق ، وكنى عن طموح سابور إلى مملكة الروم بطموح عين اهله إلى سيدة الذهب، وعن قيصر بالذئب بعل سيدة الذهب . وقصد بهذه الامثال تأديب سابور لما غرر بنفسه ، ولم يسمع لنصح وكنى عن نفسه وعجزه وذله في خدمة المطران وتعلقه له بالعجوز القطماء الشوهاء وعرفه انه لايمكنه تخليصه إلا بعد الصبر والتدبير في الحيلة، وعرفه انه ساع في خلاصه.

فطابت نفس سابور وتوثق بوزيره وشم رائحة الفرج بعد الشدة .

فلما كانت الليلة الثانية تعشى وزير سابور وجلس للمسامرة ، فقال له المطران ايها الحكيم الماهر اخبرنى ما فعل عين اهله ، وهل خلصته العجوز من الذئب الازرق أم لا ؟ فقال الوزير : نعم ايها المطران الشفوق . ثم ان عين اهله اقام ليلته في وثاقه ، فلما اصبح دخل عليه الذئب وهدده بالقتل وزاد في وثاقه ، وخرج عنه

فبقى نهاره على حاله ، فلما امسى استوحش وبكى ، وجاءت العجوز اليه وقالت له : اصبر ولا تجزع ، فقال لها عين اهله : لقد صدق القائل حيث قال (هان على الطليق ما لقى الاسير) فقالت العجوز : ان حداثة السن قصرت بك عن ادراك حقائق الامور ، ولكن اسمع حديثا لك فيه سلوة .

ذكروا أن تاجراً كان له ولد وليس له غيره ، وكان شديد المحبة له ، فاتحفه صديق له بغزال صغير ، فعلق قلب ابن التاجر به ، وكان لا يفارقه ابداً وجعل له حلياً نفيساً وارتبط له شاة ترضعه ، فلما اشتد الغزال نجم له قرنان ، فقال الولد لاهله : ما هـــذا في رأس الغزالة ، قالوا : قرناه فاعجبه سوادهما ، وقيل له : انهما سيكبران ويطولان ، فقال الولد لابيه : ان رأيت يا ابت ان تشتري لي ظبياً كبيراً فاشترى له ظبياً ثنى السن ، فاعجب به الولد ، والف الغزال بالظبي للمجانسة الطبيعية فقال الغزال للظبي : ما ظننت قبل ان ادرك ان لي في الارض شكلا ، ثم لما رأيتك وقع في نفسي ان لي اشكالا سواك ، فقال له الظبي : نعم ان اشكالك كثيرة فقال له الغزال : فاين هي ؟ فاخبره الظبي بتوحشها في الفلاة وانفرادها عن الناس وحدثه بمراتعها وموارداها وتناسلها فارتاح الغزال بما سمع من الظبي وتمني ان يراها فيكون معها ، فقال له الظبي : لا خير لك في هذه الامنية ، فانك قد نشأت في رفاهية ، فقال الغزال : لا بد لى ان ارى اشكالي ولا ابالي .

فلما علم الظبي ان الغزال غير منتبه إلى قوله ، ولا يعرف التحرز من مكايد الانس لم يجد بداً من قضاء خدمته وحق الفتة ، فرأى يوما فرصة وخرجا معاً إلى الصحراء ، فلما عاين الغزال الغزلان فرح ومرح ، وطفق يعدو ولا يثنيه شيء فسقط في واد ضيق قد قطعه السيل ، فنشب فيه وانتظر ان يأتيه الظبي فيخلصه ، فلم يأته ، فبقى هناك .

وأما ولد التاجر فانه لما اصبح تفقد الظبي والغزال فلم يجدهما ، فحزن لفقدهما واشفق عليه ابوه ، فطلب ابوه الصيادين وعرفهم الخبر والقصة ، ووعد كل من اتاه

بهما بالجائزة والعطية ، فتفرق الصيادون في سهل الارض ووعرها في طلبهما .

وركب التاجر دابته ، وفرق عبيده على ابواب المدينة ينتظرون من يأتى بهما من الصيادين ، وانطلق هو وعبدان من عبيده إلى الصحراء ، فرأى التاجر على بعد رجلا متكئاً على شيء بين يديه ، فاسرع نحوه فاذا هو صياد غريب قد اصطاد ظبياً وهو يريد ذبحه ، فتأمله التاجر فاذا هو ظبيه الذى يطلبه فاستخلصه من يد الصياد ، وأمر عبديه ، ففتشاه فوجدا معه الحلي الذي كان على ذلك الظبي فسأله كيف ظفرت به ، فقال : انى بت اتصيد في البر ، فنصبت شركاً وكنت قريباً منه ، فلما اصبحت جاء هذا الظبي ومعه غزال يسرح ويمرح في جهة غير جهة الشرك ، وجاء هذا الظبي يمشي حتى وقع في الشرك ، فاخذته وقصدت به المدينة .

فلما وصلت إلى هذا المحل ظهر لي من الرأى انى مخطىء في ادخال الظبي إلى المدينة حياً لانه ظهر لي انه مربى في البيوت ، وربما اطالب بالحلي الذي كان عليه فاردت ان اذبحه وادخل بلحمه إلى المدينة فهذا خبري .

فاخذه منه التاجر وبعث به إلى ولده مع احد عبيده ، وقال للصياد : ارجع معي فارني الجهة التى كان الغزال يمرح فيها ، فسار به اليها وجعل يفتش عليه في المواضع المرتفعة ، فسمع التاجر صوت الغزال ، فصاح به ، فلما سمع الغزال صوته عرفه ، فصوت فاتبع التاجر صوته حتى وجده في ذلك الوادي ، فاخرجه منه ووهب للصياد درهمين ورجع بالغزال إلى ابنه ففرح الولد به ، وجعل الغزال يتجنب الظبي إذا رآه ولا يألف به كما كان سابقاً ، فتنغص الغلام من ذلك وجهد ان يجمع بين الغزال والظبي فلم يمكنه ذلك .

فدخل الظبي ذات يوم على الغزال وعاتبه على تنفره منه ، فقال له الغزال انسيت غدرك بى فقال له الضبي انى لم اغدر بك وانما اعجزنى عن خلاصك وقوعي في الشرك وقص عليه قصته ، فعلم الغزال صحة قوله وعادا إلى تألفهما .

فلما سمع عين اهله حديث العجوز وفهم ارادتها امسك عن خطابها .

قيل : فلما انتهى وزير سابور في حديثه إلى هنا سكت ، فقال له المطران : ايها الحكيم ما هذا السكوت ، او لعلك تريد تأخير الخبر بما كان من عاقبة عين اهله ، وما لقى من الذئب وما صنعت معه العجوز ، فقال له الوزير : انى لعازم على ذلك ، ولكني اجد الليلة هذه فتوراً في بدنى ، فقال له المطران : ايها الحكيم انى راغب هذه الليلة في حديثك ، فقال له الوزير : نعم ايها المطران .

ثم ان عين اهله لما سمع كلام العجوز وفهم مرادها امسك عنها ونام ليلته تلك باسوء حال ، فلما اصبح دخل عليه الذئب وهدده بالقتل وزاده قيداً آخر ، وعرفه انه لا مناص له منه ، وخرج من عنده ، فجعل عين اهله يمنى نفسه بقية ذلك النهار بالفرج ، فلما جن عليه الليل استوحش ، وانتظر العجوز ، فلم تصل لمحادثته بل كانت تكثر الدخول والخروج إلى البيت الذي فيه عين اهله ، ولا تستقر فيه فساء ظنه وأيقن بالهلاك من الذئب ، فاقبل يبكي ، ثم قال للعجوز : ما لك لا تؤانسيني في هذه الليلة بحديثك ؟ فجلست عنده وقالت له : أما كان لك في رؤيتي عبرة ، فاني قطعاء جدعاء عوراء سيئة الحال ، فاشكر الله على سلامة نفسك من بلاء هو اعظم من بلائك ، ولو علمت باطن امري لعلمت ان اسري اشد من اسرك .

اعلم ايها الفتى انى كنت زوجة رجل وكان لي محباً ومحسناً ، وكنت معه في ارغد عيش ، فلبثت معه مدة ، وولدت له اولاداً ذكوراً واناثا ، فكبروا في نعمة فغضب الملك على زوجي فقتله وقتل اولادي ، وباعني انا وبناتى ، فاشترانى هذا الفارس الذى انت في قيده وعاقبني من غير ذنب لقساوة قلبه فتوسلت اليه باخوانه ان يرفق بى ، فلم يزدد إلا قسوة ، فلبثت عنده بهذه الحالة سبعة اعوام ، ثم فررت على غفلته منه ، فلحقني وجدع انفى ، فمكثت عنده سبعة اعوام اخر ، ثم فررت فظفر بى وقطع يدي وقلع عينى الواحدة ، ثم حلف ان هربت بعدها ليقطعن رجلي وقد عزمت الليلة هذه على خلاصك ، واقتل نفسى بيدى كرامة لك وقد طابت نفسي بالموت .

ثم انها فكت قيوده وتناولت سكيناً لتقتل نفسها ، فقال لها عين اهله : لئن تركتك تقتلين نفسك فقد شاركتك في ذنبك . ثم انتزع السكين من يدها ، وقال لها قومي اذهبي معي لكي ننجو معاً فقالت له : ان كبر سني وضعف بدني يمنعاني عن اتباعك ، فقال لها : الليل متسع ، وموضع أمننا قريب ، وأنا أقدر ان احملك إذا عجزت عن المشى ، فقالت له العجوز : إذا كنت قد عزمت على ذلك فانى لم احوجك إلى حملي .

ثم اخذها وخرجا معاً ، فلم تمض إلا ساعة من الليل حتى وصلا محل الامن فأخذها عين اهله معه إلى بيته وجازاها بما صنعت ، واتخذها اماً يسمع لها ويطيع فهذا ما بلغني .

فقال المطران للوزير : ما اعجب احاديثك ايها الحكيم الماهر ، ولقد وددت ان لا افارقك ابداً ، ثم نهض كل منهما إلى مضجعه .

وبات سابور يتصفح كلام وزيره ويتأمل امثاله ، ففهم ان مراد وزيره بالغزال هو سابور ، وان الظبي مثل الوزير ، وان خروج الظبي مع الغزال إلى البر مثل صحبة سابور وزيره ، حتى حصل سابور في قيد قيصر ، وان نفار الغزال عن الظبي مثل سوء ظن سابور بوزيره لتأخره عن خلاصه ، وعلم سابور ان الوزير قد عزم على خلاصه والخروج به ليلا ، وان المدينة قريبة منهما ، وانه يحمله ان عجز عن المشى ، وايقن سابور بقرب الفرج .

فلما كانت الليلة الثانية تلطف وزير سابور واحتال حتى دخل مطبخ المطران على خلوة من الطباخين فطرح في جميع الطعام مرقداً قويا كان قد اعده واحكمه فلما حضر طعام المطران واكل هو والموكلون بسابور لم يلبثوا إلا ساعة حتى وقعوا صرعى في مراقدهم لا يتحركون ، فبادر الوزير إلى الجلد الذي حبس فيه سابور فشقه واخرج سابور منه وحله من وثاقه واخرجه عن عسكر قيصر وقصد به المدينة . فلما انتهيا إلى سور المدينة صاح عليهما الحرس ، فتقدم اليهم الوز ير

وعرفهم بنفسه ، ففتحوا لهما ودخلا ، وامرهم سابور بالاجتماع اليه ، وفرق فيهم المال والسلاح ، وتم الامر بينهم بانه إذا ضرب الروم نواقيسهم الضربة الاولى يخرجون من المدينة ، فاذا ضربوا الضربة الثانية يحملون من جهة .

وقصد سابور خيمة قيصر ، ولم يكن الروم متأهبين ليقينهم بضعف الفرس واخذ سابور قيصر اسيراً ، وقتل عسكره واحتوى على خزانته ، ولم ينج من جنوده إلا من كانت فرسه سابقة .

وعاد سابور إلى ملكه مؤيداً منصورا ، فقسم الغنائم بين عسكره وافاض الصلاة على من في جميع مدينته واحسن إلى حفظة ملكه وشرفهم وفوض جميع امره إلى وزيره الذي خلصه من اسر قيصر ، ثم انه احضر قيصر واكرمه ولاطفه وقال له انى سأبقى عليك كما ابقيت علي ، ولا اجازيك بضيق حبسي ، ولكني الزمك باصلاح ما افسدت في جميع مملكتي وتبنى جميع ما هدمته ، وتغرس مكان كل نخلة قلعتها من بلادي شجرة زيتون ، وتطلق كل من في مملكتك من اسرى الفرس ، فضمن له قيصر ذلك ، ووفى له باضعافه ، واصلح جميع ما اتلفه .

ولما بلغ سابور المراد من كل ما طلب احسن إلى قيصر واطلقه وارسله إلى ملكه ، وقال له : تأهب واستعد فانى سأغزوا ارضك عن قريب ، والحمد لله السميع المجيب .

الجبري في مليح يسمى علياً :

بعلي همت ما بين الورى ... وبه قلبي المعنى قد بلي
وإذا ما غاب عني شخصه ... صاح قلبي بعده يالعلي

ابن العمار :

باكر لكرم العنب المجتنى ... واستجنه من عند عنابه
واعصره واستخرج لناماءه ... لكي تزيل الهم عنا به

وله واحسن ما شاء :

نديمتي جارية ساقية ونزهتي ساقية جاريه
جارية اعينها جنة وجنة اعينها جاريه

الفخري صاحب ديوان الانشاء بدمشق ، وقد اجاد في توريته :

من شرطنا ان اسكرتنا الطلى صرفا تداوينا برشف اللمى
نعاف مزج الماء في شربها لا آخذ الله السكارى بما

وله ايضاً وفيه التورية المعجبة والاكتفاء والاقتباس :

ضلوا عن الماء لما ان سروا سحرا قومي وظلوا حيارى يلهثون ظما
والله اكرمني بالورد دونهم فقلت يا ليت قومي يعلمون بما

ولبعض المذريين :

ان السلام وان اهداه صاحبه وزاده رونقاً فيه وتحسينا
لم يبلغ العشر من قول تبلغه أذن المحبة افواه المحبينا

ولبعضهم في الشيب :

ولما رأى شيبي الغواني ثنا فروا فقلت هلمو اانها شيبة الحمد
ألم تعلموا انى امير ذوي الهوى وان ولاة الحب كلهم جندي
فقالوا لهم ندري ولكن من غدا به شيبة فالقرب من شيبه يعدي

لغز لبعض المتقدمين :

يا ايها المولى الذي قد جد في الفقه وجد
ما ذات حسن زوجت سبعين زوجاً في البلد
مهراً بعقد واحد عقد صحيح لا يرد
ومن عجيب انها بين الذكور قد تعد
امرأة ان اقبلت او ادبرت فهي ولد
امهلتكم في حلها إلى غد او بعد غد

الجواب لعبد الرحمن الوزير المتقدم ذكر ترجمته :

اللغز في مؤنث سماعه عنهم ورد
وان ترد ايضاحه فانه عكس ولد
وقوله ثلثاه ثلث بين لمن وجب
فاثنان منها عشرة دال وواو في العدد
واللام ثلث وبها عد الثلاثين يحد
وفي الكتاب ذكره إذ قال يا بشرى فقد
ولي اليه حاجة في البحر من اوفى العدد
هذا الذي فهمته على قصوري في المدد
فاعذر محبا قلبه في شغل للفكر صد
وسد ما تراه من عيب فمن ابصر سد
ولا برحت ابدا في دعة الفرد الصمد

أرسل قيصر ملك الروم والشام رسولا إلى ملك فارس كسرى انوشروان صاحب الايوان ، فلما وصل اليه ورأى عظمة الايوان ، وعظمة كسرى على كبر سنه ، والملوك في خدمته .

نظر إلى الايوان فرأى في بعض جوانبه اعوجاجاً ، فسأل الترجمان عن ذلك الاعوجاج الذي في الايوان ، فقال له : كان ذلك بسبب بيت لامرأة عجوز كرهت بيعه عند عمارة الايوان ، فلم ير ملك الزمان ان يجبرها على بيع بيتها فابقى بيتها في جانب الايوان ، فذلك الذي رأيت وسألت ، فقال الرومي : وحق دينه ان هذا الاعوجاج بالعدل ، احسن من الاستقامة بالظلم ، وحق دينه ان فعل ملك الزمان هذا لم يؤرخ فيما مضى لملك ولا فيما بقي لملك .

فاعجب كسرى من كلامه ورده مسروراً محبورا . ولما افتتح كسرى بلاد العجم واحكم البنيان ، وشيد الحصون ، ومهد البلاد ، ونشر العدل في العباد وجند

الجنود ، سار إلى بحر الجزيرة وآمد وافتتح ما هناك من البلاد إلا آمد ، فانه عجز عنها لتشييد سورها ، وتحكيم بنائها ، فرحل عنها إلى الفرات ، وافتتح حماة واعمالها وكثيراً من الشام ، وغدر بقيصر وقتل ابن اخيه بحمص ، وما افتتحها .

ثم سار إلى انطاكيـة وقتل صاحبها وافتتحها ، فخاف قيصر منه وهاداه وحمل اليه الخراج ، وكان ذلك في زمن النبي ﷺ وفي نزول قوله تعالى (ألم غلبت الروم في ادنى الارض) والقصة مشهورة ، ليس هذا موضع ذكرها .

وحمل كسرى من الشام من اعاجيب الرخام وبدائع المرمر وانواع البـلاط المجزع والاحجار البهجة ، فبني بالعراق مدينة رومية وزخرفها . وكان اراد ان يصنع ذلك بآمد فلم يقدر على فتحها ، فجعل رومية على شكلها .

واشتد سلطان كسرى وعظم ملكه وهابته ملوك الارض وهادته وحملت اليه الخراج ، وتزوج بشاروق ابنة خاقان ملك الترك ، ولم يكن في زمانها احسن منها ، ولا ابدع من صورتها .

وكتب اليه ملك الصين : من يغفور ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذي يجري في ساحة قصره نهران يسقيان العود والـكافور ، والذي يشم عرف ازهار قصره من فرسخين ، وتخدمه بنات الف ملك ، والذي في مربطه الف فيل ابيض ، إلى اخيه كسرى انوشروان ، واهدى اليه فارساً وفرسه من الدر المنضود وعيناها من الياقوت الاحمر ، واهدى اليه ثوبا من الحرير الصيني فيه صورة كسرى وهو جالس على كرسيه في ايوانه والتاج على رأسه ، والملوك في خدمتـه والخدام بايديهم المراوح المصورة المنسوجة من الذهب في ارض لا زوردية في صندوق من الذهب مرصع بانواع اليواقيت التي لا قيمة لها .

واهدى اليه جارية تغيب في شعرها الحالك إذا اسبلته ، وغير ذلك من اعاجيب الصين .

وكتب اليه ملك الهند : من ملك الهند صاحب القصر الذهب المرصع

بالزمرد والياقوت والزبرجد الذي ابواب قصره من الزمرد الذيابى ، إلى اخيه كسرى انوشروان ، واهدى اليه الف منّ من العود الهندى الذى يذوب على النار كالشمع ويمهر فتبين فيه كتابة المهر .

واهدى اليه جاماً من الياقوت الاحمر البهرمان سمته شبر في شبر وسمكه عرض اصبعين ، واهدى اليه عشرة امنان من الكافور كالفستق واكبر .

واهدى اليه اربعين درة يتيمة كل واحدة تزيد على ثلاثة مثاقيل ، واهدى اليه جارية طولها عشرة اشبار إلى صدرها ، وخمسة اشبار إلى فوقها تصل اهداب عينيها إلى خدها ، وكان بين اجفانها لمعان البرق من بياض مقلتيها وسوادها مع صفاء لونها ، ورقة خصرها ، واتقان شكلها .

واهدى اليه اربعة آلاف منّ من المسك .

واهدى اليه ملك تبت ـ مدينة فوق كشمير بخمسة عشر يوما ـ وكانت هداياه مائة جوشن تبتيه ، ومائة درع على شكل البرنوس ، كل واحد منها يستر الفارس وفرسه ، ومائة ترس لاتعمل في هذه الاتراس والدروع عوامل الرماح ولا بواتر الصفاح ، وزنة كل قطعة من هذه الاشياء المذكورة ما بين اربعين درهما إلى ستين .

واهدى اليه اربعة آلاف منّ من المسك التبتي ، وتسعين غزالا من غزلان المسك بالحياة وسفرة عظيمة من الذهب مرصعة بانواع الجواهر الفاخرة ، يجلس حولها اكثر من ثلاثين رجلا قد كتب على اطرافها (خير الانام من اطعم الطعام وجاد على ذى الفاقة من غير كلام ، ما اكلته وانت تشتهيه فقد اكلته ، وما اكلته وانت لا تشتهيه فقد اكلك .

وكان لكسرى خواتيم اربعة ، خاتم للخراج فصه ياقوت يشتعل كالنار مكتوب عليه : العدل العدل .

والثاني للضياع فصه فيروزج مكتوب عليه : العمارة العمارة .

والثالث للضرب والعقوبة ، فصه زمرد مكتوب عليه : التأنى التأني .

والرابع للرسل ، فصه درة بيضاء مكتوب عليه : العجل العجل .

وكانت لكسرى ايضاً سفرة من العنبر الاشهب ، اهداها اليه قيصر ملك الروم ، سعتها ثلاثة اذرع بثلاثة قوائم من الذهب المرصع بالجواهر الفاخرة ، منها قائمة على صورة كف اسد وساعده ، وقائمة ساق وعل وظلفه ، وقائمة كف عقاب ومخلبه وثلاثون جاماً من الجزع اليمانى ، سعة كل واحد شبر في شبر .

وكان عند كسرى ثلاثة آلاف درة كل واحدة منها ثلاثة مثاقيل .

وكان يقول : خير الكنوز ما اودعته صدور الاحرار ، وعلم بتوارثه الاعقاب ، واطول الناس عمراً من كثر عمله فانتفع به من بعده .

وكان يقوم حول كسرى عشره آلاف من الترك والخطا ، وهم في غاية الحسن ، وفي آذانهم اقراط الذهب بالدر والجوهر ولباسهم الديباج ، عشرة صفوف كل صف على قد وشكل ولباس واحد ومهما التحى واحد منهم او مات اتى بغيره

وكان في مربطه تسعة آلاف فيل ، منها الف وسبعمائة اشد بياضاً من الثلج ومنها ما طوله اربعون شبراً ، ومنها مائة فيل زنة احد نابيه مائة واربعون منا بالبغدادى ، انتهى ما نقلته من الذهب المسبوك في اخبار الملوك لابى الفرج ابن الجوزى .

مدّ السماط بين يدى كسرى انوشروان فلما صفت الصحون انقلب من بعضها شيء على السفرة ، فنظر كسرى إلى ماد السماط شزراً فعلم انه يقتله البتة فاكفأ الصحن باجمعه على السفرة ، فقال له كسرى : ما هذا الفعل ؟ فقال ايها الملك تيقنت انك قاتلي لا محالة على ذلك الامر الحقير الذى لا يوجب القتل ، فتكون مذموماً عند الناس فاردت ان افعل ما لو قتلتني به لم تذم عليه فعفا عنه وقربه .

لما ملك الاسكندر فارس والغرب والشام وهى اسكندرية ودمشق وغيرها وقصته مشهورة ، فلما ملكها ارتحل إلى الهند والسند والصين فوطىء اراضيها

وذلل ملوكها ، واهديت اليه الهدايا من تبت والترك وغير ذلك إلى ان انتهى إلى مطلع الشمس من العمران .

وكان معلمه ارسطا طاليس ، ووزيره الخضر ، فبلغه ان باقصى الهند ملكا عادلا ذا حكمة وديانة وسياسة ، متحلياً بكل خلق كريم ، فكتب اليه الاسكندر يقول : إذا اتاك كتابي فلا تقعد ، ولو كنت تأكل حتى تأتيني وإلا مزقت ملكك ، فلما ورد كتاب الاسكندر عليه أجابه باحسن جواب ، ولقبه بملك الملوك العادلة ، واعلمه في كتابه انه قد اجتمع عنده اربعة اشياء لم تجتمع عند ملوك الدنيا ، منها : ابنة لم تطلع الشمس على احسن منها ، ومنها فيلسوف يخبرك عن امرك من قبل ان تسأله ، ومنها طبيب لا يخشي معه على شيء من العوارض والامراض إلا مرض الموت ، ومنها قدح إذا ملأته شرب منه جميع عسكرك ولا ينقص منه شيء ، وأنا مهد ذلك كله إلى ملك العصر وسائر اليه عقيبه .

فلما قرأ الاسكندر الجواب وسمع بذكر هذه الاشياء ، تولع بسماعها ولعاً عظيما وارسل اليه جماعة من الحكماء يأتون بهذه الاشياء المذكورة ، فمضى القوم إلى ملك الهند فاكرمهم واحسن مثواهم .

فلما كان اليوم الرابع جلس لهم مجلساً عظيما واقبل على الحكماء وباحثهم وملأ صدورهم من العلوم والحكمة ، ثم اخرج ابنته ، فلما رأوها غشى عليهم وخافوا على عقولهم من الزوال ، فسير الجميع معهم وودعهم مسافة ثلاثة ايام .

فلما وردوا على الاسكندر امر بانزال الفيلسوف في دار الضيافة ونظر إلى الجارية فطاش عقله عند مشاهدتها .

وكان الاسكندر إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة فاحترمها وقدمها على سائر حرمه ، ثم ملأ القدح فشرب منه جميع عسكره ولم ينقص منه شيء ، قيل انه قدح آدم عليه السلام ، معمول من الخواص والروحانية .

وشاهد من طب الطبيب ما بهر عقله من عجائب علاجه للامراض ، ثم ارسل

في الحال إلى الفيلسوف قدحا مملوأ سمناً جامداً ووضعه بين يديه ، ولم يخبره بشيء فاخذه الفيلسوف وغرز في السمن ابراً صغاراً كثيرة وسيرها إلى الاسكندر .

فلما رآها الاسكندر حرك رأسه ، ثم امر فجعلت تلك الابر كرة حديد وارسلها إلى الفيلسوف فلما رآها جعلها مرآة مصقولة صافية وردها إلى الاسكندر وجعلها في طشت فيه ماء يسير وارسلها إلى الفيلسوف ، فلما رآها جعلها كرة مقعرة حتى طفت على وجه الماء ، وارسلها إلى الاسكندر ، فلما رآها الاسكندر ثقبها وملأها ترابا ، وردها إلى الفيلسوف فلما رآها تغير لونه ، وارسلها إلى الاسكندر من غير ان يحدث في التراب شيئاً .

فلما كان اليوم الثاني جلس الاسكندر مجلساً حافلا واحضر الفيلسوف فرآه شابا حسن الصورة ، فتعجب من حسن صورته ، فوضع الفيلسوف يده على انفه ثم حياه بتحية الملوك ، فاشار اليه الاسكندر بالجلوس على كرسي وضع له فجلس عليه ، فقال له الاسكندر : ايها الفيلسوف ما بالك لما ان نظرت اليك وضعت يدك على انفك ؟ فقال : ايها الملك المعظم دام لك المجد لما نظرت إلي استحسنت صورتي وخطر بخاطرك هل حكمة هذا الشاب على قدر صورته ، فوضعت يدي على انفي اخبر الملك انه ليس في جميع ارض الهند والسند مثلي ، فقال له الاسكندر صدقت ثم قال له : فحدثني بما كان بيني وبينك من الرسائل ؟ فقال : ايها الملك ارسلت إلي بقدح مملوء سمناً لا يمكن ان يزاد فيه تخبرني على ان عندك من الحكمة شيئاً لا يحصى وانك قد امتلأت حكمة ، فاخبرتك ان عندي من لطائف الحكمة ما ينفذ في حكمتك ، كما نفذت الابر في السمن .

ثم ارسلت إلي الكرة الحديد فاخبرتني ان نفسك قد علاها من وسخ الصدأ بقتل العدا ، وسفك الدما ، كما علا هذه الكرة ، فاخبرتك ان عندي من العلاج والملاطفة ما يجعل نفسك مثل هذه المرآة المصقولة حتى تشرق على الموجودات .

ثم ارسلت إلي بالطشت والماء تخبرني بان الليالي والايام قد قصرت عن ذلك

فاخبرتك اني سأعمل لك من الحيلة الى ايصالك إلى العلم الكثير في العمر القصير كما صيرت الحديد الذي في طبعه الرسوب في الماء على وجه الماء . ثم ثقبت القمر وملأته ترابا تخبرني بالموت والقبر ، فلم اغيره وخبرت الملك ان لا حيلة في الموت .

فعجب الاسكندر منه ، قال : والله لقد حكيت بكل ما خطر ببالي ، ثم امر له باموال جزيلة وخلعة جليلة فابى وقال : ايها الملك انا طالب لما يزيد في عقلي فكيف ادخل على عقلي ما ينقصه ، وانما تفضل ايها الملك واحسن إلى اهل الهند وكف عن معارضتهم . فكف ورحل عنهم .

لمؤلف هذا الكتاب غفر الله له ولجميع الاخوان والاصحاب من بحر السلسلة :

ادميت بسهم من اللواحظ فتاك قلبي وفؤادي فمن بذلك افتاك
يا بدر كمال بدا بحسن دلال اسمح بوصال فان قلبي يهواك
لاعاش حسودي فقد اطال نكودي يغري بصدودي وانت تأنس من ذاك
ما احسن ليلا اتيت تسحب ذيلا نحوي وانار المكان نور محياك
الجسم طريح بباب حبك ملقى والقلب ذبيح واصل ذلك عيناك
والخد جريح لفرط طول بكائي يايوسف حسن متى افوز بلقياك
فانعم وتعطف وعاطني وتلطف كاسات رضاب هي الشفاء لمضناك
فالقرب دوائي وطول بعدك دائي فاسرع بشفائي بحق من هو عافاك
اخلفت وعودي وماطفيت وقودي فاحفظ لعهودي عسى إلهي يرعاك
لا زلت حبيبي من الانام نصيبي لا تخش رقيبي ففي فؤادي مثواك

ما الطف قول صاحب الحلبة في العذار :

بدا ليل العذار فلمت قلبي وقلت سلوت إذ طلع العذار
فاشرق صبح غرته ينادي كلام الليل يمحوه النهار

وقال فضل الله المقرى وأجاد :

يقول سواد شعري سوف ابقى على حالي وان بعد المزار

فقال بياض شيبي إذ تبدي كلام الليل يمحوه النهار

الاكتفاء نوع ظريف ، وهو ينقسم إلى قسمين : قسم يكون بجميع الكلمة كقول العلا يوسف بن علي الكوكباني ، وفيه ايهام التورية ايضاً وهو :

يقول لي العذول وقد رآني حليف هوى بمن حاز الجمالا
ابن لي هل انا لك ما تمنى وهل تسلوه قلت له انا لا

وقسم يكون ببعضها وهو اصعب مسلكاً لكنه احلى موقعاً كقول الشاعر :

هو يتهم فاستلبوا نهيتي وعادة الحب استلاب النهى
وتفروا نومي عن مقلتي ووكلوني ابداً بالسهى

السراج الوراق :

عندي فديتك راآت ثمانية انفي بها الهم ان وافى وان وردا
راح وروح وريحان وريق رشا ورفرف ورياض ناعم وردا

قال عبد العزيز خان سلطان بخارى لما ترك ملكه ابتغاء مرضاة الله ، وقد حج بيت الله وزيارة رسول الله ، وهو بالفارسية ، يا صاحب الرتبة العلية :

ياد ايامي كه ماهم روز كارى داشتم شهريار شهرخود بودم وياري داشتم
تير بختي كرد مارا اين چنين بي اعتبار ورنه ماهم بيش مردم اعتباري داشتم
برسرير مملكت بودم وخوش عبدالعزيز در ميان مردم عالم دياري داشتم

ولمؤلف هذا الكتاب :

بشنواز كنجشك اين نقل وخبر با سليمان نبي خير البشر
بايكي عصفور ماده عشق داشت واز فراق هجرأ وطاقت نداشت
كاه ميكردي جدل كه كفتكو نه براى دولت دنيا بأو
كفت بامن باز كوچون ازوصال ميكني منعم كجا باشد حلال
تومبندار اينچنينم كر ضعيف برتوانا يان خود هستم شريف
قوتي دارم كه بر منقار خود ميكنم هفت اسمان سربار خود

آنچه باشد باسلیمان در زمان — میتوانم بردنش تا آسمان
آنچه اومیگفت از تعریف خود — بادد رگوش سلیمان زود برد
حکم بر احضار شان فرمود زود — رفت بیکی هردو راحاضر نمود
گرداز کنجشك نرحضرت سؤال — گرتوقوت داری ای نیکوخصال
قوت منقار بنمایك نظر — تخت ما رایك وجب بالابر
آن زمان عصفور تسلیمات کرد — هیبتش دردل فتاد ولرزه کرد
گفت ای نور خدا بشنوز من — ما جری ما بیننا از مرد وزن
مرد باید خود نمایی‌ها کند — بیش زن تا او وفابیدا کند
بیش زن تعریف خودرا کرده ایم — لیك قوت از کجا آورده ایم
باز چون عصفور عذرش رانمود — نیز بیغمبر تبسم رانمود
باز عصفور ماده آن دم هم بایست — گفت این جور وجفا از بهر چیست
باتو کو یاعشق او صادق بود — بیوفائی از توکی لائق بود
آن زمان عصفور عرض حال کرد — که ای سخنها مشنواز کنجشك مرد
زانکه با کنجشك دیگر عشق داشت — زین سبب از وصل ما قسمت نداشت
بر سلیمان این سخن کردی اثر — چونکه از عصفور بشنید این خبر
تاجهل ایام در عزلت نشست — غیر حق بر روی عالم دربست
گفت یارب ای کریم کرد کار — حب دنیا ازدلم بیرون برار
دور کن از من غم طول امل — صادقم در حب خود کن ازازل
درسر شتم عشق صادق کن کرم — تاشوم دربیش فضلت محترم
هر که دارد در محبت راشریك — اونبا شددر خلائق مردنیك
هر کز اسرار حق نبود خبر — نفع کی او رابود غیر از ضرر
ای برادرعزت اندرعزلت است — گوشه گیری سالکانراعزت است
دست ازین دنیای بی‌عقبی بشوی — بی تأمل گرتو هستی نیك خوی

كوش كن در كفتهاي مولوي از نصيحت در كتاب مثنوي
اي برا در توهمه انديشه ما بقى تو استخوان وريشه
بس كن اى عباس مكي تابكي در هوس مانى ميان ليت وكي
فكر كن در نكته حب الوطن دل منور كن زمعناى سخن
سكر غفلت رابكن بيرون زسر سنك فرش كعبه شواى بى خبر
تابطوف كعبه هر كس رو كند بيندت آنجا ترايا هو كند

وقلت ايضاً معارضاً قصيدة السيد على المهري الملمعة التى اولها :

اي دلبر آب الحيات معتق بدهانه
الماه طرة وجهه والدر من دندانه

وهي طويلة مشتملة على الفاظ فارسية وعربية وتركية ، وهذا النوع في اصطلاح الفارسى التلميع ، فقلت وان لم يدرك الظالم شأو الضليع :

لي شادن اضنى الحشا بالسحر من جشمانه
اصمى الفؤاد وصادنى بالتيه من مجكانه
بي شك انى ذائب من حسنه اهوى الحما
مذ صرت صباً هائما من سرو قد روانه
شوخ يذيب حشاشة الدلها برقة نازه
تاكي اقاسى هجره فرياد من هجرانه
ديوانه كشتم عندما شاهدت ماه جماله
ارخى سلاسل زلفه المشكي على اعكانه
في الروز والليل البهيم إذا ذكرت صدوده
اجرى عليه الاشك حتى ان أذوب لشانه
اشتاق تلك الغمزهاء اذا بدت من جشمه
يرمى الفؤاد باسهم من ابر وان كمانه

مردم زتيغ لحاظه لما به نحوى رنا
كالبدر يسبي للعقول بقده وميانه
اضحيت قرباناً له لما بدا في حلة
كالارغوان يفوح منها المسك من دامانه
ترك إذا ناديته بن عاشقم سن رحم كن
خنديد مني معجباً واجابني بزبانه
سن صبردن كتى اولر بوراه مشكل كتمه سن
بو عشق درمحنت اولر ما انت من مردانه
حاز الجمال ويمذل العشاق عن راه الهوى
دلدار من يا غي شده بيداد من طغيانه
قسما بطيب خويه وبحسن روشن رويه
وبحمرة اللبها إذا تفتر عن دندانه
وبما اقاسي من حريق العشق مع فرط الجوى
وبخش وصال نلته من دلبري بأمانه
انى مقيم لم احل عن راه حب جماله
تاروز محشر دائماً قسما به وبخانه
إذ لم يزل ذا الدرد عن قلب المتيم في الهوى
ويواصل الصب الذي در أسره ورهانه
فلا كرين عليه تا معلوم هر كس ميشود
واقول هذا جان من قد زاد في هجرانه

ابن سكرة الهاشمي في مليح بيده قضيب لوز منقوش :

غصن بان بدا وفي اليد منه غصن فيه لؤلؤ منظوم
فتحيرت بين غصنين في ذا قمر طالع وهذا نجوم

ابن خفاجة الاندلسي في مليح حسن الوجه والصوت :

امسى يقر لحسنه قمر الدجا وغدا يذوب لصوته الجلمود
فاذا بدا فكأنما هو يوسف وإذا تلا فكأنه داود

الصفي الحلي :

كف عينيك عن دماء البريه فهي خصمي في ذاك دون البريه
من يسل عن دمى فان عليه شاهداً من خدودك المندميه
يالقومى ما ان افيق من العشق وفيه لي المنى والمنيه
ونهانى عنه المشيب ولكن ما احتيالي والنفس منه صبيه
حيرتنى بفترة الاعين النجل فتاة كأنها حوريه
طفلة غضة الحياء من الدل ولكن خدودها ورديه
ذات غنج لها على القحب فضل وعلى سائر البغايا مزيه
وهى مع حسنها جريرة الجسم ولكن اشفارها صوفيه
ذات ردف كأنه دعص كافور وثغر كالوردة الجوريه
لو رأى عطر شقها حسن المسكى لسوى من بعرها عنبريه
شغفت بى وكنت اشغف بالمرد فصارت بالحسن عندي حظيه
وصبت بى فمذ صبوت اليها واطمأنت معي باخلاص نيه
حلفتني ان لا .. غلاما فتجرعتها امر اليه
ثم لما مضت شهور ولا تنظر منى سوى لزوم التقيه
ظفرت بى في البيت يوما وعندي شادن رب بهجة يوسفيه
جذبت خفها علي من الباب ونادت يا اقذر اللوطية
لا يمين ولا حياء ولا دين ولا نخوة ولا عصبيه
أفسوقا من بعد حجك للبيت وقصد المشاعر القدسيه
عقر الله ناقة حملت شخصك في البيد نحو تلك البنيه

فاستشاط الغلام منها وابدى منه في القول قوة عصبيه
وتهزى بها وقال اصار البظر يعدو على الا٠٠ القويه
انت تهوين اول المدد المغلي واسم المليح بالمجسميه
فاستشاطت عليه غيظاً وقالت انت من اين والنفوس الابيه
أتعرضت لي وانك عندي انا حمل بمنطق التركيه
انت آنارجيد بالكرخيه ثم واسم السكين بالارمنيه
قلت لا تكثري النزاع فانى لست اهوى الفقاح النقيه
قالت اكفف يا فاسد الرأي والعقل فما انت من ذوي الالمعيه
ان يكن محقن الخراء لذيذاً فاجعل الا٠٠ منك في قصريه
وإذا لم يكن من المرد بدا فاقسم ٠٠ بيننا بالسويه
قلت تعطين من وراء فقالت ان ارادته نفسك الكلبيه
قلت دوري فانحفتني بردف يطبخ الا٠٠ حره لبنيه
فهو مثل البلور لوناً ولكن يصبغ الا٠٠ صبغة كهربيه
جلت فيه فبادرت بفساء ينشق الا٠٠ منه ريحاً ذكيه
وضراط لوهب في شارع الموصل طارت بعرشها القمريه
ثم جادت بسلحة ذات لين صبغت نصف جبتي جيفيه
ثم وات تصيح تالله ياكلب شبيه الغناء بالمغليه
جل مولى اعلى مقامك في ٠٠ واعطاك كل هذي العطيه
قلت ارضاك ما فعلت فقالت لا ولكن حملت منك الاذيه
كل يوم امسي بقلب حزين من اذى المرد قلت انت بريه
قالت الحال قد مضى فاسخ بالمال فقصدى منك العطايا السنيه
قلت مالي الذى عهدتيه بالامس وكانت به النفوس قويه
اخذت بعضه اللصوص جهاراً والموالي تقاسموا بالبقيه

قالت الويل لى حسبتك اثريت وانى اروح منك غنيه
قلت لا تجزعي علي فانى لى التزام بالدولة الصالحيه
فمآلى في حضرة الملك الصالح فيه لى الحمى والحميه
ذي الاياد نجل الاكارم شمس الدين رب المكارم الحاتميه
سوف يرعى جارى ويحفظ حقى ان حفظ الجوار منه سجيه
فهو ظل المولى المديد على الارض ورب الانصاف والاريحيه
بسط العذر لى فاوجب بسط القول في مثل هذه الهزليه
كيف لا اغتدى به سهل المنطق وهى الرسالة الشمسيه

﴿ دقيقة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا مولاي يا واحد يا مولاى يا دايم يا علي يا حليم ، العدم عبارة عن كتم الصفات في الذات ، والوجود عبارة عن تجلي الذات بالصفات فالصفات عين الوجود ، فهو الواحد ، والذات عين العدم فهو الاحد بلا زائد الأول حقيقة التعين والتحقق والتقيد .

والثانى حقيقة المفارقة والاطلاق والتجرد ، وحقيقة الشيء ما منه بدا ، وبه قام واليه رجع فافهم .

ولم نقل عين العدم إلا لأنا نترجم بلسان الوجود الذي ليس إلا به نتكلم وإلا فالمعجوز عنه كيف يخبر عنه ولا بأنه معجوز عنه ، لان كل مقول حكم ، حتى قولنا الذات والعدم ، وإذا أنعدم التصور عاد المتكلم ابكم ، والله اعلى واعلم .

ولا فرق بين كلام الحكيم وتغريد الحمامة ، إلا في عقول الفرقان ، وارواح الامامة ، الكل تجليات باسماء وصفات ، وليس الذات إلا الذات ، والله بكل شيء عليم انه بكل شيء محيط ، وهو هو بما هو ، هو هو سيدى وربى ، وهو مولاي وحسبى ، ليس إلا هو .

قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها) الانفس الجملة كما هي وتوفيها اماتتها ، وهو ان يسلب ما هي به حية حساسة دراكة والتي لم تمت في منامها ، اي يتوفاها حين تنام تشبيهاً للنائمين بالموتى حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك .

ومنه قوله تعالى : (وهو الذى يتوفاكم بالليل) فيمسك الانفس التي قضي عليها الموت الحقيقي ان لا يردها في وقتها حيـة . ويرسل الاخرى النائمة إلى اجل مسمى ، اى وقت موتها .

وقيل: يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهى الانفس التي تكون معها الحياة والحركة ، ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها ، وهى انفس التمييز ، قالوا : فالذى تتوفى في النوم هى نفس التمييز لا نفس الحياة ، لان نفس الحياة إذا زالت زال معها النفس ، والنائم يتنفس ، ولكل انسان نفسان ، احـداهما نفس الحياة ، وهى التي تفارقه عند الموت ، والاخرى نفس التمييز وهى التي تفارقه إذا نام .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان في ابن آدم نفساً وروحا ، مثل شعاع الشمس ، فالنفس التى بها العقل والتمييز ، والروح التي بها النفس والتحرك ، فاذا نام العبد قبض الله نفسه ، ولم يقبض روحه .

والصحيح هو الاول، لان الله علق التوفى والموت والمنام جميعها بالانفس وما علق بنفس الحياة والحركة ، ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم ، وانما الجملة هى التي تموت وهى التي تنام .

وعن علي عليه السلام قال : تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا ، فاذا انتبه من النوم عادت الروح إلى جسده باسرع من لحظة .

وعنه عليه السلام : ما رآه نفس النائم في السماء فهي الرؤيا الصادقة ، وما رآه بعد الارسال يلقيها الشيطان فهي كاذبة .

وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه : ان ارواح الاحياء وارواح الاموات

تلتقي في المنام فتتعارف فيها ما شاء الله ان تتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى إلى اجسادها إلى انقضاء مدة حياتها .

وروي ان ارواح المؤمنين تعرج عند النوم في السماء ، فمن كان منهم طاهر أذن له في السجود ومن لم يكن طاهراً لم يؤذن له فيه .

(في ان ذلك) اي ان في توفي الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها (لآيات) على قدرة الله وعلمه (لقوم يتفكرون) يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون والله اعلم وادرى واحكم . ابن مطروح :

خذوا قودي من اسير الكلل فوا عجباً من اسير قتل
ونادوا علي إذا نحتم طعين القدود جريح المقل
ولي جلد عند بيض الظباة وبالاعين النجل ما لي قبل
ولي قمر ما بدا في الظلام وأبصره البدر إلا افل
يضل بطرته من يشاء ويهدي بغرته من اضل
وجاد الزمان به ليلة وعما جرى بيننا لا تسل
فأنحلت قامته بالعناق واذبلت مرشفه بالقبل
وكم تهت في غور خصر له واشرفت في نجد ذاك الكفل
وأذنت حين تجلى الصباح بحي على خير ذاك العمل
وقد علم الناس اني امرؤ احب الغزال واهوى الغزل
فها اثر المسك في راحتي وهذا فمي فيه طعم العسل

الشيخ قطب الدين معارضاً :

ألا فلل الله سيف المقل فكم ذا اباد وكم ذا قتل
وما من قتيل له في الهوى سوى الف راض بما قد فعل
لقد نصر الله جيش الملاح ببدر لنا حصنه قد كمل
وما بطل في الوغى فارس إذا قابل الغيد إلا بطل

إذا فتنتني عيون الظبا فيا فرحي قد بلغت الامل
رعى الله ليلة زار الحبيب وغاب الرقيب إلى حيث أل
فاجلسته في سواد العيون وقد غسل الدمع ذاك المحل
والصقت خدي باقدامه واذبلت اخمصه بالقبل
فرق ومالـ باعطافه فديت بروحي ذاك الميل
فعانقته وخلعت العذار ومزقت ثوب الحيا والخجل
وما زلت اشغله بالحديث وستر الظلام علينا انسدل
إلى ان غفا جفنه ناعساً وعنى تغافل او قد غفل
فخليت عن خصره بنده وانضيت عن معطفيه الحلل
وبت اشاهد صنع الاله تبارك رب البرايا وجل
فظن بنا الخير او لا تظن فما انت تسأل عما فعل

الشيخ حسن البروني :

إذا لمعت بوارق ثغر بدري تصب دموع عيني كالرباب
ويشجيني الحمام إذا تغنى غراما نحو سكان الرباب
وان غاب الاحبة عن عياني حملت من النوى مثل الرباب
وقلبي لا يزال يطير وجداً إذا ما شاقه صوت الرباب
ويشهد لي بصدق الود دمعي كما صدقت روايات الرباب
وحين سمعت لفظاً من حبيبي نسيت حديث زينب والرباب

الاول : السحاب ، والثاني : موضع بمكة المشرفة شرفها الله ، والثالث : جبل معروف ، والرابع : آلة معروفة ، والخامس : رجل محدث ، والسادس : محبوبة معروفة بين العرب .

الصفي الحلي :

قالت كحلت العيون بالوسن قلت ارتفا بالوجهك الحسن

قالت تسليت بعد فرقتنا فقلت عن مسكني وعن سكني
قالت تشاغلت عن محبتنا قلت بفرط البكاء والحزن
قالت تناسيت قلت عافيتي قالت تحولت قلت عن وطني
قالت تخليت قلت عن جلدي قالت تغيرت قلت عن بدني
قالت اذعت الاسرار قلت لها صير سري هواك كالعلن
قالت فما تريد قلت لها ساعة سعد بالوصال تسعدني
قالت فعين الرقيب ترصدنا قلت فاني للعين لم ابن
انحلتني بالصدود منك فلو ترصدتني المنون لم ترني

وقال الآخر وأجاد :

قالت لقد اشمت بي حسدي مذ بحت بالسر لهم معلنا
اهكذا تفعل في حقنا وتظهر الاعدا على سرنا
قلت انا قالت وإلا فمن قلت انا قالت وإلا انا
قلت نعم انت التي صيرت اجفانك الصب حليف الضنا
قالت فلم طرفك فهو الذي جنى على جسمك ما قدجني
قلت فقد كان الذى كان من طرفي فكوني انت من احسنا
قالت فما الاحسان قلت اللقا قالت لقانا عز أن يمكنا
قلت فمنيني بتقبيلة قالت امنيك بطول العنا
من يعشق الالحاظ مكحولة بالفتج لا يأمن ان يفتنا

وهـذا القول والذى قبله يسمى المراجعـة عند علماء البديع ، وسماه قوم السؤال والجواب ، وهو الاحسن ، وهو عبارة عن حـكاية مراجعة جرت بالفاظ موجزة بليغة والله اعلم .

فلك القمر ثخنه وبعده مابين سطحه الاعلى وسطحه الادنى مائة الف وثمانية عشر الفاً وستة وثلاثون ميلا .

والقمر جزء من تسعة وثلاثين جزأ من جرم الارض ، ودورة القمر اربعمائة واثنان وخمسون ميلا ، وقطر جرم القمر مائة واربعون ميلا ، هـذا قول العلماء القدماء ومن قال بحكم المقدمات الحاسية .

وأما الشمس فهي اعظم الكواكب جرماً ، واشدها ضوءاً ، ومكانها الطبيعي في الكرة الرابعة .

وزعم المنجمون ان الشمس من الكواكب كالملك وسائر الكواكب كالجنود والاعوان ، والقمر كالوزير وولي العهد ، وعطارد كالكاتب ، والمريخ كصاحب الجيش ، والمشترى كالحاكم ، وزحل كصاحب الخزائن ، والزهرة كالخدم والجواري ، والافلاك كالاقاليم ، والبروج كالبلدان ، والحدود والوجوه كالمدن والدرجات كالقرى ، والدقائق كالمحالي والثوانى كالمنازل ، وهذا تشبيه جيد .

ومن عجائب حكمة الباري ان جعل الشمس في وسط الكواكب السبعة لتبقى الطبائع والمطبوعات في هذا العالم بحركاتها على حد الاعتدال ، إذ لو كانت في فلك الثوابت لفسدت الطبائع من شدة البرد ، ولو انها انحدرت إلى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية ، وأيضاً خلقتها سائرة غير واقفة وإلا لاشتدت السخونة في موضع والبرودة في غيره ، فلا يخفى فساد ذلك بل تطلع كل يوم من المشرق ، ولا تزال تغشي موضعاً بعد موضع حتى تنتهي إلى المغرب ، فلا يبقى موضع مكشوف إلا واخذ حظاً من شعاعها .

وأما جرمها فبقدر جرم الارض مائة وستة وستين مرة .

برج الحمل : له من بلاد بابل وفرغانه وفارس وآذربايجان وفلسطين .

الثور : له من البلاد السودان وهمدان وبلاد الاكراد .

الجوزاء : لها من البلاد جرجان وارمينية وجيلان ومصر ورومية .

السرطان : له من البلاد ارمينية الصغرى وشرقى خراسان والصين .

الاسد : له من البلاد الترك إلى نهاية العمران التي تليه ونيسابور وصعيد

مصر وطوس .

السنبلة : لها من البلاد الشام والفرات والجزيرة ومما يلي كرمان ،

الميزان : له من البلاد الحبش و كرمان وسجستان وكابل وبلخ .

العقرب : له من البلاد الحجاز وبادية العرب واليمن وطنجة .

القوس : له من البلاد بغداد والجبال والري واصفهان .

الجدي : له من البلاد مكران والهند والسند وعمان والبحرين .

الدلو : له من البلاد الخليل والكوفة والقبط .

الحوت : له من البلاد الشمال وحران واسكندرية .

من الكشاف في تفسير قوله تعالى (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) قال : واعلم ان مقالات المنجمة على طريقتين ، فمن الناس من يكد بهم ، وقد استدل بهذه الآية ، وبقوله عليه الصلاة والسلام : من اتى كاهنا او عرافا فصدقه ، فقد كفر بما انزل على محمد .

ومنهم من قال بالتفصيل، فان المنجم لا يخلو من ان يقول ان هذه الكواكب مخلوقات او غير مخلوقات ، الثاني كفر صريح ، وأما الاول : فاما ان يقول انها مختارات فاعلات بنفسها ، فهذا ايضاً كفر صريح ، وان قال انها مخلوقات مسخرات ادلة على بعض الاشياء ولها اثر ، يخلق الله تعالى ذلك كالنور والنار ونحوها وان استخرجوا ذلك بالحساب ، فذلك لا يكون غيباً ، لان الغيب لا يدل عليه بالحساب وأما الآية والحديث فهما محمولان على علم الغيب والله اعلم .

قوله تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) رد انكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم إذ انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها ـ اي شقوها ـ وخلوا سبيلها ، فلا تركب ولا تحلب .

وكان الرجل منهم يقول : ان شفيت من مرضي فناقتي سائبة ، ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها .

وإذا ولدت الشاة انثى فهي لهم ، وان ولدت ذكراً فهولآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح الذكر .

وإذا انتجت الناقة من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى .

وقالوا : قد حمى ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ، ولذلك تعدى إلى مفعول واحد وهو البحيرة ، ومن مزيدة .

من خزانة الروايات في باب التعزير : قال اعلم ان التعزير قد يكون بالحبس وقد يكون بالصفع ، وتعريك الاذن ، وقد يكون بالكلام العنيف ، وقد يكون بالضرب ، وقد يكون بنظر القاضي اليه بوجه عبوس .

وقد روى عن ابي يوسف : الزجر والتعزير من السلطان بأخذ المال جائز ان رأى المصلحة ، وكذلك جائز للقاضي لانه كالوالي ، وبين معنى قوله تعالى : (واطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) قال الامام والقاضي والمحتسب ويجوز للقاضي التعزير بالشتم المشروع كالشق ونحوه .

البطريق : ككبريت القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ثم الطرخان على خمسة آلاف ، ثم القومس على مائتين ، والرجل المختال المزهو والسمين من الطير ، والجمع بطارقة .

قوله تعالى (اقتربت الساعة) أي قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقريء وقد انشق القمر ، أي اقتربت الساعة ، وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق ، كما تقول اقبل الامير ، وقد جاء المبشر بقدومه .

قال ابن مسعود : لقيت حراء بين فلقتي القمر ، وقيل : معناه ينشق يوم القيامة ، والجمهور على الاول ، وهو المروي في الصحيحين ، ولا يقال لو انشق لما خفي على اهل الاقطار ، ولو ظهر عندهم لنقلوه متواتراً ، لان الطباع جلبت على نشر العجائب ، لانه لا يجوز ان يحجب الله ذلك عنهم بغيم وغيره .

في المثل (اشأم من البسوس) والبسوس: امرأة مشؤمة اعطي زوجها ثلاث دعوات مستجابات فقالت : اجعل لي واحدة منهن ، قال : فلك ما تريدين ، قالت: ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل ، ففعل فرغبت عنه إلى غيره وارادت شيئاً ، فدعا الله ان يجعلها كلبة نباحة ، فجاء بنوها فقالوا : ليس لنا قرار على هذا ، يعيرنا الناس ادع الله ان يردها إلى حالها الاول، ففعل فذهبت الدعوات هباء بشؤمها .

ليت شعري : كلمة تقولها العرب عند الشيء تحب عمله ، وتسأل عنه .

سئل ابو عبيدة ما اصل ليت شعري ؟ فقال : كأنه قال : ليتني شعرت بكذا وكذا ، أي ليتني علمت بحقيقته .

﴿ خاتمة من كتاب المجالس من الادعية المستجابة ﴾

إذا حصل للشخص امر يطبق اصابع يده اليمنى ، ثم يفتحها بكلمة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم لك الحمد ومنك الفرج ، واليك المشتكى ، وبك المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ولنختم هذه الرحلة بهذه الخاتمة ، واسأل الله من فضله لي ولكافة المسلمين حسن الخاتمة ، واستغفره من قول بلا عمل ، واعوذ به من جميع الخطايا والزلل ، وارجو من كرمه ان يهديني وجميع المسلمين إلى طريق النجح والصواب ، ويمن علينا بجزيل الاجر والثواب ، وينطق السنتنا عند السؤال باصدق الجواب ، ويهون علينا هول يوم الحساب ، فانه اليه المرجع والمآب ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت واليه متاب ، وصلى الله على الشفيع يوم المعاد ، محمد افصح من نطق بالضاد وعلى آله الغر الميامين ، عماد الدنيا والدين ، واصحابه منهج الشريعة والايمان ، ومن تبعهم باحسان .

وكان قد ذهب مني نبذة مليحة في كل فن من العلوم ، كنت جمعتها قصداً

لنظمها في سلك هذا الدر المنظوم ، فظفرت بها والحمد لله ، والحقتها به بحول الله وجعلته باسم مولانا الفقيه المشار اليه ، اسبل الله ستره الضافي عليه ، وهلى من لديه وغفر له ورحم والديه ، ولم اجعله باسم احد غيره ، لما ترادف علي من وافر احسانه وخيره ، خصوصاً نجله السعيد ، الموفق الرشيد الرئيس المجيد الكامل المجيد المفضال على الكبار والصغار في السر والاجهار ، مولانا الفقيه العاقل النبيه عبد الله ابن الفقيه احمد الخزندار لا زال في كنف الخالق ، من شر كل غاشم وطارق ، فكم له علينا من فضل وايد ، وكم اغنانا عن بذل ماء الوجه لعمرو وزيد ، فلعمري والله انه الرئيس الذي لم يسمح الزمان بمثله ، والعاقل الذي لو صور العقل لكان على شكله ، ان تلقه تلق مبتسما باش ، كريماً هشاش ، ولا عجب فالمؤمن بشاش ، إلى خلق عظيم ، وهمة وحسن خيم ، ذلك تقدير العزيز العليم .

فلهذا ختمت هذا الكتاب بذكر جنابه المستطاب الذي هو انس القلوب وقرة العيون ، ولان يكون ختامه مسكاً ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

وقلت فيه مؤرخا دخوله الميمون الذي هو بالعز والفرح مقرون ، إلى بندر المخا من مدينة صنعاء سنة الف ومائة وثمان واربعين من هجرة سيد الاولين والآخرين

أتانا السعد يخبر مذ تقدم ... بمقدم سيدي الفخر المقدم
رئيس الوقت عبد الله من قد ... سما قدراً وفي العليا تقدم
كريم ما رأت عيني شبيها ... له فيمن تأخر او تقدم
فكم اعطى النوال بلا سؤال ... وكم من صالح الاعمال قدم
وطالع اصله لا زال يعلو ... على الفرع المؤخر والمقدم
ولما ان اتى في خير وقت ... أتى التأريخ يقدم خير مقدم

لا زال في عز وسلامة ، ونعمة مدامة ، إلى يوم القيامة ، بحرمة محمد وآله وصحبه اهل الكرامة :

من قال آمين ابقى الله مهجته ... فان هذا دعاء يشمل البشرا

ومن الله المأمول ان يلاحظ تأليفي هذا بعين الرضا والقبول ، بلغهما الله كل سؤل ، بل اقول لجنابهما معدن الشهامة ، ولا اخشى ملامة :

جميع الكتب يدرك من قراها ملال او فتور او سآمه
سوى هذا الكتاب فان فيه بدائع لا تمل إلى القيامه

وأقول يا من عز قدره وعلا :

ان تجد عيباً فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي المظيم ، وازكى السلام والتسليم ، على نبينا الكريم وآله وصحبه اهل الفضل والتعظيم .

وكان الفراغ من تأليفه « بينبع الحما » في رابع شوال سنة الف ومائة وثمان واربعين من هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين .

بحمد من عم فضله السهل والوعر ، وجرت جواري لطفه في البر والبحر ، قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب ، البديع اسلوبه في كل باب ، الذي بلغ من تخوم البيان اقصاها ، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها ، فما احلى اراجيزه ، وما أحسن نكته الدقيقة الوجيزه ، يظل من طالع رياض حسنه كالنشوان ، يميل من نسيم سحره كالاغصان ، ومن اقتناه من ذوى المعارف والالباب ، لم يحتج إلى غيره من كتب الآداب

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرست الجزء الثاني

من نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس

صفحة	مواضيع الكتاب

٣ ترجمة ابى محمد الحريري صاحب المقامات المشهورة .

٧ فائدة في علم الفراسة :

١٢ ذكر الاكروفلك الشمس والقمر وكلام بعض الفلاسفة فيما يلزم للملك ووزارئه

٢٢ ترجمة ابى الحسن علي بن ابى طالب المعروف بزين العابدين عليه السلام .

٢٥ ذكر قصيدة الفرزدق التي مدح بها الامام المذكور .

٢٧ فائدة ـ ذكر الأسد وكناه .

٣٦ ترجمة ابى جعفر محمد بن علي بن الحسين بن ابي طالب الملقب بالباقر عليه السلام .

٣٨ ذكر الخيل . وفائدة النفس .

٤٩ ترجمة القاضى التنوخي .

٥٣ فائدة في التاريخ .

٥٦ ترجمة ابى عبد الله الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابى طالب عليهم السلام .

٥٩ ذكر عمرو بن عدي وتزويجه برقاش اخت جذيمة .

٦٣ فائدة ـ اول من وضع الخط العربى واقامه الخ . . .

٦٥ ترجمة السيدة زينب بنت السيد محمد بن احمد بن الحسن بن علي بن داود الحسينية اليمنية .

٧٢ معنى قوله تعالى : « الله نور السموات والأرض » .

٧٤ ترجمة الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهم السلام .

صفحة مواضيع الكتاب

٧٧ لطيفة بعض المجانين لبعض القضاة .
٧٧ ذكر نوادر أهل حمص .
٨٩ ترجمة ابى محمد الحسن بن محمد المهلبي وزير معز الدولة .
٩٥ سؤال لبعض اهل الذمة ، وجوابه لبعض علماء الاسلام .
١٠١ فائدة في الكلام على لسان الوحوش مع بعضها .
١٠٥ ترجمة ابى الحسن الامام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهم السلام
١١١ ترجمة ابى جعفر الامام محمد الجواد بن علي بن موسى الرضا عليهما السلام .
١١٤ ذكر الهدايا إلى بعض الملوك .
١١٨ ترجمة مؤيد الدين فخر الكتاب ابى اسماعيل المشهور بالطغرائى .
١٢٤ لامية العجم للطغرائي .
١٢٧ لامية الشيخ عمر بن الوردي
١٣٠ ترجمة ابى الحسن الامام علي الهادي بن محمد بن علي الرضا عليهم السلام .
١٣٨ ترجمة القاضي البيضاوي صاحب التصانيف المشهورة .
١٤٠ تفسير حديث « ليس عند ربك صباح ولا مساء » وغير ذلك .
١٤٨ اعراب ، ألا ياطف هند ، الابيات ، وقصة امرىء القيس بن حجر الكندي
١٥٤ لامية امرىء القيس التي هي افصح اللاميات وعين قلادة السبع المعلقات .
١٥٨ دالية طرفة بن العبد وهي ثانية السبع المعلقات .
١٦٣ ميمية عنترة بن شداد العبسي .
١٦٧ قصيدة عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي شهاب الاراقم .
١٧٢ قصيدة زهير بن ابى سلمى ، وهى الخامسة .
١٧٤ قصيدة لبيد بن ربيعة العامري ، وهى السادسة .

صفحة | مواضيع الكتاب

١٧٨ قصيدة الحارث بن حلزة اليشكري ، وهي آخر السبع المعلقات .
١٨٣ فائدة ـ الطعوم تسعة وهي الحلو والمر والحامض والمز والمالح والحريف والعفص والدسم والتفه .
١٨٤ ترجمة ابى محمد الامام الحسن العسكري بن علي الهادي عليهم السلام .
١٨٨ فائدة ـ الابعاد ترى من المواضع البعيدة أقصر الخ . . .
١٨٩ ترجمة صاحب القاموس .
١٩٤ فائدة ـ وفق آية الكرسي وما كان يدعو به بعض الحكماء .
١٩٧ ملتقطات من الباب الأخير من كتاب نهج البلاغة .
١٩٧ ترجمة الامام المهدي المنتظر عجل الله فرجه .
٢٠١ ذكر الجراد وما حدث في اثناء رحلة المؤلف سنة ١١٨٨
٢٠٧ ترجمة الامام الشافعي (رض) .
٢١٢ فائدة ـ اعلم ان عزيز مصر اشترى يوسف الصديق عليه السلام .
٢١٦ ترجمة الامام مالك بن انس (رض)
٢١٩ حكاية ـ ان الرشيد كان يخلع على عبيده وجواريه يوم العيد .
٢٢٣ ترجمة الأمير سيف الدولة ابى الحسن علي بن عبد الله بن حمدان .
٢٢٦ فصل في انفجار ينابيع جوده على الشعراء .
٢٢٩ نبذ من ذكر وقائعه وغزواته .
٢٣٣ ملح من شعر سيف الدولة .
٢٣٧ ترجمة الامام احمد بن حنبل (رض)
٢٣٩ ذكر من لعب بالشطرنج غائباً
٢٧١ اعرف هذه الفائدة (فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على انفسكم) الآية
٢٧٢ فائدة ـ لأرسطو في كتابه الموسوم باثولوجيا الخ

صفحة | مواضيع الكتاب

٢٧٣ ترجمة ابي حنيفة النعمان بن ثابت (رض)
٢٨٢ ترجمة صالح بن محمد بن حسين بن عثمان الخالدي عقيد بني خالد
٢٨٤ ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن وجيه الدين عيسى بن مرشد العمري
٢٨٥ فصل في انتقال جده من شيراز إلى الحجاز وتوطنه بمكة المشرفة
٢٩٠ فصل في منثور الشيخ المذكور ومنظومه
٢٩٩ قصيدة ابن هانىء الاندلسي يمدح جعفر علي امير الزاب
٣٠٥ فائدة ـ ذكر سيبويه في باب الاسماء الاعجمية
٣٠٧ ترجمة امام الحديث ابي عبد الله محمد البخاري صاحب الجامع الصحيح
٣٠٩ فائدة ـ قولهم لمن شرب الماء هنيئاً
٣١٠ فائدة في كلمة الكوع
٣١٠ فائدة في كلمة ويح
٣١١ فائدة في تجاهل السكاكي ، سوق المعلوم مساق غيره

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فهرس القسم الثاني من الجزء الثاني

صفحة	مواضيع الكتاب
٣١٣	ترجمة صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي
٣١٥	فائدة في آيات موسى التسع صلوات الله عليه
٣١٦	فائدة ـ نظم المحقق الاصفهاني في تحقيق الزمان آيات القرآن العظيم
٣١٦	فائدة في ايمان ابوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٣١٦	فائدة في عدة اعمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٣١٧	فائدة في عدة ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٣١٨	فائدة في الاشياء التي إذا اعطيت يسن قبولها ولا ترد
٣٢٦	فائدة ـ جدة على ساحل بندر مكة
٣٣٤	ترجمة ابي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري صاحب الصحيح
٣٣٥	ذكر عبد الله بن عبد الكريم
٣٤١	فائدة ـ انما للحصر عند الجمهور قيل بالمنطوق الخ
٣٤١	فائدة ـ كل اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر المضاف هو اليه
٣٤٢	ترجمة الرئيس ابي علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا الحكيم الفيلسوف
٣٤٥	في كلمة حبذا ، هي كنعم الخ
٣٤٦	ترجمة ابي الوفاء شعبان بن مسلم الصنعاني
٣٤٩	فائدة ـ الاشهر الرومية
٣٥٥	ترجمة ابي الوليد معن بن زائدة الشيباني
٣٦٤	ترجمة ابي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري

صفحة	مواضيع الكتاب
٣٦٦	فائدة ـ ما في القرآن المجيد
٣٦٩	فائدة ـ ذكر معانى اسماء حروف الهجاء من لغة العرب
٣٧١	ترجمة الملك عضد الدولة ابى شجاع فناخسرو بن ركن الدولة
٣٧٥	فائدة ـ من بغية المستفيد في اخبار زبيد
٣٧٦	لطيفة للمولى جمال الدين بتهنئة شهر رمضان
٣٧٧	ترجمة ابي عيسى محمد الترمذي الحافظ المشهور
٣٧٧	فائدة في الرياح الأربعة
٣٧٩	لطيفة ـ ان ريح الصبا هي التي تبلغ الانباء للانبياء عليهم السلام
٣٨٢	من كلام بعض الحكماء
٣٨٣	من امثال العرب
٣٨٣	من امثال المولدين
٣٨٣	من امثال نساء العامة
٣٨٥	فائدة ـ الطائف اكبر مدن الحجاز
٣٨٨	تنبيه ـ قال صاحب القاموس : وابو رغال ككتاب الخ
٣٩٨	ترجمة محمد بن الحنفية نجل الامام علي بن ابى طالب عليه السلام
٤٠٢	ترجمة ابى بكر محمد بن مسلم الزهرى التابعي المحدث
٤٠٤	مسألة في كلمة ـ اكلت السمكة حتى رأسها
٤٠٤	سؤال وجواب (يا كاسراً قلبي المعنى)
٤٠٦	فائدة ـ النار عند العرب اربعة عشر ناراً
٤١١	فائدة في ينبع البحر مدينة صغيرة .
٤١٢	فائدة ـ ينبع النخل على سبع مراحل من المدينة المنورة
٤١٣	ترجمة ابى السعادات المعروف بابن الأثير الجزرى

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

صفحة	مواضيع الكتاب
٤١٧	ترجمة الامام عبد القادر الطبري الحسيني الشافعي
٤١٨	في اثبات شيء من نثره الفائق ونظمه الشائق الرائق
٤٢٣	تنبيه في قوله : وستة وسبعة وثمانية
٤٢٩	نظم للجمل التي لها محل من الاعراب
٤٢٠	فوائد مجربة لطرد الفار ، لبكاء الطفل ، للملسوع ، للعرق المدنى الخ
٤٣١	ترجمة ابي الحسين محمد المقري البغدادي
٤٣٤	ترجمة ابى بكر محمد بن سيرين البصري
٤٤٢	ترجمة ابى بكر محمد المعروف بالنقاش
٤٥٠	ترجمة الصاحب بن عباد الشاعر الشهير الطالقانى
٤٦٢	خبر سبطه ابي الحسن عباد بن علي الحسينى
٤٦٥	فصل في الملاطفة والمداعبة
٤٧٢	فائدة مجربة للسارق ولمسر الولادة
٤٧٣	فائدة مجربة للحمى ولحمى الثلاث
٤٧٣	ذكر ابن هرمة الشاعر
٤٧٩	ترجمة ابى نصر الفارابى الحكيم المشهور
٤٨٢	فائدة ـ عيسى عليه السلام مشتق من عاس المال
٤٨٢	فائدة ـ موسى عليه السلام مفعل من اوسيت رأسه إذا حلقته
٤٨٨	فائدة ـ البرغوث ـ بفتح الباء وضمها ـ وكنيته ابو طائر
٤٨٩	فائدة ـ قول النبي (ص) ثلاث جنان في الدنيا ـ مرو خراسان ودمشق الشام وصنعاء اليمن
٤٩٠	تنبيه في اختلاف سمك قصر غمدان
٤٩١	حكاية يحيى بن معاذ الصنعاني

صفحة	مواضيع الكتاب
٤٩٦	فائدة ـ فصل الكاف عند قوله (كمن كنصر وسمع كونا) الخ
٤٩٧	فائدة ـ جاءت امرأة إلى النبي (ص) فقالت حفيلي عنسج ليس له سفر جلتان الخ
٥٠٣	ترجمة امين الدين ياقوت بن عبد الله الموصلي الكاتب المعروف
٥٠٦	لطيفة في مرض رجل وعنده امرأة ، اركض رجل دابته وهو يقول الطريق الطريق الخ
٥٠٦	حكاية ادبية في مجلس المبرد
٥٠٧	حكاية وفد ملاعب الأسنة عامر بن مالك
٥١٠	ترجمة ابى الفرج الببغا عبد الواحد المخزومي من اهل نصيبين
٥١٩	غرر من رسائله الموصولة بشعره
٥٢١	ذكر ما دار بينه وبين ابى اسحاق الصابى
٥٢٦	غرر من شعره في الغزل
٥٢٨	غرر من شعره في سائر الفنون
٥٣٧	في آخر كتاب من لا يحضره الفقيه
٥٤٠	ترجمة ابى علي محمد بن الحسين بن مقلة الكاتب
٥٤٤	ذكر تاريخ الخلفاء
٥٥٦	ذكر قيام الدولة العباسية بالديار المصرية مختصراً
٥٦٢	ترجمة ابى محفوظ الشيخ معروف بن فيروز الكرخي الصالح المشهور
٥٦٣	ذكر ارجوزة على مثلة قطرب
٥٦٨	ترجمة ابى القاسم محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى صاحب الكشاف
٥٧٢	فائدة ـ الجنة مكنة التجرد عن الضرورات البشرية
٥٧٢	فائدة ـ الخط المستقيم عبارة عن الكمال الوسطى
٥٧٣	سؤال : رمضان اتى وكلنا نهواه الخ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

صفحة	مواضيع الكتاب
٥٧٤	سؤال عن العقل في حد ذاته
٥٧٤	الجواب ـ ان العقل يحصر تلك المناسبة والاتصال
٥٧٤	فائدة ـ إذا حسنت الملاحظة في كل مسألة
٥٧٩	فائدة ـ في طبقات الولايات الخمسة
٥٨٤	ترجمة ابى العباس ابراهيم الصولي الكاتب والشاعر المشهور البغدادي
٥٩٤	فائدة ـ الجبن والبخل صفتان محمودتان في النساء
٥٩٥	قصيدة في الهذيان للشاعر علي المغربي
٥٩٩	ترجمة الشريف المرتضى ابي القاسم علي بن طاهر نقيب الطالبيين ببغداد
٦٠١	فائدة ـ فى حقيقة الهوى هو الدليل إلى الباطل
٦٠٦	القصيدة التترية المشهورة
٦١٠	ترجمة ابى محمد عبد الله بن القاسم الشهرزوري
٦١٣	فائدة ـ من حاشية ملا خسرو على البيضاوي (الحمد لله رب العالمين)
٦١٤	هذه ارجوزة للفاضل ابن مكانس المشهور
٦٢٣	الفقيه علي بن صالح بن ابى الرجال
٦٢٨	نكتة عجيبة بأراضى اليمن
٦٢٩	حكاية يعجب بها ارباب الجمال والدراية فيما وقع لسابور بن هرمز مع قيصر ملك الروم
٦٤٢	ارسال قيصر رسولا إلى كسرى انو شيروان
٦٤٨	قصائد لمؤلف هذا الكتاب وغيره ، عربية وفارسية
٦٥٥	خاتمة الكتاب

المكتبة الإسكندرية ومكتباتها
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى